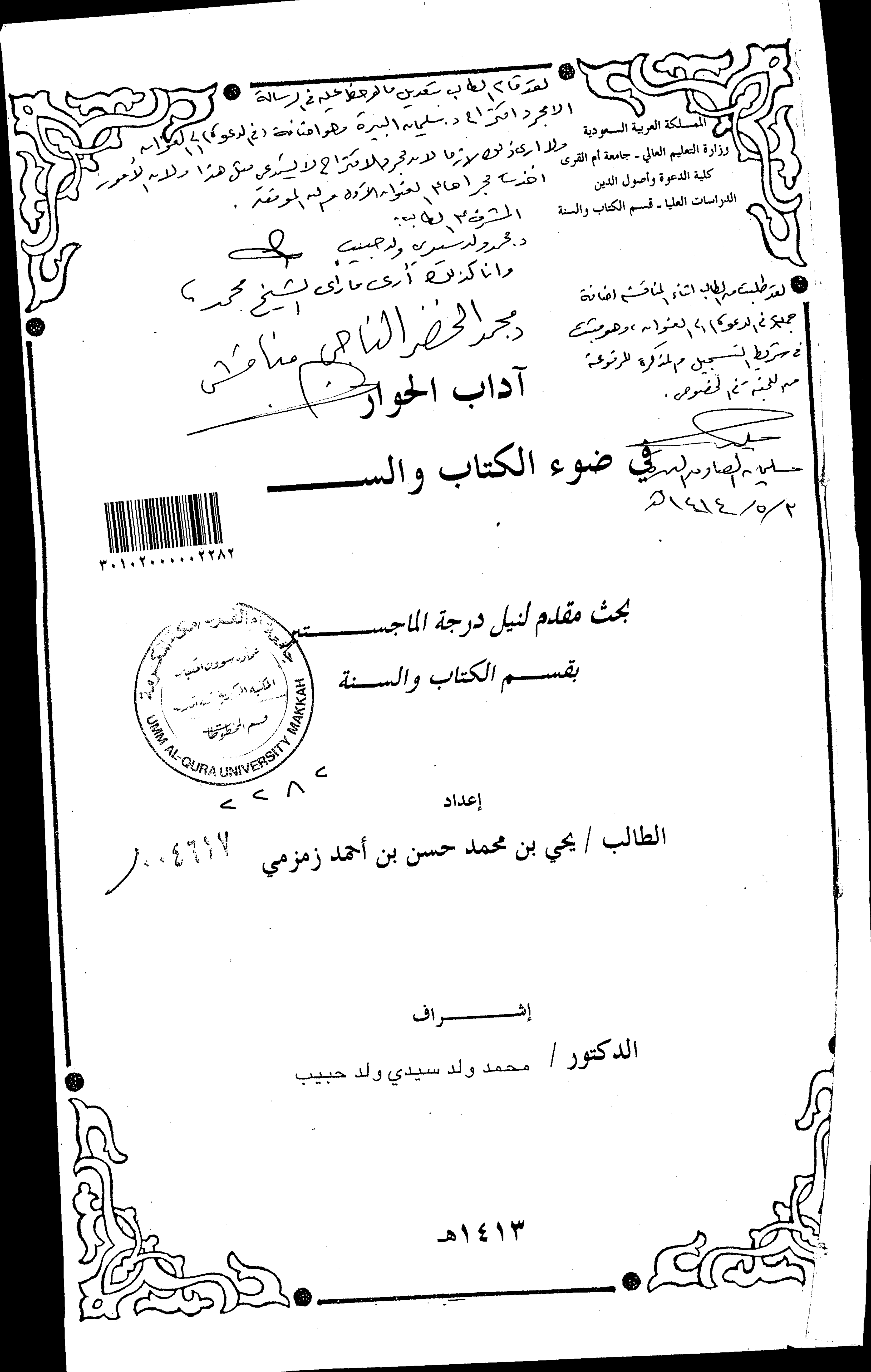


المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي - جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

الدراسات العليا - قسم الكتاب والسنة

آداب الحوار في ضوء الكتاب والسنة

٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٢٢٨٢

UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

بقسم الكتاب والسنة

إعداد

الطالب / يحي بن محمد حسن بن أحمد زمزمي

إشـــراف

الدكتور / محمد ولد سيدي ولد حبيب

١٤١٣هـ

ملخص الرسالة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه.وبعد ..

فإن الحوار في الإسلام له أهداف عدة فهو طريق إلى وحدة الأمة وتقريب وجهات نظر قادتها من العلماء والدعاة وهو يقضي على كثير من الخلاف ، وهو وسيلة مهمة وناجحة في الدعوة إلى الله عز وجل ، وبه يمكن التصدي لكثير من شبهات الطاعنين .

ومالم يتم هذا الحوار في جو من الأدب الرفيع والخلق النبيل فقد يفقد اثره ، إن لم يعد بسلبيات تزيد الطين بلة ، ولهذا اخترت موضوع «آداب الحوار»لرسالتي وملخصها كالآتي :

١ - حاولت تأصيل آداب الحوار تأصيلاً علمياً شرعياً مبنياً على نصوص الكتاب والسنة مباشرة ، فجمعت نماذج الحوار في القرآن وما صح في الكتب الستة وبلغت اكثر من مائتين واربعين نموذجاً ثم استنبطت منها الآداب المتعلقة بموضوع الرسالة.

٢ - بلغ عدد الآداب التي ذكرتها « اربعين أدباً » كل أدب منها في مبحث مستقل ، أبين فيه المقصود بذلك الأدب وأذكر ادلته من الكتاب والسنة .

٣ - تقع الرسالة في خمسة أبواب ، الأول منها تمهيدي في خمسة مباحث ، لذكر التعريفات اللازمة وأهمية الحوار وأهدافه وحكمه وأصوله وعلاقته بالخلاف ، وبقية الأبواب للآداب مرتبة كالاتي :

الباب الثاني آداب الحوار النفسية في اثنى عشر مبحثاً.منها : الإخلاص ، الإنصاف ، التواضع ، المحبة .

الباب الثالث : آداب علمية في أربعة عشر مبحثاً. منها : العلم ، التدرج ، التثبت ، الرجوع إلى الحق .

الباب الرابع : آداب لفظية في تسعة مباحث.منها : حسن العبارة ، أدب السؤال ، التعريض والتلميح .

الباب الخامس : آداب ومباحث عامة في تسعة مباحث. منها : اختيار الوقت المناسب ، حسن التصرف ، مراعاة الأفهام والعقول .. ، «نماذج تطبيقية للحوار ».

أهم النتائج :

١ -كمال هذا الدين وعظمته في جميع جوانبه ، ومن ذلك عنايته بآداب الحوار وقواعده وأصوله ضماناً لسلامته من الشوائب ، وسعياً لتحقيق أهدافه المنشودة .

٢ - إن الأدب في الحوار لا يقل أهمية عن الحوار نفسه ، إذ فقدان الأدب وعدم مرعاة الظروف والمواقف قد يؤدي إلى نتائج سلبية ويزيد التنافر والإختلاف ، أو يقضي على الحوار ويهدمه من أساسه .

٣ - لقد احتوت نصوص الكتاب والسنة على اقوم الطرق وأهدى السبل وأفضل المناهج في الحوار وآدابه وعلى كل من اراد النجاح في حواره أن يسلك سبيلهما ليصل إلى مقصوده بأيسر طريق وأخصره .

٤ - لقد قام سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن العلماء والدعاة والقادة والأمراء بإجراء كثير من الحوارات ، ظهر فيها الأدب الرفيع والخلق النبيل والمنهج القويم في ضبط الحوار والوصول به إلى نتيجة .

٥ - إن للحوار شروطاً لابد منها وأهمها:القدرة على ادارة الحوار والتزام آدابه لتحقيق نتائجه وتجنب سلبياته .

٦ - إن كثرة الآداب وتعدد جوانبها لا ينبغي أن تصد المحاور عن الأخذ بها ومراعاتها ، بل عليه أن يجتهد في تحصيل ما يفتقده منها .

٧ - ان الحوار طريق صحيح ومهم إلى إصلاح كثير من الأوضاع سواء كانت دعوية أو اقتصادية أو اجتماعية أو غيرها .

٨ - نحن أحق وأولى بالبحث في" أدب الحوار" وتطبيقه عملياً من أولئك الذين يدّعونه لتحقيق مآربهم الشخصية أو مخططاتهم الهدامة والتي تطعن في الدين والثوابت باسم الحوار وأدب الخلاف .

الطالب	المشرف	عميد الكلية
يحيى بن محمد حسن زمزمي	د . محمد ولد سيدي ولد حبيب	د. علي بن نفيع العلياني

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله... أما بعد

فلا يزال الوحي المنزل - الكتاب والسنة - دائم لاينضب معنيه، ولا تنقضي عجائبه، ولاتقف عن حد فوائده، ولا ينتهي البحث فيه والإستنباط منه، ذلكم أنه من عندالله الباقي الذي لايحول ولايزول، ولأنه - أي الوحي - صالح لكل زمان ومكان، ولاتزال الأيام والدهور تثبت ذلك وتؤكده، وتدل عليه وتؤيده.

فسبحان الله! ما من قضية ولا حادثة، ولا مسألة ولا مشكلة، إلا وبيانها في الكتاب والسنة - بالقول أو بالفعل - : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيءٍ وَهُدَىً وَرَحْمَةً وبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِيْنَ﴾(1)

ومن جرب العيش في ظل القرآن، تلاوة وتدبرا، وأمعن النظر في سنة رسول الله ﷺ تفهما وتفكرا، وجد مصداقية هذه الآية ولابد، ولقد أحسن أبوذر - رضي الله عنه - في التعبير عن ذلك حين قال : (لقد تركَنَا رسولُ اللّهِ ﷺ وما يتَقلَّبُ فِي السَّمَاءِ طائرٌ إلاَّ ذَكَرَنَا مِنْه عِلْماً)(2)

وبحمد الله فإن منهج هذا الدين واضح كل الوضوح، فقد تركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، فلا طلاسم ولا غموض فيه، سواء في جانب العقيدة والإيمان، أو الدعوة والعبادة، أو السلوك والأخلاق، أو النظر والإستدلال، أو غيرها.

- وحيث إن الحوار [وهو مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين أو أكثر بصورة متكافئة ويغلب عليه الهدوء والرغبة في الوصول إلى الحق والبعد عن التعصب والخصومة](3)

---

1 - النحل: 89

2 - أخرجه أحمد في المسند : (162/5)

3 - سيأتي مبحث مستقل للتعريفات وشرحها - بإذن الله تعالى -

حيث إنه مما يدخل دخولا أصليا تحت منهج الدعوة، وحيث إن له أصولا وضوابط وآدابا تدخل ضمن منهج السلوك والأخلاق، ونظرا لدور الحوار وأهميته، من حيث كونه :

١ - وسيلة ناجحة في دعوة الناس إلى هذا الدين القويم.

٢ - طريق مختصر لتوحيد الأمة الإسلامية، وتقريب وجهات نظر علمائها ودعاتها.

٣ - سبيل للقضاء على كثير من الخلافات والحزازات القائمة بين فئات مختلفة من المسلمين.

٤ - فرصة سانحة للدفاع عن الدين ورد شبهات الطاعنين.

إلى غير ذلك من المهام والوظائف، والثمرات والفوائد، التي يمكن أن نجنيها عن طريق الحوار.

وحيث إن كل تلك المهام لايمكن تحقيقها إلا بقواعد وأصول عامة، وآداب وأخلاق رفيعة، مستنبطة من الكتاب والسنة تساعد في نجاح الحوار، وتحافظ على جوهره، وتضمن استمراره - بإذن الله تعالى - وتقضي على كثير من سلبياته، وتنقيه من الأخطاء والشوائب، التي يمكن أن تعصف به فتعطله عن سيره، أو تهوي به في مكان سحيق.

وحيث إن جانب «منهجية الحوار: أي الأصول والقواعد الرئيسية العامة» التي تضبط مسار الحوار، سواء كان ذلك بالنصوص الشرعية، أو القواعد الأصولية، أو المقدمات المنطقية، أو الأدلة العقلية، قد بحث قديما وحديثا ضمن موضوعات وكتب أصول الفقه والمنطق ونحوها، أو في بحوث مستقلة تتعلق بمناهج الجدل وأصول الإستدلال أو غيرها(١).

---

١ - لايكاد يخلو كتاب في أصول الفقه إلا وفيه بيان لهذا الجانب، وأما الكتب التي أفردته بالتأليف فمنها : (استخراج الجدال من القرآن لابن الحنبلي، وكتاب الجدل لأبي الوفاء بن عقيل الحنبلي، تاريخ الجدال لأبي زهرة، آداب البحث والمناظرة للشنقيطي، مناهج الجدل للالمعي، ضوابط المعرفة للميداني، وغيرها)

لذا فقد آثرت أن يكون موضوع رسالتي هو : «آداب الحوار في ضوء الكتاب والسنة» ليحقق الجانب الآخر في قضية الحوار، إذ هو موضوع يعنى بطريقة إدارة الحوار، والقواعد السلوكية والصفات الخلقية التي ينبغي مراعاتها - قبل وأثناء وبعد - الحوار، والتي تساهم مساهمة فعالة في تحقيق أهدافه، وتساعد في تقدمه وفلاحه. - مع أن هناك تداخلا وتقاربا بين الجانبين -، فقد يكون من الأصول العامة والقواعد المنهجية، ما يصلح أن يكون أدبا للحوار، لتعلقه بالجانب السلوكي، أو بطريقة الحوار أو نحوها، فأذكره هنا في بحثي بهذا الإعتبار؛ (أي بإعتبار كونه منهجا أو أسلوبا أو أصلا للحوار، يحتاج إلى أن ينضبط بآداب معينة، ويفتقر إلى سلوكيات خاصة، ليقدم من خلالها للطرف الآخر، في قالب من الأدب الرفيع، والخلق الفاضل، فيكون أدعى لقبوله واقتناعه)،وعند ذلك نجمع بين التأثير على العقل بالأصول والمناهج، والتأثير على العاطفة بالآداب والأخلاق والسلوكيات.

وحيث إنه قد كثرت - في الآونة الأخيرة - وسائل طرح موضوع أدب الحوار، واختلفت في ذلك المناهج والطرق، وتعددت الوسائل والأساليب، وتباينت الجهات التي تبنته - وفي بعضها نظر وريبة سيأتي التفصيل فيها -. فقد أيقنت أن الطريق الأقوم، والسبيل الأفضل - ولاشك - هو منهج الكتاب والسنة: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِيْ هِيَ أَقْوَمُ﴾(١)

ولذلك فقد حاولت - على قدر فهمي وطاقتي - أن أؤصل «آداب الحوار» تأصيلا علميا شرعيا، وأن أربطه بنصوص الوحي مباشرة، وتحقيقا لهذا الغرض فقد حرصت على استقراء وتتبع حوارات القرآن، والتدبر والنظر في آياته، ويسر الله لي قراءة «الكتب الستة» - كاملة تقريبا - ، وأن أجمع ما وجدته من الآثار والسير مما له علاقة بأدب الحوار، وبحمد الله فإنه - إن شاء الله - لم يفتني مما التزمت به - القرآن والسنة «الكتب الستة» - إلا القليل النادر،

---

١ - الإسراء:٩.

أو ما تركته عمدا لضعفه أو تكراره أو وجود ما يغني عنه مما هو أصرح وأوضح.

ولكثرة النصوص والأدلة في الكتاب والسنة في هذا الموضوع، ولكثرة نماذج الحوارات فيهما، فقد آثرت القرب الشديد من نصوص الكتاب والسنة ومعانيها، والبعد عن التفصيلات والتفريعات، والفلسفات - من كلام البشر - والتي ربما تذهب بروح النص ورونقه، إلا ما لزم من التعليقات اليسيرة والبيان المختصر، وشرح العلماء واستنباطاتهم.

وتبعا لذلك فقد استخدمت في هذا البحث ما يزيد على (سبعمائة) آية، - عدا المكرر - وقد تكرر عدد لابأس به منها، حسب مناسباتها ودلالاتها. كما أني استعملت من السنة ما يزيد على (مائتين وأربعين) حديثا - بدون المكرر - واكثر من (تسعين) أثرا، ومن مجموع تلك الآيات والاحاديث والآثار اكثر من (مائتين واربعين) نموذجا تتضمن صورا للحوار وأمثلة له، وهي تتسم بالآداب التي هي موضوع البحث، ولله الحمد والمنة.

واتماما للفائدة فقد ذكرت عددا من القصص والأحداث والأقوال في سير السلف، مما له علاقة بأدب الحوار.

ولكون «أدب الحوار» موضوعا - معاصرا - يمد إلى الواقع بصلة كبيرة، بل ربما كان من موضوعات الساعة، فقد استفدت كثيرا من بعض المراجع المعاصرة، ففي التفسير مثلا: «تفسير السعدي»، «في ظلال القرآن»، ونحوهما، كما استفدت من عدد من الأشرطة والمقالات، وبعض كتابات وتجارب مفكرين غربيين، حسب مايقتضيه المقام.

أما عن منهجي في الرسالة فألخصه في النقاط الآتية :

١ - أجمع واستقرىء النصوص المتشابهة، المتفرقة في كتاب هذه الأمة وسنة نبيها ﷺ (وأعني بالسنة هنا: «الكتب الستة» وقد أذكر شيئا من غيرها كالموطأ والمسند وغيرهما، إن لم يكن في هذه الكتب)، وأضيف إليها بعض السير والأحداث والمواقف، مما له علاقة بموضوع الرسالة.

٢ - ثم ارتب هذه النصوص ترتيبا موضوعيا حسب الآداب التي تضمنتها ودلالالتها.

٣ - ومن ثم أدرس هذه النصوص وأحللها واستخرج منها ماظهر لي فيها من «آداب الحوار» مستنيرا بشروح العلماء وأقوالهم في تلك النصوص.

٤ - ولما كانت النصوص بتلك الكثرة، فقد كثرت على الآداب المستنبطة منها، حتى زادت على «أربع وخمسين» أدبا، فرأيت اختصارها وجمع بعضها إلى بعض - ما أمكن - فخلص لدي «أربعون» أدبا في أربعين مبحثا - إضافة إلى أربعة مباحث عامة - فاحترت في تقسيمها وتصنيفها على الأبواب، حتى أشار علي بعض الفضلاء بتقسيم الآداب إلى أربعة أصناف: (نفسية، علمية، لفظية، عامة) بحيث أنظر إلى كل أدب وتعلقه بأقرب صنف من هذه فألحقه به - مع وجود تداخل واشتراك كبير بينها - فقد يكون الأدب له تعلق بأكثر من جانب، وعندها أذكره في أقرب تلك الأبواب، وقد إشير إليه في الأبواب الأخرى.

٥ - قسمت الأبواب إلى مباحث، بحيث جعلت كل أدب من الآداب «مبحثا مستقلا»، وفي كل مبحث : اذكر المقصود بالأدب وأهميته، ومن ثم أدلته مرتبة بذكر نصوص القرآن أولا، ثم السنة، ثم الآثار والأقوال والقصص - هذا في الغالب - وأحيانا قد أخالف هذا الترتيب، مراعاة لدلالة النص وصراحتها، وقربها من القضية التي أكون بصددها.

٦ - لما وجد بعض التداخل في الأبواب، وشيء من المنازعة في الأدلة، إذ يصلح الدليل أن يكون شاهدا في أكثر من موضع، فقد آثرت أن أبسط الكلام في الأبواب المتقدمة: بذكر النصوص كاملة بتخريجها وأقوال العلماء فيها، وذلك لأكتفي بعد ذلك بالإشارة إلى ما أحتاجه منها في الأبواب المتأخرة.

٧ - ما أستدل به من أحاديث - غالبا - هو صحيح مقبول غير مطعون فيه، واكتفي بتخريجه هنا من الكتب المذكورة، بدون تفصيل أو إطالة الهوامش بذكر الأقوال في كل حديث أو الحكم على الرجال - إلا مالزم منها واحتاج إلى زيادة بيان -، وقد اعتمدت في اختياري لهذه الأحاديث المقبولة على تصحيح

الأئمة المعتبرين من أصحاب الكتب أنفسهم، وغيرهم كابن حجر والذهبي والهيثمي والحاكم والنووي وغيرهم ، ورجعت أيضا إلى حكم بعض المعاصرين كالألباني وأحمد شاكر والأرناؤوط وغيرهم، جزاهم الله عن الأمة خير الجزاء.

أما عن أبواب الرسالة - بعد هذه المقدمة - فهي خمسة أبواب :الأول منها تمهيدي، وأربعة للآداب وما يتعلق بها، وتفصيل ذلك على النحو الآتي :

القسم الأول : تمهيد

الباب الأول : مدخل إلى الحوار

المبحث الأول : تعريفات : الحوار، الجدال، المناظرة، المحآجة، ودلالاتها اللغوية والشرعية، والفروق بينها.

المبحث الثاني : أهمية الحوار وأهدافه

المبحث الثالث : بين يدي الموضوع، وفيه قضايا:

أ - أصول وقواعد في موضوع الحوار

ب - حكم الجدل والحوار

جـ - أركان الحوار. ويدخل تحته الكلام عن :

١ - شروط المحاور المسلم.

٢ - شروط المحاور غير المسلم.

٣ - موضوعات الحوار.

المبحث الرابع : الكلمة الطيبة وعلاقتها بالحوار.

المبحث الخامس : في الكلام عن الخلاف وأنواعه، وعلاقته بالحوار، وفيه قضايا :

١ - علاقة الخلاف بالحوار، وبيان أنه لاحوار إلا مع وجود خلاف حقيقي أو صوري.

٢ - أنواع الخلاف.

٣ - أسباب الإختلاف.

٤ - ضرورة وجود الخلاف مع التحذير منه شرعا، والتوفيق بين ذلك.

القسم الثاني :«آداب الحوار»

الباب الثاني : آداب الحوار النفسية

وفيه مباحث :

المبحث الأول : تهيئة الجو المناسب للحوار.

المبحث الثاني : الإخلاص وصدق النية.

المبحث الثالث : الإنصاف والعدل، والتفريق بين الفكرة وصاحبها.

المبحث الرابع : التواضع وحسن الخلق.

المبحث الخامس : الحلم والصبر.

المبحث السادس : الرحمة والشفقة بالخصم، والحرص على اقناعه.

المبحث السابع : العزة والثبات على الحق.

المبحث الثامن : حسن الإستماع.

المبحث التاسع : المحبة رغم الخلاف.

المبحث العاشر : الهدؤ والثقة بالنفس.

المبحث الحادي عشر : احترام الطرف الآخر.

المبحث الثاني عشر : الجرأة والغضب لنصرة الحق.

الباب الثالث : آداب الحوار العلمية

وفيه مباحث :

المبحث الأول : العلم.

المبحث الثاني : البدء بالنقاط المشتركة وتحديد مواضع الاتفاق.

المبحث الثالث : التدرج والبدء بالأهم.

المبحث الرابع : الدليل.

المبحث الخامس : الوضوح والبيان.

المبحث السادس : الصدق والأمانة.

المبحث السابع : التثبت.

المبحث السادس : توقع المخالفة برغم الإقتناع.

المبحث السابع : أساليب وطرق في الإستدلال.

المبحث الثامن : محاذير عامة.

المبحث التاسع : مناظرات وحوارات: (نماذج تطبيقية).

وبذلك تنتهي مباحث الرسالة، ويتلوها الخاتمة وأهم النتائج ومقترحات، ومن ثم ذكر المراجع والمصادر، ثم فهارس : الآيات والأحاديث والأعلام والموضوعات.

وبعد، فإني - من خلال بحثي هذا - مدين لأناس كثير، أجد نفسي عاجزا عن شكرهم، فمنهم من أعانني برأيه ومشورته واقتراحاته، ومنهم من ساعدني بجهده ووقته، ومنهم من ساهم معي بدعائه وتشجيعه، فلجميع أولئك أقول : «جزاكم الله عني خيرا، واسأل الله أن يجعل ما قدمتموه لي في موازين حسناتكم، وبارك الله في أعماركم وأهليكم وأولادكم» وأخص بالشكر والثناء، مشرفي الفاضل : الشيخ الدكتور: محمد الحبيب، الذي أعانني بكل ماذكرت وزاد عليه بصبره وحلمه، وحسن تعامله ولطفه، فأسأل الله أن يبارك فيه، ويضاعف له الأجر والمثوبة.إنه سميع مجيب.

وأخيرا : فإني لا أدعي - في بحثي - العصمة والبشر محل النقصان،-إلا من عصم الله - والخطأ والنسيان من لوازم الإنسان(١)، فما كان من صواب فبتوفيق الكريم المنان، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، والله هو المستعان، وعليه وحده التكلان.

أسأل الله أن يوفقنا جميعا للسداد، وأن يثبتنا على الصواب والرشاد، والحمد لله رب العباد.

---

١ - هاتان العبارتان مقتبستان من مقدمة الكرماني في شرحه للبخاري:(٦/١) بتصرف يسير

القســم الأول : تمهيد

الباب الأول :
«مدخل إلى الحوار»

الباب الأول : مدخل إلى الحوار

وفيه اذكر مقدمات لابد منها مما له تعلق بموضوع الحوار وآدابه ومباحثه على النحو الآتي : -

المبحث الأول : تعريفات:الحوار، الجدال، المناظرة، المحاجه، ودلالاتها اللغوية والشرعية والفروق بينها.

المبحث الثاني : أهمية الحوار وأهدافه.

المبحث الثالث : بين يدي الموضوع وفيه قضايا :

أ - أصول وقواعد في موضوع الحوار.

ب - حكم الجدل والحوار.

ج - أركان الحوار ويدخل تحته الكلام عن :

١ - شروط المحاور المسلم.

٢ - شروط المحاور غير المسلم.

٣ - موضوعات الحوار.

المبحث الرابع : الكلمة الطيبة وعلاقتها بالحوار.

المبحث الخامس : الكلام عن الخلاف وانواعه وعلاقته بالحوار وفيه قضايا:

١ - علاقة الخلاف بالحوار وبيان أنه لاحوار إلا مع وجود خلاف حقيقي أو صوري.

٢ - أنواع الخلاف

٣ - أسباب الإختلاف

٤ - ضرورة وجود الخلاف مع التحذير منه شرعا، والتوفيق بين ذلك.

المبحث الأول : تعريفات

قبل البدء في الكلام عن آداب الحوار وما يتعلق به، لابد من التعريف بمعنى الحوار ودلالاته اللغوية والشرعية والتفريق بينه وبين المصطلحات الأخرى المقاربة له، كالجدال، والمناظرة والمحاجة٠

أما الحوار: فأصله من الحور (بفتح الحاء وسكون الواو) وهو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، قال لبيد :

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه ٠٠٠ يحور رمادا بعد إذ هو ساطع

والمحاورة : مراجعة المنطق، والكلام في المخاطبة، وهم يتحاورون أي : يتراجعون الكلام، واستحار الدار: استنطقها، من الحوار الذي هو الرجوع(١) [قلت : ومنه قوله تعالى :﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُوْرَ﴾(٢) أي : يرجع إلى ربه]٠ وقال في الصحاح : حار يحور حورا وحؤورا : رجع ، يقال حار بعد ما كار٠ والمحار : المرجع٠ وقال الشاعر :

نحن بنو عامر بن ذبيان والناس كهام محارهم للقبور٠

والمحاورة : المجاوبة، والتحاور: التجاوب٠ ويقال كلمته فما أحار إلي جوابا، وما رجع إلي حويرا ولا حويرة ولا محورة ولا حوارا، أي مارد جوابا٠

واستحاره، أي: استنطقه(٣)٠

وأحار عليه جوابه: رده. وأحرت له جوابا وما أحار بكلمة، والاسم من المحاورة: الحوير، تقول: سمع حويرهما وحوارهما(٤)٠

---

١ - لسان العرب: (٤/٢١٧-٢١٩)

٢ - الإنشقاق: ١٤

٣ - الصحاح للجوهرى:(٢/٦٣٨-٦٤٠)

٤ - لسان العرب: (٤/٢١٨)

وقال في القاموس المحيط: والمحاورة والمحورة والمحورة الجواب كالحوير والحوار ويكسر، والحيرة والحويرة ومراجعة النطق، وتحاوروا تراجعوا الكلام بينهم. والتحاور التجاوب (١).

إذا فالحوار هو تراجع الكلام والتجاوب فيه بالمخاطبة والرد. وقد ورد الحوار في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع فقط وهي : قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾(٣) وقوله عز وجل﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾(٤).

ويظهر من هذه الثلاثة المواضع أن الحوار فيها هو مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين، والأخذ والرد فيه، حيث فسر الطبري قوله تعالى:﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ في الآيتين بقوله: وهو يخاطبه ويكلمه(٥). وفسر الزمخشري قوله: ﴿يُحَاوِرُهُ﴾: أي يراجعه الكلام من حار يحور إذا رجع. وسألته فما أحار كلمة (٦).

وكذلك فسر الطبري قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ فقال:إن الله سميع لما يتجاوبانه ويتحاورانه(٧).وقال الزمخشري في قوله ﴿تُجَادِلُكَ﴾: وقرىء تحاورك:أي تراجعك الكلام، وتجادلك: أي تسائلك(٨)

---

١ - القاموس: (١٦/٢)

٢ - الكهف: ٣٤

٣ - الكهف : ٣٧

٤ - المجادلة : ١

٥ - الطبري: (٢٤٦/١٥-٢٤٧)

٦ - الكشاف: (٤٨٤/٢)

٧ - الطبري: (٦/٢٨)

٨ - الكشاف: (٦٩/٤)

فتبين من ذلك أن الحوار في القرآن اطلق على تراجع الكلام والمخاطبة والمجاوبة فيه.

أما إطلاقه في السنة فقد جاء في عدة أحاديث منها قوله ﷺ: «وَمَنْ دَعَا رَجُلاً بِالْكُفْرِ أَو قَالَ: عَدُوَّ اللَّهِ، ولَيْسَ كَذَلِكَ إلاَّ حَارَ عَلَيْهِ»(١) قال النووي: حار عليه وهو معنى رجعت عليه أي رجع الكفر عليه، فباء وحار ورجع بمعنى واحد(٢) وفي صحيح مسلم أيضا: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَافَرَ، يَتَعَوَّذُ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وكَآبَةِ الْمُنْقَلبِ، والحَوْرِ بَعْدَ الكَوْنِ، ودَعْوَةِ المَظْلُومِ، وَسُوءِ المَنْظَرِ فِيْ الأَهْلِ وَالمَالِ" ومعنى الحور بعد الكون: أي الرجوع من الايمان إلى الكفر ومن الطاعة إلى المعصية"(٣)

وفي البخاري: كانَتْ بَيْنَ أَبِيْ بَكْرٍ وَعُمَرَ مُحَاوَرَةٌ... الحديث (٤) وغير ذلك مما ورد فيه مادة حور، ويظهر في جميع تلك المواضع أن أصل إطلاق مادة (حور) على الرجوع ومنه الحوار والمحاورة بمعنى مراجعة الكلام وتداوله، كما تقدم في المعنى اللغوي.

إذا يتلخص لدينا مما سبق: أن الحوار في اللغة: هو الرجوع والمجاوبة.

وفي الإصطلاح: مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين. وعرفه بعضهم بأنه: (نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب)(٥). وهو ضرب من الأدب الرفيع، وأسلوب من أساليبه(٦).

١- جزء من حديث رواه مسلم كتاب الإيمان (٧٩/١) رقم ١١٢ ورواه أحمد(١٦٦/٥)

٢ - شرح النووي: (٥٠/٢)

٣ - رواه مسلم: كتاب الحج (٩٧٩/٢) رقم ٤٢٦ (وانظر التعليق عليه ص ٩٧٩)، ورواه ابن ماجة كتاب الدعاء (١٢٧٩/٢) رقم ٣٨٨٨، والترمذي كتاب الدعوات (٤٩٩/٥) رقم ٣٤٣٩، والنسائي كتاب الإستعاذة (٢٧٢/٨٥) رقم(٥٤٩٨)، وأحمد (٨٢/٥)

٤ - رواه البخاري: كتاب التفسير رقم (٤٦٤٠)

٥ - اصول الحوار- اصدار الندوة العالمية للشباب ص ٦

٦ - مناهج الجدل - د. زاهر الالمعي ص ٣٠

أما المجادلة فهي من [الجدل وهو شدة الفتل. وجدلت الحبل أجدله جدلا إذا شددت فتله وفتلته فتلا محكما، ومنه قيل:لزمام الناقة الجديل] (١). [فالجديل هو الزمام المجدول من آدم ومنه قول امرىء القيس :

وكَشْحٍ لَطِيفٍ كالجَدِيْلِ مُخَصَّرٍ   وَساقٍ كأُنبُوبِ السَّقِيِّ المُذَلَّلِ.

وغلام جادل: مشتد، وجدل الحب في سنبله : قوي. قال الأصمعي : الجادل من ولد الناقة الراشح وهو الذي قوي ومشى مع أمه] (٢).

[والأجدل : الصقر، صفة غالبة، وأصله من الجدل الذي هو الشدة. والجدالة : الأرض لشدتها، وقيل: هي أرض ذات رمل دقيق. قال الراجز:

قَدْ أَرْكَبُ ٱلآلَةَ بَعْدَ ٱلآلَةِ   وَأَتْرُكُ العَاجِزَ بِالْجِدَالَةِ](٣).

[والجدل ويكسر الذكر الشديد وقصب اليدين والرجلين وكل عضو وكل عظم مؤخر لا يكسر ولا يخلط به غيره] (٤).

والجدل: اللدد في الخصومة والقدرة عليها.(٥) [وجادله: أي خاصمه،مجادلة وجدالا : والاسم الجدل، وهو شدة الخصومة] (٦) [ورجل جدل إذا كان أقوى في الخصام، والجدل: مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة : المناظرة والمخاصمة. ويقال: إنه لجدل إذا كان شديد الخصام.وإنه لمجدول وقد جادل] (٧)

إذا فأصل مادة الجدل في اللغة تدل على الشدة والقوة، ويقصد بالجدل شدة الخصومة واللدد فيها مع القدرة عليها.

----

١ - لسان العرب: (١١/١٠٣)

٢ - الصحاح: (٤/١٦٥٣)

٣ - لسان العرب :(١١/١٠٤)

٤ - القاموس المحيط: (٣/٣٥٧)

٥ - لسان العرب: (١١/١٠٥)

٦ - الصحاح: (٤/١٦٥٣)

٧ - لسان العرب: (١١/١٠٥)

وأما الجدل في الاصطلاح فهو دفع المرء خصمه عن افساد قوله بحجة أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة(١) وقال صاحب المصباح المنير ـ بعد أن عرفه لغة ـ:(ثم استعمل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها) (٢).

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطى في المجادلة: [وهي في اصطلاحهم - أي المناطقة ـ: المنازعة لا لإظهار الحق بل لإلزام الخصم] (٣).

لذا فقد ورد لفظ الجدل في القرآن : تسعة وعشرين مرة، كلها في سياق الذم، إلا في ثلاثة مواضع: أحدها في سورة النحل ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِٱلَّتِيْ هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٤) والموضع الثاني في سورة العنكبوت :﴿وَلَا تُجَادِلُوْا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ إِلاَّ بِٱلَّتِيْ هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٥)، والموضع الثالث في سورة المجادلة: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِيْ تُجَادِلُكَ فِيْ زَوْجِهَا﴾(٦)(٧).

أما بقية المواضع في القرآن فإما أن تكون في سياق عدم الرضا عن الجدل وإما عدم جدواه أو يفتقد شرطا أساسيا كطلب الحق، أو يكون بغير علم أو نحوه(٨) ومن الآيات في ذلك : قوله تعالى : ﴿وَيُجَادِلُ ٱلَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِٱلْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوْا بِهِ ٱلْحَقَّ﴾(٩)،﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِيْ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيْرٍ﴾(١٠)

---

١ - التعريفات للجرجاني: ص ٧٨

٢ - المصباح المنير: ص ٣٦

٣ - آداب البحث والمناظرة: (٢/٧٥)

٤ - سورة النحل: ١٢٥

٥ - سورة العنكبوت :٤٦

٦ - سورة المجادلة : ١

٧ - انظر كتاب استخراج الجدال من القرآن الكريم لابن الحنبلي ص٥١-٥٢

٨ - انظر أصول الحوار :ص ٩

٩ - سورة الكهف: ٥٦

١٠- سورة الحج : ٨

وقوله ايضا : ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ﴾ (١) وقوله عز وجل : ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ﴾ (٢) وغير ذلك من المواضع.

أما في السنة فقد بوب الأئمة يرحمهم الله في كتبهم بما يدل على كراهية الجدل، إذ أن الأصل فيه الخصومة والشدة فمن ذلك ما بوب به الإمام أبو داود في سننه في كتاب السنة قال : باب النهي عن الجدال في القرآن وذكر فيه قول النبي ﷺ : «المراء في القرآن كفر» (٣) وكذا تبويب ابن ماجة في مقدمة السنن: (باب إجتناب البدع والجدل)، وذكر فيه حديث عائشة رضي الله عنها قالت : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ ﴾ إلى قوله:﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ فقال: «ياعائشة:إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عناهم الله فاحذروهم» (٤) وذكر حديث :« ما ضلّ قومٌ بعد هدىً إلاّ أوتوا الجدل » ثم تلا هذه الآية ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾ (٥).

فهذه الأحاديث تدل على معنى الجدل بالباطل واللدد في الخصومة، على انه قد وردت نصوص أخرى أطلقت فيها المجادلة على المحاورة ونحوها.

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ﴾ (٦)، فأطلق الجدال والحوار على شيء واحد وهو مراجعة الكلام بين النبي ﷺ وخولة بنت ثعلبة رضي الله عنها.

---

١ - سورة الزخرف : ٥٨

٢ - سورة الأنعام : ١٢١

٣ - أبو داود كتاب السنة: (١٩٩/٤) رقم ٤٦٠٣

٤ - ابن ماجة في المقدمة: (١/١٨-١٩ رقم ٤٧، وبمعناه: البخاري: التفسير٤٥٤٧، مسلم: العلم :(٢٠٥٣/٤) رقم١

٥ - ابن ماجة في المقدمة: (١٩/١ رقم ٤٨، والترمذي كتاب تفسير القرآن (٣٧٩/٥) رقم ٣٢٥٣

٦ - سورة المجادلة : ١

ومثله قول النبي ﷺ : «مَا مُجَادَلَةُ أَحَدِكُمْ فِيْ الحَقِّ يكُونُ له فِيْ الدُنْيا، بِأَشَدَّ مُجَادَلَةً مِنْ المُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ فِي إِخْوانِهِمُ الّذِينَ أُدْخِلُوا ٱلنَّارَ... الحديث» (١) فبين الحديث أن المجادلة قد تكون في الحق، وهي عندئذ غير مذمومة.

والخلاصة : أن الجدل لم يؤمر به ولم يمدح في الكتاب أو السنة على اطلاقه، وإنما الممدوح منه ما قيد بالحسنى أو بالحق كمافي قوله تعالى : ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِيْ هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٢) وقوله : ﴿وَلَا تُجَادِلُوْا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالّتِيْ هِيَ أَحْسَنُ﴾.(٣)

وأن الأصل في الجدل أنه مذموم ما لم يقيد، كما تدل الآيات والأحاديث التي اطلق فيها.

ومن ذلك تبين الفرق بين الحوار والجدل، إذ أنهما يلتقيان في كونهما حديثا أو مراجعة للكلام بين طرفين، ويفترقان في أن الجدال فيه لدد في الخصومة، وشدة في الكلام، مع التمسك بالرأى والتعصب له. وأما الحوار فهو مجرد مراجعة الكلام بين الطرفين دون وجود خصومة بالضرورة، بل الغالب عليه الهدوء والبعد عن التعصب ونحوه. فالحوار أعم من الجدل من هذا الوجه، ولذلك لم اختر كلمة الجدل عنوانا للبحث.

أما المناظرة : فهي من النظر وهو : تأمل الشىء بالعين وقد نظرت إلى الشىء. والنظر: الإنتظار (٤) والتناظر : التقابل يقال: تناظرت الداران: تقابلتا، ونظر إليك الجبل: قابلك. والنظر: الفكر في الشىء تقدره وتقيسه منك. فالنظر يقع على الأجسام والمعاني: فما كان بالأبصار فهو للأجسام، وما كان بالبصائر كان للمعاني. والإنظار: التأخير والإمهال.

---

١ - النسائي في كتاب الإيمان (١١٢/٨) رقم ٥٠١٠، ابن ماجة في المقدمة (٢٣/١) رقم ٦٠ (وانظر صحيح النسائي للألباني رقم ٤٦٣٧)

٢ - سورة النحل : ١٢٥

٣ - سورة العنكبوت : ٤٦

٤ - الصحاح (٨٣٠/٢)

والمناظرة: أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معا كيف تأتيانه (١)٠ والتناظر: التراوض في الأمر٠ ونظيرك: الذي يراوضك وتناظره، وناظره من المناظرة٠والنظير : المثل٠ ويقال : ناظرت فلانا أي صرت نظيرا له في المخاطبة٠ وناظرت فلانا بفلان أي جعلته نظيرا له(٢)٠

أما مادة نظر في القرآن فقد جاءت بمعنى التأمل بالعين كما في قوله تعالى : ﴿ انْظُرُوْا إِلَىٰ ثَمَرِهِ ﴾ (٣) وقوله : ﴿ تَسُرُّ النَّاظِرِيْنَ﴾ (٤) وقوله: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَاهِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِيْنَ﴾ (٥) وغيرها كثير٠

كما جاءت بمعنى التأخير والإمهال كما في قوله تعالى : ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ (٦) وقوله : ﴿ غَيْرَ نَاظِرِيْنَ إِنَاْه﴾ (٧) ، وجاءت بمعنى الفكر والتقدير كما في قوله تعالى : ﴿ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِيْ مَاذَا تَأْمُرِيْنَ﴾ (٨) وكذلك الآيات التي تأمر بالنظر والتأمل في مخلوقات الله كما في قوله تعالى :﴿أَفَلَا يَنْظُرُوْنَ إِلَىٰ الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (٩) وقوله : ﴿قُلْ سِيْرُوْا فِيْ الْأَرْضِ فَانْظُرُوْا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾ (١٠) ونحوها٠ ولم ترد المناظرة في القرآن بمعنى الحوار والجدال، وقد استعملت مادتها في السنة بالمعاني التي ذكرت في القرآن٠

---

١ - لسان العرب: (٥/٢١٧)

٢ - نفس المصدر (٥/٢١٩) وانظر القاموس المحيط (٢/١٥٠)

٣ - ألانعام:٩٩

٤ - البقرة :٦٩

٥ - الأعراف :١٠٨

٦ - البقرة :٢٨٠

٧ - الأحزاب :٥٣

٨ - النمل : ٣٣

٩ -الغاشية : ١٧

١٠ -العنكبوت :٢٠

والحاصل : أن المعنى الإصطلاحي للمناظرة يرجع إلى النظير والمقابل في المخاطبة والكلام، أو إلى النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين اظهارا للصواب (١)، وعلى المعنى الثاني فهي ممدوحة، وقريبة من معنى الحوار، إلا أن المناظرة أدل في النظر والتفكر، كما أن الحوار أدل في مراجعة الكلام وتداوله (٢).

وهناك لفظ المحاجة وهو يطلق في اللغة على التخاصم والجدال، ويقال: رجل محجاج أي جدل، والتحاج: التخاصم (٣) والحجج: القصد والكف والقدوم والغلبة بالحجة وكثرة الإختلاف والتردد (٤) بخلاف الحجة التي هي : البرهان، تقول حاجه محجة أي غلبه بالحجة، وفي المثل «لج فحج» (٥).

والصحيح أن الحجة هي :مادوفع به الخصم وبمعنى آخر هي : (الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وإنما سميت حجة لأنها تحج أي تقصد) (٦).

وقد جاء في القرآن لفظ الحجة أو التحاج عشرين مرة، اطلق بمعنى التخاصم والجدال في بعضها كما في قوله تعالى : ﴿هَآ أَنْتُمْ هَؤُلَآءِ حَاجَجْتُمْ فِيْمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّوْنَ فِيْمَالَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾(٧) وقوله تعالى:﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّوْنَ فِيْ النَّارِ ....﴾ (٨) قوله ايضا﴿ وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ﴾ (٩)

---

١ - انظر : التعريفات للجرجاني : ص ٢٥، كشف الظنون (٣٩/١)

٢ - انظر رسالة الحوار مع أهل الكتاب للباحث خالد القاسم ص ١١٥

٣ - لسان العرب (٢٢٦/٢-٢٢٨)

٤ - القاموس المحيط (١٨٨/١) بتصرف

٥ - الصحاح (٣٠٤/١)

٦ - لسان العرب: (٢٢٨/٢)

٧ - آل عمران : ٦٦

٨ - غافر : ٤٧

٩ - الأنعام : ٨٠



وجاءت بمعنى البرهان أو ما دفع به الخصم؛

كما في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَآتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيْمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ﴾ (١) وقوله: ﴿وَالَّذِيْنَ يُحَآجُّوْنَ فِيْ اللهِ مِنْ بَعْدِ مَاْ اسْتُجِيْبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِهِمْ﴾(٢)

وكذا جاءت في السنة بالمعنى الأول في بعض المواضع كما في حديث: «احتج آدم وموسى» (٣) وحديث: «تَحَاجَتِ الجَنَّةُ والنَّارُ » (٤) وجاءت بالمعنى الثاني في مواضع كما في حديث؛ «والقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوعَلَيْكَ» (٥) وقوله في الحديث: «فَحَجَّ آدَمُ مُوْسَىٰ» (٦)· أي غلبه بالحجة والبرهان· فتبين بذلك أن المحاجة تطلق لغة وشرعا على التخاصم والجدال وهي عندئذ مذمومة، وتطلق الحجة على البرهان والدليل وما يرد به على الخصم، فإن كانت حقا وصحيحة فهي ممدوحة مطلوبة كما في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَآتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيْمَ﴾(٧) وإن كانت بالباطل فهي مذمومة كما في قوله تعالى ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾(٨)· مع أن الغالب في إطلاق المحاجة الذم وذلك بالنظر إلى المقصد وهو دفع الخصم بغض النظر عن الحق، وكذا فإن كثيرا من المفسرين يفسر المحاجة بالجدال وكذلك العكس، كما يفسرونها بالخصام·

فالطبري رحمه الله يقول في معنى قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِيْ حَآجَّ إِبْرَاهِيْمَ فِيْ رَبِهِ﴾(٩)

---

١ - الأنعام : ٨٣

٢ - الشورى : ١٦

٣ - البخاري كتاب الأنبياء رقم ٣٤٠٩، مسلم كتاب القدر (٢٠٤٢/٤) رقم ١٥، الترمذي كتاب القدر (٤٤٤/٤) رقم ٢١٣٤

٤ - البخاري كتاب التفسير رقم ٤٨٥٠، ومسلم كتاب الجنة (٢١٨٦/٤) رقم ٠٣٦

٥ - مسلم كتاب الطهارة (٢٠٣/١) رقم ١، الترمذي كتاب الدعوات (٢٣٧/٥) رقم ٣٥١٧ النسائي كتاب الزكاة (٥/٤) رقم ٢٤٣٧

٦ - تقدم تخريجه آنفا

٧ - الأنعام :٨٣

٨ - الشورى : ١٦

٩ - البقرة : ٢٥٨

(يعني الذي خاصم إبراهيم... حاجه فخاصمه في ربه)(١) وكذا يقول ابن الجوزي: (حاج بمعنى خاصم)(٢)

وفي قوله تعالى ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾ (٣) يقول الطبري في معنى حاجوك: أي (خاصموك فيه بالباطل)(٤) ويقول ابن كثير في الآية نفسها: أي (جادلوك في التوحيد)(٥)، ويقول ابن الجوزي ايضا في نفس الآية : (حاجوك :اي جادلوك وخاصموك) (٦) وفي قوله تعالى : ﴿أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ (٧) قال الطبري :(يقول اتجادلونني في توحيدي الله)(٨) وقال ابن كثير: (أي:أتجادلوني في أمر الله)(٩). فنجد أن هؤلاء المفسرين فسروا المحاجة بالجدال والمخاصمة، وكان ذلك على وجه الذم والمقت. كما أن بعضهم قد عكس الأمر حين فسر الجدال بالمحاجة كما فعل ذلك ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَآبَاؤُكُمْ﴾ (١٠) حيث قال : (أي: أتحاجوني في هذه الأصنام) (١١)، وكذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ (١٢) (أي:حاجحتنا فأكثرت من ذلك)(١٣).

---

١ - الطبري (٣/٢٣)

٢ - زاد المسير (١/٣٠٧)

٣ - آل عمران : ٢٠

٤ - الطبري: (٣/٢١٤)

٥ - ابن كثير: (١/٣٥٤)

٦ - زاد المسير (١/٣٦٣)

٧ - الأنعام : ٨٠

٨ - الطبري (٧/٢٥٢)

٩ - ابن كثير (٢/١٥٢)

١٠ - الأعراف : ٧١

١١ - ابن كثير :(٢/٢٢٥)

١٢ - هود : ٣٢

١٣ - ابن كثير (٢/٤٤٣)

والخلاصة : أن الحجة قد تمدح وقد تذم، وذلك بحسب اطلاقها، لأنها تطلق على البرهان الصحيح، كما تطلق على الشبهة الفاسدة كما سبق بيانه، وأما المحاجة فإنها في الغالب مذمومة إذ القصد منها دفع الخصم ورده، لا لبيان الحق، وهي قريبة من معنى الجدال والمخاصمة.

ومما سبق يتبين علاقة - المناظرة والجدال والمحاجة - بالحوار، إذ كلها تشترك معه في انها مراجعة في الكلام ومداولة له بين طرفين، فهي تدخل في معنى الحوار من هذه الجهة، ثم تفترق المناظرة في دلالتها على النظر والتفكر، والجدال والمحاجة في دلالتهما على المخاصمة والمنازعة.

المبحث الثاني : أهمية الحوار وأهدافه

أولا - أهمية الحوار:

بعد أن تبين لنا معنى الحوار والمقصود به، فقد ظهرت الحاجة إليه وضرورة استعماله، فإذا كان المسلم يسعى لنشر دعوته من خلال وسائل وطرق، فإن وسيلة الأولى المتقدمة على غيرها، هي وسيلة الكلمة والحوار، ذلك أن الكلمة رسالة وأمانة، رسالة يجب أن تقال وتؤدى، وأمانة يجب أن يراعي فيهاكل ما من شأنه ان يفي بوصولها، فالكلمة الطيبة سلاح المؤمن في اداء رسالته النبيلة(١)، سواء في ابتداء عرض ودعوة الناس إليها، أو في الدفاع عنها وتفنيد الشبه المثارة حولها، كما أنها سبيل الداعية في التعامل مع امثاله الدعاة، خاصة إذا تباينت الآراء، واختلفت وجهات النظر.

لذلك يمكن أن يقال: (إنه بمقدار ما يكون الداعية متمكنا من فن الحوار، محيطا بآدابه واساليبه، يكون أقدر على النجاح في دعوته، ولذلك كان لابد من دراسة هذا الموضوع والعناية به وتأصيله، ومن ثم الرجوع إليه بين الحين والآخر، ليحاكم الداعية طريقته في النقاش وأسلوبه في عرض الدعوة، فيحسن اداءه ويصلح أخطاءه، ليتحقق له بذلك الهدف والغاية من كلامه وحواره)(٢).

ويمكن معرفة أهمية الموضوع من خلال النقاط التالية :-

أولا:- كثرة استعمال الحوار في الكتاب والسنة، وكثرة وقوعه من الأنبياء، بل تكراره واستخدامه في التاريخ كله فلا يخلو منه زمان، ولم يستغن عنه نبي ولا عالم ولا داعية، وكما هو واقع في الدنيا فهو موجود في الآخرة كذلك، بل في

---

١ - سيأتي إن شاء الله مبحث مستقل حول الكلمة الطيبة وعلاقتها بالحوار

٢ - أصول الحوار بتصرف:ص ٥

الجنة والنار، ففيهما حوار وجدال ومحاجة ومخاصمة، كما سيأتي أمثلته إن شاء الله.

ويكفي دليلا على هذه الكثرة أني قد اوردت في هذا البحث اكثر من مائتي نص من القرآن والسنة، تعرض نماذج مختلفة من الحوار، هذا عدا ما تركته لتكراره أو للإختصار. ومما يبين كثرة وقوعه من الأنبياء - عدا النماذج المذكورة في ثنايا البحث - انكار قوم نوح عليه السلام عليه حين قالوا ما ذكره الله عنهم في قوله تعالى : ﴿قَالُوا يَانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ (١). كما ينبغي أن يعلم أن الحوار يرد كثيرا وإن لم تستعمل مادته، وإنما قد تستعمل كلمة «قال» التي وردت في القرآن سبعا وعشرين وخمسمائة مرة(٢) ونحوها من الكلمات الدالة على وجود الحوار.ولا بأس من الإشارة إلى بعض نماذجه في القرآن، بإختصار وبدون ذكر الآيات لأن كثيرا منها سيأتي إن شاء الله تعالى.

فمن نماذجه ما دار بين الله تعالى وملائكته في موضوع خلق آدم عليه السلام (٣). ومنها ما دار بين موسى عليه السلام وقومه في ذبح البقرة (٤) ومنها مادار بين الله سبحانه وتعالى وإبراهيم عليه السلام حين طلب أن يريه كيف يحيي الموتى (٥). ومنها قصة موسى عليه السلام وطلبه رؤية ربه عز وجل(٦). وقصة عيسى عليه السلام مع الحواريين في طلبهم للمائدة (٧). ومنها حوار صاحب الجنتين في سورة الكهف (٨).

---

١ - هود : ٣٢

٢ - اصول الحوار: ص ٩

٣ - البقرة : ٣٠ - ٣٢

٤ - البقرة : ٦٧ - ٧١

٥ - البقرة: ٢٦٠

٦ - الاعراف : ١٤٣

٧ - المائدة: ١١٢-١١٣

٨ - الكهف: ٣٢ - ٤٣

وقصة موسى عليه السلام مع الخضر في السورة نفسها (١)٠ وقصة قارون مع قومه (٢)٠ وقصة داود مع الخصمين (٣)٠ وحكاية بلقيس مع قومها ومع سليمان عليه السلام (٤) اضافة إلى حوار نوح وإبراهيم وهود وشعيب وغيرهم عليهم السلام مع اقوامهم، كما في سورة الأعراف وهود والأنبياء والشعراء ونوح وغيرها٠ والأمثلة كثيرة جدا في الكتاب والسنة، وكلها تدل على أهمية الحوار وخطورته(٥)٠واضافة إلى كثرة استعماله كما تقدم، فأن أثره الأيجابي في الواقع، اكبر دليل على أهميته ودوره فكم من كافر قد دخل الإسلام عن طريق الحوار، وكم من مبتدع ضال رجع عن بدعته بسبب الحوار والمناظرة، وكم من عاص تاب إلى ربه، ورجع إلى عقله بعد محاورته،ومن ذلك الحوار الذي كان سببا في إسلام عمر بن الخطاب والحوار الذي كان سببا في إسلام عمير بن وهب، وحوار ابن عباس مع الخوارج الذي كان سببا في رجوع ألفين منهم عن بدعتهم٠٠ ومن ذلك الحوارات المصيرية الحاسمة الكثيرة التي كانت سببا في كبت الفتن، وتوحيد الكلمة، وإنهاء النزاع والخلاف كالحوار الذي كان بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة، والذي انتهى بمبايعة أبي بكر رضي الله عنه بالخلافة، والحوارات التي كانت بين عبدالرحمن بن عوف وأصحاب الشورى بعد وفاة عمر رضي الله عنه، وحوار أبي بكر وعمر في قتال المرتدين، وكذا حوارهما في جمع القرآن٠وغيرها هذا عدا المناظرات العلمية الكثيرة التي كانت تجرى بين الصحابة أو بين العلماء في مسائل مختلفة، والتي بينت أرجح

---

١ - الكهف : ٦٦-٨٢

٢ - القصص : ٧٦

٣ - ص : ٢١

٤ - النمل : ٢٨

٥ - أصول الحوار : ص ١٠

الأقوال في كثير من تلك المسائل كمناظرة ابن عباس وابن الزبير في حكم المتعة ، ومحاورة عائشة وعروة في رؤية النبي ﷺ لربه، وكمناظرة الشافعي واسحاق في كراء منازل مكة، وكذا مناظرتهما في طهورية جلود الميتة بعد دبغها. ومناظرة الإمام أحمد في خلق القرآن، وكمناظرة الشيخ الكبير لأحمد ابن أبي دؤاد ، ومناظرة صاحب الحيدة، وغير ذلك كثير (١). وعلى كل حال فإن أثر هذه الحوارات والمناظرات أكثر من أن يحصر، وهذا يدل على أهمية الحوار وضرورته والحاجة إلى طرح هذا الموضوع وتهذيبه ببيان اصوله وآدابه، وضوابطه وطرقه.

ثانيا - إن أقوال علماء الأمة في أهمية المناظرة، وضرورة استخدامها، له صلة كبيرة بموضوع الحوار، إذ إن المناظرة قريبة من الحوار، كما تقدم في التعريفات (٢)، وتشترك معه في الغاية منها وهو الوصول الى الحق، واظهار الصواب. لذلك فأرى أنه لابأس من ايراد بعض تلك الأقوال، لنستشف منها أهمية الحوار وضرورته. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :«فكل من لم يناظر أهل الألحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم، لم يكن اعطى الإسلام حقه، ولا وفى بموجب العلم والايمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين» (٣).

وقال صاحب شرح الكوكب المنير ما نصه : «قال أبو محمد الجوزي في الإيضاح: اعلم وفقنا الله وإياك أن معرفة هذا العلم لايستغنى عنه ناظر، ولا يتمشى بدونها كلام مناظر، لأن به تتبين صحة الدليل من فساده تحريرا وتقريرا، وتتضح الأسئلة الواردة من المردودة اجمالا وتفصيلا، ولولاه لأشتبه التحقيق في المناظرة بالمكابرة ولو خلي كل مدع مدعى ما يرومه على الوجه الذي يختار،

---

١ - سيأتي تفصيل للمناظرات والحوارات في ثنايا البحث وفي بحث آخر مستقل إن شاء الله تعالى.

٢ - انظر: (المبحث السابق - تعريف المناظرة)

٣ - الفتاوى (٢٠/١٦٤-١٦٥)

ولو مكن كل مانع من ممانعة ما يسمعه متى شاء، لأدى إلى الخبط وعدم الضبط، وإنما المراسم الجدلية تفصل بين الحق والباطل، وبين المستقيم من السقيم فمن لم يحط بها علما كان في مناظرته كحاطب ليل» (١)

وقال في كشف الظنون بعد أن ذكر تعريف علم المناظرة وموضوعه والغرض منه: [وقال ابن صدر الدين في الفوائد الخاقانية: (وهذا العلم كالمنطق يخدم العلوم كلها لأن البحث والمناظرة عبارة عن النظر من الجانبين في النسبة بين الشيئين اظهارا للصواب، والزاما للخصم، والمسائل العلمية تتزايد يوما فيوما، بتلاحق الأفكار والأنظار، فلتفاوت مراتب الطبائع والأذهان لا يخلو علم من العلوم عن تصادم الآراء وتباين الأفكار وإدارة الكلام من الجانبين للجرح والتعديل والرد والقبول، وإلا لكان مكابرة غير مسموعة، فلابد من قانون يعرف مراتب البحث على وجه يتميز به المقبول عما هو المردود، وتلك القوانين هي علم آداب البحث)] انتهى (٢).

وقال الشيخ الشنقيطي رحمه الله في كلامه عن المناظرة: (حكمها: فأقل مراتب حكمها الجواز، إن كانت على الوجه المطلوب وقال بعضهم باستحبابها. وقيل إن القدر الذي يلزم لابطال شبه خصوم الحق فرض كفاية، وليس ببعيد والله اعلم) (٣).

قلت : إذا كان هذا كلام بعض الأئمة في علم الجدل والمناظرة، مع ماورد عن غيرهم من كراهية أو تحريم لهما لتعلقهما بالمنطق، فإن الحوار المفيد الهادىء، البعيد عن الخصومة والتعصب يدخل من باب أولى في ثناء العلماء وتقرير أهميته - خاصة وأن الحوار يحقق الهدف والغاية التي من اجلها مدح أولئك العلماء الجدل والمناظرة، ألا وهو التوصل إلى الحق، واظهار الصواب ورد الشبه وإبطالها ، كما سيتبين ذلك جليا عند الكلام عن اهداف الحوار إن شاء

---

١ - شرح الكوكب المنير: (٣٦١/٤)

٢ - كشف الظنون: (٣٩/١)

٣ - آداب البحث والمناظرة: (٤/٢)

الله تعالى.

ثالثا :- لقد ظهرت في الآونة الأخيره دندنة جديدة، حيث يكثر المنافقون من العلمانيين واعوانهم من طرح موضوع الحوار والدعوة اليه، بكتابة المقالات، واجراء الندوات والتحقيقات في الصحف والمجلات، ويهدفون من وراء ذلك إلى اهداف خبيثة ماكرة، منها مثلا: اسكات صوت الحق الذي يجاهدهم باللسان، ويغلظ عليهم بفضح مؤامراتهم وكشف ألاعيبهم استجابة لقول الله عز وجل : ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِيْنَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيْرُ﴾ (١) فيقصدون بالدعوة الى الحوار الهادىء والأدب فيه؛اظهار الدعاة والمصلحين بمظهر سوء الأدب والتعصب والتشنج وعدم التفاهم، في الوقت الذي يظهرون فيه أنفسهم بدعاة الحوار والمراعين لأدب الخلاف.

ويهدفون ايضا : إلى الوصول إلى المرحلة التي يطرحون فيها كل قضايا الشريعة للنقاش والحوار، دون التسليم أو الإعتراف بالأصول والأسس التي لا تقبل الخلاف أصلا، ودون الرجوع إلى نصوص الكتاب والسنة أو إلى أقوال علماء هذا الدين في القديم والحديث، كما ستوضح الأمثلة .

ومع علمنا بأن هؤلاء العلمانيين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، فهم حين يرد عليهم أو يفضحون أو تكشف مؤامراتهم ويبين نفاقهم، ويكتب عن سوء نواياهم وتربصهم بالاسلام واهله، عندها يدعون إلى الحوار الهادئ ويطرحون أدب الخلاف في الإسلام، وآداب الإجتهاد في الشريعة، وينقلون النصوص والأقوال من كتب السلف في ذلك ، فهم عندئذ يؤمنون بالكتاب ويرجعون إلى هدي

---

١ - التحريم : ٩

الإسلام، أما حين يكتبون هم ويتكلمون فلا يتورعون عن الكذب والإتهام والتلفيق والطعن في الدين ونبذ العلماء والدعاة، تصريحا أو تلميحا، دون مراعاة لأدب الحوار، أو احترام الرأي الآخر عند الإجتهاد. وأما في دعواتهم الهدامة - كالدعوة إلى فصل الدين عن الحياة، وموالاة اعداء الله، والدعوة إلى تحرير المرأة فهم عند ذلك يعرضون عن الكتاب، ويعتبرون الرجوع إليه تخلفا ورجعية، وأن أحكامه قد عفا عليها الزمن ولا تناسب العصر، وأن الأحكام والفتاوى في هذا الجانب ستتغير بتغير الزمن.

أقول: مع علمنا بذلك كله فاننا لا نستنكر عليهم الكلام في أدب الحوار، أو الدعوة الى التأدب عند الإختلاف، لأن الحق أحق أن يتبع، والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها (١)، ولكني أتمثل في هذا الموقف قول النبي ﷺ «نَحْنُ أَحَقُّ وأَوْلَىٰ بِمُوسَىٰ مِنْكُم » (٢).

فأهل الإسلام وعلماؤه ودعاته وطلبة العلم فيه، أحق بالكلام في أدب الحوار وحكم الإجتهاد وفقه الخلاف، وأولى بدراسة واستنباط هذه الآداب من نصوص الكتاب والسنة، والإستفادة من تجارب الأنبياء والعلماء والدعاة الذين سبقوهم بإحسان.

وتصديقا لهذا أذكر أمثلة معاصرة - باختصار - تثبت أن امثال هؤلاء إذا ما فضحوا وكشف أمرهم ورد عليهم أهل الهدى ، كانت أجوبتهم في الصحف والمجلات مقالات في أدب الحوار، أو أدب الإجتهاد والخلاف في الشريعة الإسلامية :

---

١ - هذا معنى حديث أخرجه الترمذي : كتاب العلم: (٥/١٥) برقم ٢٦٨٧، ابن ماجة، كتاب الزهد : (٢/١٣٩٥) برقم ٤١٦٩

٢ - جزء من حديث أخرجه البخاري: كتاب الصوم رقم ٢٠٠٤ ،ومسلم كتاب الصوم : (٢/٧٩٦ رقم ١٢٨).

- فعندما كشف بعض مخططات العلمانية ومكرها: من دعوة إلى تحرير المرأة وتقديم مطالبات تدفع عجلة الإنحلال عندها ثار جمع من الغيوررين لإنكار هذه الدعوات ، وفضح تلك المؤامرات، فكان الرد على المنكرين بمقال حول الحوار والإجتهاد يقول فيه كاتبه : (والحوار الذي يدور حول القضايا المفتوحة يجب أن يتم في جو هادىء، بعيد عن التشنج والإنفعال، بعيدا عن استعداء السلطة على الرأي الآخر، وبعيدا عن الإتهامات التي تلقى جزافا وبلا مبالاة٠٠٠٠٠ إلى أن يقول: ولايزال تغير الفتوى بتغير الزمان من الأمور الإجتهادية حيث لا نصوص قاطعة، من الملامح التي تمتاز بها شريعتنا الغراء)(١)

وفي رسالة كتبها نفس صاحب المقال يؤكد فيها : (أن أمور التقاليد لا يجب أن تكون جزءا من الشريعة، وأن أمور الشريعة قابلة للنقاش، وأن الفتاوى تتغير، وليست وحيا منزلا٠٠٠ ثم يقول: واننا نتطلع إلى مرحلة يكون كل شيء فيها قابل للنقاش) (٢)٠

ومرة ثالثة فهو يكتب مقالا بعنوان :«من آداب الإجتهاد والإختلاف في الإسلام» يخلص فيه إلى أن المجتهد ليس له أن يلزم غيره بفتواه ثم قال : (ترى متى يتعلم المسلمون المعاصرون من اسلافهم العظام شيئا من أدب الإجتهاد وأدب الخلاف ؟!) (٣) فهذا الكاتب يدافع عن دعاة التغريب ويرد الفتاوى التي صدرت فيهم - بطريق غير مباشر- بالدعوة إلى الحوار مرة ، وإلى تعلم أدب الإجتهاد والخلاف مرة أخرى وهكذا ٠

---

١ - انظر صحيفة الشرق الأوسط العدد :٤٣٧١ الجمعة ١٤١١/٤/٢٩هـ

٢ - نص هذه الرسالة موجود في ملحقات مذكرة د٠ محمد سعيد القحطاني في الرد على الكاتب وعنوانها :«ويكون الدين كله لله»

٣ - انظر مجلة اليمامة العدد : ١١٣٣ الاربعاء ١٤١١/٥/١٨، وقد تعقبه د٠ صالح الفوزان بالرد عليه في العدد ١١٣٥ من نفس المجلة٠

- ومثال آخر وهو ما طرحته بعض الصحف في زاوية «مناظرة» وتحت عنوان قضية الحوار كمبدأ في الإسلام وخلطت فيه الحابل بالنابل، حتى أن بعض من كتب في هذا الموضوع يرى أن الحوار جزء من الديمقراطية (١) وأن الخلاف في حوار المسلمين يحسم من خلال فكرة الأغلبية، إلى غير ذلك من مثل هذه الآراء والأفكار (٢)٠

وخلاصة الكلام : فإن مما يبين أهمية ودراسة موضوع الحوار وآدابه، أن الموضوع أصبح كلأً مباحا لكل متكلم، فالواجب على أهل الإسلام من العلماء والدعاة وطلبة العلم من أهل السنة والجماعة، أن يُعْنَوا بمثل هذا الموضوع فيبحثوا فيه ويتكلموا، فهم أحق بذلك وأولى، وألا يتركوه لمخلط أو مغرض٠

رابعا:مما يبين أهيمة الموضوع أيضا: ما يظهر في هذه العصور المتأخرة مع كثرة الخلاف من خروج الحوار بين المسلمين عن اهدافه وغاياته، وما يطرأ عليه غالبا من سوء الأدب وحدة الكلام، وربما تطور إلي تبادل التهم والسب والشتم، بل أصبح من مميزات الحوار في - كثير من الأحيان - في عالمنا الإسلامي، بما في ذلك الحوار بين الجماعات الإسلامية، ومن ظواهره المؤلمة: رفع الصوت والتعالي فيه والصراخ والتهويل وتحميل الألفاظ مالا تحتمله، وإطلاق الأحكام على قائلها بالكفر والفسق والضلال والعداوة للإسلام أو التربص بالسنة وأهلها، وكذلك وصف الطرف الآخر بأوصاف لا تليق كـ جاهل - سخيف - حقير٠٠ أو أنه ليس أهلا للحوار ، وربما قيل عنه عميل لأعداء الإسلام، أو أخطر من اليهود والنصارى، وربما تعدى هذا الأمر إلى الحكم على النيات، وما تكنه الصدور، هذا عدا الخطأ في الأمور الشكلية أو الفنية، كعدم اختيار الوقت والمكان المناسبين، وعدم مراعاة ظروف الطرف

---

١ - الديمقراطية: مصطلح معناه حكم الشعب للشعب (انظر «مذاهب فكرية معاصرة» لمحمد قطب ص١٧٨)

٢ - انظر صحيفة الشرق الأوسط الأعداد :٤٥٤٧-٤٥٥٣

الآخر ونفسيته ومنزلته، أو الإستئثار بالكلام، وأخذ زمام الحديث بالقوة، وكأننا طبقنا نصيحة ديل كارينجي حين قال : [اذا كنت تريد أن ينفض الناس من حولك، ويسخروا منك عندما توليهم ظهرك، فهاك «الوصفة»: لا تعط أحدا فرصة الحديث.. تكلم بغير انقطاع عن نفسك، وإذا خطرت لك فكرة بينما غيرك يتحدث فلا تنتظر حتى يتم حديثه: إنه ليس ذكيا مثلك ولا اريبا، فلماذا تضيع وقتك في الإستماع إلى حديثه السخيف !! اقتحم عليه الحديث واعترضه في منتصف كلامه] (١) إلى غير ذلك من السلبيات والمساوئ التي تطرأ على الحوارات بين المسلمين والمسلمين، وربما بين أهل السنة وأهل السنة، والتي تستدعي دراسة هذا الموضوع وتأصيله واستنباط آدابه من كتاب هذه الأمة وسنة نبيها ﷺ وتجارب علمائها ومفكريها.

خامسا:- ان هذا الموضوع له تعلق كبير بغنون اخرى مستقلة كـ «فن الجدل» وفن « البحث والمناظرة»، وقد ذكر العلماء آدابا لتلك الفنون مما يستفاد منه في الحوار، ويحتاج إلى جمع وترتيب من جديد، كما أنه قد شاع في العصر الحديث تخصص يتصل بهذا الموضوع، وهو فن العلاقات العامة، وانشأت لدى الدوائر والمؤسسات أجهزة خاصة بالعلاقات العامه، المسؤلية الأساسية لهذه الأجهزة هي حسن الإتصال بالآخرين لإقناعهم بآراء معنية، أو تصحيح أفكارهم نحو قضية او غير ذلك، وعلى أهمية هذا الفن والتركيز عليه في العصر الحديث، وتأليف كتب خاصة به، يمكن أن يقال إنه فن قديم، لكنه أخذ شكلا أكثر تحديدا أو تخصيصا ودقة (٢).

ولذلك فدراسة هذا الموضوع واستنباط الآداب المتعلقةبه، يساعد في اثراء

---

١ - «كيف تكسب الاصدقاء» - ديل كارينجي ص ٩٧

٢ - اصول الحوار: ص ٥

هذه العلوم، وفي احياء ما اندثر من تلك الآداب التي تمثلها الأنبياء والعلماء، ومحاولة السير على نهجهم فيها: ﴿أُوْلَئِكَ ٱلَّذِيْنَ هَدَىٰ ٱللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ (١)

ثانيا : اهداف الحوار

ان معرفة اهداف الحوار، لها اهمية كبيرة في دراسة هذا الموضوع، إذ أن هدف الحوار هو ثمرته المطلوبة وإن الهدف من الحوار يحدد موضوعاته وأساليبه وآدابه، وعليه فإن الحكم على الحوار إنما يكون بمعرفة أهدافه، لأن الأمور بمقاصدها، كما ان معرفة الأهداف هي التي تحدد مدى نجاح الحوار، لأن نجاح كل شيء متعلق بتحقيقه لأهدافه المحددة، اضافة إلى أن تحديد الاهداف هي الخطوة الأولى في كل عملية يريد ان يقوم بها الانسان.

لذلك فلا بد من تحديد اهداف الحوار، ومعرفة الغاية منه، والاهداف التي يمكن تحديدها للحوار - في رأيي - هي :

١ - الدعوة : وأعني بذلك دعوة الآخرين واقناعهم، سواء دعوة الكفار إلى الإسلام، وهو هدف وغاية مطلوبة، أو دعوة المبتدعين إلى السنة، أو دعوة غيرهم إلى الحق، وأقل ما يتحقق من هذا الهدف هو اقامة الحجة على الخصم، وابراء الذمة امام الله عز وجل لذلك فإن الله سبحانه وتعالى قد ذكر الجدال بالتي هي أحسن في ضمن وسائل الدعوة حيث قال :﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيْلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِٱلَّتِيْ هِيَ أَحْسَنُ﴾(٢) قال ابن كثير: [أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب](٣) وعليه فالحوار الهادئ المراعى فيه الأدب الرفيع، يمكن أن يكون مفتاحا للقلوب، وطريقا إلى الأفئدة، ومحققا لنتائج كثيرة، قد يخسرها الشخص إذا لم يسلك سبيل الحوار، أو إذا لم يراع فيه الضوابط والآداب.

---

١ - الأنعام : ٩٠

٢ - النحل : ١٢٥

٣ - ابن كثير : (٥٩١/٢)

وبالنظر إلى تاريخ الدعوة والدعاة من الأنبياء والصحابة والعلماء ومن سار على نهجهم، فإن الحوار قد حقق اهداف الدعوة وكانت له آثاره الجيدةمن دخول الناس في دين الله عز وجل،أو رجوع الضآلين عن ضلالهم (١) وغير ذلك فحقق الغايتين: اعني إستجابة الناس وتقواهم، والإعذار إلى الله عز وجل، وهما الغايتان المذكورتان في قوله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيْداً · قَالُوْا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُوْنَ﴾(٢)·

ومن المعلوم ان مهمة الداعية هي بذل الأسباب في هداية الناس ودلالتهم إلى الخير، ولابد ان يواجه في ذلك التواءات النفوس وخلافهم معه في الرأي، فاذا لم يكن لديه من الإلمام بآداب الحوار والإختلاف الشيء الكافي لكي يصبر ويستمر في دعوته، فقد ينفر الناس منه وهو يسعى لجمعهم وهدايتهم الي الصراط المستقيم·

والخلاصة : أنه إذا كانت للداعية مجموعة من الطرق والوسائل يسعى من خلالها إلى نشر دعوته بين الناس، فإن عليه ان يتذكر دائما أن أداته الأولى المقدمة على ما سواها هي الحوار ·

٢ - من أهم اهداف الحوار: الوصول إلى الحق، وترجيح أحد الآراء المطروحة، وتضييق هوة الخلاف، وتقريب وجهات النظر· فإننا نعيش في عصر كثرت فيه الخلافات مصداقا لقوله ﷺ «فإنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُم فَسَيَرَىٰ اخْتِلافاً كثِيْراً» (٣)، وليست المشكلة في وجود الخلاف، فإن وجوده أمر طبـعي كما قال عز وجل:﴿ ··· وَلَا يَزَالُوْنَ مُخْتَلِفِيْنَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾(٤)، (٥) ولكن المشكلة في ما يؤدي إليه الخلاف من فرقة وتباغض وتناحر وتضارب ، عندما

---

١ - انظر ماسبق بيانه من أمثلة عند ذكر اهمية الحوار·

٢ - الاعراف ١٦٤

٣ - ابو داود كتاب السنة (٤/٢٠٠) رقم ٤٦٧٠، الترمذي كتاب العلم (٥/٤٤) رقم ٢٦٧٦·

٤ - هود :١١٨-١١٩

٥ - سيأتي مزيد كلام عن الخلاف ان شاء الله تعالى·

يعجز المختلفون عن التفاهم بالمحاورة أو يغفلون عن ضرورة الإلتقاء لتقريب وجهات النظر أو يقللون من قيمة الحوار، ويرون ألا فائدة منه أصلا، وهو خطأ يقع فيه كثير من المختصمين والمختلفين، ذلك هو أن يتصور كل واحد منهم أنه لابد من اقناع الخصم بالرأي الذي يتبناه، او لابد من ترجيح رأيه وتخطئة رأي محاوره، وإلا فلا جدوى من الحوار ولا داعي له، ولا يتصور أن الحوار إذا لم يحسم قضية الخلاف بترجيح رأي معين فإنه يقرب وجهات النظر، ويضيق هوة الخلاف، بل يحدد الخلاف ويحصره في حيز ضيق، ويساعد في تقارب القلوب وتفهم الأفكار، مما يكون له أثر في التماس العذر للطرف الآخر في حمله لرأيه، وخاصة إذا كان الخلاف بين العاملين في حقل الدعوة الإسلامية، فإن تفهم هذه الأمور مؤكد في حقهم إذ إنه يؤدى إلى تحقيق وحدة الأمة المنشودة وكما ان الحوار يعتبر ناجحا إذا انتهى أحد الطرفين إلى قول الطرف الآخر واتفقا على موقف واحد، فكذلك يعتبر الحوار ناجحا ايضا اذا توصل الطرفان إلى أن كلا القولين صحيح وسائغ، أو هو في الإطار الذي يسعه الخلاف، وعندها يمكن أن يقال [واختلاف الرأي لا يفسد للود قضية]٠

٣ - ومن اهم غايات الحوار: بيان الباطل الذي عليه الخصم، والرد على الشبهات والطعون الموجهة ضد الحق والصواب وذلك لإقامة الحجة على المخالف، ولإظهار الباطل على حقيقته حتى يحذره الآخرون، ولتستبين طرق الضلالة كماقال تعالى : ﴿٠٠ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١)، وحتى يختار كل واحد احد الطريقين عن بينة ووضوح: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ (٢)٠

وكذلك فإن كشف الشبهات، وتفنيد الأباطيل، يزيل الغشاوة التي ربما تكون على الأعين، وكما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله: (أن كثيرا من أهل الكتاب يبلغهم الإسلام ولكن يمنعهم من الايمان شبهات يحتاجون إلى أجوبة عليها)(٣)،

---

١ - الأنعام :٥٥

٢ - الأنفال :٤٢

٣ - الجواب الصحيح: (٧٦/١)

وكذلك فإن كثيرا من المختلفين يمنعهم من التسليم بالحق والرجوع إلى الصواب، شبهات وشكوك وأباطيل، تحتاج إلى جواب وتفنيد وإبطال، والحوار يحقق هذا الهدف، فبه يمكن إزالة كل شبهة، وتفنيد كل باطل. ولذلك فقد اهتم القرآن بهذا الهدف فذكر كثيرا من شبهات الكفار من أهل الكتاب والمشركين والمنافقين ورد عليها بأوضح برهان، وأقوى حجة(١)، بل تكفل الله بالإتيان بالحق الواضح البين أمام كل حجة وشبهة يأتي بها الكفار، كما قال تعالى: ﴿... وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾(٢) قال ابن كثير رحمه الله: [«ولا يأتونك بمثل» أي حجة وشبهة، «إلا جئناك بالحق واحسن تفسيرا»: اي ولا يقولون قولا يعارضون به الحق إلا أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر وأبين وأوضح وأفصح من مقالتهم](٣) والشاهد أن من الأهداف التي يحققها الحوار: بيان الباطل، وكشف الزيف، واستبانة سبيل المجرمين، وكذلك الرد على الشبه والأباطيل، اسكاتا للطاعنين، وبيانا للحائرين.

٤ - تحقيق اهداف اخرى مشروعة: فهناك مصالح أخرى واهداف كثيرة يمكن تحقيقها عن طريق الحوار، وهي ليست رئيسية ثابتة، ولكن تتنوع وتختلف باختلاف القضايا والمحاورين: فمثلا - قد يكون الحوار مع كافر ويقصد منه اظهار عزة الإسلام وقوة حجته، وذلك ليزداد المؤمنون ايمانا ويقينا وتمسكا، ويكون الهدف هو تثبيت بعض المؤمنين على الإيمان، أو زيادة اطمئنانهم إلى الحق، ومن الأمثلة كذلك: أن يكون الحوار لهدف تعليم السامعين، كما كان في حديث جبريل الطويل، حيث كان الحوار بين جبريل والنبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان وأشراط الساعة، بهدف تعليم الصحابة، ولذلك قال ﷺ في آخر الحديث «فإِنَّهُ جِبْرِيْلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِيْنَكُم»(٤). إلى غير ذلك من الأمثلة، والأهداف المشروعة التي يمكن تحقيقها بالحوار.

---

١ - انظر رسالة الحوار مع أهل الكتاب ص ١٢٣

٢ - الفرقان : ٣٣

٣ - تفسير ابن كثير (٣/٣١٧-٣١٨)

٤ - مسلم كتاب الإيمان (١/٣٦) رقم ٢١ ابو داود كتاب السنة (٤/٢٢٢) رقم ٤٦٩٥

المبحث الثالث : بين يدي الموضوع

وسأعرض في هذا المبحث إلى النقاط الرئيسية التالية :

أولا : أصول وقواعد في موضوع الحوار

ثانيا : حكم الجدل والحوار

ثالثا : اركان الحوار ويدخل تحته الكلام عن :

١ - شروط المحاور المسلم.

٢ - شروط المحاور غير المسلم

٣ -موضوعات الحوار

أولا : أُصول وقواعد في موضوع الحوار

أ - أُصل الموضوع في القرآن

إن موضوع الحوار قد تعرضت له آيات القرآن في مواضع شتى، وبأساليب مختلفة، ففي بعض الآيات تظهر الدعوة إلى الحوار أو إلى شيء من مستلزماته وأصوله، وفي نصوص آخر حث على التزام آداب عامة للحوار ، وفي قسم منها بيان آداب خاصة من آداب الحوار، وفي قسم منها نماذج وأمثلة للحوار.

فمن النصوص العامة التي وضعت مقومات الحوار وأصوله وشروط الإنتفاع به قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾(١).

تأتي هذه الآية ردا على المشركين الذين طعنوا في النبي ﷺ دون تدبر أو تفكير فأتهموه بالكذب تارة وبالسحر تارة أخرى كما في الآيات قبلها﴿ قَالُوا مَاهَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾(٢)

---

١ - سبأ : ٤٦

٢ - سبأ : ٤٣

فأقام الله عز وجل هذه الموعظة العظيمة التي من أخذها بجميع مقوماتها فلابد أن يصل إلى الحق، وهذه المقومات هي :

١ - القيام لله تعالى:﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾(١) وهو الإخلاص والتجرد في طلب الحق(٢) وهذا شرط أساسي لكل عمل، وبدونه يفسد العمل ولا يوفق فيه صاحبه ولا يبارك له فيه، فالإخلاص في البحث عن الحق والصدق في طلبه شرط للوصول إلى ذلك الحق، وعندما يغيب الإخلاص ينعدم الإنقياد إلى الحق ولو كان مثل فلق الصبح، لأن من تعلق قصده بغير وجه ربه عز وجل ثقل عليه الإنقياد للحق وقصرت همته عن بلوغه والعمل به، وعندما يوجد الإخلاص في القصد والصفاء في النية والتجرد لاتباع الحق، يسهل على صاحبه الإنقياد له عند ظهوره، ولو على لسان مخالفه، لأنه يعلم أن الرجوع الي الحق خير من التمادي في الباطل(٣).

وهذا الأصل يدخل تحته عدد من الآداب كتصحيح النية، وحسن الإستماع ، والتسليم بالخطأ، والرجوع إلى الحق والتواضع وتجنب الكذب والمراوغة ، والأمانة، والإنصاف والعدل والهدوء وضبط النفس ، وعدم الغضب وتجنب الهزء والسخرية بالطرف الآخر وغير ذلك كما سياتي بيانه إن شاء الله تعالى.

٢ - مراجعة النفس على انفراد أو مع الآخرين :﴿مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ﴾(٤) والإلتزام بهذا الشرط يقضي على عامل مهم من العوامل التي تغطي الحق أو تشوه وجهه، وذلك في مثل الأجواء الجماعية والجماهير الجاهلة، والتي غالبا ما تتصف بالغوغائية والتقليد الأعمى واتباع كل ناعق من رؤوس الضلال، مما قد يؤدي بطالب الحق المخلص إلى اتباع الأكثرية من الناس، متهما نفسه،

---

١ - سبأ : ٤٦

٢ - سيأتي مزيد من الكلام عن الإخلاص عند ذكر الآداب إن شاء الله تعالى

٣ - انظر رسالة «قل انما اعظكم بواحدة» لعبدالعزيز الجليل ص ٨-١٣

٤ - سبأ : ٤٦

ظانا أن الحق مع الأكثرية (١).

وهذا الأصل ايضا يدخل تحته عدة امور تجب مراعاتها، كمراعاة الجو المحيط بالحوار، والظروف النفسية والإجتماعية للطرفين والتعارف قبل الحوار، والتحدى والافحام، والمحافظة على هدف الحوار والوصول إلى نتيجته وسياتي تفصيله بمشيئة الله تعالى.

٣ - التفكر فيما يقوله المخالف : ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ (٢) وهذا الأصل هو الوسيلة الأساسية للوصول إلى الحق بعد الإلتزام بالشرطين السابقين، فالتفكير والعلم وإمعان الرأي هو المتمم لهذا المنهج الإلهي للوصول إلى الحق، وتبين الهدى من الضلال، لأن اداة التفكر الأساسية هي العلم (٣) بحال القضية المختلف فيها ومعرفة ملابساتها، والمقصود بالتفكر هو البحث عن الأدلة الشرعية العلمية والتحقق من ثبوتها ودلالتها على المراد، والجاهل بذلك كله لا يستطيع الوصول إلى الحق فيوجهه التقليد الأعمي دون فكر أو نظر.

ويدخل تحت هذا الأصل عدد من الآداب العلمية كالبيان وحسن العرض والتثبت والتوثيق، والبدء بمواطن الإتفاق وطلب الدليل والمبادرة به، والتسليم بالحق، والبدء بالأهم، وغير ذلك مما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

وتظهر أهمية تلك المقومات والأصول في كلام علماء التفسير رحمهم الله تعالى - عن هذه الآية فمن ذلك :

قال الطبري رحمه الله : (وقيل : انما قيل «إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ» وتلك الواحدة أن تقوموا لله بالنصيحة وترك الهوى، «مثنى» يقول:يقوم الرجل منكم مع آخر فيتصادقان على المناظرة، هل علمتم بمحمد ﷺ جنونا قط، ثم ينفرد كل واحد منكم، فيتفكر ويعتبر فردا هل كان ذلك به، فتعلموا حينئذ أنه نذيرلكم)(٤)

---

١ - رسالة «قل إنما أُعظكم بواحدة» ص:١٤

٢ - سبأ : ٤٦

٣ - سيأتي تفصيل لآداب الحوار العلمية إن شاء الله

٤ - الطبرى : (٢٢/١٠٤ - ١٠٥)

ويقول الزمخشري: [والمعنى : إنما أُعظكم بواحدة إن فعلتموها أُصبتم الحق وتخلصتم وهي أن تقوموا لوجه الله خالصا متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴾ في امر محمد ﷺ وما جاء به، اما الإثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه وينظران فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع هوى ولا ينبض لهما عرق عصبية، حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق وسننه، وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل ونصفة من غير ان يكابرها، ويعرض فكره على عقله وذهنه وما استقر عنده من عادات العقلاء ومجارى أحوالهم. والذي أوجب تفرقهم مثنى وفرادى أن الإجتماع مما يشوش الخواطر ويعمى البصائر ويمنع من الروية ويخلط القول، مع ذلك يقل الإنصاف ويكثر الإعتساف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع إلا نصرة المذهب] (١)

فظاهر من كلام الطبري رحمه الله وكذلك الزمخشري أن الأية فيها دعوة واشارة إلى المناظرة والمحاورة مع مراعاة الأصول والمقومات التي تحقق الهدف وتثمر النتيجة، كما أشار غيرهما إلى نفس المعنى، ومن ذلك قال ابن الجوزي: [والمعنى: أن التي أعظكم بها: قيامكم وتشميركم لطلب الحق، وليس بالقيام على الأقدام. والمراد بقوله: «مثنى» أي يجتمع اثنان فيتناظران في أمر رسول الله ﷺ والمراد بـ «فرادى» بأن يتفكر الرجل وحده، ومعنى الكلام: ليتفكر الإنسان منكم وحده وليخل بغيره، وليناظر وليستشر، فيستدل بالمصنوعات على صانعها، ويصدق الرسول على اتباعه] (٢).

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله في الآية [أي بخصلة واحدة أشير عليكم بها وأنصح لكم في سلوكها، وهي طريقة نصف، لست أدعوكم بها إلى اتباع قولي، ولا إلي ترك قولكم من دون موجب لذلك وهي: ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ﴾ أي تنهضوا بهمة ونشاط وقصد لاتباع الصواب واخلاص لله،

---

١ - الكشاف: (٢/٢٩٤)

٢ - زاد المسير: (٦/٤٦٥)

مجتمعين ومتباحثين في ذلك، ومتناظرين، وفرادى كل واحد يخاطب نفسه بذلك](١)

ومن أحسن من وضح هذه الأصول وفصل في بيان تلك المقومات: سيد قطب رحمه الله، وسأنقل كلامه على طوله لاهميته وجمال عباراته، قال رحمه الله : [وهنا يدعوهم دعوة خالصة إلى منهج البحث عن الحق، ومعرفة الإفتراء من الصدق، وتقدير الواقع الذي يواجهونه من غير زيف ولا دخل: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ....الآية﴾ إنها دعوة إلى القيام لله. بعيدا عن الهوى. بعيدا عن المصلحة. بعيدا عن ملابسات الأرض. بعيدا عن الهواتف والدوافع التي تشتجر في القلب، فتبعد به عن الله. بعيدا عن التأثر بالتيارات السائدة في البيئة. والمؤثرات الشائعة في الجماعة. دعوة إلى التعامل مع الواقع البسيط، لا مع القضايا والدعاوى الرائجة، ولا مع العبارات المطاطه، التي تبعد القلب والعقل من مواجهة الحقيقة في بساطتها. دعوة إلى منطق الفطرة الهادئ الصافي، بعيدا عن الضجيج والخلط واللبس، والرؤية المضطربة والغبش الذي يحجب صفاء الحقيقة. وهي في الوقت ذاته منهج في البحث عن الحقيقة. منهج بسيط يعتمد على التجرد من الرواسب والغواشي والمؤثرات. وعلى مراقبة الله وتقواه.

وهي : «واحدة» إن تحققت صح المنهج واستقام الطريق، القيام لله.. لا لغرض ولا لهوى ولا لمصلحة ولا لنتيجه.. التجرد.. الخلوص.. ثم التفكر والتدبر بلا مؤثر خارج عن الواقع الذي يواجهه القائمون لله المتجردون.

﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ﴾..مثنى ليراجع أحدهما الآخر، ويأخذ معه ويعطي في غير تأثر بعقلية الجماهير التي تتبع الإنفعال الطارئ، ولا تتلبث لتتبع الحجة في هدوء..وفرادى مع النفس وجهالوجه في تمحيص هادئ عميق. ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ فما عرفتم به إلا العقل والتدبر والرزانة.

---

١ - تيسير الكريم الرحمن (١٩٨/٤).

وما يقول شيئا يدعو إلى التظنن بعقله ورشده إن هو إلا القول المحكم القوي المبين] (١)٠

وبعد هذه الأقوال من أولئك المفسرين رحمهم الله حول هذه الآية الكريمة، تبين أن القرآن اعتنى بموضوع الحوار وأشار إليه، ووضع أصوله ومقوماته العامه، التي ينطلق من خلالها الباحث عن الحق٠

وقريب من هذا ما قاله المفسرون في قوله تعالى :﴿**ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾(٢)٠ حيث قال الطبري رحمه الله : [﴿**وجادلهم بالتي هي احسن**﴾ يقول : وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها، ان تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى، ولا تعصه في القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك] (٣)٠

وقال الزمخشري : [﴿**وجادلهم بالتي هي احسن**﴾ بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف] (٤)٠

وقد تقدم قول ابن كثير رحمه الله في الآية إلى أنه: (من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب) (٥)

وقد بين الشوكاني رحمه الله اساليب وطرق الدعوة المذكورة في الآية حيث قال : [ثم أمر سبحانه رسوله أن يدعو أمته إلى الإسلام فقال:﴿**ادع إلي سبيل ربك**﴾، وحذف المفعول للتعميم لكونه بعث إلى الناس كافة، وسبيل الله هو الإسلام ﴿**بالحكمة**﴾ : أي بالمقالة المحكمة الصحيحة، قيل : هي الحجج القطعية المفيدة لليقين﴿**والموعظة الحسنة**﴾ : وهي المقالة المشتملة على الموعظة الحسنة التي يستحسنها السامع وتكون في نفسه حسنة باعتبار انتفاع السامع بها ، قيل : الحجج الظنية الإقناعية الموجبة للتصديق بمقدمات

---

١ - الظلال (٥/٢٩١٤)

٢ - النحل :١٢٥

٣ - الطبري (١٤/١٩٤)

٤ - الكشاف (٢/٤٣٥)

٥ - ابن كثير (٢/٥٩١)

مقبولة، قيل : وليس للدعوة إلا هاتان الطريقتان، ولكن الداعي قد يحتاج مع الخصم الألد إلى استعمال المعارضة والمناقضة ونحو ذلك من الجدل، ولهذا قال سبحانه ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي:بالطريق التي هي احسن طرق المجادلة، وإنما أمر سبحانه بالمجادلة الحسنة لكون الداعي محقا وغرضه صحيحا، وكان خصمه مبطلا وغرضه فاسدا] (١)

فلا تخلو الآية من اشارة عامة إلى قضية الحوار، وتنبيه على ضرورة مراعاة الأدب الحسن فيه، وقد أجاد سيد قطب رحمه الله حين قال في بيان الآية ما نصه [والدعوة بالحكمة والنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم، والقدر الذي يبينه لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها، والطريقة التي يخاطبهم بها، والتنويع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها، فلا تستبد به الحماسة والإندفاع والغيرة، فيتجاوز الحكمة في هذا كله وفي سواه، وفي الموعظة الحسنة التي تدخل إلى القلوب برفق، وتتعمق المشاعر بلطف، لابالزجر والتأنيب في غير موجب، ولابفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نية، فإن الرفق والموعظة كثيرا ما يهدى القلوب الشاردة، ويؤلف القلوب النافرة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ، وبالجدل بالتي هي أحسن بلا تحامل على المخالف، ولا ترذيل له وتقبيح، حتى يطمئن إلى الداعي، ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل، ولكن الإقتناع والوصول إلى الحق، فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق حتى لا تشعر بالهزيمة، وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها هي عند الناس، فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلا عن هيبتها واحترامها وكيانها،

---

١ - فتح القدير (٢٠٣/٣)

والجدل بالحسنى هو الذي يطامن من هذه الكبرياء الحساسة، ويشعر المجادل ان ذاته مصونة وقيمته كريمة وان الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها والإهتداء إليها في سبيل الله، لا في سبيل ذاته ونصر رأيه وهزيمة الرأي الآخر] (١).

والخلاصة: أن هاتين الآيتين قد وضعتا أسس موضوع «آداب الحوار» وأصلتا قواعده ومقوماته، لينطلق منها الداعية لنشر دعوته، وليتوصل الحائر الى الصواب من خلالها، هذا عدا ما جاء في كتاب الله تعالى من الآيات الكثيرة في نصوص عامة لها علاقة بأدب الحوار، كالأمر بطيب القول وحسن الخلق، والقول الحسن، ونحوها مما سيأتي الإشارة إلى شيء منها في مبحث « الكلمة الطيبة وعلاقتها بالحوار».

ب - أصول وقواعد مهمة في موضوع الحوار :

اذا كان لابد من التفريق بين «أصول الحوار» و «آداب الحوار» - ففي رأيي - أن الأصول هي عبارة عن القواعد الرئيسية الثابتة التي تضبط مسار الحوار، وأما الآداب فهي طريقة الحوار، والقواعد السلوكية التي ينبغي مراعاتها قبل الحوار أو اثناءه أو بعده، والتي تساعد في نجاح الحوار، مع أن هناك تداخلا وتقاربا بين الأصول والآداب فقد يكون من الأصول ما هو أدب يساعد في إنجاح الحوار، ولذلك فإني أشير إلى بعض الأصول المهمة واترك بقيتها إلى مواضعها عند ذكر آداب الحوار.

الأصل الأول : تحديدالهدف، وأن يكون هو الوصول إلى الحق ، لا لإظهار الغلبة والمجادلة في الباطل، ويدخل ضمن تحديد الهدف أيضا تحديد القضية التي حولها الحوار، فإن كثيرا من الحوارات تتحول إلى جدل عقيم سائب ليس له نقطة محددة ينتهي إليها.

---

١ - الظلال (٤/٢٠٢٢)

فلابد من التجرد في طلب الحق، والحذر من التعصب والهوى،ويكفي مثلا في ذلك ما يروى عن الإمام الشافعي أنه قال: (ما ناظرت أحدا إلا تمنيت ان يظهر الله الحق على لسانه)[١]

وقول الإمام الغزالي في الإحياء عند ذكره لعلامات طلب الحق: (ان يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه، ويرى رفيقه معينا لا خصما، ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق)(٢) كما يكفي مثلا في تحديد القضية التي حولها الحوار ما فعله ابن عباس رضى الله عنه في مناقشته للخوارج، وذلك أنه سألهم أول مرة : ما تنقمون على ابن عم رسول الله ﷺ وختنه، وأول من آمن به، وأصحاب رسول الله معه؟ فذكروا مسائلهم الثلاث، ثم أخذهامسألة مسألة، وبعد انتهائه من كل مسألة يقول لهم: أخرجت من هذه ؟ فيقولون : نعم ثم ينتقل إلى غيرها وهكذا (٣).

- الأصل الثاني : الإتفاق على أصل يرجع اليه، والأصول المرجعية عند المسلمين هي الكتاب والسنة، وما كان عليه السلف، وقد امر الله بالرد إليه وإلى ورسوله في عدة آيات كما في قوله تعالى ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾(٤) وقوله ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾(٥) قال العلماء : معناه إلى الكتاب والسنة (٦) فالرد إلى الكتاب والسنة هو الذي يدرؤا النزاع بين المتحاورين، ويقضي على الخلاف بين المتنازعين، وبهما

١- انظر معنى هذا القول في سير أعلام النبلاء : (١٠/ ٢٩)

٢ - الإحياء:(٥٧/١)

٣ - القصة أخرجها: احمد في المسند (٣٥٢/١)، البيهقي في السنن الكبرى (١٧٩/٨)، ابن عبدالبر في جامع بيان العلم (٢١٦/٢) والحاكم في المستدرك (١٥٠/٢) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال في مجمع الزوائد: رواه الطبراني واحمد ببعضه ورجالهما رجال الصحيح (٢٤٤/٦) وصححهأحمد شاكر في تخريجه للمسند برقم (٣١٨٧).

٤ - الشورى: ١٠

٥ - النساء: ٥٩

٦ - انظر رياض الصالحين: (باب الأمر بالمحافظة على السنة) ص ٨٦

يعرف مراد الله سبحانه وتعالى ومراد رسوله ﷺ ٠ ولهذا كثيرا ما ينقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية كلاما ملخصه :(أنه متى تنازع المسلمون في مسألة، وجب رد ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول ﷺ، فأي القولين دل عليه الكتاب والسنة وجب اتباعه، ثم يبين سبب ذلك: وهو أن الناس لايفصل بينهم النزاع إلا كتاب منزل من السماء، وإذا ردوا إلى عقولهم فلكل واحد منهم عقل)(١)٠

فالاتفاق على منهج التلقي والنظر والإستدلال قبل البدء في أي نقاش - خاصة إذا كان علميا - يضبط مسار الحوار ويوجهه نحو النجاح، إذ أن الإختلاف في المنهج ابتداء سيؤدي إلى الدوران في حلقة مفرغة، لأن استدلالات المخالفين من المبتدعة وغيرهم لاحصر لها،وطرقهم لا تنضبط،وهي سيالة لا تقف عند حد(٢)٠ وقد ذكر الإمام الشاطبي رحمه الله بعضاًمن هذه المناهج غير المنضبطة والتي تناقض هذا الأصل، اذكر منها بإختصار (٣) :

١ - منهج الإستدلال بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، وهذا المنهج مرفوض وباطل، واذا لم يتفق الطرفان على رفضه فلن يفلح الحوار في أداء نتيجة٠

٢ - منهج رد الآحاديث التي لا توافق الهوى أو المذهب، أو رفض الإستدلال بخبر الآحاد مثلاً، وهو منهج مرفوض ايضا عند أهل السنة، وسبب في فشل الحوار٠

٣ - منهج التغالي في تعظيم المشائخ والإحتجاج بأقوالهم والتعصب لآرائهم وإن خالف الكتاب والسنة وهو باطل أيضا، ويفضي إلى مزيد من النزاع والخلاف٠ إلى غير ذلك من مناهج باطلة، إذا تلبس بها أحد المتحاورين فلا يستقيم لهما حوار٠

---

١ - انظر الفتاوى : (٣٤٧/٣، ١٦٣/٢٠)

٢ - بدر التمام في اختصار الاعتصام ص ٨٩

٣ - الاعتصام (٢٢٤/١ ، ٢٣١، ٢٥٨)

ومما يذكر أن الشيعة كتبوا إلى مفتي الديار السعودية سابقا الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - يطلبون منه أن يعقد معهم مجلسا للحوار فهمّ الشيخ ألاّ يرد عليهم أصلا، فأشار عليه الشيخ عبدالرزاق عفيفي ألاّ يهمل طلبهم، لانهم عندئذ سيعتبرون ذلك نوعا من النكول عن المناظرة، وضعف الحجة، فالأولى أن يكتب لهم بالموافقة على المناظرة، شريطة أن يكون هناك أصل يرجع إليه ، وأن يكون هذا الأصل هو القرآن الكريم وصحيح البخاري وصحيح مسلم،فكتب لهم بذلك فلم يردوا عليه بعد ذلك (١).

فالخلاصة : لابد من تحديد أصول يرجع إليها عند الإختلاف، وبذلك ينضبط الحوار، ويتحدد مساره.

الأصل الثالث : عدم مناقشة الفرع قبل الإتفاق على الأصل، لأن الحوار حينئذ يتحول إلى جدل عقيم لا طائل تحته، إلا في حالات إستثنائية كأن يكون الطرف المقابل كافرا و يناقش في قضية فرعية، فعندها ينبغي نقله إلى الأصل وإرجاعه إليه ومناقشته فيه، أو أن يناقش في الفرع بالحجج القاطعة وإفحامه بها، وربما إذا اقتنع بالفرع أن يرجع إلى الأصل. فلابد من البدء بالأهم من الأصول وضبطها والإتفاق عليها، ومن ثم الإنطلاق منها لمناقشة الفروع والحوار حولها، وقد شنع الإمام ابن الجوزي رحمه الله على من يحفظ الفروع ويضيع الأصول إلى أن قال :(فالله الله في تضييع الأصول ومن إهمال سرح الهوى، فإنه إن أهملت ماشية نفشت في زروع التقى .. الخ ما قال)(٢)

----

١ - ذكر القصة موثقة الشيخ سلمان العودة في شريط «أدب الحوار» [نقلا عن الشيخ عبدالعزيز بن باز، والشيخ عبدالله بن قعود، ونقلت له موثقة عن الشيخ عبدالله ابن حميد].

٢ - صيد الخاطر : ص١٥٦

ثانيا:حكم الجدل والحوار

إن الداعي إلى بحث هذه القضية والكلام عنها، هو ما جاء عن بعض السلف من كراهية الجدل والتحذير منه، وحيث إن الجدل هو نوع من الحوار، ويتفق معه في بعض معانيه، فربما اشتبه الأمر على اناس فأنكروا الحوار والجدال والمناظرة احتجاجا ببعض تلك النصوص التي تحذر من الجدال وتنهى عنه، كما انه ربما بالغ أناس في استعمال الجدال والمحاورة وغلوا فيها وخرجوا عن الحد المشروع منها بحجة النصوص والأدلة التي تبيح الجدال والمناظرة(١)٠

ولذلك فخلاصة هذا المبحث هو التوفيق بين الأدلة الظاهرة التعارض ، أي بين النصوص التي تأمر بالجدال وتحث عليه والأدلة التي تنهىٰ عنه وتحذر منه، وذلك بعد سرد هذه الأدلة وبيان مواضع الإستشهاد فيها:

أما النصوص التي تامر بالجدال وتحث على المناظرة والحوار فمنها :

١ - قوله تعالى : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِيْ هِيَ أَحْسَنُ﴾(٢) وقد تقدم الكلام عنها وذكر أقوال المفسرين فيها(٣) وبيان أن الآية تدعو دعوة صريحة إلى الحوار والجدال الحسن والمناظرة إذا احتاج الأمر اليها، وأن ذلك وسيلة مستقلة من وسائل الدعوة إلى الله عز وجل٠

٢ - قوله تعالى : ﴿وَلَاتُجَادِلُوْا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِيْ هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا مِنْهُم﴾(٤)، ووجه الدلالة فيها أن الله تعالى أمر بمجادلة أهل الكتاب بالتي هي احسن من الرفق واللين والإنصاف ونحوه (٥)، وقد رجح الطبري وغيره أن الآية تدعو إلى ذلك وانها محكمة وليست منسوخة ومما قاله رحمه الله : (لامعنى لقول من قال نزلت هذه الآية قبل الأمر بالقتال، وزعم أنها منسوخة، لأنه لاخبر

---

١ - انظر مناهج الجدل للألمعي - «بحث الجدال الممدوح والمذموم»: ص٤٩

٢ - النحل: ١٢٥

٣ - انظر الكلام عن أصل الموضوع في القرآن المتقدم٠

٤ - العنكبوت:٤٦

٥ - مناهج الجدل ص٥٣

بذلك يقطع العذر، ولا دلالة على صحته من فطرة عقل(١)٠

٣ - هناك آيات، اقرت فيها المجادلة والحوار والمناظرة مما يدل على جوازها واباحتها ومنها: قوله تعالى في ذكر رد قوم نوح عليه ﴿قَالُوْا يَانُوْحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾(٢) فنسب الجدال إلى نوح عليه السلام، ولم ينكره القرآن٠

- وقوله تعالى في قصة صاحب الجنتين: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِيْ خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾(٣) وذكر هذا الكلام، والتعبير بلفظ المحاورة يدل على إقرارها وإثباتها.

- وقوله تعالى : ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِيْ تُجَادِلُكَ فِيْ زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيْ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيْعٌ بَصِيْرٌ﴾(٤) وهذه الآية تقر المجادلة والحوار كما هو ظاهر منها٠

٤ - وهناك أحاديث تقر المجادلة والمحاورة والمحآجة منها :

قوله ﷺ: «ما مُجادلةُ أحَدِكم فِي الحَقِّ يكُونُ له فِي الدُّنْيا، بأشَدَّ مجادلةً من المُؤمنِينَ لرَبِّهِمْ فِي إخْوانِهِم الذيْنَ أُدْخِلوا النَّارَ»(٥)٠

ومنها حديث: «احتج آدم وموسى٠٠٠ إلى قوله فحج آدم موسى»(٦)

ومنها ماجاء في أنه كانت بين أبي بكر وعمر محاورة٠٠٠الخ الحديث (٧)

وهذه الأحاديث الثلاثة يظهر منها إقرار ما جاء فيها من الألفاظ التي لم تنكر فدل على مشروعيتها وإباحتها٠ ومثلها ما كان من حوارات بين النبي ﷺ

---

١ - الطبري (٣/٢١) وانظر ابن كثير (٣/٤١٥)

٢ - هود:٣٢

٣ - الكهف:٣٧

٤ - المجادلة:١

٥ - تقدم ذكره في التعريفات: ص٩

٦ - تقدم ذكره في التعريفات: ص١٢

٧ - تقدم ذكره في التعريفات: ص٥

وأصحابه، مثل الذي حصل بينه وبين السعدين في غزوة الأحزاب حول اعطاءغطفان ثلث ثمار المدينة، حيث استشارهما في ذلك فقالا: يارسول الله! أمرا تحبه فنصنعه أم شيئا أمرك الله به لابد لنا من العمل به، أم شيئا تصنعه لنا ؟ قال: بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر من شوكتهم إلى أمر ما، فقال له سعد بن معاذ: يارسول الله قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان لانعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة واحدة إلا قرى أو بيعا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ؟ مالنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فقال رسول الله ﷺ : "أَنْتَ وَذَاكَ" فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال: ليجهدوا علينا(١)

ومثل ذلك ماحصل بينه وبين عمر من مجادلة في الحديبية، وذلك حين جرى الصلح ولم يبق إلا الكتاب، فوثب عمر فأتى أبابكر فقال : يا أبابكر أليس برسول الله ؟ قال : بلى، قال ، أولسنا بالمسلمين؟ قال بلى قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ قال أبوبكر يا عمر الزم غرزه فإني أشهد انه رسول الله، قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله. ثم أتى إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله ألست برسول الله ؟ قال بلى، قال أو لسنا بالمسلمين، قال: بلى، قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال بلى ، قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ قال : أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُه لَنْ أُخَالِفَ أَمْرَهُ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي (٢).

ومن ذلك مناظرة عمر رضي الله عنه مع اليهود، حيث كان لعمر أرض بأعلى المدينة، فكان يأتيها، وكان ممره على طريق مدراس اليهود، وكان كلما دخل عليهم سمع منهم، وأنه دخل عليهم ذات يوم، فقالوا : ياعمر ما في أصحاب محمد ﷺ أحد أحب إلينا منك، إنهم يمرون بنا فيؤذوننا ، وتمر بنا فلا تؤذينا، وإننا لنطمع فيك، فقال لهم عمر : أي يمين فيكم أعظم ؟ قالوا : الرحمٰن الذي أنزل

---

١ - البداية والنهاية لابن كثير (٤/١٠٦) وحسن اسناده د. أكرم العمري في كتابه "السيرة النبوية الصحيحة" ٢/٤٢٧

٢ - البداية والنهاية لابن كثير (٤/١٧٠) وأحمد (٤/٣٢٥)، وأصله في البخاري: الشروط ٢٧٣١

التوراة على موسى بطور سيناء، فقال لهم عمر : فأنشدكم بالرحمن الذي أنزل التوراة على موسى بطور سيناء، أتجدون محمدا ﷺ عندكم، فأسكتوا، فقال : تكلموا ما شأنكم فوالله ما سألتكم وأنا شاك في شيء من ديني، فنظر بعضهم إلى بعض، فقام رجل منهم فقال: أخبروا الرجل، لتخبرنه أو لأخبرنه، قالوا : نعم، انا نجده مكتوبا عندنا، ولكن صاحبه من الملائكة الذي يأتيه بالوحي هو جبريل، وجبريل عدونا، وهو صاحب كل عذاب أو قتال أو خسف، ولو أنه كان وليه ميكائيل إذاً لآمنا به، فإن ميكائيل صاحب كل رحمة وكل غـيث، فقال لهم عمر: فأنشدكم بالرحمن الذي أنزل التوراة على موسى بطور سيناء أين مكان جبريل من الله؟ قالوا : جبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، قال عمر :فأشهدكم أن الذي هو عدو للذي عن يمينه عدو للذي عن يساره، والذي هو عدو للذي عن يساره عدو للذي هو عن يمينه، وأنه من كان عدوهما فإنه عدولله، ثم رجع عمر ليخبر النبي ﷺ فوجد جبريل قد سبقه بالوحي، فدعاه النبي ﷺ فقرأه عليه، فقال عمر: والذي بعثك بالحق، لقد جئتك وما أريد إلا أن اخبرك.(١)،إلى غير ذلك من الحوارات التي سيأتي ذكر شيء منها في ثنايا البحث، والتي تقر الجدل والمحاورة.

٥ - يمكن الإستدلال على مشروعية الجدال بالحسنى والمحاورة بما وقع من كثير من السلف من المناظرات والحوارات ومنها :المحاورة التي كانت بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة والتي انتهت بمبايعة أبي بكر خليفة للمسلمين بعد الخلاف والجدال الطويل الذي كان بين أبي بكر وعمر وأبي عبيدة من جانب وبين سعد بن عبادة والحباب بن المنذر من جانب آخر (٢).

ومنها مناقشة ابن عباس رضي الله عنه للخوارج، وكان ذلك بعلم الصحابة وعلى رأسهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولم ينكره أحد أو يعترض عليه (٣).

---

١ - تفسير الطبري (٤٣٤/١)، جامع بيان العلم لابن عبدالبر (١٢٤/٢)

٢ - تاريخ الطبري (٢٤١/٢-٢٤٤)

٣ - تقدم ذكرها آنفا (انظر ص ٣٧)

إلى غير ذلك من المناظرات العلمية الكثيرة التي وقعت بين الصحابة أو بين العلماء والفقهاء على مر التاريخ، والتي تشير إلى مشروعية الجدال والمناظرة، وتبين اباحة الحوار وجوازه، بل ربما استحبابة ووجوبه أحيانا.

٦ - كما يمكن الإستدلال بأقوال الأئمة والعلماء وحثهم على المناظرة والجدال بالحسنى، وخاصة إذا كان ذلك لدفع الشبهات وردها، وقد تقدم ذكر تلك الأقوال في المبحث الثاني عند بيان أهمية الحوار(١). ونعيد منها كلام شيخ الإسلام -رحمه الله - لأهميته حيث قال: (فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن اعطى الإسلام حقه ولا وفى بموجب العلم والإيمان ولاحصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس ولا أفاد كلامه العلم واليقين)(٢)، ومثله كلام الإمام ابن القيم - رحمه الله - عند ذكره للفوائد من قصة وفد نجران فقال : (ومنها جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم، وإقامة الحجة عليهم ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجة فليول ذلك إلى أهله وليخل بين المطي وحاديها والقوس وباريها)(٣).

فهذه خلاصة ما يمكن الإستدلال به على مشروعية الجدال بالحسنى واباحة الحوار والمناظرة.

وأما النصوص التي يظهر منها التعارض مع ما سبق، والتي تحذر وتنهى عن الجدال فيمكن تلخيصها في الآتي :

١ - هناك آيات عديدة يظهر فيها كراهية الجدل في قضية معينة، أو بأسلوب معين وقد يستدل بها في كراهية الجدل مطلقا لذلك فسأذكرها ثم يأتي الجمع بينها وبين ما سبق من الإباحة والجواز، فمنها :

---

١ - انظر الفقرة الثانية من أهمية الموضوع .

٢ - الفتاوى (٢٠/١٦٤-١٦٥)

٣ - زاد المعاد بتحقيق الارناؤوط (٣/٦٣٩).

قوله تعالى : ﴿وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِيْنَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُم﴾(١)

وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِيْنَ لَيُوحُوْنَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوْكُم﴾ (٢)

وقوله عز وجل : ﴿مَايُجَادِلُ فِيْ آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِيْ الْبِلَادِ﴾(٣).

وقوله ايضا : ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوْا بِهِ الحَقَّ، فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾(٤).

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ يُجَادِلُوْنَ فِيْ آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِيْ صُدُوْرِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَاهُمْ بِبَالِغِيْهِ﴾(٥).

وقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِيْنَ يُجَادِلُونَ فِيْ آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُوْنَ ﴾(٦).

وقوله عز وجل : ﴿وَالَّذِيْنَ يُحَآجُّوْنَ فِيْ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَااسْتُجِيْبَ لَهُمْ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيْدٌ﴾(٧).

وقوله سبحانه : ﴿ وَيَعْلَمَ الَّذِيْنَ يُجَادِلُوْنَ فِيْ آيَاتِنَا مَالَهُمْ مِنْ مَحِيْصٍ﴾(٨).

وأمثالها كثير من الآيات التي تشعر بخطر الجدل المذكور فيها والوعيد الشديد لمن تعاطاه.

٢ - وهناك بعض الأحاديث التي تحذر من الجدال وتبين كراهيته ومنها :

قوله ﷺ «المِرَاءُ فِي القُرآنِ كُفْرٌ»(٩)

---

١ - النساء:١٠٧

٢ - الأنعام:١٢١

٣ - غافر :٤

٤ - غافر : ٥

٥ - غافر :٥٦

٦ - غافر :٦٩

٧ - الشورى: ١٦

٨ - الشورى: ٣٥

٩ - تقدم تخريجه في التعريفات ص٨

وقوله ايضا «ماضلَّ قومٌ بعدَ هُدى إلاَّ أُوتُواْ الجَدَلَ» ، ثم تلا هذه الآية: ﴿مَاضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُوْنَ﴾(١) (٢)

ومثله حديث عائشة رضي الله عنها قالت : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿هُوَ الَّذِيْ أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ٠٠﴾ إلى قوله:﴿وَمَايَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾(٣) فقال ياعائشة : «إذَا رأيتُمْ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فيْه فَهُم الذِّيْنَ عَنَاهُمُ اللَّهُ فاحْذَرُوهُم»(٤)

وقوله عليه السلام : «أَبغَضُ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الألَدُّ الخَصِمُ»(٥)٠

ومما يدل على أفضلية ترك الجدال وكراهته، قوله ﷺ «أَنَا زَعِيْمٌ بِبَيْتٍ فِيْ رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ، وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا٠٠٠٠٠ الحديث»(٦)٠

٣ - مما يستدل به على كراهية الجدل: ما أثر عن بعض السلف من أقوال تنهى عنه أو تحذر منه ومن ذلك (٧) :

قال أبو الدرداء رضي الله عنه : «كفى بك إثما أن لاتزال مماريا»

وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله : «من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل»٠

وقال مسلم بن يسار :«إياكم والمراء فإنه ساعة جهل العالم، وعندها يبتغي الشيطان زلته»٠

---

١ - الزخرف: ٥٨

٢ - تقدم ذكره في التعريفات: ص٨

٣ - آل عمران:٧

٤ - تقدم ذكره في التعريفات: ص٨

٥ - البخاري: كتاب المظالم ٢٤٥٧، مسلم كتاب العلم (٢٠٥٤/٤) رقم٥، الترمذي: كتاب التفسير (٢١٤/٥) رقم٢٩٧٦، النسائي كتاب القضايا (٢٤٧/٨-٢٤٨ رقم ٥٤٢٣)

٦ - أخرجه أبو داود: كتب الأدب (٢٥٤/٤) رقم ٤٨٠٠، الترمذي : كتاب البر(٣٥٩/٤) رقم ١٩٩٦، (وصححه النووي في رياض الصالحين ص٢٨٩)

٧ - انظر إحياء علوم الدين للغزالي (١٢٦/٣)

وقال الإمام مالك رحمه الله : «ليس هذا الجدال من الدين في شيء»

وقال بلال بن سعد :«إذا رأيت الرجل لجوجا مماريا معجبا برأيه فقد تمت خسارته»[١].

وقال الأحنف بن قيس : «كثرة الخصومة تنبت النفاق في القلب» (٢)

وقال الشافعي : «المراء في الدين يقسي القلب، ويورث الضغائن»(٣)

وللجمع بين ماتقدم من تعارض ظاهر حول الجدل والمناظرة، فإن قصارى القول: أن انكار الجدل وذمه مطلقا فيه تعسف ومكابرة للحق والواقع، كما أن قبوله والدعوة إليه مطلقا فيه أيضا تعسف ومكابرة، فقد وردت نصوص من الكتاب والسنة تأمر بالجدل وأخرى تنهى عنه، فعلمنا يقينا أن الجدل الذي تأمر به هذه النصوص غير الجدل الذي تنهى عنه، لأن نصوص القرآن ونصوص السنة الصحيحة لاتتعارض في حقيقة الأمر (٤).

إذاً فالجدل نوعان : جدال ممدوح وإليه تصرف نصوص الإباحة والجواز، وهو ماكان لنصرة الحق وتبليغ الدعوة، وجدال مذموم، وعليه تحمل أدلة النهي والكراهة، وهو ماكان بباطل وبغير علم ولنصرة الباطل والهوى.

ويؤيد هذا الجمع، ويدل على هذا التقسيم : كلام العلماء في تلك النصوص ومن ذلك :

قول الرازي عند تفسيره للآية :﴿مَايُجَادِلُ فِيْ آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِيْنَ كَفَرُوْا﴾ (٥) قال : (الجدال نوعان : جدال في تقرير الحق وجدل في تقرير الباطل، أما الجدال في تقرير الحق فهو حرفة الأنبياء عليهم السلام ، قال تعالى لمحمد ﷺ:

١- المصدر السابق : ١٣٦/٣

٢ - انظر أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي(١/١٢٩)

٣ - سير أعلام النبلاء (١٠/٢٨)

٤ - انظر مناهج الجدل في القرآن للألمعي ص٥٠ بتصرف يسير

٥ - غافر:٤

﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِيْ هِيَ أَحْسَنُ﴾(١) وقال حكاية عن الكفار إنهم قالوا لنوح عليه السلام:﴿يَانُوْحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾(٢)،

وأما الجدال في تقرير الباطل فهو مذموم وهو المراد بهذه الآية، حيث قال تعالى : ﴿مَايُجَادِلُ فِيْ آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوا﴾(٣)، وقال ﴿مَاضَرَبُوْهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُوْنَ﴾(٤)، وقال ﴿وَجَادَلُوْا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوْا بِهِ الْحَقَّ﴾(٥)... الخ كلامه)(٦)،

وقال عند تفسيره للآية: ﴿مَاضَرَبُوْهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً﴾(٧) (إن الآيات الكثيرة دالة على أن الجدل موجب للمدح والثناء، وطريق التوفيق ان تصرف تلك الآيات إلى الجدل الذي يفيد تقرير الحق، وأن تصرف هذه الآية إلى الجدل الذي يوجب تقرير الباطل)(٨)،

فظاهر من كلام الرازي تقسيمه للجدال إلى ممدوح ومذموم، وتوفيقه بين النصوص المتعارضة، ويدل على ذلك ايضا قول القرطبي رحمه الله عند الآية ﴿هَاأَنْتُمْ هَؤُلاَءِ حَاجَجْتُمْ فِيْمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّوْنَ فِيْمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾(٩) قال : (وفي الآية دليل على المنع من الجدال لمن لاعلم له، والحظر على من لاتحقيق عنده... وقد ورد الأمر بالجدال لمن علم وأيقن فقال تعالى : ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِيْ هِيَ أَحْسَنُ﴾ (١٠).. الخ كلامه)(١١)،

---

١ - النحل:١٢٥

٢ - هود:٣٢

٣ - غافر :٤

٤ - الزخرف :٥٨

٥ - غافر:٥

٦ - الفخر الرازي (١٩٧/٧)

٧ - الزخرف: ٥٨

٨ - الرازي (٣٠٧/٧)

٩ - آل عمران:٦٦

١٠ - النحل:١٢٥

١١ - تفسير القرطبي :(٧٠/٤) بتصرف

فدل كلامه على تقسيم الجدال إلى ممنوع مذموم ومأمور به ممدوح، وقد شدد ابن حزم - رحمه الله - في الرد على من ابطل الجدال فقال : (وبالجملة فلا اضعف ممن يروم إبطال الجدال، ويريد هدم جميع الإحتجاج بالإحتجاج، ويتكلف فساد المناظرة بالمناظرة، لأنه مقر على نفسه أنه يأتي بالباطل، لأن حجته هي بعض الحجج التي يريد إبطال جملتها، وهذه طريق لا يركبها إلا جاهل ضعيف، أو معاند سخيف، والجدال الذي ندعو إليه هو طلب الحق ونصره وإزهاق الباطل وتبينه(١)).

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله في تفسير الآية: ﴿مَايُجَادِلُ فِيْ آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا﴾(٢) : أي مايخاصم في دفع آيات الله وتكذيبها إلا الذين كفروا، والمراد الجدال بالباطل والقصد إلى دحض الحق كما في قوله تعالى :﴿وَجَادَلُوْا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوْا بِهِ الْحَقَّ﴾(٣)

فأما الجدال لاستيضاح الحق ورفع اللبس والبحث عن الراجح والمرجوح وعن المحكم والمتشابه ودفع ما يتعلق به المبطلون من متشابهات القرآن، وردهم بالجدال إلى المحكم فهو من أعظم ما يتقرب المتقربون، وبذلك أخذ الله الميثاق على الذين أوتوا الكتاب... الخ كلامه(٤).

ومثله قد أشار إليه الزمخشري عند الآية نفسها حيث قال :(سجل على المجادلين في آيات الله بالكفر، والمراد الجدال بالباطل من الطعن فيها والقصد إلى إدحاض الحق واطفاء نور الله، وقد دل على ذلك في قوله : ﴿وَجَادَلُوْا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾

---

١ - الأحكام لأبن حزم : (٢٦/١)

٢ - غافر : ٤

٣ - غافر : ٥

٤ - فتح القدير (٤٨١/٤)

فأما الجدال فيها لإيضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة أهل العلم في استنباط معانيها ورد أهل الزيغ بها وعنها فأعظم جهاد في سبيل الله...) (١)

والخلاصة : إنه قد تبين مما سبق أن حكم الجدال والحوار والمناظرة، يرجع إلى القصد منه والغرض من استعماله: فإن كان بالحق وللوصول إلى الهدى والصواب، ولكشف الباطل ودحض الشبهات فهو مباح جائز وربما كان واجبا إن كانت الحاجة ملحة إليه، وأما إن كان جدالا بالباطل لرد الحق ودفع الحجة أو للوصول إلى الباطل فهو مذموم محرم، كما دلت النصوص والأقوال على تقرير ذلك والله أعلم.

ثالثا: أركان الحوار :

للحوار ثلاثة أركان رئيسية لايتصور وجود حوار بدونها وهي :

١ - المحاور

٢ - المحاور (الطرف الآخر)

٣ - موضوع الحوار

وكل ركن منها يحتاج إلى نوع من البيان على النحو الآتي :

أولا : المحاور : وحيث إن الموضوع هو : آداب الحوار في الكتاب والسنة، فالأصل أن يكون المحاور مسلما منضبطا بمنهج هذا الدين، وعليه فهناك شروط يجب توفرها في المحاور المسلم، ويمكن أن يستكملها قبل أن يتصدى للحوار، وسيأتي إن شاء الله ذكر وتفصيل أكثر لهذه الشروط عند ذكر الآداب ، ولكن أخص بالذكر بعض الشروط الأساسية والضرورية للمحاور المسلم وهي :

١ - الإخلاص : أي أن يكون حواره في سبيل الله ، ونصرة لدينه، وإعزازا لكلمته، مجردا من الأهواء والشهوات النفسية، او النظر إلى الأغراض

---

١ - الكشاف (٣/٤١٤).

الشخصية، بعيدا عن حب الرياء والسمعة وحب الظهور، ونحوها من العجب والكبر والغرور، وبذلك ينجح الحوار ويؤدي ثمرته.

وقد تقدم ذكر هذا الشرط عند الكلام عن قوله تعالى :﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُوْمُوْا لِلَّهِ ...﴾الآية(١) وسياتي مزيد بيان له إن شاء الله تعالى.

٢ - العلم : فلابد أن يكون حواره عن علم وبصيرة، إذ إن الجاهل يفسد أكثر مما يصلح، وقد ذم الله المجادل بغير علم كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِيْ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدَىً وَلَا كِتَابٍ مُنِيْرٍ﴾ (٢) وقال سبحانه ﴿فَلِمَ تُحَاجُّوْنَ فِيْمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾(٣) قال القرطبي رحمه الله : (في الآية دليل على المنع من الجدال لمن لاعلم له)(٤) وكذا قال ابن كثير:(هذا انكار على من يحاج فيما لا علم له به)(٥).

والعلم اللازم للمحاور في أي قضية يشمل العلم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ في المسألة المختلف فيها والعلم بما ينقض الرأي المخالف لهما، ومعرفة الشبهات والرد عليها، وكذا العلم بحال الخصم ومنزلته وظروفه، والعلم بأدب المناظرة والحوار، فكل ذلك ضروري فيمن يتصدى لمسؤلية الحوار.

٣ - الإلتزام بأدب الحوار: فالمحاور المسلم منضبط في أقواله وافعاله، وفي كلامه وحركاته، بمنهج الكتاب والسنة، ومنها منهج الآداب والسلوك والأخلاق، فضلا عن أن الأدب في الحوار يضمن استمراره، وتحقيق ثمرته ويفتح قلب الطرف الآخر لقبول الحق والرجوع عن الباطل (٦)

---

١ - سبأ :٤٦

٢ - الحج:٨

٣ - آل عمران:٦٦

٤ - الجامع لأحكام القرآن (٧٠/٤)

٥ - ابن كثير (٣٧٢/١)

٦ - تقدم الكلام عن اهمية واهداف الحوار في المبحث الثاني من هذا الباب.

وبالجملة فهذه الشروط وغيرها يشدد فيها، ويتأكد توافرها في الحوارات المعدة والمرتبة ترتيبا مسبقا، أما إذا عرض الحوار من غير ترتيب مسبق، فعلى المسلم ألا يمتنع عنه إن رأى فيه المصلحة، ورأى في نفسه القدرة على ذلك حتى ولو لم تكتمل فيه الشروط، لأن الأصل تبليغ العلم ودعوة الناس إلى الهدى واقامة الحجة على المخالف.

ثانيا - المحاوَر (الطرف الآخر) : وهو إما أن يكون مسلما، فشروطه هي شروط المحاور السابقة، إلا أنه قد يكون معرضا أو مقصرا فيشترط ألا يلجأ إلى الحوار معه إلا بعد تجريب أُسلوب الحكمة والموعظة الحسنة، وبعد التأكد من أن الحوار لا يزيده إعراضا أو إصرارا وعنادا.

أما إذا كان المحاور غير مسلم أصلا كأن يكون كتابيا فهذا شرطه عدم الظلم لقوله تعالى : ﴿وَلَا تُجَادِلُوْا أَهْلَ الكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِيْ هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا مِنْهُمْ﴾(١) والمعنى : أن الذين ظلموا منهم لايجادلون بل ينتقل معهم إلى القتال(٢) أو أن الذين ظلموا منهم يجادلون مع الإغلاظ عليهم، ولايكون الجدال معهم بالحسنى (٣). وهذا مرده إلى المصلحة فمتى كان الجدال أجدى لزم ولو كان مع الإغلاظ والشدة، فإن لم يجد أو لم تكن المصلحة فيه أصلا فإنهم يقاتلون، وليس المقصود الإمتناع عن الحوار مع الظالمين منهم مطلقا واتخاذه منهجا مطردا فهذا يخالف منهج النبي ﷺ، فقد حاور اليهود في المدينة مع ظلمهم وكتمهم للحق، وتلبيسهم للحق بالباطل وحاور نصارى نجران، كما يخالف منهج علماء الأمة وسلفها الصالح الذين حاوروا وجادلوا الظلمة من أهل الكتاب(٤).

---

١ - العنكبوت:٤٦

٢ - انظر الطبري: (١/٢١)، ابن كثير (٤١٥/٣)

٣ - فتح القدير :(٢٠٥/٤)

٤ - رسالة الحوار مع أهل الكتاب. بتصرف ص١٧٧

وبالنظر إلى المتحاورين، فإنه يمكن تقسيم الحوار في القرآن إلى خمسة أصناف على النحو الآتي:

١ - حوار بين الله عز وجل وأحد من خلقه: كما في حواره مع الملائكة في خلق آدم (١) وحواره مع عيسى في آخر سورة المائدة (٢) ونحو ذلك.

٢ - حوار بين مؤمن وكافر: كما في حوار الرسل مع أقوامهم، وكما في قصة مؤمن آل فرعون (٣) وكما في حوار مؤمني الجن مع قومهم(٤).

٣ - حوار بين مؤمن ومؤمن: كما في قصة موسى مع الخضر(٥)، وقصة الملائكة مع داود(٦) ونحوها.

٤ - حوار بين الكفار : كما في تحاور فرعون مع الملأ حوله(٧)، وكما في تخاصم أهل النار(٨)(٩). ونحو ذلك.

٥ - حوار بين إنسان من البشر وحيوان : كما في قصة سليمان مع الهدهد(١٠)

ثالثا - موضوعات الحوار :

إن الضابط في الموضوع الذي ينبغي أن يتناوله الحوار هو ما يحقق هدفا مشروعا، ومصلحة معتبرة، وعليه فكل موضوع يؤدي إلى نتيجة منهي عنها، فلا يجوز طرحه للحوار.

---

١ - البقرة : (٣٠ -٣٢)

٢ - المائدة : ١١٦-١١٧

٣ - غافر : ٢٨-٤٤

٤ - الاحقاف : ٢٩ -٣٢

٥ - الكهف :٦٦-٨٢

٦ - ص :٢١-٢٤

٧ - الشعراء :٣٤ -٣٧

٨ - غافر : ٤٧ - ٤٨

٩ - سبأ : ٣١-٣٣

١٠ - النمل: ٢٠ -٢٨

ولاشك أن موضوعات الحوار في الكتاب والسنة، جاءت محققة للأهداف المشروعة، لذلك فإني أذكر ابرز تلك الموضوعات على سبيل المثال، وعلى وجه الإختصار :-

١ - الدعوة إلى التوحيد : فقد أخذ هذا الموضوع حيزا كبيرا من نصوص الكتاب والسنة، وكذا من نماذج الحوارات الواردة فيهما، وقد تعددت طرق طرحه فتارة يكون بالدعوة إلى توحيد الله وبيان أهمية ذلك التوحيد، وتارة يكون بالنهي والزجر عن الشرك والإلحاد، وأحيانا يكون حول إثبات وجود الخالق ووحدانيته، أو في ربوبيته وألوهيته... إلى غير ذلك، ويكون القصد هو الدعوة إلى توحيد الله والنهي عن الشرك، والأمثلة على هذا الموضوع كثيرة جدا أذكر منها:-

- محاجة إبراهيم عليه السلام للنمرود بن كنعان في إثبات ربوبية الله عز وجل، قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِيْ حَآجَّ إِبْرَاهِيْمَ فِيْ رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيْمُ رَبِّيَ الَّذِيْ يُحْيِيْ وَيُمِيْتُ قَالَ أَنَا أُحْيِيْ وَأُمِيْتُ، قَالَ إِبْرَاهِيْمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِيْ بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِيْ كَفَرَ وَاللَّهُ لاَيَهْدِيْ الْقَوْمَ الظَّالِمِيْنَ﴾(١).

- الحوار مع أهل الكتاب ودعوتهم إلى التوحيد كما في قوله تعالى :﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُوْنِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُوْلُوْا اشْهَدُوْا بِأَنَّا مُسْلِمُوْنَ﴾(٢).

ومثل ذلك حوار عيسى عليه السلام مع النصارى كما في الآية﴿وَقَالَ الْمَسِيْحُ يَا بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ اعْبُدُوْا اللَّهَ رَبِّيْ وَرَبَّكُمْ، إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِيْنَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾(٣).

---

١ - البقرة :٢٥٨

٢ - آل عمران :٦٤

٣ - المائدة :٧٢

- الحوار مع عيسى عليه السلام حول هذه القضية كما في قوله تعالى :﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُوْنِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَايَكُوْنُ لِيْ أَنْ أَقُوْلَ مَالَيْسَ لِيْ بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَافِيْ نَفْسِيْ وَلَا أَعْلَمُ مَا فِيْ نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوْبِ. مَاقُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِيْ بِهِ أَنِ اعْبُدُوْا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ.....الآية﴾(١)

- حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه آزر ودعوته إلى التوحيد، وترك عبادة الأصنام :﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيْمُ لِأَبِيْهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً ءَآلِهَةً إِنِّيْ أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِيْ ضَلَالٍ مُبِيْنٍ..﴾ ومن ثم محاجته لقومه كما في الآيات الآتية بعدها:﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّوْنِّيْ فِيْ اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ. وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُوْنَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّيْ شَيْئاً. وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيءٍ عِلْماً أَفَلَا تَتَذَكَّرُوْنَ. وَكَيْفَ أَخَافُ مَاأَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُوْنَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَالَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً، فَأَيُّ الْفَرِيْقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ..﴾(٢).

- اضافة إلى دعوة الرسل لأقوامهم، وبدئهم بأمر التوحيد، وإصرارهم على كلمة واحدة هي ﴿اعْبُدُوْا اللَّهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾(٣) كما هو واضح من قصصهم في سورة الأعراف وهود والشعراء وغيرها. ومن أبرز تلك الحوارات ماكان بين إبراهيم عليه السلام وقومه كما في سورة الأنبياء. قال تعالى :﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيْمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِيْنَ. إِذْ قَالَ لِأَبِيْهِ وَقَوْمِهِ مَاهَٰذِهِ التَّمَاثِيْلُ الَّتِيْ أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُوْنَ قَالُوْا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِيْنَ. قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِيْ ضَلَالٍ مُبِيْنٍ. قَالُوْا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِيْنَ. قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِيْ فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِيْنَ..﴾ الآيات (٤)

---

١ - المائدة :١١٦-١١٧

٢ - الأنعام: ٧٤-٨٣

٣ - الاعراف:٥٩،٦٥،٧٣،٨٥، وفي غيرها من السور.

٤ - الأنبياء:٥١-٥٦

أما الأمثلة من السنة فمنها : حديث معاذ المشهور وفيه : «هل تدرى ماحق الله على العباد ؟ قال قلت : الله ورسوله أعلم، قال:فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولايشركوا به شيئا.. الحديث »(١).

- ومثله حديث ضمام بن ثعلبة وفيه :«قال يامحمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم ان الله ارسلك، قال : صدق. قال : فمن خلق السماء ؟ قال : الله. قال: فمن خلق الارض ؟ قال الله، قال فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل ؟ قال: الله، قال: فبالذي خلق السماء وخلق الآرض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك ؟ قال : نعم... الحديث) (٢).

وغيرها من النصوص التي تدل على عناية الكتاب والسنة بهذا الموضوع، وطرحه في الحوار والمناقشة.

٢ - الرسل والرسالات : ومع الدعوة إلى التوحيد هناك حوارات وجدال طويل حول اثبات الرسالات والدعوة إلى تصديق الرسل، فما من نبي إلا ويجادله قومه حول هذه القضية، وينفون نبوته - إلا من رحم الله - ولذلك فقد أخذ هذا الموضوع حيزا من حوارات الرسل ومن نماذجه:-

- مجادلة قوم نوح عليه السلام : قال تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ، قَالَ المَلأُ مِنْ قَومِهِ إِنَّا لنَرَاكَ فِيْ ضَلَالٍ مُبِيْنٍ. قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِيْ ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُوْلٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِيْنَ. أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَالَا تَعْلَمُوْنَ. أَوَ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجِلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوْا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُوْنَ...﴾(٣). فواضح من الآيات أن أكثر الحوار كان حول إثبات أنه رسول من رب العالمين، وكذلك فيه الدعوة إلى التوحيد.

---

١ - البخاري كتاب العلم ١٢٨ ، مسلم كتاب الإيمان (٥٨/١) رقم ٤٨

٢ - البخاري كتاب العلم :٦٣ ، النسائي كتاب الصوم (١٢٢/٤) رقم ٢٠٩٢.

٣ - الاعراف : ٥٩-٦٣

- مجادلة قوم هود عليه السلام:

قال تعالى ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ • قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ • قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ • أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ • أَوَ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ، وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً، فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ••• ﴾ الآيات(١)•

وواضح أيضا من خلال الآيات تأكيد هود عليه السلام على أنه رسول من رب العالمين، وأن مهمته هي إبلاغ الرسالة والنصح لأمته مع مافي الآيات من الدعوة إلى التوحيد كذلك•

- وكذلك الحال في مجادلة قوم صالح عليه السلام : إذ أنه دعاهم إلى التوحيد وإلى الايمان به فكان جوابهم عليه ماذكره الله في قوله : ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ • قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ • فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَاصَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ • فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَاتُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ (٢)

- ومن أقوى الحوارات وأطول الجدالات ماجاء في قصة موسى عليه السلام مع فرعون، ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَافِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، حَقِيقٌ عَلَىٰ أَلَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ •••• ﴾ الآيات(٣)

---

١ - الاعراف : ٦٥-٧٢

٢ - الاعراف :٧٥ - ٧٩

٣ - الاعراف :١٠٤-١٠٦

إلى غير ذلك من قصص الأنبياء وحواراتهم مع أقوامهم حول الموضوع نفسه، مع ملاحظة أن هذه الآيات هي ماجاء في سورة الأعراف فقط، وهناك مثلها - وفي الموضوع نفسه - في سور أخرى كسورة هود والشعراء والأنبياء وغيرها.

أما من السنة فالنصوص متعددة في إثبات الرسالة، لأن كل حوار مع المشركين مرده إلى إنكار النبوة والرسالة ومن الأمثلة :

- ماجاء عن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيْرَتَكَ الأَقْرَبِيْنَ﴾ (١) خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف : ياصباحاه، فقالوا : من هذا الذي يهتف ؟ فقالوا : محمد، فاجتمعوا اليه، فقال : يابني فلان يا بني فلان، يا بني عبدالمطلب ، يا بني عبد مناف، فاجتمعوا إليه، فقال: أرأيتكم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي ؟ قالوا ماجربنا عليك كذبا، قال : فإنّي نَذيْرٌ لكُم بَيْنَ يَدَي عَذَابٍ شَدِيْدٍ، فقال أبو لهب تبا لك، ما جمعتنا إلا لهذا ؟ ثم قام فنزلت ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِيْ لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (٢)(٣).

ففي هذا الحدث وما دار فيه من حوار دعوة واضحة إلى الايمان بالنبي ﷺ وتصديقه في رسالته.

- ويصلح مثالا لهذا ايضا ما تقدم من حديث ضمام بن ثعلبة وفيه قول ضمام للنبي ﷺ: أسألك بربك ورب من قبلك آلله أرسلك إلى الناس كلهم ؟ فقال : اللّهُمَّ نَعَمْ... الحديث » (٤)

ومثله حديث أبي جري جابر بن سليم حيث قال : رأيت رجلا يصدر الناس عن رأيه، لايقول شيئا إلا صدروا عنه. قلت : من هذا ؟ قالوا : هذا رسول الله ﷺ - قلت : عليك السلام يارسول الله، مرتين ، قال : لاتقل عليك السلام فإن عليك

---

١ - الشعراء :٢١٤

٢ - المسد :١

٣ - الطبري : (١٢١/١٩)،وأخرجه البخاري التفسير:٤٧٧٠، ومسلم كتاب الإيمان (١٩٤/١) رقم٣٥٥ والترمذ ي كتاب التفسير (٤٥١/٥) رقم٣٣٦٣.

٤ - تقدم تخريجه آنفا (انظر ص٥٦)

السلام تحيّةُ المَيّتِ، قُلْ: السَّلامُ عَلَيْكَ . قال : قلت : أنت رسول الله ؟ قال: أنا رَسُولُ اللّهِ الّذي إِذا أَصابَكَ ضُرٌ فَدَعَوْتَهُ كَشَفَهُ عَنْكَ، وَإِنْ أَصابَكَ عَامُ سَنَةٍ فَدَعَوْتَهُ أَنْبَتَها لَكَ وَإِذا كُنْتَ بِأَرْضٍ قَفْرَاءَ وَفَلاةٍ فَضَلَّتْ رَاحِلَتُكَ فَدَعَوْتَهُ رَدَّها عَلَيْكَ.... الحديث »(١)

إلى غير ذلك من النماذج والأمثله التي تشير إلى أن موضوع الرسل والرسالات كان من أهم موضوعات الحوار في الكتاب والسنة.

٣ - البعث : لقد أخذ موضوع البعث واليوم الآخر اهتماما كبيرا وحجما واسعا في نصوص الكتاب والسنة، وذلك لعلاقته المباشرة بالتوحيد والإيمان بالله ولكثرة اعتراض المشركين عليه وانكارهم له ،والآيات في هذا الموضوع اكثر من أن تحصر، فلا تكاد تخلو سورة مكية من التعرض لهذا الموضوع باسلوب أو بآخر، كما في سورة الانعام ويونس والنحل والاسراء ومريم والمؤمنون والنمل والروم والسجدة ويس والصافات وقّ ، هذا عدا السور التي سميت باسم يوم القيامة كالواقعة والتغابن والحاقة والقيامة والغاشية والزلزلة والقارعة، وعدا السور التي كان موضوعها الرئيسي هو هذا الموضوع،كالمعارج والنبأ والتكوير والإنفطار والإنشقاق والطارق والتكاثر ونحو ذلك.

ومن نماذج الحوار في هذا الموضوع :

قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَقَالُواأَإِذَاكُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيْداً قُلْ كُونُوْا حِجَارَةً أَوْ حَدِيْداً أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيْدُنَا قُلْ الّذِي فَطَرَكُمْ أَوّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُوْنَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهم وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ. قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيْباً يَوْمَ يَدْعُوكُم فَتَسْتَجِيْبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّاقَلِيْلاً﴾(٢)

---

١ - أخرجه أبو داود : كتاب اللباس (٤/٥٥) رقم ٤٠٨٤، الترمذي كتاب الإستئذان (٥/٧٢) رقم ٢٧٢٢(انظر صحيح ابي داودللألباني رقم ٣٤٤٢)

٢ - الإسراء: ٤٩ - ٥٢

- وكذا ماجاء في قوله تعالى : ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِيْنٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيْمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنْ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُم مِنْهُ تُوقِدُونَ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ. بَلَىٰ وَهُوَ الخَلاَّقُ العَلِيْمُ...﴾ الى آخر السورة(١).

وقد ورد في سبب نزول هذه الآيات ما يوضح القضية وملابساتها، حيث (قال مجاهد وعكرمة وعروة بن الزبير والسدى وقتادة: جاء أبي ابن خلف لعنه الله إلى رسول الله ﷺ وفي يده عظم رميم وهو يفته ويذروه في الهواء وهو يقول : يامحمد أتزعم أن الله يبعث هذا ؟ قال ﷺ : «نعم يميتك الله ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار ونزلت هذه الآيات من آخر سورة يس...)(٢)

وذكر الطبري عن سعيد بن جبير قال : (جاء العاص بن وائل السهمي إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل ففته بيديه، فقال : يامحمد أيبعث الله هذا حيا بعدما أرم! قال: نعم يبعث الله هذا، ثم يميتك ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم قال: ونزلت الآيات) (٣).

- ومثله ما تكرر من تعجب المشركين من أمر البعث ، وجدالهم فيه كما في سورة الصافات حيث قال تعالى :﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِيْنٍ لاَزِبٍ. بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ وَإِذَا ذُكِّرُوا لاَيَذْكُرُوْنَ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُوْنَ. وَقَالُوْا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِيْنٌ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوْثُونَ أَوَءَآبَاؤُنَا الأَوَّلُوْنَ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُوْنَ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَاهُمْ يَنْظُرُوْنَ..﴾(٤).

---

١ - يس :٧٧-٨١

٢ - ابن كثير (٣/٥٨١) وانظر الرواية التي بعدها.

٣ - الطبري: (٢٣/٣٠-٣١)، ورواه الحاكم كتاب التفسير (٢/٤٢٩) وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

٤ - الصافات:١١-١٩

وفي السورة نفسها تذكر قصة القرين المنكر للبعث قال سبحانه : ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِيْنٌ· يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ المُصَدِّقِيْنَ· أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَدِيْنُونَ· قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ، فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الجَحِيْمِ· قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدتَ لَتُرْدِينِ· وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ المُحْضَرِينَ· أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِيْنَ إِلَّا مَوْتَتَنَا الأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِيْنَ· إِنَّ هَذَا لَهُوَ الفَوْزُ العَظِيْمُ · لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ العَامِلُونَ·﴾(١)·

إلى غير ذلك من النماذج والأمثلة، ويكفي لبيان حجم هذا الموضوع أن نعلم أن القرآن قد ركز على أربعة أدلة (٢) رئيسية لاثبات البعث كثيرا ماتكرر في ثنايا السور، وخاصة المكية· وهذه الإستدلالات الأربعة هي :-

١ - الإستدلال بخلق السموات والارض وما فيهما، إذ أن الذي خلق هذه الأجرام العظيمة قادر على أن يخلق الإنسان الضعيف الصغير كما قال سبحانه :﴿ لَخَلْقُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَايَعْلَمُونَ﴾(٣)

٢ - الإستدلال بإحياء الأرض الميتة: وأن الذي أحياها هو الذي يحيى الموتى، والذي يخرج منها النبات هو الذي يخرج الناس من قبورهم كما قال سبحانه : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَىٰ الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِيْ أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ﴾(٤) ومثلها قوله سبحانه :﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ﴾(٥)

---

١ - الصافات:٥١-٦١

٢ - انظر أضواء البيان للشنقيطي والتتمة لعطية سالم (٧/٩)

٣ - غافر:٥٧

٤ - فصلت:٣٩

٥ - الاحقاف:٣٣

وكذلك قال عز وجل عن نزول الماء من السماء ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ (١).

٣ - الإستدلال بالخلق الأول، وأن الذي خلق الإنسان أول مرة قادر على أن يخلق مرة أخرى، بل إعادة الخلق أهون كما قال سبحانه ﴿وَهُوَ الَّذِيْ يَبْدَؤُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾(٢) وقال عز وجل : ﴿أَفَعَيِيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ. بَلْ هُمْ فِيْ لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيْدٍ﴾(٣)

٤ - الإستدلال بإحياء الموتى بالفعل في الدنيا، وأن الذى فعل ذلك أمامكم وأحيا بعض الموتى قادر على أن يحي الناس كلهم في الآخرة، كما في قصة قتيل بني إسرائيل (٤)، وقصة عزير (٥) وطيور إبراهيم عليه السلام(٦)وكلها في سورة واحدة، ومنه نوم الإنسان ثم بعثه كما في قوله عز وجل ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالْنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيْهِ﴾(٧) . ومن الأمثلة كذلك ماجاء في سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً﴾(٨) حيث صح من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه قال : (جئت العاص بن وائل السهمي اتقاضاه حقا لي عنده، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد، فقلت : لا، حتى تموت ثم تبعث. قال :وإني لميت ثم مبعوث ؟ قلت نعم ، قال: إن لي هناك مالا وولدا فأقضيك فنزلت الآية) (٩). والأمثلة كثيرة متعددة، واكتفي بما ذكرت خشية الإطالة.

----

١ - قٓ :١١:
٢ - الروم:٢٧
٣ - قٓ :١٥:
٤ - البقرة :٧٢-٧٣
٥ - البقرة :٢٥٩
٦ - البقرة :٢٦٠
٧ - الأنعام :٦٠
٨ - مريم :٧٧
٩ - اخرجه البخاري كتاب التفسير رقم٤٧٣٢،الترمذي : كتاب التفسير (٣١٨/٥) رقم٣١٦٢

٤ - موضوعات مختلفة : اضافة إلى تركيز الكتاب والسنة على الموضوعات السابقة،فإن هناك حوارات متعددة حول موضوعات مختلفة متفرقة، وسأضرب بعض الأمثلة من القرآن ، وأما بالنسبة للسنة فإن أمثلتها لاتحصر، وسيأتي ذكر كثير منها في ثنايا البحث، ومن أمثلة القرآن :

حوار الله مع الملائكة في خلق آدم عليه السلام : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَالاَ تَعْلَمُونَ﴾ ٠٠٠إلى قوله:﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَ مَاكُنْتُمْ تَكْتُمُوْنَ﴾(١)٠

- قصة الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى ، وحوارهم الطويل مع نبيهم حول القتال في سبيل الله (٢)

حوار صاحب الجنتين كما في سورة الكهف قال تعالى :﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً ٠ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ٠٠٠٠﴾ الآيات(٣)

حوار موسى مع الخضر كما في السورة نفسها (٤)

حوار مؤمن آل فرعون مع قومه، ودعوتهم إلى الايمان، مع الدفاع عن موسى عليه السلام، كما في سورة غافر (٥) إلى غير ذلك من الموضوعات والأمثلة والنماذج المتعددة٠

---

١ - البقرة : ٣٠-٣٣

٢ - البقرة:٢٤٦-٢٤٩

٣ - الكهف :٣٢-٤١

٤ - الكهف :٦٦-٨٢

٥ - غافر :٢٨-٤٤

المبحث الرابع : الكلمة الطيبة وعلاقتها بالحوار

حيث إن الحوار يغلب عليه الهدوء، والرغبة في التوصل إلى الحق، والبعد عن الخصومة والعناد، فالواجب أن يختار له أطيب الكلام والينه، مما يكون مفتاحا للقلوب، واقرب إلى القبول والتسليم، وكما قيل: "القول اللين يغلب الحق البين"(١) فربما كانت الكلمة الطيبة، وحسن العبارة وطيب القول عاملا اساسيا في نجاح الحوار والوصول إلى نتيجته، وقطف ثمرته، كما أن سوء العبارة وفحش القول وبذاءة اللسان - في الغالب - سبب في فشل الحوار، وعدم التوصل إلى الهدف منه، لذلك كان لابد من بيان مبدأ الكلم الطيب، وتقديم التي هي احسن لعلاقته الوطيدة بأدب الحوار وذلك من خلال النصوص المستفيضة في تقرير هذا المبدأ في الكتاب والسنة.

فمن ذلك قول الله - سبحانه - مخاطبا بني إسرائيل ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾(٢)

أي قولوا لهم قولا حسنا وكلموهم طيبا ولينوا لهم جانبا ويشمل ذلك كل خلق حسن رضيه الله (كما ذكره ابن كثير) ويشمل كل خير وحسن ومنفعة، كلين القول والصدق والنصيحة (٣)٠

قال الحسن : لين القول من الأدب الحسن الجميل، والخلق الكريم، وهو مما ارتضاه الله وأحبه (٤)٠

وقال محمد بن علي بن الحسين في معنى الآية : كلموهم بما تحبون أن يقولوا لكم(٥) ٠ وقد ضرب الله للكلمة الطيبة مثلا بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل، والتي تؤتي ثمارها باستمرار، فكلمة الخير تثمر الخير دائما (سواء كان المقصود بها كلمة التوحيد، أو كل كلمة خير طيبة)

---

١ - ليس هذا على الملاءمة وإن كان المعنى له نصيب من الصحة في الواقع المشاهد .

٢ - البقرة :٨٣

٣ - انظر : ابن كثير (١/١٢٠)، مختصر المنار (١/٧١)، فتح القدير (١/١٠٨)

٤ - الطبري (١/٣٩٢)

٥ - زاد المسير (١/١١٠)

فقال سبحانه :﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِيْنٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ٠٠٠﴾(١)٠

(عن عطية العوفي قال : ذلك مثل المؤمن، لايزال يخرج منه كلام طيب، وعمل صالح يصعد اليه)(٢)٠قال في الكشاف : والكلمة الطيبة كلمة التوحيد، وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والإستغفار والتوبة والدعوة(٣) كما وصف الله عباده المؤمنين الذين يدخلهم الجنة بقوله عز وجل ﴿وَهُدُوْا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُواْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيْدِ﴾(٤) فالهداية إلى الطيب من القول والهداية إلى صراط الحميد تذكر في مشهد النعيم الدائم في الآخرة فهي نعمة الطمأنينة واليسر والتوفيق(٥)٠

ولما للكلمة الطيبة، والقول الحسن من أثر في النفوس، ووقع في القلوب، وابعاد عن نزغ الشيطان وإيقاعه بين المؤمنين أمر الله عباده ان يدفعوا بالتي هي أحسن ويقدموها قال تعالى :﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوْا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُبِيْناً﴾(٦)، وقال تعالى :

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُوْنَ٠ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِيْنِ﴾(٧) ومثلها قول الله تعالى : ﴿وَلاَ تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيْمٌ٠ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِيْنَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُوْ حَظٍ عَظِيْمٍ٠ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ﴾(٨)

---

١ - ابراهيم :٢٤-٢٥

٢ - الطبري : (٢٠٤/١٣) ، زبدة التفسير من فتح القدير : ص٣٣٣

٣ - الكشاف :(٣٧٩/٢)

٤ - الحج :٢٤

٥ - الظلال (٢٤١٥/٤)

٦ - الاسراء:٥٣

٧ - المؤمنون:٩٦- ٩٧

٨ - فصلت : ٣٤-٣٦

ومجمل معنى الآيات الثلاث أن الله يأمر عباده أن يقول بعضهم لبعض التي هي أحسن من المحاورة والمخاطبة، (روى مبارك عن الحسن قال : « التي هي أحسن» أن يقول له مثل قوله، ولكن يقول له : يرحمك الله، ويغفر الله لك)(١)٠ وأن يدفعوا إساءة المسيىء بالصفح، والفحش بالسلام، والمنكر بالموعظة، والغضب بالصبر، فإذا فعلوا ذلك صار الذي بينهم وبينه عداوة - من ملاطفته وبره - كالصديق القريب٠ قال ابن كثير: (قال عليّ بن أبي طلحة: عن ابن عباس قال: أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم)(٢)٠

وقال سيد قطب تفسيراً لقوله تعالى : ﴿وَقُلْ لِعِبَادِيْ يَقُوْلُوْا الَّتِيْ هِيَ أَحْسَنُ﴾ على وجه الإطلاق وفي كل مجال فيختاروا أحسن مايقال ليقولوه، بذلك يتقون أن يفسد الشيطان ما بينهم من مودة فالشيطان ينزغ بين الإخوة بالكلمة الخشنة تفلت، وبالرد السيىء يتلوها، فإذا جو الود والمحبة والوفاق مشوب بالخلاف ثم بالجفوة ثم بالعداء٠ والكلمة الطيبة تأسوا جراح القلوب، تندي جفافها، وتجمعها على الود الكريم٠ ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوّاً مُبِيْناً﴾ يلتمس سقطات فمه وعثرات لسانه، فيغرى بها العداوة والبغضاء بين المرء وأخيه٠ والكلمة الطيبة تسد عليه الثغرات وتقطع عليه الطريق وتحفظ حرم الأخوة آمنا من نزغاته ونفثاته(٣)٠ بل إن الله سبحانه وتعالى امر بتقديم التي هي أحسن حتى في الجدال الذي غالبا ماتكون فيه الخصومة والعناد، ذلك أن الرفق في الموعظة كثيرا مايهدى القلوب الشارده، ويؤلف القلوب النافرة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ(٤)٠

---

١ - زاد المسير (٤٧/٥)

٢ - انظر : ابن كثير (١٠١/٤)

٣ - الظلال (٢٢٣٤/٤)

٤ - الظلال (٢٢٠٢/٤)

قال تعالى : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾(١)٠ قال ابن كثير :(أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن، برفق ولين وحسن خطاب٠٠٠٠) الخ (٢)٠ونهى عن جدال أهل الكتاب من اليهود والنصارى - اعداء هذا الدين - إلا بالجميل من القول لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة٠(٣) فقال سبحانه: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا مِنْهُمْ ﴾(٤) ٠

عن مجاهد قال في معنى الآية :إن قالوا شرا فقولوا خيرا، إلا الذين ظلموا منهم فانتصروا منهم(٥)٠ ويكفينا دليلا على أهمية الكلمة الطيبة، وضرورة القول اللين، وخاصة في أمر الدعوة والخطاب، أن الله امر بها موسى وهارون - عليهما السلام - في مواجهة الطاغية فرعون : ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾(٦)٠

والآيات في هذا المعنى متعددة، واما تقرير ذلك في السنة فقد جاء عن طريقين

احدهما : الأمر بها والحث عليها وبيان فضلها من خلال أقواله ﷺ٠

وثانيهما : تطبيق ذلك عمليا من خلال معاملته ومعاشرته ﷺ٠

فمن الأول قوله ﷺ : «والكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ » (٧)

وقوله « اتقُوْا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ »(٨)

---

١ - النحل :١٢٥

٢ - ابن كثير (٥٩١/٢)

٣ - الطبري : (١/٢١)، زبده التفسير ص ٥٢٧

٤ - العنكبوت: ٤٦

٥ - الطبري (١/٢١)

٦ - طه : ٤٤

٧ - جزء من حديث طويل متفق عليه (البخاري كتاب الجهاد رقم٢٨٩١،مسلم كتاب الزكاة ٦٩٩/٢ رقم ٥٦)٠

٨ - متفق عليه (البخاري كتاب الآدب رقم٦٠٢٣، مسلم كتاب الزكاة (٧٠٤/٢) رقم ٦٨٠

(قال ابن بطال : طيب الكلام من جليل عمل البر٠)

وقال ايضا :(وجه كون الكلمة الطيبة صدقة أن إعطاء المال يفرح به قلب الذي يعطاه ويذهب ما في قلبه، وكذلك الكلام الطيب فأشتبها من هذه الحيثية)(١) فقد جعل النبي - عليه السلام - الكلمة الطيبة وسيلة للوقاية من النار، كما جعلها في مقام الصدقة المحسوسة بالمال، وهذا يدل على أهميتها وأثرها البالغ في النفوس٠ كما جعل الأصل بالنسبة للمسلم ألا يتكلم إلا إذا كان الكلام خيرا أو طيبا وإلا فالصمت أولى وأسلم، فعن أُبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :«مَنْ كانَ يُؤمنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيقُلْ خَيْراً أو لِيَصْمُتْ»(٢)

- وحيث إن طلاقة الوجه وانبساطه وبشاشته من القول الحسن والخلق الجميل وله أثره الملموس في موضوع الحوار، وقد أشار إليه النبي ﷺ وجعله من الصدقة والمعروف فقال :« لاتَحقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيئًا ولَوْ أَنْ تَلقَ أخَاكَ بِوجْهٍ طَلِيْقٍ»(٣)

- وقال أيضا : «وتَبَسُّمُكَ فِي وجْهِ أَخِيْكَ صَدقَةٌ»(٤)٠

وهو الذي يقول عنه عبدالله بن الحارث بن جزء: (مارأيت أحداً أكثر تبسما من رسول الله ﷺ) (٥)٠ (وقد ذكر الذهبي في ترجمة ابن قدامة قال: قال الضياء كان الموفق لا يناظر أحدا إلا وهو يبتسم)(٦)٠

---

١ - الفتح : (٤٤٨/١٠)

٢ - أخرجه البخاري كتاب الأدب رقم٦٠١٨، مسلم كتاب اللقطة (١٣٥٣/٣) رقم١٤، الترمذي كتاب البر (٣٤٥/٤) رقم١٩٦٧، ابن ماجة الأدب (١٢١١/٢)رقم٣٦٧٢

٣ - اخرجه مسلم كتاب البر (٢٠٢٦/٤) رقم١٤٤، الترمذي كتاب البر (٣٤٧/٤) رقم١٩٧٠٠

٤ - أخرجه الترمذي كتاب البر (٣٣٩/٤) رقم١٩٥٦(وصححه الألباني برقم١٦٠٥)

٥ - اخرجه الترمذي كتاب المناقب (٦٠١/٥ رقم٣٦٤١، احمد(١٩٠/٤)

٦ - سير أعلام النبلاء (١٧٠/٢٢)

- وأماماورد من فعله وحسن معاملته ولين قوله وطيب كلامه ﷺ فهو كثير جدا ويكفي ذكر بعض الأمثلة هنا، وستأتي في ثنايا البحث نماذج أخرى بمشيئة الله تعالى:

- الحديث الأول : حديث عائشة في لعن اليهود قالت : دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا : السام عليكم . قالت عائشة : ففهمتها فقلت : وعليكم السام واللعنة. قالت : فقال رسول الله ﷺ «مَهْلاً ياعَائِشَةَ، إنَّ اللهَ يُحبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمرِ كُلِّهِ. فقلت: يارسول الله، أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ : قَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُم»(١)

- الحديث الثاني : حديث الأعرابي الذي بال في المسجد: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (دخل أعرابي المسجد ورسول الله ﷺ جالس. فقال: اللهم اغفر لي ولمحمد ولاتغفر لاحد معنا، فضحك رسول الله ﷺ وقال :«لقد احتظرت واسعا » ثم ولى حتى إذا كان في ناحية المسجد فشج يبول. فقال الأعرابي بعد أن فقه: فقام إلي بأبي وأمي. فلم يؤنب ولم يسب فقال :«إنَّ هَذَا المسْجِدَ لايُبَالُ فِيْهِ وإنَّمَا بُنِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ وَللصَّلاَةِ» ثم أمر بسجل من ماء فأفرغ على بوله)(٢)

قال ابن حجر رحمه الله : (وفيه الرفق بالجاهل وتعليمه مايلزمه من غير تعنيف إذا لم يكن ذلك منه عنادا، ولاسيما إن كان ممن يحتاج إلى استئلافه. وفيه رأفة النبي ﷺ وحسن خلقه) (٣).

---

١ - اخرجه البخاري كتاب الأدب رقم٦٠٢٤، الترمذي كتاب الإستئذان (٥/٦٠) رقم (٢٧٠١)

٢ - اخرجه البخاري في كتاب الوضوء رقم ٢٢٠، ابن ماجة كتاب الطهارة (١/١٧٦) رقم (٥٢٩)
(ومعنى فشج : أي فرج بين رجليه، يقال فشج البعير: إذا فرج بين رجليه للبول (انظر التعليق على صحيح مسلم : ٤/٢٢٠٥)

٣ - الفتح : (١/٣٢٥)

الحديث الثالث: حديث معاوية بن الحكم وفيه قال : وبينا أنا مع رسول الله ﷺ في الصلاة، إذ عطس رجل من القوم فقلت : يرحمك الله، فحدقني القوم بأبصارهم، فقلت : واثكل أمياه، مالكم تنظرون إلي ؟ قال : فضرب القوم بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يسكتوني، لكني سكت. فلما انصرف رسول الله ﷺ دعاني بأبي وأمي هو، ما ضربني ولا كهرني ولا سبني ما رأيت معلما قبله ولابعده أحسن تعليما منه ، قال : «إِنَّ صَلَاتَنَا هَذِه ، لايَصْلُحُ فِيهَا شَيءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَسبِيحُ والتَكْبِيرُ وَتِلَاوَةُ القُرْآنِ»(١)

ولعل هذه الأحاديث كافية في بيان المقصود من لين قوله وطيب كلامه ﷺ فهو يأمر عائشة بالرفق في القول حتى مع اليهود، بل حتى وهم يسبون ويؤذون فلا يرضى بالشتم ولا يقر الفحش في القول ، فلم يكن ﷺ فاحشا ولا متفحشا، وهو يرفق بالأعرابيين غاية الرفق، فلا يسب ولا يزجر بل يعلم بالكلم الطيب وينهى اصحابه عن الزجر والشدة، ويأمرهم بالتخفيف والتيسير مطلقا حيث كان يقول : «يسِّرُواْ وَلَا تُعَسِّروا ، وَبشِّرُواْ وَلَا تُنَفِّرُوا ...»(٢) وفي المقابل فقد حذر ﷺ ونهى عن الفحش وبذاءة اللسان لما له من الأثر السيء على المجتمع المسلم فقد قال ﷺ :«ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ، ولا البذيء»(٣) ومعلوم خطر سيء الكلام، وفحش القول، فربما كانت كلمة سيئة أو قولة غير مسئولة سببا في مصائب عظام، أو طريقا إلى الدمار، كما قال الشاعر :

فإن النار بالعودين تذكى　　　وإن الحرب مبدؤها كلام

ولذلك فقد قال ﷺ : «ماكان الفحش في شيء إلا شانه، وماكان الحياء في شيء إلا زانه »(٤)

فليحذر المحاور كل الحذر من زلات اللسان، وسقطات الكلام، فقد تؤدي بحواره إلى الفشل والضياع.

ومن خلال عرض الآيات والأحاديث السابقة تبين ما للكلمة الطيبة من أهمية وخصوصافي موضوع الحوار الهادىء الذي يرجى منه الوصول الى الحق.

---

١ - أخرجه مسلم:كتاب المساجد (٣٨١/١) رقم ٣٣، أبو داود : كتاب الصلاة (٢٤٢/١) رقم ٩٣٠، النسائي في كتاب السهو (١٤/٣) رقم١٢١٨.

٢ - أخرجه البخاري : كتاب العلم ٦٩، مسلم : كتاب الجهاد (١٣٥٨/٣) رقم ٦

٣ - أخرجه الترمذي : كتاب البر (٣٥٠/٤) رقم ١٩٧٧، أحمد: (٤٠٥/١)

٤ - أخرجه الترمذي : كتاب البر(٣٤٩/٤) رقم١٩٧٤، ابن ماجة كتاب الزهد(١٤٠٠/٢) رقم٤١٨٥، أحمد : (١٦٥/٣)

المبحث الخامس : في الكلام عن الخلاف وأنواعه وبيان علاقته بالحوار

وسأبين في هذا المبحث القضايا الآتية :-

١ - علاقة الخلاف بالحوار، وبيان أنه لاحوار إلا مع وجود خلاف حقيقي أوصوري

٢ - أنواع الخلاف

٣ - أسباب الخلاف

٤ - في ضرورة وجود الخلاف مع التحذير منه، والتوفيق بين ذلك٠

١- أما عن الخلاف فإن من سنن الله عز وجل في خلقه، أن جعلهم مختلفين، فوقوع الخلاف أمر مسلم به بين كل البشر، فهم مختلفون في ألسنتهم وألوانهم وطبائعهم، وفي مدركاتهم وفي عقولهم وأفهامهم وأشكالهم،(١) قال تعال:﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾(٢)٠ قال الرازي :(والمراد افتراق الناس في الأديان والأخلاق والأفعال)(٣)٠ ولكن من رحمة الله عز وجل أنه على رغم وجود التباين وقابلية الناس للإختلاف إلا أن طريق الحق واضح أبلج (فقد بعث الله رسوله محمدا ﷺ بالهدى ودين الحق، فبين هذا الدين بيانا شافيا كافيا لايحتاج بعده إلى بيان، لان الهدى بمعناه ينافي الضلالة بكل معانيها، ودين الحق بمعناه ينافي كل دين باطل لا يرتضيه الله عز وجل)(٤)٠ وجعل الله عز وجل الرد إليه وإلى رسوله عند التنازع والإختلاف، وعنئذ ينتهي الخلاف وينفض التنازع، قال تعالى:﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾(٥)

---

١ - أدب الخلاف: (د.صالح بن حميد ص١٢ بتصرف)

٢ - هود :١١٨-١١٩

٣ - الرازي: (٥/٩٧)

٤ - الخلاف بين العلماء لابن عثيمين: ص٥

٥ - النساء:٥٩

وقد تقدم قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (فإذا تنازع المسلمون في مسألة وجب رد ماتنازعوا فيه إلى الله والرسول ﷺ، فأي القولين دل عليه الكتاب والسنة وجب اتباعه... وقال في موضع آخر: وهذا لأن الناس لايفصل بينهم النزاع إلا كتاب منزل من السماء، وإذا ردوا إلى عقولهم فلكل واحد منهم عقل)(١). وحث إن الخلاف هو(منازعة تجرى من المتعارضين لتحقيق حق، او لإبطال باطل)(٢) فمتى وجد نوع من الخلاف حقيقيا كان أو صوريا، فإن في الغالب ينتج عنه الحوار والمناقشة الذي بواسطته يحسم الخلاف، فكل قضية تطرح للحوار والمناظرة، فلابد وأن يوجد فيها خلاف أصلا، وهذا يبين أهمية الحوار والجدال والمناظرة، إذ بدونها ينمو الخلاف ويستمر التنازع، فينتج الفشل، ويظهر التنافر، ومن هنا تظهر العلاقة الوثيقة بين الخلاف والحوار،ويظهر أهمية الكلام عن الخلاف عند طرق موضوع الحوار وآدابه، وكذلك فإن (الإحاطة بمواطن الخلاف في القضية المطروحه والإلمام بأنواع الإختلاف، ومايجوز فيه وما لايجوز، مهم للمحاور حتى لاتتسع دائرة الخلاف فتحصل الفرقة والتناحر حول مسألة قد يسع فيها الخلاف والإجتهاد، وكذلك الإلمام بأسباب الإختلاف بين علماء الأمة واعذارهم في ذلك يقرب من العدل والإنصاف وإحتمال المخالف)(٣).

٢ - أما أنواع الخلاف فيمكن تقسيمه إلى ثلاثة أنواع على النحو التالي :-

أ - خلاف محمود ممدوح : وهو ما أملاه الحق، وقصد به احقاق الحق، وابطال الباطل، كمخالفة المشركين وأهل الكتاب والرد على أهل البدع والفسوق والمجون، والتصدي لأهل الزيغ والنفاق والضلال، والوقوف أمام هجمات الملحدين والمستشرقين والعلمانيين وغيرهم.فإن مخالفة أولئك مطلب شرعي،

---

١ - انظر الفتاوى: (٣٤٧/٣، ١٦٣/٢٠) وانظر معالم الانطلاقة الكبرى لمحمد المصري ص٦٥-٧٨

٢ - أدب الخلاف : ص١٢

٣ - رسالة «قل إنما أعظكم بواحدة» ص٣٥.

والرد عليهم واجب ديني، وموافقتهم والتآلف معهم محرم ممقوت(١)
ب - خلاف مذموم : وهو ما أملاه الهوى، وكان بالباطل لدحض الحق ولإحقاق الباطل، كما هو حال أهل البدع والأهواء ومجادلتهم لأهل السنة، وتعمدهم مجانبة الصواب، فإن الخلاف الواقع منهم خلاف مذموم باطل لايقره الشرع، إذ الواجب اتباع الحق، والبعد عن التعصب والهوى، وهو ماعبر عنه الإمام الشافعي «بالإختلاف المحرم» وبينه بقوله : (كل ما أقام الله به الحجة في كتابه أو على لسان نبيه منصوصا بينا، لم يحل الإختلاف فيه لمن علمه)(٢)٠
ج - خلاف سائغ جائز : وهو ما كان في فرعيات تقبل الإجتهاد، وقابلة للنقاش، كإختلاف الفقهاء والعلماء في المسائل الإجتهادية فهذا جائز مالم يخرج عن حده، أو يؤدى إلى الفرقة والتنازع، ويدخل تحت هذا النوع ما سمي باختلاف التنوع وهو على نوعين : [احدهما : ان يعبر كل واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه، تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى٠ وثانيهما : ان يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر](٣)٠
٣ - وأما الكلام عن أسباب الخلاف فإنه طويل جدا٠ وقد كتب فيه العلماء قديما وحديثا، لذلك فسأضطر إلى الإختصار فيه، والاقتصار على أبرز الأسباب، وقبل ذلك أذكر ببعض القواعد المهمة في هذا الجانب فمنها :-
(١) - [ان الإيمان الحق والاعتصام بدين الله تعالى المنزل، كما أنزله يقتضي الوحدة والإتفاق، وترك الإهتداء به يورث الإختلاف والشقاق، قال تعالى:﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَاءَآمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾(٤) وقال سبحانه : ﴿وَإِنَّ الَّذِيْنَ اخْتَلَفُواْ فِي الْكِتَابِ لَفِيْ شِقَاقٍ بَعِيْدٍ﴾(٥)] (٦)

---

١ - انظر : الرد على المخالف د٠ بكر أبوزيد ص٤٧، أدب الخلاف لابن حميد ص١٥،أدب الإختلاف في الإسلام٠ د٠ طه جابرص٣٠
٢ - الرسالة للشافعي : ص٥٦٠
٣ - مقدمة أصول التفسير لابن تيمية بتصرف: (الفتاوى:١٣/٣٣٣-٣٣٧)
٤ - البقرة:١٣٧
٥ - البقرة :١٧٦
٦ - تفسير المنار (١١٣/١) بتصرف يسير٠

فإهمال الشريعة أو الأخذ ببعض الدين وترك البعض هو أم المصائب ومنبع النزاع والشقاق.

(٢)- [أن هذا الدين قد أكمله الله عز وجل وأتمه، وقد بينه رسوله ﷺ بياناً شافيا كافيا، وقد كان عليه السلام هو مرد الصحابة عند الإختلاف والتنازع، فيحكم بينهم فيما يختلفون فيه من معاني القرآن أو من الأحكام التي لم تكن شرعت، ولكن بعد وفاته ﷺ ، اختلفت الأمة في أحكام من الشريعة، التي لاتقضي على أصول الشريعة، ولا تطعن في مصادرها، ولكنه اختلاف له أسبابه](١) وسيأتي ذكر شيء منها بعد قليل، والمقصود أن اختلاف الصحابة والتابعين أو العلماء بعدهم لم يغير شيئا من الدين، ولم يتعرض لشيء من أصول الشريعة، بل الذكر محفوظ بتمامه وكماله قال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُوْنَ﴾(٢)، ولم يكن سبب الخلاف أبدا هو ضياع شيء من الدين أو نقصان أمر من الشريعة.

(٣) - أن نعلم يقينا أنه لايوجد أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة، ومن ذوي العلم الموثوق بعلمهم وأمانتهم ودينهم يتعمد مخالفة مادل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فإنهم متفقون إتفاقا يقينا على وجوب اتباع الكتاب والسنة، وكل من اتصف بالعلم والديانة فلابد أن يكون رائده الحق، على أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الهدى ﷺ، ويمكن أن يحدث منهم الخطأ كما يحدث من غيرهم - لأن الإنسان كما وصفه الله عز وجل بقوله:﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيْفاً﴾(٣) فإذا وجد لأحدهم قول يخالف نصا من الكتاب أوالسنة فلابد له من عذر في تركه(٤)، وهذا ما سيأتي ذكره في شرح الأسباب.

---

١ - الخلاف بين العلماء لابن عثيمين ص٥-٧ بتصرف يسير

٢ - الحجر:٩

٣ - النساء:٢٨

٤ - انظر رفع الملام عن الأئمة الأعلام ص٦

(٤)- إن كثيرا من الخلافات التي وجدت وكانت لها أسباب انتهت وتلاشت بمجرد زوال أسبابها، فما إن يتبين الحق للطرف المخالف، أو يظهر النص الشرعي والدليل القطعي، إلا ويفرح به المختلفون، ويرجع اليه المتنازعون وهذه ميزة تميز بها أهل السنة، وظهرت جلية في خلافاتهم حتى مع خصومهم، حتى روي عن الإمام الشافعي أنه قال*: (ما ناظرت أحدا إلا وددت أن الله أظهر الحق على لسانه)، وروى عن الإمام أحمد قوله :(خذ الحق ممن جاء به)٠ وقد ذكر صاحب العواصم من القواصم(١) أمثلة لهذا الأمر، وخاصة مما كان بين الصحابة من خلاف وانتهى بمجرد ورود النص ومعرفة الحق، كخلافهم في أمر الخلافة ومكان دفنه ﷺ وتقسيم تركته ونحو ذلك وكلها انتهت بسماعهم للأحاديث القاضية فيها٠ ولله الحمد والمنة٠

وهناك أسباب عامة للخلاف، وأسباب خاصة للخلاف بين العلماء، أما الأسباب العامة فيمكن تلخيصها في ثلاثة عوامل (٢) :

(١) - الجهل

(٢) - اتباع الهوى

(٣) - التعصب

أولا - أما العامل الأول وهو الجهل، فإنه من أسباب التفرقة والخلاف المذموم، وقد حذرنا الله من الجهل عندما ذكر صفة أهل الكتاب وأن من أسباب العداوة بينهم نسيان العلم كما قال تعالى : ﴿فَنَسُواْ حَظاً مِمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلقِيَامَةِ﴾(٣)٠

---

* تقدم هذا القول ص ٣٧

١ - انظر العواصم من القواصم ص ٤٣-٥١

٢ - انظر الإعتصام للشاطبي (٢/١٧٢-١٨٢)، مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين د٠ محمد العبده - طارق عبد الحليم ص٤١

٣ - المائدة:١٤

وقال سبحانه عن الأمم السابقة :﴿فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ﴾(١)،والخوض : هو (بالإعتقاد الباطل والتكلم به) (٢)، وكذلك فإن الله تعالى نهى عن الكلام والإتباع بغير العلم﴿وَلَاتَقْفُ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾(٣)وقد أخبر رسول الهدى ﷺ أن سبب الضلال هو الجهل حيث قال : «إِنَّ اللَّهَ لايَقْبِضُ العِلْمَ انتِزَاعاً ينتَزِعُهُ مِن صُدُورِ النَّاسِ، وَلَكِن يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبضِ العُلَمَاء، حَتَى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِماً اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤوساً جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوا بِغَيرِ عِلْمٍ فَضَلُّواْ وَأَضَلُّواْ»(٤)،

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :(والجهل والظلم هما أصل كل شر كما قال سبحانه ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾(٥)(٦)، وقد ذكر الشاطبي أن من أسباب الخلاف:(أن يعتقد الإنسان في نفسه أو يعتقد فيه أنه من أهل العلم والإجتهاد في الدين - ولم يبلغ تلك الدرجة - فيعمل على ذلك، ويعد رأيه رأيا وخلافه خلافا)(٧) ثم بين السبب الذي يرجع إليه التفرق فقال : (وهو الجهل بمقاصد الشريعة، والتخرص على معانيها بالظن من غير تثبت، أو الأخذ فيها بالنظر الأول، ولا يكون ذلك من راسخ في العلم)(٨)، وقد نبه شيخ الإسلام ابن تيمية على بعض أنواع الجهل الذي ينشىءالإختلاف والضلال ، فقال في بيان اسباب الإختلاف : (ويكون سببه تارة جهل المختلفين بحقيقة الأمر الذي يتنازعان فيه ، أو الجهل بالدليل الذي يرشد به أحدهما الآخر،

---

١ - التوبة :٦٩

٢ - اقتضاء الصراط المستقيم ص :٢٣

٣ - الإسراء :٣٦

٤ - أخرجه البخاري كتاب الإعتصام رقم ٧٣٠٧، احمد (٢/٢٠٣)

٥ - الأحزاب: ٧٢

٦ - اقتضاء الصراط المستقيم: ٣٢

٧ - الإعتصام: (٢/١٧٢)

٨ - الإعتصام (٢/١٨٢)

أو جهل أحدهما بما مع الآخر من الحق في الحكم أو في الدليل، وإن كان عالما بما مع نفسه من الحق حكما ودليلا)(١)٠ والمقصود أن الجهل سبب رئيسي للخلاف والتفرق، ولذلك فإن من أهم شروط المحاور وآدابه العلم بالأمر المختلف فيه، ومعرفة أدلة الشرع في القضية المطروحة للنقاش٠

ثانياً:- أما العامل الثاني من عوامل الإختلاف العامة فهو اتباع الهوى : (والهوى هو ميل النفس إلى نيل شهوة تلائم طبعها، أو اتباع شبهة توافق عقلها)(٢)٠ وقد ذكره الإمام الشاطبي فقال : (والثاني من اسباب الخلاف اتباع الهوى ولذلك سمي أهل البدع أهل الأهواء، لانهم اتبعوا اهواءهم فلم يأخذوا الأدله الشرعية مأخذ الإفتقار اليها، والتعويل عليها، حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الآدلة الشرعية منظورا فيها من وراء ذلك)(٣)٠

وقد جاءت النصوص الكثيرة في الكتاب والسنة بذم الهوى فمن ذلك قوله تعالى : ﴿يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيْلِ اللَّهِ﴾(٤) وقال سبحانه :﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ ﴾(٥)٠

قال الشاطبي : (ولم يأت في القرآن ذكر الهوى إلا في معرض الذم، حكى ابن وهب عن طاووس أنه قال : ماذكر الله هوى في القرآن إلا ذمه) (٦)٠ وفي الحديث مارواه الامام أحمد بسنده عن ابي برزة قال : قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ مِمَّا أَخْشَىٰ عَلَيْكُم شَهَواتِ الغَيِّ فِي بُطُونِكم وفُرُوجِكم وَمُضِلَّاتِ الهَوَىٰ»(٧)

---

١ - اقتضاء الصراط المستقيم ص:(٣٢)٠

٢ - مقدمة في اسباب اختلاف المسلمين ص ٤٦

٣ - الأعتصام : (١٧٦/٢)

٤ - ص :٢٦

٥ - الفرقان : ٤٣

٦ - الإعتصام : (١٨٠/٢)

٧ - مسند أحمد (٤٢٠/٤)

وقال شيخ الإسلام بعد أن ذكر بدعة الخوارج وبدايتها : (فكان مبدأ البدع هو الطعن في السنة بالظن والهوى، كما طعن ابليس في أمر ربه برأيه وهواه)(١)وقد ذم السلف الأهواء وأهلها وأقوالهم في ذلك كثيرة جدا، ذكر منها الشاطبي : (عن عبدالرحمن بن مهدي أن رجلا سأل ابراهيم النخعي عن الأهواء : أيها خير ؟ فقال : ما جعل الله في شيء منها مثقال ذرة من خير ما هي إلا زينة الشيطان، وما الأمر إلا الأمر الأول، يعني ماكان عليه السلف الصالح، وخرج عن الثوري أن رجلا أتى إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقال : انا على هواك، فقال له ابن عباس: الهوى كله ضلالة أي شيء.. "أنا على هواك"(٢)، وذكر في موضع آخر عن بعض السلف أنه كان يقول : (ماكان عبد على هوى تركه إلا إلى ماهو شر منه)(٣) إلي غير ذلك مما جاء في التحذير من الأهواء والبدع.

والمقصود أن أصل الزيغ والضلال، ومنشأ التفرق والاختلاف يكون بترك الحق الواضح البين، واتباع المتشابه الذي يتفق مع الأهواء كما قال سبحانه : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾(٤).

وهناك ضوابط يستطيع المسلم من خلالها أن يتحقق من بعده عن الهوى، أو يتقي الوقوع في مهاويه، أو يستنقذ نفسه منه إن كان قد ابتلي منه بشيء، اذكرها باختصار(٥) :-

---

١ - الفتاوى (٣/٣٥٠)

٢ - الإعتصام (٢/١٨٠)

٣ - الإعتصام (١/١٢٣)

٤ -آل عمران :٧

٥ - باختصار وتصرف عن مقدمة اسباب أختلاف المسلمين ص٦٢-٧٨

١ - اتباع الكتاب والسنة وجعلهما الأساس والمصدر، وعدم تحكيم العقل فيهما أو عرض نصوصهما عليه فإن كل ذلك دافعه الهوى.

٢ - اتباع منهج السلف في النظر والإستدلال: فإن للسلف منهجا قويما في ذلك، وقد خالفه أهل الهوى فتفرقت بهم السبل، ومن طرق الزائغين التي ينبغي تجنبها في النظر والإستدلال ما يلي :

أ - اتباع المتشابه وعدم رده للمحكم .

ب - عدم جمع أطراف الأدلة.

ج - الإحتجاج بالأحاديث الضعيفة أو الموضوعة.

د - عدم رد الفروع الجزئية إلى القواعد الكلية.

فالمقصود الحذر من مسالك أهل الهوى في هذا الأمر، والرجوع إلى منهج أهل القرون المفضلة من الصحابة والتابعين وتابعيهم والإهتداء بأقوالهم وفتاواهم.

٣ - اعتبار المتغيرات الواقعية : فحيث أن الأحكام والفتاوى الشرعية تبنى على أمرين معاً وهما :

١ - الحكم الشرعي الأصلي

٢ - الواقع المراد تطبيق الحكم الشرعي عليه، وهو ما يسميه علماء الأصول تحقيق المناط فإن عدم تطبيق الحكم على واقعه الصحيح هو من طرق أهل الهوى، بل من تحريف الكلم عن مواضعه، يقول الشاطبي :(تحريف الأدلة عن موضعها : ان يرد دليل على مناط فيصرف عن ذلك المناط إلى أمر آخر موهما أن المناطين واحد، وهو من خفيات تحريف الكلم عن مواضعه، والعياذ بالله، ويغلب على الظن أن من أقر بالأسلام، ويذم تحريف الكلم عن مواضعه، لايلجأ اليه صراحا إلا مع اشتباه يعرض له، أو جهل يصده عن الحق، مع هوى يعميه عن أخذ الدليل مأخذه، فيكون بذلك السبب مبتدعا(١).

---

١ - الأعتصام (٢٤٩/١)

٤ - التقوى والإخلاص والتجرد: فإن التقوى مع الإخلاص ضد الهوى ولا يلتقيان في عبد أبدا٠ فإن من اتقى الله وأخلص نيته وجرد قصده لله عز وجل، هداه الله إلى الحق، وارشده إلى الهدى والصواب، وليس علم من اتقى وأخلص، كعلم من كان علمه عن جفاف قلب أو سوء طوية، ولذلك فإن الله عز وجل قال : ﴿واتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾(١) وقال سبحانه : ﴿إِنْ تَتَّقُواْ اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً﴾(٢)٠

ثالثا - أما العامل الثالث من أسباب الخلاف فهو التعصب :

وقد ذكره الشاطبي - رحمه الله - بقوله : (والثالث من اسباب الخلاف : التصميم على اتباع العوائد وإن فسدت أو كانت مخالفة للحق: وهو اتباع ما كان عليه الآباء والأشياخ، واشباه ذلك، وهو التقليد المذموم)(٣)

وجناحا التعصب : ضعف النفس وجهل العقل (٤)، وهو ظاهرة ذميمة تؤدي إلى التفرق والتعادي، وهو من خصال أهل الكتاب التي تكون في هذه الأمة٠ قال تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُواْ : نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ﴾(٥)

(فوصف اليهود بأنهم كانوا يعرفون الحق قبل ظهور النبي فلما جاءهم من غير طائفة يهوونها لم ينقادوا له، وهذا يبتلى به كثير من المنتسبين إلى طائفة في العلم أو الدين أو إلى رئيس معظم عندهم، فإنهم لايقبلون من الدين - لا فقها ولا رواية إلا ما جاءت، به طائفتهم)(٦)

---

١ - البقرة :٢٨٢

٢ - الأنفال :٢٩

٣ - الأعتصام (٢/ ١٨٠)

٤ - مقدمة في اختلاف المسلمين ص٨٠

٥ - البقرة :٩١

٦ - اقتضاء الصراط المستقيم ص٨ بتصرف

ولذلك حذر الائمة والعلماء من هذا المسلك الخطير، إذ (أن الحق يستحيل أن يكون وقفا على فئة معينة دون غيرها، والمنصف من دقق في المدارك غاية التدقيق)(١) ومن كلامهم رحمهم الله في ذم التقليد والتعصب ما أورده الإمام ابن القيم - رحمه الله - في (أعلام الموقعين) ومما ذكره : (قال ابن مسعود : لايقلدن احدكم دينه رجلا إن آمن آمن، وإن كفر كفر فإنه لا أسوة في الشر. وقال ابو داود: قلت لأحمد : الأوزاعي هو أتبع من مالك ؟ قال : لاتقلد دينك أحدا من هؤلاء، ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذ به، ثم التابعي بعد الرجل فيه مخير، وقال أبو يوسف : لايحل لأحد أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا)(٢) وقال شيخ الإسلام رحمه الله : (فمن جعل شخصاً من الأشخاص غير رسول الله ﷺ من أحبه ووافقه كان من أهل السنة والجماعة، ومن خالفه كان من أهل البدعة والفرقة - كما يوجد ذلك في الطوائف من اتباع أئمة في الكلام في الدين وغير ذلك - كان من أهل البدع والضلال والتفرق) (٣) فهذا فيمن تعصب للأشخاص بلا علم ولا عدل، وأما كلامه فيمن يغلو في التعصب في المسائل التي يسوغ فيها الإجتهاد فقد قال : (من والى موافقة وعادى مخالفة، وفرق بين جماعة المسلمين، وكفر وفسق مخالفة دون موافقة في مسائل الآراء والإجتهادات، واستحل قتال مخالفه دون موافقه، فهؤلاء من أهل التفرق والإختلاف)(٤)

فالمقصود أن التعصب والتقليد المذموم، من أكبر أسباب الخلاف وأخطرها، والتي يجب على المسلم أن يحذرها ويتركها.

---

١ - انظر مقدمة اختلاف المسلمين ص٨٣

٢ - انظر اعلام الموقعين: (١٣٥/٢، ١٣٩، ١٤٠)

٣ - الفتاوى (٣٤٧/٣)

٤ - نفس المصدر (٣٤٩/٣)

تلك أهم العوامل العامة التي تسبب الخلاف وتؤدي إلى التفرق، أما الأسباب الخاصة بالخلاف بين العلماء فيمكن ايجازها وتلخيصها فيما يلي[1] :-

١ - أن يكون الدليل لم يبلغ هذا المخالف الذي أخطأ في حكمه، أو بلغه على وجه لايطمئن به.

٢ - أن يكون الحديث قد بلغه ولكنه نسيه.

٣ - أن يكون الدليل بلغه ولكن فهم منه خلاف المراد.

٤ - أن يكون قد بلغه الدليل لكنه منسوخ ولم يعلم بالناسخ.

٥ - أن يعتقد أنه معارض بما هو أقوى منه من نص أو إجماع.

٦ - أن يأخذ بالحديث الضعيف، أو يستدل استدلالا ضعيفا.

فهذه بعض الاسباب الظاهرة، وقد قال شيخ الإسلام بعد ذكر أسباب الخلاف: (وفي كثير من الأحاديث يجوز أن يكون للعالم حجة في ترك العمل بالحديث لم نطلع نحن عليها، فإن مدارك العلم واسعة، ولم نطلع على جميع مافي بواطن العلماء، والعالم قد يبدي حجته وقد لايبديها، وإذا أبداها فقد تبلغنا وقد لاتبلغنا، وإذا بلغتنا فقد ندرك موضع احتجاجه وقد لاندركه سواء كانت الحجة صوابا في نفس الأمر أم لا)(٢).

٤ - أما عن وجود الخلاف مع التحذير منه والتوفيق بين ذلك فبيانه كالآتي :-

لقد اقتضت حكمة الله سبحانه أن تختلف آراء الناس في صغير الأمور وكبيرها، سواء في امور الدين أو الدنيا، وسبب ذلك أنهم خلقوا مختلفين في الفهم والعلم، كما خلقوا مختلفين في الأمزجة والميول والرغبات، وفي الضعف والقوة والصبر على العلم والعمل، قال تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَايَزَالُونَ مُخْتَلِفِيْنَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾(٣).

---

١ - انظر رفع الملام ص٦-١٨، الخلاف بين العلماء لابن عثيمين ص٩-٢٤

٢ - رفع الملام ص١٨

٣ - هود :١١٨-١١٩

قال الإمام الشاطبي: وذلك الإختلاف في الآراء والنحل والأديان والمعتقدات المتعلقة بما يسعد الإنسان به أو يشقى في الآخرة والدنيا(١)٠ كما بين الله عز وجل في كتابه أن الخلاف واقع حيث قال سبحانه ﴿وَمَاكَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ﴾(٢) وقال عز وجل ﴿وَلَكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَنْ كَفَرَ﴾(٣) ومما يدل على ضرورة وجود الخلاف أن الله عز وجل بين لنا المرجع عند وقوعه، وطريقة الخروج منه فقال سبحانه﴿وَمَااخْتَلَفْتُمْ فِيْهِ مِنْ شَىءٍفَحُكْمُهُ إِلَىٰ اللَّهِ﴾(٤) وقال ايضا : ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَىءٍ فَرُدُّوْهُ إِلَىٰ اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾(٥)٠ واخبر سبحانه أنه إنما أنزل الكتب لتقضي على الخلاف الواقع بين الناس فقال سبحانه وتعالى : ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيْمَا اخْتَلَفُواْ فِيْهِ﴾(٦) وقال : ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيْهِ﴾(٧) وغيرها من الآيات٠

كما أخبر ﷺ بوقوع الخلاف في قوله :«وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا»(٨) ، كما أن واقع الأمة يشهد بذلك فقد اختلف صحابة رسول الله ﷺ في مسائل متعددة ، كاختلاف أبي بكر وعمر على عهده ﷺ وكانت بينهما محاورة، حتى بلغ أمرها للنبي عليه السلام وشق ذلك عليه ٠٠ إلى أن قال ﷺ في نهاية الحديث «٠٠ فَهَلْ أَنْتُم تَارِكُواْ لِي صَاحِبِي»(٩)٠

---

١ - الأعتصام (١٦٥/٢)

٢ - يونس ١٩

٣ - البقرة :٢٥٣

٤ - الشورى:١٠

٥ - النساء :٥٩

٦ - البقرة :٢١٣

٧ - النحل :٦٤

٨ - تقدم ذكره في أول هذا الباب ص:٢٦

٩ - تقدم ذكره في أول هذا اباب ايضا ص:٥

كما اختلفا بعد ذلك في قتال المرتدين وجمع القرآن وغير ذلك، واختلف الصحابة في تعيين الخليفة بعد رسول الله ﷺ ، وفي ذلك قال عمر رضي الله عنه:«فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى فرقت من الإختلاف »(١) كما اختلفوا في غسله ومكان دفنه وميراثه ﷺ ونحو ذلك.كما أختلف من بعدهم من التابعين ومن الأئمة والعلماء وغيرهم، ولا يزال الخلاف إلى اليوم، فهو واقع ظاهر مشاهد.

أما النصوص التي تنهي عن الخلاف وتحذر منه فكثيرة جدا ومنها:-

قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَلاَتَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْمِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾(٢) وقال عز وجل : ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾(٣) وكذلك ماجاء في بيان عاقبة المختلفين كقوله سبحانه : ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾(٤).

- ومنها قوله ﷺ لمعاذ وأبي موسى رضي الله عنهم - حين بعثهما إلى اليمن : «يسِّرَا ولاتُعسِّرَا ،وبَشِّرَا ولاتُنَفِّرَا ، وتطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا»(٥) وفي حديث القراءات قال ﷺ: « لاتَخْتَلِفُواْ فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم اخْتَلَفُواْ فَهَلَكُوا »(٦)ومن ذلك ايضا قول علي رضي الله عنه : «اقضوا كما كنتم تقضون، فإني أكره الإختلاف»(٧)

---

١ - أخرجه البخاري كتاب الحدود رقم ٦٨٣٠

٢ - آل عمران:١٠٥

٣ - الأنفال :٤٦

٤ - البقرة :١٧٦

٥ - أخرجه البخاري كتاب الجهاد رقم٣٠٣٨، مسلم كتاب الجهاد (٣/١٣٥٩) رقم٠٧

٦ - اخرجه البخاري كتاب الأنبياء رقم٣٤٧٦

٧ - أخرجه البخاري كتاب فضائل الصحابة رقم٣٧٠٧

وقول ابن مسعود رضي الله عنه في مسألة قصر الصلاة في الحج «الخلاف شر» (١) ونحو ذلك من الآيات والأحاديث في هذا الباب.

والجمع بين كونه واقعاً لامحالة وموجوداً، وبين ما جاء في التحذير منه، يتلخص في النقاط الآتية :-

١ - إن وجوده يرجع إلى أصل خلق الناس مختلفين في أفهامهم وعقولهم وطبائعهم فلابد أن ينتج عنه اختلاف الآراء والأقوال والقلوب.

٢ - إن وجوده لايعني استحبابه أو طلبه ، بل هو كسائر الصفات والطبائع المذمومة، مع كونها جبلية في الإنسان كالظلم والجهل والهلع والطمع ونحوها.

٣ - إن الله عز وجل الذي خلق الناس مختلفين، لم يتركهم هملا باختلافهم، بل قد دلهم على طريق الخلاص من الخلاف وهو الرجوع إليه سبحانه وتعالى.

٤ - إن كثيرا من الخلافات ترجع إلى عوامل معينة معروفة، قد بينها الشرع وحذر منها، حتى لا يقع الخلاف، وهي الجهل والهوى والتعصب ونحوها، وان من تجنبها وابتعد عنها سلم من الخلاف.

٥ - إن الخلاف أنواع، ومنها ماهو سائغ جائز، وربما كان رحمة لبعض الناس، كما قال شيخ الأسلام رحمه الله: (والنزاع في الأحكام قد يكون رحمة إذا لم يفض إلى شر عظيم)(٢) ونقل قول بعض العلماء : (الإجماع حجة قاطعة والخلاف رحمة واسعة)(٣) فتبين بذلك أن وجود الخلاف أمر طبعي، وأن من اتبع منهج الله امكنه تلافيه. والله أعلم.

---

١ - أخرجه ابو داود كتاب المناسك (٢٠٦/٢) رقم ١٩٦٠

٢ - الفتاوى :(١٥٩/١٤)

٣ - الفتاوى: (٨٠/٣٠)

القسم الثاني : «آداب الحوار»

- آداب الحوار النفسية
- آداب الحوار العلمية
- آداب الحوار اللفظية
- آداب ومباحث عامة تتعلق بالحوار

الباب الثاني

«آداب الحوار النفسية»

الباب الثاني : آداب الحوار النفسية

وأعني بها الآداب التي تتعلق بنفسية المحاور وشخصه، وبنفسية الخصم كذلك، فهناك ظروف نفسية قد تطرأ على الحوار فتؤثر عليه تأثيرا سلبيا، فينبغي مراعاة ذلك حتى ينتج الحوار ويحقق غايته.

وأجمل ذكر هذه الآداب ثم اشرع في تفصيلها على الترتيب:

١ - تهيئة الجو المناسب للحوار

٢ - الإخلاص وصدق النية

٣ - الإنصاف والعدل والتفريق بين الفكرة وصاحبها

٤ - التواضع وحسن الخلق

٥ - الحلم والصبر

٦ - الرحمة والشفقة بالخصم والحرص على اقناعه

٧ - العزة والثبات على الحق

٨ - حسن الإستماع

٩ - المحبة رغم الخلاف

١٠ - الهدؤ والثقة بالنفس

١١ - احترام الطرف الآخر

١٢ - الجرأة والغضب لنصرة الحق

وعليه فسأجعل كل أدب منها مبحثا، أبين فيه المقصود به مع ذكر أدلته من الكتاب والسنة، والله الموفق.

المبحث الأول : تهيئة الجو المناسب للحوار

ينبغي للمحاور أن يهيء نفسية محاوره قبل الدخول معه في مناقشة القضايا وذلك أدعى لقبول الحوار والوصول إلى نتيجته وحتى لايفاجأ الخصم أو يواجه بما يكره من أول مرة، فيكون ذلك عائقا أمام اقتناعه وإذعانه.

ومن الجوانب التي ينبغي مراعاتها مثلا: الجو النفسي والمؤثرات المحيطة بالحوار، فلابد من الإبتعاد عن الأجواء الجماعية والغوغائية، لأن الحق قد يضيع في مثل هذه الأجواء، حيث التقليد الأعمى والتبعية للأكثرية، وبقدر مايقل المتحاورون أو السامعون في الحوار بقدر ما ينقادون الى الحق عند ظهوره، كما ينبغي مراعاة الجو الحسي، من حيث البرودة والحرارة والإتساع والضيق ونحوها لأن وجود ما يؤذي في جو الحوار يؤثر على طبيعة النقاش ونتيجته، ومثله إختيار المكان الهادىء، وإتاحة الزمن الكافي للحوار، فلا تصلح أماكن الضجيج كالأسواق والمدارس ونحوها للحوار، وذلك لضيق الوقت ولوجود ما يشغل.

كما ينبغي مراعاة الظرف النفسي والإجتماعي للطرف الآخر، فلا يصلح أبدا أن يتم الحوار مع شخص يعاني من الإرهاق الجسدي بسبب تعب أو جوع أو غيره، أو يعاني من إرهاق نفسي كهم أو غم أو حزن، لأن هذه الظروف حتما ستؤثر على الحوار إما ببتره قبل تمامه أو حدوث إنفعالات وغضب وتوتر يؤدي بالحوار إلى الفشل الذريع(١).

ومن الوسائل في تهيئة الجو المناسب للحوار :

١ - التعارف بين الطرفين : فمن الضروري جدا أن يعرف كل محاور الطرف المقابل له معرفة دقيقة، وأن يعلم شيئا عن ظروفه وبيئته ،

---

١ - انتهى ملخصا من رسالة «قل إنما أعظكم بواحدة» للشيخ عبدالعزيز بن ناصر الجليل ص٤٤-٤٥

وقدره ومنزلته، وعلمه وأحواله، إذ أن هذا يفيد كثيرا في تحديد الأسلوب المناسب والإستعداد اللازم، كما أنه يعين على فتح قلبه، والقرب منه وضبط أعصابه، وهنا إما أن يبدأ المحاور بالتعريف بنفسه، أو بسؤال محاوره.

فمن الشواهد للأول: ماجاء في قصة الملائكة مع إبراهيم - عليه السلام - حين أوجس منهم خيفة فعرفوه بأنفسهم وبسبب مجيئهم :﴿قَالُوا لاَتَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوْطٍ﴾(١)

قال الطبري رحمه الله في قوله: «قالوا لاتخف» : (قالت الملائكة لما رأت ما بإبراهيم من الخوف منهم لاتخف منا، وكن آمنا فإنا ملائكة ربك أرسلنا إلى قوم لوط)(٢).

ومنه ماجاء في قصة الملائكة مع لوط - عليه السلام - قال تعالىٰ عنهم:﴿قَالُواْ يَالُوطُ إِنَّا رَسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُواْإِلَيكَ...﴾(٣) فهاهم الملائكة يعرفون لوطا بأنفسهم قبل أن يأمروه بإخراج أهله.

قال ابن المنير في تعليقه على الكشاف: (اما لوط فلم يشعر أنهم ملائكة حتى أعلموه بذلك ألا ترى إلى قوله تعالى :﴿قَالُواْ يَالُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُواْ إِلَيْكَ﴾ فأول ما أعلموا به أنهم رسل)(٤).

ولعل من شواهد ذلك أيضا ماقاله الملك الذي أرسل إلى مريم :﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِياً﴾(٥) فأخبرها عن حقيقته، ثم أعلمها بمهمته.

ولعل منه أيضا مابدأ الله به في إرساله لموسى - عليه السلام - حيث قال تعالى :﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَامُوسَىٰ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ...﴾(٦)

---

١ - هود:٧٠

٢ - الطبري:(١٢/٧١)

٣ - هود:٨١

٤ - الكشاف:(٢/٢٨٠)

٥ - مريم:١٩

٦ - طه:١١-١٢

قال الزمخشري :(تكرير الضمير في ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ لتوكيد الدلالة، وتحقيق المعرفة وإماطة الشبهة)(١)٠

ومثله قال ابن الجوزي : (إنما كرر الكناية، لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة وإزالة الشبهة، ومثله :﴿إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾(٢)(٣)٠

ومنه ايضا ما وجه الله به موسى وهارون عند اتيانهما فرعون، بأن يبدءا بتعريفه بنفسيهما ومهمتهما، حيث قال تعالى :﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾ (٤)، وكذلك قوله تعالى في يس :﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾(٥)٠

ومن أمثلته حديث عمرو بن عبسة السلمي حين قدم مكة يبحث عن النبي ﷺ ، فلما لقيه وعرفه مال إلى الإسلام فأمره النبي ﷺ - بالرجوع إلى قومه حتى يسمع بظهور الإسلام، فجاء إلى النبي ﷺ في المدينة - بعد ذلك - فدخل عليه فقال : يارسول الله : أتعرفني ؟ قال : نعم أنت الذي لقيتني بمكة(٦)

- ومن الشواهد لذلك ايضا ما سيأتي في حديث جابر بن سليم رضي الله عنه٠

ومن الشواهد للثاني - أي سؤال الطرف الآخر عن نفسه، أو عن اسمه، أو قومه أو مهمته :

ماجاء في سؤال إبراهيم للملائكة - على قول بعض العلماء - في قوله تعالى : ﴿قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾(٧) فأخبرهم بأنه لايعرفهم(٨)٠

وكما قال الزمخشرى في كلامه عن الآية:(٠٠٠، أوكان هذا سؤالا لهم كأنه قال :أنتم قوم منكرون فعرفوني من أنتم)(٩)٠

----

١ - الكشاف:(٢/٥٣١)

٢ - الحجر:(٨٩)

٣ - زاد المسير(٥/٢٧٣)

٤ - طه:٤٧

٥ - يس:١٤

٦ - أخرجه مسلم: صلاة المسافرين (١/٥٦٩) رقم٢٩٤، أحمد: (٤/١١١)، ابن ماجة : (١/٨٥) رقم١٦٥

٧ - الذاريات:٢٥

٨ - الطبري:(٢٦/٢٠٦)

٩ - الكشاف: (٤/١٧-١٨)، وانظر : زبدة التفسير للأشقر ص٦٩٣، زاد المسير(٤/١٢٧)٠

ومنه حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال :(إن وفد عبد القيس لما أتوا النبي ﷺ قال :«من القوم؟ أو من الوفد؟ قالوا ربيعة قال : مرحَباً بالقَومِ أَو بالوَفدِ، غَيرَ خَزَايا ولا نَدَامَى...»)(١).

قال ابن حجر : (قال ابن أبي جمرة: في قوله: «من القوم» دليل على استحباب سؤال القاصد عن نفسه ليعرف فينزل منزلته)(٢).

وقال العلامة صديق حسن خان: وفيه دليل على استحباب تأنيس القادم، وقد تكرر ذلك من النبي ﷺ، ففي الحديث : «مرحبا بأم هانيء» وفي قصة عكرمة ابن أبي جهل: «مرحبا بالراكب المهاجر » وفي قصة فاطمة:« مرحبا بابنتي» وكلها صحيحة(٣).

وأخرج أبو داود عن أبي جرى جابر بن سليم قال :(رأيت رجلا يصدر الناس عن رأيه، لايقول شيئا إلا صدروا عنه، قلت: من هذا ؟ قالوا : هذا رسول الله ﷺ قلت : عليك السلام يارسول الله«مرتين». قال:«لاتقل عليك السلام، فإن عليك السلام تحية الميت، قل السلام عليك، قال: قلت أنت رسول الله ﷺ ؟ قال : أَنَا رسولُ اللَّهِ الذِي إِذَا أَصابَك ضُرٌّ فدَعوتَه كشَفَه عنْك، وإِنْ أَصَابَكَ عَامُ سَنَة فدعَوتَه أَنْبَتَهَا لَك، وإِذَا كُنتَ بأَرضٍ قَفْرَاء أو فَلاةٍ فَضلَّت راحِلَتُك فدعَوتَه رَدَّهَا عَلَيك... الخ»(٤).

فهذا الصحابي سأل عن النبي ﷺ أولا ليعرف من هو. ثم تثبت منه ثانيا، فكان جوابه عليه السلام بما يناسب حال السائل مما كان مفتاحا لقلبه حيث طلب من النبي ﷺ أن يعهد إليه ويوصيه كما في تمام الحديث. ومما يؤكد هذه القضية ويبين أهميتها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال:(بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله ثم قال

---

١ - أخرجه البخاري: الإيمان ٥٣، مسلم: الإيمان (٤٦/١) رقم٢٣، أحمد(٢٢٨/١)

٢ - الفتح : (١٣١/١)

٣ - عون الباريء لحل أدلة البخاري (١٨٥/١)

٤ - أخرجه أبو داود: اللباس (٥٥/٤) رقم٤٠٨٤ والفظ له، الترمذي : الإستئذان (٧٢/٥) رقم٢٧٢٢، أحمد (٦٥/٤)

لهم أيكم محمد؟ - والنبي ﷺ متكىء بين ظهرانيهم - فقلنا هذا الرجل الأبيض المتكىء. فقال له الرجل : ابن عبدالمطلب فقال له النبي ﷺ : قد أجبتك فقال الرجل إني سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد علي في نفسك فقال : سل عما بدا لك فقال أسألك بربك ورب من قبلك آلله أرسلك إلى الناس كلهم ؟ فقال اللهم نعم. قال أنشدك بالله: آلله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة ؟ قال: اللهم نعم قال: أنشدك بالله: آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة ؟ قال : اللهم نعم، قال أنشدك بالله آلله أمرك أن نأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فنقسمها على فقرائنا ؟ فقال النبي ﷺ : اللهم نعم فقال الرجل : آمنت بما جئت به وأنا رسول من ورائي قومي ، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر(١).

فهذا ضمام بن ثعلبة - رضي الله عنه - يسأل عن النبي ﷺ أولا ليتعرف عليه ثم يناديه ليلفت إنتباهه وليتثبت منه، وكذلك يعرف بنفسه وبقبيلته، ومهمته حيث إنه رسول قومه. وقد أحسن في سؤاله وتثبته وفهمه وتبليغه حتى قال عمر رضي الله عنه : (ما رأيت أحدا أحسن مسأله ولا أوجز من ضمام(٢). وقد جاء في بعض روايات الحديث أنه عرف بنفسه أولا قبل أن يسأل عن شىء كما في رواية كريب عن ابن عباس رضي الله عنهما - قال: (جاء رجل من بني سعد بن بكر إلى رسول الله ﷺ - وكان مسترضعا فيهم فقال : أنا وافد قومي ورسولهم(٣).. فتبين من خلال النصوص السابقة أهمية التعارف بين الطرفين، ودوره في تسهيل البدء في الحوار واستمراره والوصول إلى نتيجته وثمرته.

---

١ - أخرجه البخاري : العلم ٦٣، النسائي الصيام (١٢٢/٤) رقم:٢٠٩٢ وتقدم

٢ - الفتح : (١٥١/١)

٣ - ذكرها ابن حجر في الفتح: (١٥٣/١)

٢ - طرح أسئله في غير موضوع الحوار لتهيئة نفسية الطرف الآخر:

إن مما يساعد على سهولة البدء في الحوار ويضمن سيره نحو الأفضل : أن يطرح المحاور عددا من الأسئلة عن أي أمر عام ليس له علاقة مباشرة بموضوع الحوار، حيث إن هذا يعطي الطرف المقابل فرصة للتأقلم مع جو الحوار كما أنه يكسب المحاور خبرة بطبيعة الطرف الآخر، من خلال حديثه ونبرات صوته وحصيلته العلمية وميولاته، ويحبذ أن تكون الأسئلة مناسبة غير محرجة. وأن تكون إيجابية، فالمتحدث اللبق هو الذي يحصل في مبدأ الأمر على أكبر عدد من الإجابات «بنعم»(١).

ومن شواهد ذلك في القرآن : ما بدأ الله به من سؤال موسى عن العصا، وذلك قبل أن يرسله إلى فرعون. حيث قال تعالى :﴿وَمَاتِلْكَ بِيَمِيْنِكَ يَامُوسَىٰ. قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيْهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ...﴾ إلى قوله ﴿إذهبا إلى فرعون إنه طغى﴾(٢) الآيات. قال الزمخشري في كلامه عن الآية : (وقالوا : إنما سأله ليبسط منه ويقلل هيبته)(٣).

وقال ابن الجوزي في بيان الفائدة من سؤال الله تعالى لموسى ﴿وَمَاتِلْكَ بِيَمِيْنِكَ﴾ وهو يعلم - (.. القول الثاني: انه لما اطلع الله تعالى على مافي قلب موسى من الهيبة والاجلال حين التكليم. أراد ان يؤانسه ويخفف عنه ثقل ماكان فيه من الخوف، فأجرى هذا الكلام للإستئناس)(٤)

ولعله يشبهه أسلوب القرآن في كثير من المناسبات حيث يبدأ السياق بطرح سؤال ما كقوله تعالى :﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيْثُ ضَيْفِ إِبرَاهِيْمَ المُكْرَمِيْنَ﴾(٥)

---

١ - انظر كتاب «كيف تكسب الأصدقاء» - كارينجي ص١٥٤

٢ - الآيات : طه:١٧-٢٤

٣ - الكشاف : (٢/٥٣٣).

٤ - حكاه أبو سليمان الدمشقي (زاد المسير: ٥/٢٧٨) بتصرف

٥ - الذاريات :٢٤

فبدأ الحديث عن إبراهيم بالسؤال تنويها بهذا الحديث وتهيئة للأذهان(١) ومن شواهد ذلك أيضا أسئلته ﷺ للصحابة في أكثر من موضع بقصد استحضار أذهانهم ولفت أنظارهم :- ومنه حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه: (ذكر النبي ﷺ قعد على بعيره وأمسك إنسان بخطامه - أو بزمامه - قال : أي يوم هذا ؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه، قال : أليس يوم النحر ؟ قلنا : بلى قال: فأي شهر هذا، فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. فقال: أليس بذي الحجة ؟ قلنا : بلى قال: فَإِنَّ دِمَاءَكم وأَمْوَالَكم وَأَعْرَاضَكم بَيْنَكم حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يومِكُمْ هَذا، فِي شَهْرِكِمْ هَذا، فِي بَلَدِكُمْ هَذا، لِيُبَلِّغَ الشَاهِد الغَائِب، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَىٰ أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَىٰ مِنْه)(٢).وفي الفتح عن القرطبي قال: (سؤاله ﷺ عن الثلاثة وسكوته بعد كل سؤال منها كان لإستحضار فهومهم وليقبلوا عليه بكليتهم وليستشعروا عظمة ما يخبرهم عنه..)(٣) وقال النووى : (هذا السؤال والسكوت والتفسير أراد به التفخيم والتقرير والتنبيه على عظم مرتبة هذا الشهر والبلد واليوم)(٤) - فالنبي ﷺ - طرح هذه الأسئلة الواضحة الإجابة، إذ ليس المقصود منها تعليمهم اجابتها فهم يعلمون في أي يوم وفي أي شهر وفي أي بلد يحجون. ولكن أراد لفت إنتباههم وتهيئة نفوسهم لما سيأتي من الكلام وهو أسلوب لطيف لتفريغ ذهن المستمع وأقرب إلى إنصاته واستعداده للحوار.

ومن نماذجه المشهورة أيضا ماجاء بعد نزول قوله تعالى :﴿وَأَنْذِرْ عَشِيْرَتَكَ الأَقْرَبِيْنَ﴾(٥) حيث صعد النبي ﷺ على الصفاونادى بطون قريش حتى اجتمعوا،

---

١ - الظلال : (٣٣٨٢/٦)

٢ - أخرجه البخاري : العلم (٦٧)، مسلم: القسامة (١٣٠٥/٣) رقم ٢٩

٣ - الفتح: (١٥٩/١)

٤ - مسلم بشرح النووي (١٦٩/١١)

٥ - الشعراء:٢١٤

فقال :(أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا نعم ماجربنا عليك إلا صدقا قال : فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ)(١) فهو ﷺ يسألهم ليقررهم بصدقه، ويهيئهم لقبول ما يخبرهم به من أمر الغيب(٢) كما يشهد لذلك رواية الإمام مسلم لحديث ضمام ابن ثعلبة. وقال فيه : (يامحمد! أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك. قال : صدق ، قال : فمن خلق السماء ؟ قال الله قال : فمن خلق الأرض ؟ قال : الله، قال فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ماجعل ؟ قال : الله، قال : فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك ؟ قال : نعم....)(٣) الحديث.

قال النووي : (هذه جملة تدل على أنواع من العلم. قال صاحب التحرير (هذا من حسن سؤال هذا الرجل وملاحة سياقته وترتيبه فإنه سأل أولا عن صانع المخلوقات من هو ثم أقسم عليه به أن يصدقه في كونه رسولا للصانع ثم لما وقف على رسالته وعلمها أقسم عليه بحق مرسله. وهذا ترتيب يفتقر إلى عقل رصين، ثم إن هذه الأيمان جرت للتأكيد وتقرير الأمر لا لافتقاره إليها كما أقسم الله تعالى على أشياء كثيرة، هذا كلام صاحب التحرير)(٤)

فهذه كلها أسئلة غير مقصودة لذاتها. وليست في صلب موضوع الحوار وإنما طرحت للتقرير والتدرج والتهيئة، فبان من هذا أن طرح مثل هذه الأسئلة قبل البدء والدخول في الحوار أدب جميل يحسن بالمحاور مراعاته ليكون الحوار ناجحا.

---

١ - أخرجه البخاري : التفسير (٤٧٧١)، مسلم الإيمان (١/١٩٣) رقم٣٥٥، أحمد(١/٢٨١).

٢ - الفتح (٨/٥٠٣)

٣ - تقدمت الإشارة اليه آنفا

٤ - شرح النووي :(١/١٧٠)

٣ - استعمال مقدمات أخرى - غير ماسبق - قبل الدخول في موضوع الحوار :
قد يكون الطرفان متعارفين ولا حاجة لإعادة التعارف بينهما، كما قد يكون الوقت ضيقا لايتسع لطرح الأسئلة، أو لايحتاج الوضع إلى مقدمات طويلة عن طريق الأسئلة المعروفة الإجابة (كما تقدم) وإنما يحتاج الوضع إلى كلمات أو عبارات سريعة تهيء نفسية الطرف الآخر وتلفت انتباهه فلذلك لابأس بأن يبدأ المحاور بمقدمات لطيفة قبل الدخول في موضوع الحوار.

ومن شواهد ذلك في القرآن ما جاء في دخول الملائكة على إبراهيم وبدئهم بتبشيره بغلام عليم. مما أفرحه وزوجه، واذهب عنه الروع والفزع، فشرع بعدها في الحوار والجدال كما أخبر الله تعالى عنه قال تعالى :﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلاماً قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ . فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُم لَاتَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَاتَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ....﴾ الآيات إلى قوله :﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾(١). قال الزمخشري : (والمعنى : انه لما أطمأن قلبه بعد الخوف وملىء سرورا بسبب البشرى بدل الغم فرغ للمجادلة)(٢) - وقال سيد قطب رحمه الله : ما ملخصه : (وهكذا عجلوا له البشرى... وبعد أن اطمأن إلى الملائكة، وثابت نفسه وأطمأنت للبشرى راح يستطلع سبب مجيئهم وغايته)(٣).

إذا فقد كان للبشرى والكلام الذي صحبها، أثر واضح على نفسية إبراهيم عليه السلام، ودور ملموس في تهيئته للحوار.

وقد يكون من هذا الباب أيضا أمر الله لموسى بأن يخلع نعليه، تهيئة له وإعدادا، قال سيد قطب(٤) : (وبعد اعلانه بالتكريم والإختيار، والإستعداد

---

١ - هود :٦٩-٧٤

٢ - الكشاف : (٢/٢٨٢)

٣ - الظلال : (٤/٢١٤٨)

٤ - الظلال : (٤/٢٣٣١)

والتهيؤ بخلع نعليه يجيء التنبيه للتلقي ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾(١)٠وقريب من ذلك شكوى زكريا إلى ربه، ووصفه لحاله وشيخوخته وخشيته على الدعوة من بعد وفاته، وكان ذلك منه قبل أن يدعو الله عز وجل ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً ٠٠٠﴾ إلى قوله:﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً﴾(٢)٠

فظهر من خلال الآيات السابقة: أن البشرى لإبراهيم، والأمر بخلع النعلين لموسى، لم يكن من صلب موضوع الحوار، وإنما كان مقدمة له، وكان له أثره الظاهر في فتح باب الحوار٠

ومن أدلته ايضا ما تقدم من قول ضمام للنبي ﷺ (٠٠٠ إني سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد علي في نفسك) قال الحافظ ابن حجر :(وظهر عقل ضمام في تقديمه الاعتذار بين يدي مسألته، لظنه أنه لايصل إلى مقصوده إلا بتلك المخاطبة)(٣)٠

فكان هذا الكلام من ضمام في غاية الأدب والاعتذار، والتقديم لموضوع الحوار، حتى قال له النبي ﷺ: «سَلْ مَا بَدَا لَكَ» فكانت مقدمة لطيفة شرحت صدر النبي ﷺ له، وكان بعدها ذلك الحوار الطويل الشيق٠

ومن أمثلة ذلك ما جاء في احتجاج آدم وموسى عليهما السلام، حيث قال موسى: «انت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، واسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض ؟ فقال آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء، وقربك نجيا، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق ؟ قال موسى : بأربعين عاما٠قال آدم: فهل وجدت فيها:﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾(٤)؟

---

١ - طه :١٣

٢ - مريم :٤- ٥ (وانظر الظلال : ٢٣٠٢/٤)

٣ - الفتح: (١٥١/١)

٤ - طه :١٢١

قال : نعم، قال : أفتلومني على أن عملت عملا كتبه الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟ قال ﷺ :«فحج آدم موسى»(١)

فواضح من هذا الحوار المقدمة الطويلة التي وضعها موسى عليه السلام - قبل أن يعاتب آدم أو يحاوره، حيث إنه ذكره بنعم الله عليه من خلقه بيده، ونفخه فيه من روحه، وإسجاد الملائكة له، وإسكانه الجنة، ثم عاتبه بخطيئته.وكان رد آدم أبلغ وأقوى، وتمثل فيه هذا الأدب بصورة أوضح، حيث أثنى على موسى وذكره بنعم الله عليه، كما قد فعل موسى - ثم استدرجه بسؤاله عن زمن كتابة الله للتوراة، وتقريره بأن ذلك كان قبل أن يخلق الله آدم بأربعين سنة، ثم سأله عن الآية التي أخبر الله فيها عن معصيته، وأقر موسى بها، وكان كل ذلك من آدم كالمقدمات لما ذكره بعد ذلك من العتاب والرد على موسى، فكان ردا قويا مرتبا مؤدبا، أقره عليه رسولنا ﷺ - حيث قال : «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ».

ومن المقدمات اللطيفة التي تهيء جو الحوار: ما كان من مقدمة معاوية بن الحكم السلمي حيث قال : (قلت يارسول الله : إنا حديث عهد بجاهلية، فجاء الله بالاسلام، وإن رجالا منا يتطيرون...) الحديث(٢).

فهذا الصحابي يضع مقدمة مختصرة يصف فيها حال قومه، وقرب عهدهم بالجاهلية، ثم مجيء الإسلام ودخولهم فيه، ليسأل بعد ذلك عن بقايا ومخلفات من تلك الجاهلية، وحكمها في الإسلام.

ومن أجمل المقدمات التي استعملت لتهيئة نفسية المحاور، ما كان من فعل المصطفى ﷺ، حيث كان يهيء جو الحوار والحديث، ويلفت انتباه السامع إليه، ولو بكلمة أو كلمتين، كما جاء في حديث معاذ، حيث كان ردف النبي ﷺ فقال : (يا معاذ بن جبل!، فأجاب: لبيك يارسول الله وسعديك ثم سار ساعة ثم قال :

---

١ - تقدم ذكره في أول البحث «التعريفات» ص:١٢

٢ - تقدم تخريجه في مبحث الكلمة الطيبة ص:٧٠

يا معاذ بن جبل فقال : لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة ثم قال : يا معاذ بن جبل! قال : لبيك رسول الله وسعديك. قال : «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَىٰ العِبَادِ.... الحديث»(١). فنرى من هذا الحديث أن النبي ﷺ يهيء نفسية معاذ رضي الله عنه لإخباره بأمر عظيم، ولا يزيد على مناداته باسمه حتى إذا استجاب وانتبه وفرغ سمعه، سكت عليه الصلاة والسلام، ثم يسير ساعة ثم يعود ويناديه ويلفت إنتباهه، وفي المرة الثالثة وبعد أن يتأكد من انصات معاذ وتهيئته، يدخل معه في موضوع الحوار ويبدؤه بسؤال، حتى يشد الإنتباه أكثر، ثم يسر اليه بذلك الأمر العظيم. فيعيه معاذ ويفهمه تماما، ويرسخ في ذهنه ويتذكره إلى وفاته.

ومما استنبطه الحافظ في شرحه لحديث الإفك هذا الأدب حيث قال :(وفيه استعمال التوطئة فيما يحتاج اليه من الكلام)(٢) وأخذه من كلام عائشة في بداية عرضها للقصة وذكرها لما كان يفعله ﷺ من القرعة بين نسائه وأن الحادثة كانت بعد نزول الحجاب.. الخ(٣).

ولعل هذه النماذج كافية في بيان المقصود من أهمية وضع المقدمات، وبيان دورها في بدء الحوار، وأثرها البالغ في تذليل نفسية الطرف الآخر وتقريب وجهات النظر.

---

١ - أخرجه البخاري: العلم١٢٨، مسلم الإيمان (٥٨/١) رقم ٤٨

٢ - الفتح (٤٧٩/٨).

٣ - سيأتي الحديث وتخريجه إن شاء الله. (انظر ص ١٢٥)

المبحث الثاني : الإخلاص وصدق النية

لابد من توفر حسن النية وسلامة القصد، والإخلاص لله في الحوار والمناظرة، وأن يكون الحوار لحراسة الشريعة والذب عنها، ولدلالة الناس على الهدى وتثبيتهم عليه، وكشف أحوال المندسين بينهم.(١) ولا ينبغي أن يدخل الداعية في حوار مالم يكن متأكدا من أن نيته لله عز وجل، متخلصا من قصد الرياء والسمعة، بعيدا عن قصد الظهور على الخصم، أو التفوق على الآخرين، أو الإنتصار للنفس، وبز النظير أو انتزاع الإعجاب والثناء(٢) فإن من (تكلم بحق لقصد العلو في الأرض أو الفساد، كان بمنزلة الذي يقاتل حمية ورياء، وإن تكلم لأجل الله تعالى مخلصا له الدين، كان من المجاهدين في سبيل الله، من ورثة الأنبياء، خلفاء الرسل)(٣)

وهذا الأدب قد يكون في النظر سهل الإعتبار والمأخذ، ولكنه عند التطبيق والتدقيق عزيز المنال، صعب المدرك، فكم من الناس يظهر أنه يدعو إلى الحق وهو يدعو إلى نفسه، ويريد العلو والإنتصار لشخصه أو لشيخه أو غير ذلك(٤).

ويمكن للمحاور أن يصحح نيته قبل الدخول في الحوار، وذلك بمساءلة النفس عن الغرض من الحوار وهل هو إرادة الحق فحسب، أو أن هناك أغراضا أخرى كحب الظهور وافحام الخصم، أو أن يرى الناس مكانه، أو تحقيقا لشهوة الكلام،ثم وبعد التأكد من صحة النية فعليه أن ينظر هل هناك مصلحة وفائدة من الحوار في هذه القضية، أم أنها ستكون سببا في شقاق ممقوت وخلاف مذموم، وفرقة وتباغض ، أوسببا في إثارة فتنة، أو فتح باب للشر يمكن الإستغناء عنه.

----

١ - انظر :"الرد على المخالف": بكر أبو زيد ص٥٤

٢ - أصول الحوار ص١٩

٣ - الفتاوى : (٢٨/٢٣٥)

٤ - أدب الخلاف لابن حميد ص٥٠

فإذا وجد شيء من الأغراض الفاسدة أو احتمالا لمفسدة، فعلى المحاور أن يحجم عن الحوار، حتى تتجرد نيته تماما لله عز وجل، ويتأكد أنه يريد الحق، وأن المصلحة في دخول الحوار واجراء المناظرة.

ولذلك فإن المفترض في المحاور المسلم المخلص لله عز وجل أن يفرح إذا ظهر الصواب على لسان مخالفه، وقد تقدم ما روي عن الإمام الشافعي قوله : (ماناظرت أحدا إلا تمنيت لو أن الله أظهر الحق على لسانه).(١) فيكون المهم هو صحة الفكرة وظهور الحق، فليست الأفكار ملكا لأحد بعينه، وليس الصواب حكرا على شخص دون آخر، والفرح بإنتشار الفكرة الصحيحة ولو بجهود الغير، وظهورها على لسان الآخرين، دليل على الصدق مع الله عز وجل، وعلى التخلص من حظوظ النفس، يقول سيد قطب رحمه الله(٢): (إن الفرح الصافي هو الثمرة الطبيعية لأن نرى أفكارنا وعقائدنا ملكا للآخرين، ونحن بعد أحياء. إن مجرد تصورنا لها أنها ستصبح - ولو بعد مفارقتنا لوجه هذه الأرض - زادا للآخرين وريا، ليكفي لأن تفيض قلوبنا بالرضى والسعادة والإطمئنان) ثم يمثل لمن يريد احتكار الأفكار، وامتلاك الحقائق، بقوله: (التجار وحدهم هم الذين يحرصون على العلاقات التجارية لبضائعهم كي لا يستغلها الآخرون، ويسلبوهم حقهم من الربح، أما المفكرون وأصحاب العقائد فكل سعادتهم في أن يتقاسم الناس أفكارهم وعقائدهم ويؤمنوا بها إلى حد أن ينسبوها لأنفسهم لا إلى أصحابها الأولين)

والكلام في موضوع الإخلاص طويل جدا، وذلك لأهمية الموضوع ومنزلته، حيث إنه أحد شروط قبول العمل كما هو معروف، قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَايُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾(٣).

---

١ - انظر معناه في سير اعلام النبلاء : (٢٩/١٠)

٢ - افراح الروح ص١٤-١٥

٣ - الكهف:١١٠

قال ابن كثير رحمه الله: [﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً﴾:ما كان موافقا لشرع الله «ولايشرك بعبادة ربه أحدا»:وهو الذي يراد به وجه الله وحده لاشريك له، وهذان ركنا العمل المتقبل، لابد أن يكون خالصا لله صوابا على شريعة رسول الله ﷺ](١)٠

وعليه فكل عمل لابد له من نية، وإنما أجره وجزاؤه على حسب تلك النية، كما قال ﷺ «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى»(٢) ومن هذه الأعمال الفاضلة التي تحتاج إلى صدق النية، ويتأكد فيها الإخلاص : الحوار والمناظرة، إذ إن النفس تهوى العلو والإنتصار، وترفض الخضوع والإنكسار - ولو كان أمام الحق الأبلج - فهو أمر عسير إلا على من يسره الله عليه، وإن مما يقدح في الإخلاص وينافيه الرياء والسمعة وطلب الشهرة والرغبة في العلو والإنتصار، والتعصب والعجب والغرور والتكبر، والإفتخار والبغي واحتقار الآخرين واظهار الشماتة بهم ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً﴾(٣)٠ ولذلك كان أمر الإخلاص عسيراً، إذ قد يسلم المحاور من مرض من تلك الامراض، فيقع في آخر أعظم منه، فنسأل الله الإخلاص في القول والعمل، ونعوذ بالله من أمراض القلوب ومداخل الشيطان٠

أما النصوص الواردة في ضرورة الإخلاص في الحوار فمنها :-

ما جاء في دعوة الأنبياء لأقوامهم، وصدقهم فيها، وابداء النصح لهم ، ومن ذلك قول نوح عليه السلام لقومه: ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَالَا تَعْلَمُونَ﴾(٤)،

---

١ - تفسير ابن كثير(١٠٨/٣)

٢ - البخاري في كتاب بدء الوحي برقم ١، مسلم: كتاب الإمارة (١٥١٥/٣) رقم١٥٥، أبو داود: كتاب الطلاق (٢٦٩/٢) رقم٢٢٠١ ، الترمذي: كتاب فضائل الجهاد (١٧٩/٤)، النسائي كتاب الطهارة (٥٨/١) رقم٠٧٥

٣ - الإسراء:٣٨

٤ - الأعراف:٦١-٦٢

ومثله قول هود عليه السلام ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾(١) قال ابن كثير رحمه الله : (وهذه الصفات التي يتصف بها الرسل البلاغ والنصح والأمانة)(٢)٠

فهؤلاء رسل الله المؤيدون بالوحي، يظهر نصحهم واخلاصهم وحسن مقاصدهم، بل يجهدون في النصح والبلاغ، قال الشوكاني رحمه الله (يقال نصحته ونصحت له، وفي زيادة اللام دلالة على المبالغة في امحاض النصح٠ قال الأصمعي : الناصح: الخالص من الغل، وكل شيء خلص فقد نصح، فمعنى أنصح هنا : أخلص النية لكم عن شوائب الفساد)(٣)٠

وقال الزمخشري : نحوا مما تقدم: (وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة مع امحاض النصيحة، وأنها وقعت خالصة للمنصوح له، مقصودا بها جانبه لاغير، فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعا، ولا نصيحة أمحض من نصيحة الله تعالى، ورسله عليهم السلام)(٤)

وإذا كان الرسل عليهم السلام قد نصحوا وأخلصوا، فإن من تمام الإخلاص طلب الأجر من الله عز وجل، وعدم سؤال أحد من الناس مالا ولا أجرا على الدعوة والنصح والإيمان، وهذا ماقاله الرسل منذ أن بعثوا وفور أن ارسلوا، فقد قال نوح عليه السلام ما ذكره الله عنه في قوله ﴿وَيَاقَوْمِ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ اللَّه﴾(٥) وقالها هود عليه السلام ﴿يَاقَوْمِ لَاأَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ الَّذِيْ فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُوْنَ﴾(٦)٠

----

١ - الأعراف :٦٧-٦٨

٢ - ابن كثير : (٢/٢٢٤)

٣ - فتح القدير :(٢/٢١٦)

٤ - الكشاف : (٢/٨٦)

٥ - هود :٢٩

٦ - هود :٥١

ومثل ذلك ما ذكره الله في مواضع أخر عن نوح وهود وصالح ولوط وشعيب، حيث قال كل واحد منهم لقومه ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(١) ونحو ذلك في معنى تلك الآيات.

فإعلان هذا الأمر دليل على الإخلاص، وقطع للطريق على المغرضين المشككين، يقول الزمخشري في بيان معنى قوله﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾(٢) (أي: مانصحتكم إلا لوجه الله لا لغرض من أغراض الدنيا)(٣) وقال في موضع آخر : (ما من رسول إلا واجه قومه بهذا القول، لأن شأنهم النصيحة، والنصيحة لايمحصها ولا يمحضها إلا حسم المطامع، ومادام يتوهم شيء منها لم تنجع ولم تنفع)(٤).

فينبغي على المحاور أن يقصد وجه الله أولا، ثم يبين قصده وهدفه من حواره ، وخاصة إذا كان الخصم معاندا مستكبرا، ثم عليه أن يساعد خصمه في طلب الإخلاص وتصحيح النية والقصد، والبعد عن الإستغلال السيء للحوار، قال سيد قطب - رحمه الله - في تعليقه على آيات الشعراء ما نصه:{ثم يطمئنهم من ناحية الدنيا وأعراضها، فما له فيها من أرب بدعوتهم إلي الله، وما يطلب منهم أجرا جزاء هدايتهم اليه، فهو يطلب أجره من رب الناس الذي كلفه دعوة الناس. وهذا التنبيه على عدم طلب الأجر يبدو أنه كان دائما ضروريا للدعوة الصحيحة، تمييزا لها مما عهده الناس في الكهان ورجال الأديان من استغلال الدين لسلب أموال العباد. وقد كان الكهنة ورجال الدين المنحرفون دائما مصدر ابتزاز للأموال بشتى الأساليب، فأما دعوة الله الحقة فكان دعاتها دائما متجردين، لايطلبون أجرا على الهدى، فأجرهم على رب العالمين}(٥).

---

١ - الشعراء : (١٠٧-١٠٩،١٢٥-١٢٧،١٤٣-١٤٥،١٦٢-١٦٤،١٧٨-١٨٠)

٢ - يونس:٧٢

٣ - الكشاف:(٢/٢٤٦)

٤ - الكشاف: (٢/٢٧٥)

٥ - الظلال:(٥/٢٦٠٧)

ومن أدلة ذلك أيضا ما جاء في قول شعيب عليه السلام لقومه ﴿إِنْ أُرِيْدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَااسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيْ إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيْبُ﴾(١) والمعنى : (أي ليس لي من المقاصد إلا أن تصلح أحوالكم، وتستقيم منافعكم، وليس لي من المقاصد الخاصة لي وحدي، شيء بحسب استطاعتي)(٢)· فقد بين عليه السلام مقصده، وغاية ما يريده والسعي إليه، ونفى عن نفسه أي مقصد آخر، أو غرض دنيوي، وهذا تحقيق الإخلاص·

ومن الشواهد على هذا الأدب ماتقدم ذكره(٣) من الإستدلال بقوله تعالى :﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوْا لِلَّهِ···﴾(٤) الآية· فهذه الآية نص في المناظرة والحوار، وأهمية الإخلاص لله فيهما، وضرورة طلب الحق وحده، كما قال الزمخشري في معنى الآية أي (أن تقوموا لوجه لله خالصا)(٥)· وقال الشيخ السعدى رحمه الله: (أي تنهضوا بهمة ونشاط وقصد لاتباع الصواب وإخلاص لله)(٦) وكما قال سيد قطب: (وهي «واحدة» إن تحققت صح المنهج واستقام الطريق· القيام لله·· لا لغرض ولا لهوى ولا لمصلحة ولا لنتيجة··· التجرد·· الخلوص·· ثم التفكر والتدبر بلا مؤثر خارج عن الواقع الذي يواجهه القائمون لله المتجردون)(٧)·

ومن شواهده ايضا ما علق به سيد قطب رحمه الله على قصة الملأ من بني اسرائيل وقولهم لنبيهم :﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِيْ سَبِيْلِ اللَّهِ﴾(٨)

---

١ - هود :٨٨

٢ - تفسير السعدي :(٢/٣٨٤)

٣ - انظر تفصيل الكلام عن الآية في المبحث الثالث من الباب الأول·

٤ - سبأ :٤٦

٥ - الكشاف: (٣/٢٩٤)

٦ - تفسير السعدي (٤/١٩٨)

٧ - الظلال : (٥/٢٩١٤)

٨ - البقرة :٢٤٦

حيث قال :(وهذا الوضوح وهذا الحسم هو نصف الطريق إلى النصر، فلابد للمؤمن أن يتضح في حسه أنه على الحق وأن عدوه على الباطل، ولابد أن يتجرد في حسه الهدف... في سبيل الله.. فلا يغشيه الغبش الذي لايدري معه إلى أين يسير.

وقد اراد نبيهم أن يستوثق من صدق عزيمتهم، وثبات نيتهم، وتصميمهم على النهوض بالتبعة الثقيلة ، وجدهم فيما يعرضون عليه من الأمر...) الخ كلامه(١).

وكذلك تعليقه رحمه الله على قصة موسى مع فرعون وسحرته، ونصحه عليه السلام لهم قبل الدخول معهم في الجدال والتحدى قال الله تعالى :﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَاتَفْتَرُواْ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾(٢) حيث قال رحمه الله : (والكلمة الصادقة تلمس بعض القلوب وتنفذ فيها. ويبدو أن هذا الذي كان، فقد تأثر بعض السحرة بالكلمة المخلصة، فتلجلج في الأمر)(٣)

وإذا كان أمر الأخلاص بالأهمية التي ظهرت، فإنه لابأس بالنسبة للمحاور أن يتأكد من نية محاوره وسلامة قصده، ومثال ذلك ما أخرجه الترمذي عن قيس بن كثير قال : قدم رجل من المدينة على أبي الدرداء وهو بدمشق فقال : ما أقدمك يا أخي ؟ فقال : حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ قال : أما جئت لحاجة ؟ قال :لا، قال : أما قدمت لتجارة ؟ قال : لا، قال : ماجئت إلا في طلب هذا الحديث ؟ قال : فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يبتَغِي فِيهِ عِلْماً سَلَكَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَىٰ الجَنَّةِ... الحديث»(٤).

---

١ - الظلال :(٢٦٦/١)

٢ - طه:٦١

٣ - الظلال :(٢٣٤١/٤)

٤ -الترمذي : كتاب العلم (٤٨/٥) رقم٢٦٨٢ (وانظر صحيح الترمذي للألباني: رقم٢١٥٩) ، ابن ماجة في المقدمة (٨١/١) رقم٢٢٣

وقريب منه حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : (خرج معاوية على حلقة في المسجد فقال : ما أجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله. قال: آلله! ما أجلسكم إلا ذاك ؟ قالوا : والله! ما أجلسنا إلا ذاك، قال : أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، وما كان أحد بمنزلتى من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثا مني ، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه. فقال : ما أجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومن به علينا، قال : آلله! ما أجلسكم إلا ذاك ؟ قالوا : والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال : أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم. ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة»(١).

ففي الحديثين ما يدل على أهمية الإخلاص وتأكده، وكذلك فيهما أن للمحاور أن يذكر محاوره ويتأكد من نيته وسلامة قصده، كما فعل أبو الدرداء ومعاوية، اقتداء برسول الهدى ﷺ .ولا مانع من أن يحث المحاور خصمه ويرغبه في الصدق مع الله، والإخلاص له والتجرد، وترك الرياء والسمعة وغيرها من الأمراض القلبية، والشهوات الخفية، ومن الشواهد التي تدل على امكانية الترغيب في صدق النية والحث عليها ما جاء في قصة الأعرابي الذي آمن وأتبع النبي ﷺ، فلما كانت غزوة وغنم النبي ﷺ سبيا فقسم له فأعطوه فقال : ما هذا ؟ قالوا : قسم قسمه لك النبي ﷺ فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ فقال : ما هذا؟ قال : قسمته لك، قال : ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك علىأنأرمى هاهنا واشار إلى حلقه بسهم، فأموت فأُدخل الجنة. فقال : إن تصدق الله يصدقك، فلبثوا قليلا ثم نهضوا في قتال العدو فأتي به النبي ﷺ يحمل قد أصابه بسهم حيث أشار، فقال النبي ﷺ: أهو هو. قالوا نعم. قال : صَدَقَ اللَّهَ فَصَدَقَهُ..»(٢) إلى آخر الحديث .

---

١ - مسلم : كتاب الذكر والدعاء (٢٠٧٥/٤) رقم٤٠، أحمد : (٩٢/٤) النسائى :كتاب القضاة (٢٤٩/٨) رقم٥٤٢٦

٢ - النسائي : كتاب الجنائز (٦٠/٤) رقم١٩٥٣ (انظر صحيح النسائي للألباني رقم١٨٤٥).

ولعل هذه الأمثلة كافية في بيان الأدب المقصود، وهو الإخلاص والتجرد لله عز وجل قبل وأثناء وبعد الحوار، وتجنب كل ما من شأنه أن يخدش الإخلاص أو يقدح في سلامة القصد، إذ إنه قد يحبط العمل ويضيع الثمرة والنتيجة.

والمناظرة والحوار بدون نية حسنة مضرة بالمحاور (ذكر الذهبي عن ابن بطة قال : سمعت البربهاري يقول : المجالسة للمناصحة فتح باب الفائدة، والمجالسة للمناظرة غلق باب الفائدة)(٣) والله أعلم.

---

٣ - انظر سير أعلام النبلاء (٩١/١٥)

المبحث الثالث : الإنصاف والعدل والتفريق بين الفكرة وصاحبها

إن العدل والإنصاف مع الخصم، مبدؤ مهم صعب جليل، وإن المفترض في المسلم أن يكون عادلا منصفا، حيث إن منهج هذا الدين هو الأمر بالعدل والنهي عن الظلم، قال تعالى :﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾(١)· والعدل مطلوب في القول: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾(٢) كما هو مطلوب في الحكم : ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾(٣)، ولو اتبع المسلمون هدي دينهم فى هذا الأمر لما وقع كثير من المسلمين فيما وقعوا فيه من الظلم والإختلاف والنزاع والشقاق وكيل التهم والتشهير وتتبع العثرات وكشف الزلات ونسيان الحسنات ونحوه مما لايستفيد منه إلا الشيطان وأولياؤه· ومن تمام الإنصاف قبول الحق من الخصم والتفريق بين الفكرة وصاحبها، وأن يبدي المحاور اعجابه بالأفكار الصحيحة والأدلة الجيدة، والمعلومات الجديدة التي يوردهاخصمه وهذا الإنصاف له أثره الإيجابي لقبول الحق، ويضفي على المحاور روح الموضوعية(٤)·

وإنما كان الإنصاف والعدل صعبا، لما اتصف به الإنسان من الجهل والظلم :﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾(٥) فأكثر الناس مجبول على عدم الإنصاف إلا من رحم الله ولذلك قال الإمام الشعبي رحمه الله : (والله لو أصبت تسعا وتسعين مرة، وأخطأت مرة لأعدوا علي تلك الواحدة)(٦)·

---

١ - النحل:٩٠

٢ - الأنعام:١٥٢

٣ - النساء:٥٨

٤ - انظر رسالة «وإذا قلتم فأعدلوا» للجليل ص٤٢،وأصول الحوارص٤٢

٥ - الأحزاب:٧٢

٦ - سير أعلام النبلاء:(٣٠٨/٤)

وقد ذكر العلماء ضوابط وقواعد في العدل والإنصاف : فمن ذلك قول عبدالله بن المبارك رحمه الله :(إذا غلبت محاسن الرجل على مساوئه لم تذكر المساوىء، وإذا غلبت المساوىء على المحاسن لم تذكر المحاسن)(١)٠

وذكر عن حاتم الأصم أنه قال : (معي ثلاث خصال أظهر بها على خصمي، قالوا : وما هي ؟ قال : أفرح إذا أصاب خصمي، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ نفسي لا تتجاهل عليه٠ فبلغ ذلك الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله فقال : (سبحان الله ما كان أعقله من رجل)(٢)٠

وفي ذلك يقول ابن القيم رحمه الله في نونيته(٣) :

وتعرّ من ثوبين من يلبسهما　　　يلقى الردى بمذمة وهوان

ثوب من الجهل المركب فوقه　　　ثوب التعصب بئست الثوبان

وتحل بالإنصاف أفخر حلة　　　زينت بها الأعطاف والكتفان

ولاشك أن الآيات والأحاديث، والأمثلة والنماذج والسير كثيرة جدا في تقرير هذا المبدأ وتأصيله، وهناك نصوص عامه تأمر بالعدل والإنصاف في الحوار وغيره ومنها :-

قوله عز وجل : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِيْنَ بِالقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الوَالِدَينِ وَالأَقْرَبِيْنَ﴾(٤) ، ومثلها قوله سبحانه وتعالى :﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِيْنَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالقِسْطِ وَلَايَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُواْ٠ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾(٥)

---

١ - نفس المصدر : (٣٩٨/٨)

٢ - الرد على المخالف: نقلا عن ابن الجوزي: ص٦٠

٣ - الكافية الشافية لابن القيم:١٩

٤ - النساء:١٣٥

٥ - المائدة:٨

وخلاصة معنى الآيتين : أن الله عز وجل يرشد المؤمنين إلى أن يكون من أخلاقهم وصفاتهم القيام بالقسط أي العدل، وأن يقولوا الحق ولو على أنفسهم أو أحد من أقاربهم، كما أنه يحذرهم من أن تحملهم العداوة والبغضاء لقوم على ظلمهم وجورهم، ويزجرهم عن اتباع الهوى في الشهادة ونحوها(١).

قال الزمخشري عند تفسيره للآية الثانية المذكورة آنفا: (وفيه تنبيه عظيم على أن وجوب العدل مع الكفار الذين هم اعداء الله إذا كان بهذه الصفة من القوة، فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه واحباؤه)(٢). فالآيات تفرض العدل في جميع الأحوال، كما تحذر الظلم وتحرم الجور في جميع الأوقات، إذ قد مضت سنة الله العادلة في خلقه بأن (جزاء ترك العدل، وعدم اقامة القسط في الدنيا، هو ذل الأمة وهوانها، واعتداء غيرها من الأمم على استقلالها، ولجزاء الآخرة أذل وأخزى، وأشد وأبقى)(٣).

وكما يروى عن شيخ الإسلام قوله: إن الله ينصر الأمة العادلة ولو كانت كافرة، ويذل الأمة الظالمة وإن كانت مسلمة.* ولذلك كان المسلمون بهداية القرآن ونهجه هم (أعدل الأمم وأقومها بالقسط وصدق على سلفهم قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾(٤)، ثم خلف من بعد أولئك السلف خلف نبذوا هداية القرآن وراء ظهورهم، حتى صارت جميع الأمم تضرب المثل بظلم حكامهم وسوء حالهم، وتفخر عليهم بالعدل، بل صار الذين ليس لهم من الإسلام إلا اسمه يلتمسون من تلك الأمم القسط وما يهدي اليه من العلم)(٥).

---

١ - انظر الطبري: (٥/٣٢١، ٦/١٤١)

٢ - الكشاف : (١/٥٩٨)

٣ - مختصر تفسير المنار :(٢/٢٩٣)

* انظر الاستقامة : ٢/٢٤٧

٤ - الأعراف :١٨١

٥ - مختصر المنار (٢/١٩٩)

ومن الآيات في ذلك ما جاء في الوصايا العشر في آخر سورة الأنعام ومنها قوله تعالى :﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾(١) والمعنى: أي إذا قلتم بقول في خبر أو شهادة أو جرح أو تعديل بين الناس ، فتكلمتم فقولوا الحق بينهم واعدلوا وأنصفوا ولا تجوروا، بل تحروا الصواب، وراعوا الصدق فيمن تحبون ومن تكرهون، وراعوا الإنصاف وعدم الميل إلى طرف دون آخر، ولا تتعصبوا لقريب ولا على بعيد، ولا تميلوا إلى صديق ولا على عدو، فإن ذلك من الظلم المحرم(٢).

ومن نماذج الإنصاف في القرآن ما جاء في وصف أهل الكتاب وذكر بعض مثالبهم كما في قوله تعالى :﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمِ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاؤُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾(٣) ثم انصف الله عز وجل المتقين منهم بقوله :﴿ لَيْسُواْ سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ...﴾(٤) الآيات ومثلها إنصافهم في قوله تعالى : ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَيُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَادُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً...﴾ الآية(٥).

قال في الظلال عند الآية الأولى: (وهذا غاية الإنصاف والعدل للقلة الخيرة منهم، التي وعدها الله بالوعد الصادق لهم : أنهم لن يبخسوا حقاً، ولن يكفروا أجرا مع الإشارة إلى أن الله سبحانه - علم أنهم من المتقين)(٦).

---

١ - الأنعام:١٥٢

٢ - باختصار وتصرف عن الطبري : (٨٦/٨) وفتح القدير: (١٧٨/٢)، وتيسير الكريم الرحمن : (٨٦/٢).

٣ - آل عمران: (١١٢)

٤ - آل عمران:١١٣

٥ - آل عمران :٧٥

٦ - بتصرف يسير عن الظلال (٤٥٠/١)

ومن صور الإنصاف في كتاب الله عز وجل ما جاء في محاورة بعض المعاندين، وإنصافهم ومعاملتهم بالعدل، الذين قال الله عنهم: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ، أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ﴾(١) فلقد كانت تلك شبهتهم وهذه حيلتهم، ومع ذلك فقد أنصفوا حيث قال تعالى :﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(٢) قال سيد قطب رحمه الله :(وهذه نهاية الإنصاف، وغاية المطاولة بالحجة)(٣).

ومن نماذج الإنصاف والإعتدال، الإنصاف في محاورة المشركين الطويلة، والتي تبدأ بتقريرهم بربوبية الله عز وجل ثم تضع الفريقين المتحاورين في الميزان العادل، قال سبحانه وتعالى :﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ • قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(٤) وليس بعد هذا من عدل، قال الزمخشري بعد الآية : (وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من[موافق أو مخالف](٥) قال لمن خوطب به قد أنصفك صاحبك)(٦) وقال في الظلال: (وهذه غاية النصفة والإعتدال والأدب في الجدال، أن يقول رسول الله ﷺ - للمشركين: إن أحدنا لابد أن يكون على هدى، والآخر لابد أن يكون على ضلال. ثم يدع تحديد المهتدي منهما والضال. ليثير التدبر والتفكر في هدوء، لاتغشى عليه العزة بالإثم، والرغبة في الجدال والمحال ، فإنما هو هاد ومعلم، يبتغي هداهم وارشادهم لا إذلالهم وإفحامهم، لمجرد الإذلال والإفحام.

---

١ - القصص:٤٨

٢ - القصص:٤٩

٣ - الظلال (٢٦٩٩/٥)

٤ - سبأ :٢٤

٥ - في الأصل(من موال أو مناف) وفي الحاشية (من موافق أو مخالف). الكشاف (٢٨٩/٢).

٦ - الكشاف(٢٨٩/٣)

ثم قال : الجدل على النحو المهذب الموحي أقرب إلى لمس قلوب المستكبرين المعاندين المتطاولين بالجاه والمقام، المستكبرين على الإذعان والإستسلام، وأجدر بأن يثير التدبر الهادئ والإقتناع العميق. وهو نموذج من أدب الجدل ينبغي تدبره من الدعاة(١). ولم يقتصر الأمر عند ذلك الإنصاف في الحوار ولكن زيادة في العدل يقول لهم :﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَانُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(٢). وذكر في الكشاف: (هذا أدخل في الإنصاف وأبلغ فيه من الأول، حيث أسند الإجرام إلى النفس وأسند العمل إلى المخاطبين التزاما للعدل والإنصاف)(٣).

ومن أمثلة الإنصاف في الحوار، محاورة مؤمن آل فرعون لقومه ومنها قوله ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ.إِنَّ اللَّهَ لَايَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾(٤).

ووجه الإستدلال في الآية : (إن هذا الرجل المؤمن قد سلك مع قومه طريق الإنصاف في القول، وأتاهم من جهة المناصحة، فجاء بما علم أنه أقرب إلى تسليمهم لقوله، وأدخل في تصديقهم له وقبولهم منه فقال :﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾(٥) وهو كلام المنصف في مقاله غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردوا عليه، وذلك أنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يعد، ولكنه اردفه:﴿يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِيْ يَعِدُكُمْ﴾(٥) ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيا، فضلا أن يتعصب له أو يرمي بالحصا من ورائه، وتقديم الكاذب على الصادق أيضا من هذا القبيل، وكذلك قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَايَهْدِيْ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾(٥)(٦).

---

١ - الظلال (٥/٢٩٠٥)

٢ - سبأ :٢٥

٣ -الكشاف بتصرف (٣/٢٨٩)

٤ - غافر:٢٨

٥ - غافر :٢٨

٦ - انظر الكشاف (٣/٤٢٥)

وقد ذكر سيد قطب رحمه الله وجها في الإستدلال بقوله تعالى :﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾(١) ثم قوله ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ ونص كلامه : (ثم يفرض لهم أسوأ الفروض، ويقف معهم موقف المنصف أمام القضية، تمشيا مع أقصى فرض يمكن أن يتخذوه: ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ وهو يحمل تبعة عمله، ويلقى جزاءه، ويحتمل جريرته٠ وليس هذا بمسوغ لهم أن يقتلوه على أية حال!!

وهناك الإحتمال الأخر، وهو ان يكون صادقا، فيحسن الإحتياط لهذا الإحتمال، وعدم التعرض لنتائجه:﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾٠٠ وإصابتهم ببعض الذي يعدهم هو كذلك اقل احتمال في القضية، فهو لايطلب اليهم أكثر منه٠وهذا منتهى الإنصاف في الجدل والإفحام)(٢)٠

ويظهر تقرير مبدأ الإنصاف واضحا، وتثبيت مبدأ التفريق بين الفكرة وصاحبها في قوله تعالى :﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً٠ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾(٣) فعلى أن قوله: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (إنه من تصديق الله تعالى لقولها)(٤) : فإن هذا فيه انصاف للقائلة وهي بلقيس، حيث صدقها الله عز وجل وقبل قولها، وقد كانت آنذاك كافرة٠

إلى غير ذلك من أمثلة القرآن وأدلته، أما الشواهد من السنة فهي كثيرة جدا وعليه فسأذكر بعضها، مع اختصار الأحاديث، وذكر موضع الشاهد فيها:

- حديث حاطب بن أبي بلتعة في فتح مكة وارساله لأهل مكة بمسير النبي ﷺ اليهم، وإفشاؤه لسره، ومع ذلك فإن موقف النبي ﷺ منه كان موقف المنصف العادل، حيث إنه (تثبت من امره عن طريق الوحي المنزل عليه، ثم استدعى

---

١ - غافر:٢٨

٢ - الظلال: (٥/٣٠٧٩)

٣ - النمل :٣٤

٤ - انظر زاد المسير(٦/١٦٩)

حاطباوسأله لمعرفة سبب فعلته وظروفه وملابساته، ثم عمد إلى وزنه بميزان العدل حيث جمع حسناته وسيئاته، فانغمرت سيئته في بحر حسناته(١)، وهذا في غاية الإنصاف، ونص الشاهد من الحديث: (فقال النبي ﷺ : مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ مَا صَنَعْتَ ؟ قال حاطب : والله ما بي أن لا أكون مؤمنا بالله ورسوله ﷺ، أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله. فقال النبي ﷺ: "صَدَقَ، وَلَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا". فقال عمر : انه قد خان الله والمؤمنين، فدعني فلأضرب عنقه. فقال : "أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ" ؟ فقال : "لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ : اعْمَلُوا مَاشِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الْجَنَّةُ - أو فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ" - فدمعت عينا عمر وقال : الله ورسوله أعلم(٢).

وفي الحديث بيان واضح لمعنى الإنصاف وتطبيقه العملي الصادر من مشكاة النبوة، فإن فعلة حاطب التي فعلها تسمى في عصرنا" الخيانة العظمى"، وحكمها الإعدام في "الميدان" لمن ثبت تورطه فيها، ولكن الهادي البشير يقرر حاطبا ويتثبت منه، ويكشف عذره ويسأل عن مبرر فعلته، ثم يصدقه فيما قال، ثم يزيد على ذلك فينهى عن إيذائه بكلمة أو تجريح "صدق، ولا تقولوا له إلا خيرا"، ثم يذكر الصحابة بحسنات حاطب وخيره الكثير، وهذا مبلغ من العدل لا يبلغه إلا من شرح الله صدره، وليت كثيراً من دعاة الإسلام يعون مثل هذا الدرس من قصة حاطب رضي الله عنه، ويعطفون على أخطاء إخوانهم، ويزنوها بميزان الشرع العادل المنصف، بدلا من التجريح والتشهير والفضح والشماتة، أو المبالغة في ذكر الخطأ وجمع السيئات كلها، والضرب على ذكر شيء من الحسنات،

وفي مثل هذا المعنى يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : (والماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث، بخلاف الماء القليل فإنه يحمل ادنى الخبث،

---

١ - رسالة «وإذا قلتم فاعدلوا» ص٣٩

٢ - أخرجه البخاري المغازي (٣٩٨٣) ، مسلم : فضائل الصحابة (١٩٤١/٤) رقم١٦١

ومن هذا قول النبي ﷺ لعمر :«وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، وقد ارتكب مثل ذلك الذنب العظيم، فأخبر ﷺ أنه شهد بدرا فدل على أن مقتضى عقوبته قائم لكن منع من ترتيب أثره عليه ماله من المشهد العظيم فوقعت تلك السقطة العظيمة مغتفرة في جنب ماله من الحسنات.. إلى أن قال: وهذا أمر معلوم عند الناس مستقر في فطرهم أنه من له ألوف من الحسنات فإنه يسامح بالسيئة والسيئتين ونحوها، حتى إنه ليختلج داعي عقوبته على إساءته، وداعي شكره على إحسانه فيغلب داعي الشكر داعي العقوبة كما قيل :

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع(*)

وقال آخر :

فإن يكن الفعل الذي ساء واحدا فأفعاله اللائي سررن كثير أهـ(١)

ومن أمثلة الإنصاف في السنة ما جاء في حديث أبي هريرة الطويل، الذي فيه أن النبي ﷺ وكله بحفظ زكاة رمضان، فأتاه آت فجعل يحثو من الطعام، فأمسك به ثم خلى سبيله ثم عاد الثانية والثالثة إلى أن قال في الثالثة : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله به قال :قلت : ما هن ؟ قال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾(٢) حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح فلما أخبر بها رسول الله ﷺ قال له : «أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ. تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قال : لَا، قال : ذَاكَ شَيْطَانٌ»(٣)

فهذا رسول الله ﷺ لا يمتنع من تصديق أعدى الأعداء، - وهو الشيطان - وقبول الحق منه، مع أنه كثير الكذب، فهذا تفريق بين الفكرة الصحيحة التي أخبر بها الشيطان، وبين صاحبها - العدو الكذاب.

---

١ - مفتاح دار السعادة لابن القيم ص١٩٢

٢ - البقرة:٢٥٥

٣ - أخرجه البخاري كتاب الوكالة (٢٣١١)

(*) - هذا البيت لا يعرف قائله كما ذكر ذلك ابن خميس في كتاب الشوارد : ٣١٩/١ ط دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ١٣٩٤هـ

وقد اشار ابن حجر رحمه الله إلى قريب من هذه الفائدة فقال :(وفي الحديث من الفوائد أن الشيطان قد يعلم ما ينتفع به المؤمن، وأن الحكمة قد يتلقاها الفاجر فلا ينتفع بها وتؤخذ عنه فينتفع بها)(١)٠

ومن نماذج الإنصاف أيضا ما جاء في صحيح مسلم عن عبدالرحمن ابن شماسة(٢) قال: أتيت عائشة أسألها عن شيء فقالت : ممن أنت ؟ فقلت : رجل من أهل مصر، فقالت : كيف كان صاحبكم لكم(٣) في غزاتكم هذه ؟ فقال : ما نقمنا منه شيئا إن كان ليموت للرجل منا البعير فيعطيه البعير، والعبد فيعطيه العبد ويحتاج إلى النفقة فيعطيه النفقة، فقالت : أما إنه لا يمنعني الذي فعل في محمد بن أبي بكر أخي، أن اخبرك ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا : «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به»(٤)٠

فعائشة رضي الله عنها لاتمتنع عن قول الحق والثناء على من قتل أخاها، بذكر دعاء النبي ﷺ لمن رفق بأمته، وهذا من أدبها وأمانتها وإنصافها، قال النووي في تعليقه على الحديث :(فيه أنه ينبغي أن يذكر فضل أهل الفضل ولا يمتنع منه لسبب عدواة ونحوها)(٥)٠

---

١ - فتح البارى :(٤/٤٨٩) بتصرف يسير

٢ - قال في التهذيب: (عبدالرحمن بن شماسة بن ذئب بن احور المهري أبو عمرو المصري٠ قال العجلي : مصري تابعي ثقة وذكره ابن حبان في الثقات٠ قال يحيى بن بكير مات بعد المائة٠٠) تهذيب التهذيب لابن حجر :(٦/١٩٥) بتصرف

٣ - قيل هو عمرو بن العاص، وقيل هو معاوية بن خديج التجيبي(انظر :إكمال إكمال المعلم على صحيح مسلم للأبي (٥/١٧٣)

٤ - مسلم : كتاب الامارة (٣/١٤٥٨) رقم١٩، أحمد (٦/٦٢)

٥ - شرح النووي: (١٢/٢١٢)

ومن الشواهد لهذا الأدب ما كان من إنصاف ابن عباس لعائشة رضي الله عنهم، حيث إنه كان على خلاف معها ولكن لم يمنعه ذلك من أن يشهد لها بالعلم، ويأخذ عنها الحق، وقصة ذلك أن سعد بن هشام بن عامر(١) أتى ابن عباس فسأله عن وتر رسول الله ﷺ فقال ابن عباس : ألا أدلك على أعلم أهل الأرض بوتر رسول الله ﷺ ؟ قال : من ؟ قال : عائشة فأتها فاسألها، ثم ائتني فأخبرني بردها عليك، فذهب فسألها، ثم عاد إلى ابن عباس فحدثه بحديثها، فقال له : صدقت٠ لو كنت أقر بها(٢) أو أدخل عليها لأتيتها حتى تشافهني به٠ قال : قلت : لو علمت أنك لا تدخل عليها ما حدثتك حديثها)(٣)٠

ومن الأمثلة في ذلك إنصاف عائشة رضي الله عنها لحسان بن ثابت مع أنه كان ممن وقع في أمر الإفك وتكلم به، فقد أخرج البخاري عن هشام عن أبيه قال : ذهبت أسب حسان عند عائشة فقالت : لا تسبه فإنه كان ينافح عن رسول الله ﷺ(٤) وأخرج عن مسروق قال :(دخلنا على عائشة رضي الله عنها وعندها حسان بن ثابت٠٠ إلى قوله : فقلت لها: لم تأذني له أن يدخل عليك وقد قال الله تعالى :﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٥) فقالت : وأي عذاب أشد من العمى؟ قالت له : إنه كان ينافح - أو يهاجي - عن رسول الله ﷺ(٦)٠

---

١ - قال في التهذيب (سعد بن هشام بن عامر الأنصاري المدني ابن عم أنس٠ قال النسائي : ثقة٠ وذكر البخاري انه قتل بأرض مكران على أحسن احواله٠ وقال ابن سعد : كان ثقة ان شاء الله تعالى وذكره ابن حبان في الثقات)، التهذيب:(٣/٤٨٣)٠

٢ - وفي رواية ابي داود (لو كنت أكلمها): كتاب الصلاة (٢/٤١) رقم١٣٤٢

٣ - مسلم : كتاب صلاة المسافرين (١/٥١٢) رقم١٣٩، ابو داود: كتاب الصلاة (٢/٤١) رقم١٣٤٢، النسائي: كتاب قيام الليل (٣/١٩٩) رقم ١٦٠١، وأحمد :(٦/٥٤)٠

٤ - البخاري كتاب المغازي (٤١٤٥)، مسلم كتاب التوبة (٤/٢١٣٧) رقم٥٧، أحمد (٦/١٩٧)٠

٥ - النور:١١

٦ - البخاري كتاب المغازى (٤١٤٦)

فعائشة رضي الله عنها لم تنس لحسان ما كان له من الفضل والخير،ومنه دفاعه ومنافحته عن النبي ﷺ، فتزن خطأه ووقوعه في عرضها، بدفاعه عن الدين والرسول - عليه السلام - وهذا من العدل والقسط والإنصاف.

ومن الأدلة لهذا الأدب إنصاف علي رضي الله عنه لأبي بكر، والإعتراف بفضله وسابقيته، مع ما وجد بينهما من خلاف وكذا بين أبي بكر وفاطمة في مسألة الميراث (فلما توفيت دفنها زوجها ليلا ولم يؤذن بها أبابكر، وصلى عليها. وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة، فلما توفيت استنكر علي وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته، ولم يكن يبايع تلك الأشهر، فأرسل إلى أبي بكر أن ائتنا، ولا يأتنا أحد معك، كراهة لمحضر عمر، فقال عمر: لا والله، لاتدخل عليهم وحدك.فقال أبو بكر : وما عسيتهم أن يفعلوا بي ؟ والله لآتينهم. فدخل عليهم أبوبكر، فتشهد علي فقال : إنا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله، ولم ننفس عليك خيرا ساقه الله إليك، ولكنك استبددت علينا بالأمر، وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله ﷺ نصيبا، حتى فاضت عينا أبي بكر. فلما تكلم أبوبكر قال : والذي نفسي بيده، لقرابة رسول الله ﷺ أحب الي أن أصل من قرابتي... فلما صلى أبوبكر الظهر رقى على المنبر فتشهد وذكر شأن علي وتخلفه عن البيعة وعذره بالذي اعتذر اليه ثم استغفر، وتشهد علي فعظم حق أبي بكر،وحدث أنه لم يحمله على الذي صنع نفاسة على أبي بكر، ولاإنكارا للذي فضله الله به)(١).

[قال في الفتح: قال القرطبي : من تأمل ما دار بين أبي بكر وعلي من المعاتبة ومن الاعتذار، وما تضمن ذلك من الإنصاف عرف أن بعضهم كان يعترف بفضل الآخر، وأن قلوبهم كانت متفقة على الإحترام والمحبة، وإن كان الطبع البشري قد يغلب أحيانا، لكن الديانة ترد ذلك، والله الموفق](٢).

---

١ - البخاري كتاب المغازي:(٤٢٤٠)

٢ - الفتح: (٧/٤٩٥)

ومن امثلة الإنصاف كذلك، ما كان من اعتدال أبي بكر وإنصافه للأنصار، مع ما وجد من خلاف في مسألة الخلافة حيث قال خطيب الأنصار : (أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم - معشر المهاجرين -رهط، وقد دفت(١) دافة من قومكم، فإذاهم يريدون أن يختزلونا(٢) من أصلنا وأن يحضنونا(٣) من الأمر٠٠ الى قوله: فقال : أبوبكر : ماذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش٠٠٠ الخ الحديث)(٤)

فاعتراف أبي بكر رضي الله عنه للأنصار بفضلهم ومكانتهم دليل علي عدله وانصافه٠

ومن تمام الإنصاف أن يطلبه المحاور من خصمه، ويقرره بصدق فكرته وصحة كلامه، ومن أمثلة ذلك ما روي في قدوم المقدام بن معد يكرب على معاوية فقال معاوية للمقدام : اعلمت أن الحسن بن علي توفي ؟ فرجع المقدام، فقال له رجل أتراها مصيبة ؟ قال له : ولم لا أراها مصيبة وقد وضعه رسول الله ﷺ في حجره فقال :«هذا مني وحسين من علي» فقال الأسدي - رجل من بني أسد من أهل قنسرين - : جمرة أطفأها الله عزوجل، قال : فقال المقدام: أما أنا فلا أبرح اليوم حتى أغيظك واسمعك ما تكره، ثم قال : يا معاوية ، إن أنا صدقت فصدقني، وإن أنا كذبت فكذبني، قال : أفعل، قال : فأنشدك بالله هل تعلم أن رسول الله ﷺ نهى عن لبس الذهب؟ قال : نعم، قال : فأنشدك بالله هل سمعت رسول الله ﷺ ينهي عن لبس الحرير؟ قال : نعم، قال : فأنشدك بالله هل تعلم أن رسول الله ﷺ نهى عن لبس جلود السباع والركوب عليها ؟ قال : نعم،

---

١ - بدال مهملة والفاء :أي عدد قليل٠ الفتح (١٥١/١٢)

٢ - بخاء معجمة وزاي: أي يقتطعونا عن الأمر وينفردوا به دوننا(الفتح ١٥١/١٢)

٣ - بحاء مهملة وضاد معجمة : أي يخرجونا الفتح (١٥٢/١٢)

٤ - البخاري كتاب الحدود٠ ٦٨٣

قال : فوالله لقد رأيت هذا كله في بيتك يا معاوية، فقال معاوية : قد علمت أني لن أنجو منك يا مقدام٠٠الخ الحديث(١)٠

وموضع الشاهد كما هو ظاهر النص في قول المقدام :(إن أنا صدقت فصدقني وإن أنا كذبت فكذبني)، فهذا انصاف للخصم، مع قوة في الحجة، وجرأة في الحق٠

ومن أعجب أمثلة الإنصاف التي بلغها الصحابة رضوان الله عليهم، حتى عند وجود الخلاف بينهم، ما رواه البخاري عن ابن أبي مليكة(٢) من قصة ابن عباس مع ابن الزبير ومما قاله فيها :(وكان بينهما شىء فغدوت على ابن عباس فقلت : أتريد أن تقاتل ابن الزبير فتحل ما حرم الله ؟ فقال : معاذ الله٠ إن الله كتب ابن الزبير وبني أمية محلين، وإني والله لا أحله أبدا٠ قال : قال الناس بايع لابن الزبيرفقلت : وأين بهذا الأمر عنه(٣)، أما أبوه فحوارى النبي ﷺ يريد الزبير، وأما جده فصاحب الغار - يريد أبابكر -، وأما أمه فذات النطاق، يريد أسماء٠ وأما خالته فأم المؤمنين يريد عائشة، وأما عمته فزوج النبي ﷺ، يريد خديجة، وأما عمة النبي ﷺ فجدته، يريد صفية، ثم عفيف في الإسلام، قارىء للقرآن، والله إن وصلوني وصلوني من قريب، وإن ربوني ربوني اكفاء كرام٠٠الخ كلامه(٤)

فهذا من حسن إنصاف ابن عباس رضي الله عنه لابن الزبير، فمع الخلاف القائم بينهما لم يمنعه ذلك من ذكر شرف ابن الزبير وأسلافه والثناء على

---

١ - أخرجه بهذا اللفظ أبو داود، كتاب اللباس (٦٧/٤) رقم٤١٣١، النسائي : كتاب الفرع والعتيرة(١٧٦/٧) رقم٤٢٥٥(انظر صحيح النسائي للألباني رقم٣٩٦٨)

٢ - هو عبدالله بن عبيدالله بن ابي مليكة زهير بن عبدالله بن جدعان، كان قاضيا لابن الزبير ومؤذنا له، يكنى أبامحمد، وثقه ابوزرعة وابو حاتم والعجلي وابن حبان، مات سنة سبع عشرة ومائة، انظر التهذيب : (٣٠٦/٥-٣٠٧)

٣ - يعني بالأمر الخلافة والمعنى : أي ليست بعيدة عنه لماله من الشرف والصفات٠ انظر الفتح (٣٢٨/٨)٠

٤ - البخاري كتاب النفسير٤٦٦٥

جميل صفاته، ويزيد العجب ما جاء في الرواية الآخرى التي ذكرها ابن أبي مليكة حيث قال : (دخلنا على ابن عباس فقال : ألا تعجبون لابن الزبير قام في أمره هذا فقلت : لأحاسبن نفسي له، ما حاسبتها لأبي بكر ولا لعمر، ولهما كانا أولى بكل خير منه.. الخ كلامه)(١).

قال الحافظ في الفتح (وقوله: «لأحاسبن نفسي».. أي لاناقشنها في معونته ونصيحته، قاله الخطابي. وقال الداودي: معناه لأذكرن من مناقبه مالم أذكر من مناقبهما، وإنما صنع ابن عباس ذلك لاشتراك الناس في معرفة مناقب أبي بكر وعمر بخلاف ابن الزبير فما كانت مناقبه في الشهرة كمناقبهما، فأظهر ذلك ابن عباس وبينه للناس انصافا منه له، فلما لم ينصفه هو رجع عنه)(٢)هـ

وبعد هذا فإني اشير إلى أمثلة سريعة فيها العدل والقسط والإنصاف، ولا تخلو من دلالة قريبة أو بعيدة على هذا الأدب الفاضل فمن ذلك:

ماروي أنه كان لرجل على رسول الله ﷺ حق، فأغلظ عليه، فهم به الصحابة فقال النبي ﷺ : «إن لصاحب الحق مقالاً ثم قال : اشتروا له سناء قالوا : ما نجد إلا خيرا من سنه، قال : فأعطوه إياه، فإن خيركم أحسنكم قضاء»(٣). فهذا فيه إنصاف النبي ﷺ وإعذاره للرجل صاحب الحق، ثم زيادة على ذلك احسانه في قضاء الحق الذي عليه.

ومنه ما جاء في قول الرجل للنبي - عليه السلام - : يارسول الله! اتق الله، فقال :«ويلك أولست أحق أهل الارض أن يتقي الله» قال : ثم ولي الرجل، فقال خالد بن الوليد: يارسول الله ألا أضرب عنقه؟ فقال : لا، لعله أن يكون يصلي»

---

١ - البخاري كتاب التفسير ٤٦٦٦

٢ - انظر الفتح : (٣٢٧/٨-٣٢٨)

٣ - مسلم كتاب المساقاة (١٢٢٥/٣) رقم١٢٠

قال خالد : وكم من مصل يقول بلسانه ماليس في قلبه، فقال رسول الله ﷺ :«إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس، ولا أشق عن بطونهم.. الخ»(١)

وهذا فيه معاملة النبي ﷺ للرجل بالعدل، وقبول كلامه، والنظر إلى اعماله الأخرى كالصلاة مثلا، وأخذه بظاهره، وكل ذلك من الإنصاف.

ومنه ماروي في تأويل أبي بكر رضي الله عنه للرؤيا التي قصها رجل للنبي ﷺ، وبعد انتهاء أبي بكر من تأويلها قال : أي رسول الله لتحدثني أصبت أم أخطأت، فقال :« اصبت بعضا وأخطأت بعضا»(٢). فلم يمنع النبي ﷺ حبه لأبي بكر، وقربه منه أن ينصفه ويخبره بصوابه وخطئه.

ومن ذلك أيضا: إنصاف عائشة رضي الله عنها لسعد بن عبادة رضي الله عنه، حيث احتملته الحمية فقام يدافع عمن تكلم بالإفك ردا على سعد بن معاذ الذي قال : يارسول الله، والله أنا اعذرك منه - يعني ممن تكلم بالإفك - إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من اخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك.

قالت عائشة : فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج - وكان قبل ذلك رجلا صالحا، ولكن احتملته الحمية - فقال : كذبت لعمر الله، والله لا تقتله ولا تقدر على ذلك.. الخ الحديث(٣).

فثناء عائشة على سعد بن عبادة وذكرها لصلاحه قبل أن يقول قولته، ومعرفة عذره، دليل على الإنصاف، والنظر إلى ماضي الخصم ومعرفة ظروفه وملابساته.

ومن آخر هذه النماذج انصاف عمرو بن العاص للروم، وذلك حين بلغه قول النبي ﷺ :«تقوم الساعة والروم أكثر الناس» فقال لمن حدثه : أبصر ما تقول. قال أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ فقال:«لئن قلت ذلك،إن فيهم لخصالا أربعا:

---

١ - مسلم كتاب الزكاة (٧٤٢/٢) رقم١٤٤

٢ - اخرجه مسلم: الرؤيا (١٧٧٧/٤) رقم١٧، أبو داود: السنة (٢٠٦/٤) رقم٤٦٣٢، احمد(٢٣٦/١) الترمذي كتاب الرؤيا (٥٤٢/٤) رقم٢٢٩٣، ابن ماجة كتاب تعبير الرؤيا (١٢٨٩/٢-١٢٩٠) رقم/٣٩١٨

٣ - البخاري كتاب الشهادات٢٦٦١، مسلم : التوبة (٢١٣٤/٤) رقم٥٦، أحمد(١٩٦/٦)

إنهم لأحلم الناس عند فتنة، واسرعهم افاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك(١)

فلم يمنع عمراً ما بين المسلمين والروم من عداوة وقتال،أن يذكر بعض ما فيهم من خصال حسنة جميلة.

هذا بعض ما جاء في الكتاب والسنة، من أدلة وشواهد وأمثلة ونماذج تقرر مبدأ العدل والإنصاف، وتفرق بين الفكرة وصاحبها، ولعل من المفيد أن أختم هذا المبحث بحوار لطيف بين معاوية والمسور بن مخرمة، في تقرير مبدأ الإنصاف وتعلمه وتطبيقه، حيث وفد المسور على معاوية فقضى حاجته، ثم خلا به، فقال : يامسور ما فعل طعنك على الأئمة ؟ قال : دعنا من هذا وأحسن. قال : لا والله، لتكلمني بذات نفسك بالذي تعيب علي. قال مسور: فلم اترك شيئا أعيبه عليه إلا بينت له. فقال : لا أبرأ من الذنب، فهل تعد لنا يامسور ما نلي من الإصلاح في أمر العامة، فإن الحسنة بعشر أمثالها، أم تعد الذنوب، وتترك الإحسان؟ قال : ما تذكر الا الذنوب

قال معاوية : فإنا نعترف لله بكل ذنب أذنبناه، فهل لك يامسور ذنوب في خاصتك تخشى أن تهلكك إن لم تغفر ؟ قال : نعم. قال : فما يجعلك الله برجاء المغفرة أحق مني، فوالله ما ألي من الإصلاح اكثر مما تلي، ولكن والله لا أخير بين أمرين بين الله وبين غيره، إلا اخترت الله على ماسواه، وإني لعلى دين يقبل فيه العمل ويجزى فيه بالحسنات، ويجزى فيه بالذنوب إلا أن يعفو الله عنها، قال فخصمني، قال عروة : فلم أسمع المسور ذكر معاوية إلا صلى عليه(٢).

فهذا الحوار يضع قواعد مهمة في الإنصاف وضرورته ومنها :

١ - سماع كلام الخصم وانتقاداته بصدر رحب وتقبلها بقبول حسن

---

١ - مسلم كتاب الفتنة (٢٢٢٢/٤) رقم٣٥

٢ - سير أعلام النبلاء : (١٥٠/٣-١٥١)

٢ - الإعتراف بالخطأ والتسليم بالحق الذي يظهره الخصم

٣ - وزن الحسنات والسيئات، وعدم النظر إلى الأخطاء فقط، ونسيان الحسنات.

٤ - تذكر معايب النفس وأخطائها، واعذار الخصم كعذر النفس.

وعلى كل حال فلابد من (تناول الفكرة المطروحة للحوار والنقاش بالبحث والتحليل والنقد والتزكية بعيدا عن صاحبها حتى لا يتحول الحوار إلى مبارزة كلامية تناقش فيها تصرفات الاشخاص ونواياهم، ولكن في بعض الاحوال ينبغي تناول أصحاب الافكار أنفسهم بالجرح والتعديل حسب مقاييس أهل السنة، وذلك عندما نخشى ضلالاتهم أو تأثر الناس بأفكارهم، ولكن كل ذلك ينبغي أن يتم بإخلاص وتجرد، وعدل وإنصاف(١) والله اعلم.

---

١ - انظر رسالة :«قل إنما أعظكم بواحدة» ص ٤٣ بتصرف يسير.

المبحث الرابع : التواضع وحسن الخلق

ينبغي للمحاور أن يتحلى بحسن الخلق عموما، وبالتواضع على وجه الخصوص، إذ إن ذلك من هدي هذا الدين، ومن خلق الرسول الكريم ﷺ، كما أن التزام الأدب له دور كبير في إقناع الطرف الآخر، وقبوله للحق وإذعانه للصواب، فكل من يرى من محاوره توقيرا وتواضعا، ويسمع كلاما طيبا، ويلمس خلقا فاضلا فإنه لا يملك إلا أن يحترم محاوره ويتبنى فكرته، ويخضع لرأيه،أو على أقل تقدير يفتح قلبه لاستماع الرأى الآخر، ويعرضه على عقله بطيب نفس ورحابة صدروسعة أفق.

لذلك فقد جاءت النصوص الكثيرة المتعددة في الأمر بالتواضع وخفض الجناح وحسن الخلق، والنهي عن الكبر والعجب والغرور وسوء الخلق. وقبل عرض تلك الأدلة والشواهد، اذكر ما قاله الشافعي رحمه الله تعالى في التواضع، قال :(التواضع من أخلاق الكرام، والتكبر من شيم اللئام، والتواضع يورث المحبة، والقناعة تورث الراحة، وقال : أرفع الناس قدرا من لايرى قدره، وأكثرهم فضلا من لا يرى فضله)(١)

أما بالنسبة لنصوص الكتاب والسنة حول هذا الأدب، فمن الواضح أنها ذات شقين، فقسم منها يرغب في حسن الخلق والتواضع وما يتعلق بهما، وقد تقدم شيء منها عند الكلام عن الكلمة الطيبة وعلاقتها بالحوار، وقسم يحذر من سوء الخلق والعجب والغرور والتكبر ونحوها، وعليه فسيكون الكلام على الشقين كما يلي :

أولا: مايتعلق بالأمر بحسن الخلق والتواضع :

إن النصوص العامة في هذا الأدب كثيرة جدا، كما أن الأمثلة والنماذج والأقوال متعددة، ومن ذلك :

قوله تعالى : ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٢) ومثلها قوله

---

١ - سير أعلام النبلاء (٩٩/١٠)

٢ - الشعراء:٢١٥

سبحانه: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِيْنَ﴾(١)٠والتعبير بخفض الجناح كناية عن التواضع والتذلل للمؤمنين واللين معهم والرفق بهم وذلك أن (الطائر إذا أراد أن ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه، وإذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه، فجعل خفض جناحه عند الإنحطاط مثلا في التواضع ولين الجانب)(٢)، ولما كان هذا الخطاب موجها لرسول الهدى ﷺ(فقد كان كذلك مع المؤمنين طوال حياته، وكان خلقه القرآن، وكان هو الترجمة الحية الكاملة للقرآن الكريم)(٣) حتى قال عنه ربه :﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيْمٍ﴾(٤) وقال في الآية الاخرى :﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيْظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾(٥)

قال الشيخ السعدي رحمه الله في تعليقه على الآية :﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾(٦) ما نصه : (فهل يليق بمؤمن بالله ورسوله، ويدعى اتباعه، الإقتداء به، أن يكون كلّاً على المسلمين، شرس الأخلاق، شديد الشكيمة، غليظ القلب، فظ القول، فظيعة؟ وإن رأى منهم معصية ، أو سوء أدب، هجرهم ومقتهم، وأبغضهم٠ لا لين عنده، ولا أدب لديه، ولا توفيق٠ وقد حصل من هذه المعاملة، من المفاسد، وتعطيل المصالح ما حصل، ومع ذلك تجده محتقرا لمن اتصف بصفات الرسول الكريم، وقد رماه بالنفاق والمداهنة، وذكر نفسه ورفعها، وأعجب بعمله٠ فهل يعد هذا إلا من جهله وتزيين الشيطان وخدعه له)(٧)

---

١ - الحجر :٨٨

٢ - الكشاف :(١٣١/٣)

٣ - الظلال :٢٦٢٠/٥) بتصرف يسير

٤ - القلم :٤

٥ - آل عمران:١٥٩

٦ - الشعراء:٢١٥

٧ - تفسير السعدى :(٤٨٩/٣)

ومن الآيات التي تشير إلى صفة التواضع، ماذكره الله في وصف قوم من المؤمنين فقال تعالى :﴿يَاأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُواْ مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِيْنِهِ فَسَوْفَ يَأْتِ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِيْنَ يُجَاهِدُوْنَ فِي سَبِيْلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُوْنَ لَوْمَةَ لَائِمٍ٠٠﴾(١) الآية، فقوله ﴿أذلة﴾ من قول القائل : ذل فلان لفلان، إذا خضع له واستكان(٢) والمعنى : أي يظهرون العطف والحنو والتواضع للمؤمنين ويظهرون الشدة والعظمة والترفع على الكافرين(٣)٠

وهذه صفات المؤمنين الكمل أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه ووليه، متعززا على خصمه وعدوه، كما قال تعالى :﴿مُحَمَّدٌ رَسُوْلُ اللَّهِ وَالَّذِيْنَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾(٤)(٥)، والذلة في الآية لا تنافي الحزم والقوة في الحق، وليس فيها المذلة والمهانة٠

يقول سيد قطب رحمه الله في الآية : ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ﴾:

(هي صفة مأخوذة من الطواعية واليسر واللين ٠٠ فالمؤمن ذلول للمؤمن٠٠ غير عصي عليه ولا صعب٠ هين لين : ميسر مستجيب٠٠سمح ودود٠٠ وهذه هي الذلة للمؤمنين٠

وما في الذلة للمؤمنين من مذلة ولا مهانة، إنما هي الأخوة، ترفع الحواجز، وتزيل التكلف وتخلط النفس بالنفس، فلا يبقى فيها ما يستعصى وما يحتجز دون الآخرين)(٦)٠

---

١ - المائدة :٥٤

٢ - انظر الطبري :(٦/٢٨٦)

٣ - فتح القدير :(٢/٥١)، الكشاف :(١/٦٢٣)

٤ - الفتح :٢٩

٥ - ابن كثير (٢/٧٠)

٦ - الظلال (٢/٩١٩)

إذا فلابد للمحاور أن يكون قويا متواضعا، حازما لينا، يعطي كل موقف حقه، ويؤثر على كل خصم بما يناسبه.

ومن الشواهد القرآنية التي يستأنس بها في أمر التواضع والتأدب، ماجاء في قصة موسى مع الخضر عليهما السلام حيث إن موسى عليه السلام مع فضله وعلمه ومنزلته، الا أنه لم يمتنع من اتباع الخضر والتعلم منه: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾(١).

ومن أدلة التواضع القولية ماقاله ﷺ: «إن الله تعالى أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولايبغي أحد على أحد»(٢).

وقال ﷺ: «مَانَقَصَتْ صَدَقَة مِن مَالٍ، وَمَازَادَ اللَّهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزّاً، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»(٣) قال النووي في معناه:(فيه وجهان : أحدهما: يرفعه في الدنيا ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة ويرفعه الله عند الناس ويجل مكانه، والثاني : أن المراد ثوابه في الآخرة ورفعه فيها بتواضعه في الدنيا)(٤).

ومن الأدلة القولية في حسن الخلق قول عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما حين قدم مع معاوية إلى الكوفة، فذكر رسول الله ﷺ فقال : لم يكن فاحشا ولا متفحشا. وقال : قال رسول الله ﷺ «إِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنُكم خُلُقاً»(٥)

---

١ - الكهف:٦٦

٢ - مسلم كتاب الجنة (٢١٩٩/٤) رقم٦٤، أبو داود الأدب(٢٧٥/٤) رقم٤٨٩٥، ابن ماجة الزهد (١٣٩٩/٢) رقم٤١٧٩

٣ - مسلم كتاب البر (٢٠٠١/٤) رقم ٦٩

٤ - شرح النووي: (١٤٢/١٦)

٥ - البخاري :كتاب الآدب رقم٦٠٢٩ مسلم كتاب الفضائل (١٨١٠/٤) رقم٦٨، الترمذي كتاب البر (٣٤٩/٤) رقم١٩٧٥ أحمد (١٦١/٢)

ومثله قوله عليه الصلاة والسلام : «ماشيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذي»(١)٠

وقال عليه السلام :« إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم القائم»(٢)

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، والمقصود أن الكتاب والسنة قد أصلا قضية التواضع وحسن الخلق، وجعلا ذلك مبدأ يسير عليه المحاور وغيره، وقد سار عليه رسول الهدى ﷺ، فطبق ذلك عمليا، ومن صور تطبيقه لهذا الأدب الرفيع، والتزامه بهذا الخلق الكريم مايلي :

ماصح في البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :«كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت»(٣)

فهذا الفعل من نبي الأمة وقائدها غاية في التواضع وخفض الجناح، وقمة في الرحمة والتذلل، التي لاتكون إلا من أخلاق النبوة، قال الحافظ في الفتح في تعليقه على الحديث : (وقد اشتمل على أنواع من المبالغة في التواضع لذكره المرأة دون الرجل، والأمة دون الحرة، وحيث عمم بلفظ الاماء أي أمة كانت، وبقوله : حيث شاءت أي من الأمكنة، والتعبير بالأخذ باليد إشارة إلى غاية التصرف حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة والتمست من مساعدتها في تلك الحاجة لساعد على ذلك، وهذا دال على مزيد تواضعه وبراءته من جميع أنواع الكبر ﷺ)(٤)

ولعل الاعجب من هذا ما أخرجه الإمام أحمد عن أنس:« أن امرأة كان في عقلها شيء فقالت : يارسول الله إن لي حاجة، فقال : يا أم فلان انظري إلى أي الطريق شئت فقام معها يناجيها حتى قضت حاجتها»(٥)

---

١ - الترمذي كتاب البر (٣٦٢/٤) رقم٢٠٠٢، ابو داود كتاب الآدب (٢٥٣/٤) رقم٤٧٩٩، احمد (١٦٢/٢) وصحّح بعض طرقه ابن حبان رقم١٩٢١،١٩٧٤

٢ - أبو داود كتاب الآدب (٢٥٣/٤) رقم ٤٧٩٨ وصححه ابن حبان رقم١٩٢٧

٣ - البخاري كتاب الأدب ٦٠٧٢

٤ - الفتح (٤٩٠/١٠)

٥ - أحمد (٢٨٥/٣) ،(وانظر شمائل الرسول لابن كثير ص٧٥)

ومن تلك الصور الرائعة للتواضع ماذكرته عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عما كان يصنعه النبي ﷺ في أهله ؟ فقالت : (كان في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة)(١).

فتظهر صورة التواضع في خدمة معلم البشرية لأهله، وقد ذكر ابن حجر رحمه الله : أنه قد جاء في بعض الروايات أن عائشة رضي الله عنها قالت (كان يخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم) وفي بعضها قالت : كان يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه، ثم ذكر قول ابن بطال: من أخلاق الأنبياء التواضع، والبعد عن التنعم، وامتهان النفس ليستن بهم ولئلا يخلدوا إلى الرفاهية المذمومة)(٢)

ومن قبيل هذا الخلق ايضا: (أن أنس بن مالك رضي الله عنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال : كان النبي ﷺ يفعله)(٣) ولاشك في أن مثل هذا الفعل من نبي الهدى ﷺ - (فيه طرح رداء الكبر وسلوك التواضع ولين الجانب)(٤)

ولعل من الشواهد على هذا الجانب ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي رفاعة قال :(انتهيت إلى النبي ﷺ وهو يخطب قال فقلت : يا رسول الله! رجل غريب. جاء يسأل عن دينه. لايدري مادينه. قال فأقبل علي رسول الله ﷺ وترك خطبته حتى انتهى إليّ فأتى بكرسي، حسبت قوائمه حديدا .قال فقعد عليه رسول الله ﷺ. وجعل يعلمني مما علمه الله، ثم أتى إلى خطبته فأتم آخرها)(٥)

قال النووي رحمه الله : (فيه استحباب تلطف السائل في عبارته وسؤاله العالم، وفيه تواضع النبي ﷺ ورفقه بالمسلمين، وشفقته عليهم وخفض جناحه لهم.. الخ كلامه)(٦).

---

١ - البخاري كتاب الأدب ٦٠٣٩ ، أحمد (٦/٤٩،١٢٦،٢٠٦)

٢ - انظر الفتح : (١٠/٤٦١)

٣ - البخاري كتاب الإستئذان ٦٢٤٧، مسلم كتاب السلام (٤/١٧٠٨) رقم١٥

٤ - انظر الفتح (١١/٣٣)

٥ - مسلم كتاب الجمعة (٢٠/٥٩٧) رقم٦٠

٦ - شرح النووي (٦/١٦٥)

وإن مما يدل على الخلق القويم الذي كان عليه رسول الهدى ﷺ ماقاله عنه أنس رضي الله عنه قال :(خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي أف، ولا: لم صنعت؟ ولا ألا صنعت؟)(١)

فهذا الخلق النبيل، والمعاملة اللطيفة، واستئلاف خاطر الخادم بترك معاتبته(٢)، من التواضع وحسن الخلق.

ومن الحوارات التي ظهر فيها تواضع النبي ﷺ مارواه ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : (كنت قائما عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من احبار اليهود فقال : السلام عليك يا محمد! فدفعته دفعة كاد يصرع منها. فقال : لم تدفعني فقلت : الا تقول يارسول الله! فقال اليهودي : إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله ﷺ:«إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي» فقال اليهودي : جئت أسألك . فقال له رسول الله ﷺ «أينفعك شيء إن حدثتك؟» قال أسمع بأذني. فنكت رسول الله ﷺ بعود معه. فقال :« سل».. الخ)(٣)

فتنازُل النبي ﷺ مع اليهودي وموافقته في قوله، ورضاه بأن يناديه باسمه المجرد - مع أنه رسول الله وإن رغم أنف اليهودي -، وعدم اصراره على ان يعترف له اليهودي برسالته ومنزلته، شاهد على التواضع وحسن الخلق.

وإذا كان هذا حال القدوة الإمام، وتلك شمائله وأخلاقه، فينبغي من اتباعه أن يجعلوا هذه الأدب معلما لهم في حياتهم كلها، وسمة بارزة في حواراتهم ومناظراتهم، ليفتحوا قلوب محاوريهم، وليصلوا إلى مقصودهم في هداية الناس وارشادهم وهكذا كان اتباعه من الصحابة واتباعهم، فقد اهتدوا بهديه، واستنوا بسنته قولا وعملا، وهذه بعض الأمثلة عنهم :

---

١ - البخاري كتاب الأدب ٦٠٣٨، مسلم كتاب الفضائل (١٨٠٤/٤) رقم ٥١، أحمد ١٠١/٣ الترمذي كتاب البر (٣٦٨/٤) رقم٢٠١٥، ابو داود كتاب الأدب (٢٤٧/٤) رقم٤٧٧٤.

٢ - انظر الفتح (٤٦٠/١٠)

٣ - مسلم كتاب الحيض (٢٥٢/١) رقم٣٤

ماحكته عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك حيث قالت فيه :(ولكن والله ماظننت أن يُنْزِل في شأني وحياً، ولأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري)(١)٠

فهذه الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما، وهي أم المؤمنين الطاهرة المطهرة، لاترى نفسها شيئا، وقد كان لها من المنزلة والفضل والمكانة عند رسول الله ﷺ ما كان، ولكن يأبى أتباع سيد المتواضعين إلا أن يتواضعوا، فرضي الله عنهم أجمعين٠

ومن ذلك ايضا ما كان من حال أبي هريرة رضي الله عنه، حيث إنه ربما استخلفه مروان على المدينة، فيركب حمارا ببردعة، وفي رأسه خلبة من ليف، فيسير، فيلقى الرجل، فيقول: الطريق! قد جاء الأمير(٢)٠

ومثله ما جاء عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما، حيث إنه ربما اشترى قتا بدرهم(٣) وحمله على ظهره وهو أمير الكوفة(٤)٠ وقد روى مثل ذلك عن عدد من الصحابة رضوان الله عليهم، وآثارهم في ذلك معلومة، ولقد بلغ الأمر بهم وبأتباعهم أن كانوا يربون الناس على التواضع وحسن الخلق، وترك الكبر والغرور والترفع ومن شواهد ذلك:

روي أن يزيد بن عبد الملك أقبل إلى مجلس مكحول، فهموا أن يوسعوا له، فقال مكحول: دعوه يتعلم التواضع(٥)٠

وروي أيضا أن المهلب مر على مالك بن دينار متبخترا، فقال : أما علمت انها مشية يكرهها الله إلا بين الصفين؟ فقال المهلب أما تعرفني ؟ قال : بلى،

---

١ - أخرجه البخاري : كتاب التفسير ٤٧٥٠ (انظر تخريجه ص: ١٢٥)

٢ - انظر سير أعلام النبلاء :(٢/ ٦١٤). والخلبة: الليفة، والمعنى: قطعة من ليف (انظر الصحاح: ١/ ١٢٢)

٣ - القت :الفصفصة، وهي الرطبة من علف الدواب (لسان العرب:٢/ ٧١)

٤ - سير أعلام النبلاء (٤٢٣/١)

٥ - نفس المصدر (١٥٠/٥)

أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة، فأنكسر وقال : الآن عرفتني حق المعرفة(١).

ولعلي أكتفي بهذه الشواهد والأمثلة والنماذج فهي كافية في بيان المقصود وتقرير القضية، وتأصيل مبدأ التواضع وحسن الخلق، وإظهار أهميته ودوره بالنسبة للحوار.

ثانيا - مايتعلق بالتحذير من سوء الخلق والعجب والغرور والتكبر:

إن من سمات هذا الدين أنه دين الفطرة، وهو يتعامل مع البشر على هذا الأساس، ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَاتَبْدِيْلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّيْنُ الْقَيِّمُ..﴾(٢) والله الذي خلق الإنسان وفطرته، هو أعلم سبحانه بما يصلحه ويناسب طبيعته البشرية، فمع أن الإنسان ربما يميل بفطرته إلى الكنود والإستعلاء، والجحود والتكبر، فإن الله عزوجل قد أمره بالتواضع ، ونهاه عن الغرور والتكبر، ووجه عزته وعلياءه لتكون بالحق على الباطل،وبالإيمان على الكفر:﴿وَلَاتَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ﴾(٣) وقال سبحانه في وصفه للمؤمنين:﴿أَعِزَّةٍ عَلَىٰ الْكَافِرِيْنَ﴾(٤).

كما أن من منهج هذا الدين الجمع بين الترغيب والترهيب، والمقابلة بين المأمور به والمنهي عنه، فحيث أمر بالإيمان فقد نهىٰ عن الكفر وأمر بالتوحيد ونهىٰ عن الشرك، وبالعدل ونهى عن الظلم، وبالبر ونهى عن الإثم... وهكذا لتتضح الصورة، ويكون البديل حقا واضحا، ومن ذلك أمره بالتواضع وحسن الخلق، ونهيه عن سوء الخلق والتكبر.

---

١ - انظر سير أعلام النبلاء : (٥/٣٦٣)

٢ - الروم :٣٠

٣ -آل عمران:١٣٩

٤ - المائدة:٥٤

(والمحاور أجدر الناس بالبعد عن الكبر بشتى صوره، فإن الطرف الآخر إذا رأى منه ازدراء له واحتقارا، بالقول أو الفعل، فإن ذلك ينفره منه، ويؤدي إلى كراهته وكراهة ما عنده من الحق، لأن الناس جبلوا على محبة المتواضعين وكراهة المتكبرين)(١)

والنصوص في الكتاب والسنة في هذا الأمر متنوعة، فمنها ما هو عام في التحذير من الكبر، وبيان خطره وأثره على الفرد، ومنها مايبين ضرورة الخوف منه وأثره على الأمم والشعوب عامة، ومنها ما يذكر شيئا من مظاهره وصوره، وسأذكر لكل نوع من هذه أدلة وأمثلة مختصرة:

فأما ما يتعلق بالتحذير العام منه، وبيان خطره وعاقبته على شخص المتكبر فمن شواهد ذلك:

قوله تعالى :﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِيْنَ لَايُرِيْدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِيْنَ﴾(٢)٠

فيخبر الله تعالى بأن الدار الآخرة ونعيمها المقيم جعلها الله لعباده المؤمنين المتواضعين الذين لايريدون علوا في الأرض أي تكبرا عن الحق، وترفعا على خلق الله وتعاظما عليهم وتجبرا بهم ولا فسادا فيهم٠(٣)

أخرج ابن جرير الطبري بسنده عن علي رضي الله عنه قال :إن الرجل ليعجبه من شراك نعله أن يكون أجود من شراك صاحبه، فيدخل في قوله :﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِيْنَ لَايُرِيْدُوْنَ عُلُوّاً فِيْ الأَرْضِ وَلَا فَسَاداً ٠٠﴾(٤)(٥)٠

---

١ - انظر رسالة الحوار مع أهل الكتاب ص١٧١ بتصرف

٢ - القصص:٨٣

٣ - انظر الطبري (١٢٢/٢٠)، ابن كثير (٤٠٢/٣)

٤ - القصص:٨٣

٥ - الطبري (١٢٢/٢٠)

قال الشيخ السعدى رحمه الله :(﴿لِلَّذِيْنَ لَايُرِيْدُوْنَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً﴾ (أي : ليس لهم إرادة فكيف العمل للعلو في الأرض، على عباد الله، والتكبر عليهم وعلى الحق﴿ولا فسادا﴾ وهذا شامل لجميع المعاصي، فإذا كانوا لا إرادة لهم في العلو في الأرض، ولا الفساد، لزم من ذلك أن تكون إرادتهم مصروفة إلى الله، وقصدهم الدار الآخرة، وحالهم التواضع لعباد الله، والإنقياد للحق والعمل الصالح)(١) وإذا كان هذا هو جزاء المتواضعين، فأما المستكبرون فعاقبتهم وخيمة، إذ لايحبهم الله عزوجل﴿إِنَّهُ لَايُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِيْنَ﴾(٢)، بل لهم منزل في النار والعياذ بالله: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوَىً لِلْمُتَكَبِّرِيْنَ﴾(٣)، ومأواهم جهنم وبئس المأوى والمصير:﴿إِنَّ الَّذِيْنَ يَسْتَكْبِرُوْنَ عَنْ عِبَادَتِيْ سَيَدْخُلُوْنَ جَهَنَّمَ دَاخِرِيْنَ﴾(٤)، ومع ذلك فلا تفتح لهم أبواب السماء: ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَاتُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِيْنَ﴾ (٥)، ولهم بعد ذلك عذاب اليم:﴿وَأَمَّا الَّذِيْنَ اسْتَنْكَفُواْ وَاسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَلَا يَجِدُوْنَ لَهُمْ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيْراً﴾(٦).

وأما جزاؤهم في الدنيا فمنه الطبع على القلب، والضلال والبعد عن الهدى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾(٧) وقال سبحانه :﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِيْنَ يَتَكَبَّرُوْنَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَواْ كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيْلَ الرُّشْدِ لَايَتَّخِذُوهُ سَبِيْلاً وَإِنْ يَرَوْاْ سَبِيْلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيْلاً﴾(٨)

---

١ - تفسير السعدي (٤٤/٤)
٢ - النحل:٢٣
٣ - الزمر:٦٠
٤ - غافر:٦٠
٥ - الاعراف:٤٠
٦ - النساء :١٧٣
٧ - غافر :٣٥
٨ - الاعراف:١٤٦

ومن هذا الباب ايضا ما أخبر به المصطفى ﷺ إذ قال: «لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر.. الحديث»(١) وفي رواية لمسلم.. « لايدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء»(٢).

وفي معناه قوله ﷺ : « ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضاعف لو أقسم على الله لأبره. ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر»(٣).

فهذه عاقبة الكبر، إذ إن اصحابه هم أهل النار، ومع هول ما في النار وشدة عذابها فانها لا تريدهم فهي تحتج لذلك عند ربها، فقد صح في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «احتجت النار والجنة. فقالت هذه : يدخلني الجبارون والمتكبرون، وقالت هذه : يدخلني الضعفاء والمساكين. فقال الله عز وجل، لهذه : أنت عذابي اعذب بك من أشاء، وربما قال : اصيب بك من أشاء، وقال لهذه: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها»(٤)

- وزيادة في عذاب المتكبرين، ومزيدا في إهانتهم ما جاء في قوله عليه الصلاة والسلام: «يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صور الذر، تطؤهم الناس لهوانهم على الله تعالى »(٥)

ولذلك فإن الكبرياء بإطلاقها لاتليق إلا بالعزيز الجبار المتكبر سبحانه وتعالى، وما كان للمخلوق أن ينازع خالقه في شيء من ذلك، وإلا فله العذاب المهين :

---

١ - أخرجه مسلم كتاب الإيمان (٩٣/١) رقم١٤٧، ابو داود كتاب اللباس (٥٨/٤) رقم٤٠٩١، الترمذي كتاب البر (٣٦١/٤) رقم١٩٩٩

٢ - مسلم برقم٩١ كتاب الإيمان (٩٣/١)

٣ - أخرجه البخاري كتاب الأدب رقم٦٠٧١، مسلم كتاب الجنة (٢١٩٠/٤) رقم٤٦

٤ - أخرجه البخاري كتاب التفسير رقم٤٨٥٠، مسلم كتاب الجنة (٢١٨٦/٤) رقم٣٤، أحمد (٢٧٦/٢)

٥ - أخرجه الترمذي كتاب القيامة (٦٥٥/٤) رقم ٢٤٩٢ وحسنه، أحمد (١٧٩/٢) وحسنه العراقي في تخريج الإحياء (٣٥٧/٣)

قال ﷺ «قال الله عز وجل : الكبرياء ردائي، والعظمة ازاري، فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار»(١)

- وأخطار العجب والغرور والتكبر متنوعة فمنها عدم الإهتداء إلى الحق، كما تقدم في قوله تعالى عن المتكبرين في الأرض بغير الحق :﴿وَإِنْ يَرَوا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَايَتَّخِذُوهُ سَبِيْلاً وَإِنْ يَرَوا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيْلاً﴾(٢)٠ ولذلك يقول ابن الجوزي رحمه الله«إن اقتصار الرجل على علمه إذا مازجه نوع رؤية للنفس حبس من إدراك الصواب٠ نعوذ بالله من ذلك»(٣)٠

ومن آثاره ايضا ما روي عن محمد بن علي بن الحسين قال : مادخل قلب امرىء من الكبر شيء إلا نقص من عقله مقدار ذلك»(٤)٠

ولذلك فإنه على الشخص (أن يتذكر دائما بأنه انسان، فلا يضع نفسه فوق موضعها، لئلا ينزلق إلى هاوية الغرور البغيض، فتصبح جهوده غير مثمرة، وذهنه متحجرا لايقبل المعلومات الجديدة، ويفقد بذلك ميزة الإستماع إلى آراء الآخرين)(٥)٠ وإذا كان هذا خطر الغرور والتكبر، وتلك عاقبته وأثره، فلابد للمحاور خاصة أن يتعرف على صوره ومداخله كي يتجنبها في كلامه أو هيئته أو حركاته واشاراته، فمن مظاهره وصوره :

١ -رد الحق والإستكبار عن قبوله٠

٢ - احتقار الناس وازدراؤهم: ويدل على هاتين الصورتين قوله ﷺ «لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر٠ قال رجل:إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنة؟ قال:إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس»(٦)٠

---

١ - اخرجه مسلم : كتاب البر (٢٠٢٣/٤)، ابو داود : كتاب اللباس (٥٨/٤) رقم٤٠٩٠، ابن ماجة: (١٣٩٧/٢) رقم٤١٧٤، احمد : (٢٤٨/٢)

٢ - الأعراف:١٤٦

٣ - صيد الخاطر: ص١١٧

٤ - انظر سير اعلام النبلاء: (٤٠٨/٤)

٥ - لمحات في فن القيادة: ص٦٠ بتصرف يسير

٦ - تقدم تخريجه آنفا

قال النووي : بطر الحق : دفعه ورده على قائله، وغمط الناس:احتقارهم(١)
فالحديث نص في بيان هاتين الصورتين، كما أن النبي ﷺ قد بين أن رد الحق من الكبر في (حديث الرجل الذي أكل عنده بشماله فقال له النبي ﷺ« : كل بيمينك ، قال : لا أستطيع. قال عليه الصلاة والسلام : لا استطعت، ما منعه إلا الكبر، فما رفعها إلى فيه»(٢). كما بين ذم احتقار الناس حيث قال :«بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم»(٣).
فالواجب على كل طرف في الحوار تجنب الهزء والسخرية، وكل مايشعر باحتقار احدهما للآخر،أو إزدرائه لفكرته ، أو وسمه بالجهل، أو قلة الفهم، أو التبسمات والضحك التي تدل على السخرية(٤)
٣ - المرح والإختيال في المشي وإسبال الإزار: وهذه الصورة إنما أذكرها إتماما للفائدة إذ يستبعد وجودها أثناء الحوار، قال تعالى :﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الجِبَالَ طُوْلاً﴾(٥).
وقال ﷺ : «بينما رجل يمشي في حلة، تعجبه نفسه، مرجل جمته، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة»(٦) وفي رواية «بينمارجل يتبختر»(٧). وفي رواية أخرى «بينما رجل يجر إزاره إذ خسف به فهو يتجلجل في الأرض الي يوم القيامة»(٨). وقال ﷺ :«لاينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرا »(٩)
قال في الفتح : (أي جره تكبرا وطغيانا)(١٠)

---

١ - رياض الصالحين للنووي ص٢٨٥
٢ - أخرجه مسلم كتاب الإشربه (١٥٩٩/٣) رقم١٠٧
٣ - جزء من حديث طويل أخرجه مسلم كتاب البر (١٩٨٦/٤) رقم٣٢، ابو داود كتاب الأدب (٢٧٢/٤) رقم٤٨٨٢، الترمذي كتاب البر (٣٢٥/٤) رقم١٩٢٧، ابن ماجة كتاب الزهد(١٤٠٩/٢) رقم١٢١٣، احمد (٤٩١/٣)
٤ - انظر رسالة «قل انما اعظكم بواحدة» ص٣٠
٥ - الإسراء :٣٧
٦ - أخرجه البخاري كتاب اللباس رقم٥٧٨٩، مسلم كتاب اللباس (١٦٥٣/٣) رقم٤٩، النسائي كتاب الزينة (٢٠٦/٨) رقم٥٣٢٦، احمد(٦٦/٢)
٧ - الرواية لمسلم ٢٠٨٨ اللباس (١٦٥٣/٣)
٨ - الرواية للبخاري : كتاب اللباس (٢٥٨/١٠)
٩ - أخرجه البخاري كتاب اللباس رقم٥٧٨٨، مسلم كتاب اللباس (١٦٥٣/٣) رقم٤٨، ابو داود كتاب اللباس (٥٦/٤) رقم٤٠٨٥،احمد (٣٨٦/٢)
١٠- انظر الفتح: (٢٥٨/١٠)

٤ - تصعير الخد وثني العطف والإعراض عن الناس :

قال تعالى في وصية لقمان لابنه :﴿وَلَاتُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لَايُحِبُ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُوْرٍ۰ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيْرِ﴾(١)

قال في الكشاف : (والمعنى: اقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون)(٢)۰

وقال ابن كثير : (يقول : لاتعرض بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك احتقارا منك لهم واستكبارا عليهم، ولكن ألن جانبك وابسط وجهك إليهم)(٣)۰

وهذا الفعل له خطره الكبير، وأثره السيء في عدم انجاح الحوار، لذلك فإنه ينبغي للمحاور أن يراقب نفسه اثناء الحوار ويلاحظ حركاته وطريقته في الكلام وغيره، فالآيات تشير (إلى أدب الداعية إلى الله، إذ إن الدعوة إلى الخير لاتجيز التعالى على الناس، أو التطاول عليهم باسم هدايتهم أو قيادتهم إلى الخير، أو باسم الحوار والمناقشة)(٤)۰

ومن هذا الباب ايضا قوله تعالى : ﴿وَمَنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدَىً وَلَا كِتَابٍ مُنِيْرٍ۰ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيْلِ اللَّهِ۰ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيْقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيْقِ﴾(٥)

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (اي :لاوي جانبه وعنقه، وهذا كناية عن كبره عن الحق، واحتقاره للخلق۰ فقد فرح بما معه من العلم غير النافع۰ واحتقر أهل الحق، وما معهم من الحق)(٦)۰

---

١ - لقمان :١٨-١٩

٢ - الكشاف : (٣/٢٣٤)

٣ - ابن كثير (٣/٤٤٦)

٤ - انظر الظلال (٥/٢٧٩٠) بتصرف

٥ - الحج :٨-٩

٦ - تفسير السعدي :(٣/٣١٠)

٥ - تزكية النفس والتحدث عنها بالمدح والثناء: فإن ذلك مذموم منهي عنه قال تعالى : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾(١).

فلا ينبغي للمحاور أن يمدح نفسه ويظهرها ويثني عليها ويشكرها، أو يمتن بأعماله (٢) - مالم يكن في ذلك مصلحة راجحة (٣) - إذ إن ذلك يعتبر مدخلاً للعجب والغرور والتكبر، كما أنه عقبة أمام اقتناع الخصم وإذعانه، فالنفوس تكابر وتعاند أمام من كان هذا حاله. كذلك فإن الله عز وجل أنكر هذا على قوم - قيل هم اليهود(٤) - وذلك في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾(٥)

ومن هذا الباب ما جاء في تغيير النبي ﷺ - اسم برة إلى زينب وقال ﷺ «لاتُزَكُّواْ أَنْفُسَكُم، اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ البِرِّ مِنْكُمْ»(٦).

ولعل مما ينبغي للمحاور أن يتفطن له هو أن يتجنب استعمال ضمير المتكلم في حديثه مثل :« أنا وقلت وعلمت وأرى وأرجح»، اذاكان في ذلك مضايقة لمحاوره، وكذا استعمال ضمير الجماعة عن نفسه كقوله:« نحن ورأينا كذا وتجربتنا تدل على كذا» ونحو هذا، إذ قد يؤدي هذا إلى مدح النفس والإعجاب بها، كما أن هذا النوع من الحديث يترك انطباعا سلبيا لدى السامع يجعله ينفر من الحوار، والانسان بطبعه يكره من يتعالم عليه وينزله منزلة الجاهل(٧).

---

١ - النجم:٣٢

٢ - انظر ابن كثير :(٢٥٧/٤)

٣ - سيأتي إن شاء الله مبحث حول ثناء المحاور على نفسه بالحق أحيانا

٤ - انظر الطبري :(١٢٦/٥)

٥ - النساء:٤٩

٦ - أخرجه مسلم :الأدب (١٦٨٧/٣) رقم١٩، ابو داود الأدب (٢٩٠/٤) رقم٤٩٥٣

٧ - انظر اصول الحوار ص٥٥، رسالة «قل انما اعظكم بواحدة» ص٣٠

وإذا كان مدح النفس وتزكيتها ممقوتاً في الحوار، فإن التواضع والإعتراف بالتقصير وعدم العصمة من الخطأ، هو مفتاح لقلب الخصم، وكذا لو انضاف اليها شيء من الثناء على الطرف الآخر بالحق وبحدود، ولذلك فان من الطرق التي تملك بها زمام الناس دون الإساءة اليهم أو استثارة عنادهم أن يتكلم الشخص عن أخطائه قبل أن ينتقد الشخص الآخر.

٦ - التشدق في الكلام والتقعر في الحديث والتكلف فيه :

ويدل على كراهية ذلك قوله ﷺ « إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا،وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلسايوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون، قالوا يارسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون ؟ قال : المتكبرون»(١) والثرثار : هو كثير الكلام تكلفا، والمتشدق : المتطاول على الناس بكلامه، ويتكلم بملء فيه تفاصحا وتعظيما لكلامه، والمتفيهق: أصله من الفهق وهو الإمتلاء، وهو الذي يملأ فمه بالكلام، ويتوسع فيه، ويغرب به تكبرا وارتفاعا، واظهارا للفضيلة على غيره(٢). ومثله قوله عليه السلام :«إن الله عز وجل يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة»(٣) فالتكلف في الحديث والتعاظم في الكلام مظهر من مظاهر الكبر الممقوت، والذي يجب على المحاور اجتنابه والحذر منه.

---

١ - أخرجه الترمذي وحسنه كتاب البر(٤/٣٧٠) رقم٢٠١٨، أحمد : (٤/١٩٣)

٢ - انظر رياض الصالحين للنووي ص٢٨٩، وسنن الترمذي (٤/٣٧٠)

٣ - أخرجه أبو داود : الأدب(٤/٣٠٣) رقم٥٠٠٥، الترمذي الأدب (٥/١٤١)رقم٢٨٥٣، وقال حديث حسن غريب من هذا الوجه، أحمد (٢/١٦٥) (وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم٤١٨٥)

٧ - ومن صور التكبر وآثاره : الإستبداد بالرأي، (إذ إن المتكبر المغرور يعتقد أن ما يصدر عنه سداد لاخطأ فيه ، وأن ما يصدر عن الآخرين خطأ لاسداد فيه، ومثل هذا إذا دعي إلى حق عز عليه الإذعان له والرجوع إليه فيبقى مستبدا برأيه مستمسكا بقوله، مما يجعله يعيش حياتة غارقا في الأخطاء والسلبيات)(١)٠

ولعل من هذا القبيل استكبار فرعون وعناده ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾(٢)٠ وهذا الإستكبار جعله لايرى إلا رأيه، ولا يريد أن يرى غيره غير رأيه، ويرى أنه على طريق الهدى والرشاد وهذا - والعياذ بالله - غاية الضلال : ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾(٣) وإذا كان هذا خطر الغرور والعجب والتكبر، وتلك بعض صوره ومداخله، فينبغي الحذر منه والخوف والخشية، إذ يكفي أنه كان سببا في هلاك افراد وأمم وشعوب، فبه هلك ابليس وقارون، وبسببه عذب فرعون وقومه، ولأجله ضل قوم نوح وعاد وغيرهم٠

قال سبحانه :﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾(٤)٠ وقال عز وجل في قصة قارون مع قومه:﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي٠٠٠ إلى قوله:﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾(٥)

وقال سبحانه وتعالى :﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ، فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ٠٠﴾(٦) وقال سبحانه في حكاية نوح عن قومه :﴿وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾(٧)

---

١ - انظر آفات على الطريق د٠ السيد محمد نوح (١٥٨/١) بتصرف

٢ - القصص:٣٩

٣ - غافر:٢٩

٤ - البقرة:٣٤

٥ - القصص:٧٨-٨١

٦ - العنكبوت:٣٩-٤٠

٧ - نوح:٧

وقال عن عاد :﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُواْ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً، أَوَلَمْ يَرَواْ أَنَّ اللَّهَ الَّذِيْ خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُم قُوَّةً وَكَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ، فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيْحاً صَرْصَراً فِيْ أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيْقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِيْ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَايُنْصَرُوْنَ﴾(١)

ولذلك فقد خاف السلف تلك الأمراض القلبية، وأقوالهم وأفعالهم في ذلك كثيرة جدا، لايسع المقام لذكرها ولكن اكتفي بقول مطرف بن عبدالله : (لأن أبيت نائما وأصبح نادما، أحب الي من أن أبيت قائما وأصبح معجبا)(٢) فالمقصود أن التواضع إن كان مطلوبا من عموم الناس، فحاجة المحاور إليه اعظم، والكبر والغرور إن كان محذرا منه منهيا عنه ، فحذر المحاور ينبغي أن يكون أكثر وأكبر، إذ لايستقيم الحوار، ولا يخضع الخصم بدون التواضع وحسن الخلق.

---

١ - فصلت:١٥ - ١٦

٢ - انظر احياء علوم الدين (٣/٣٩٠)

المبحث الخامس : الحلم والصبر

إن الكلام عن الصبر وما يتعلق به، كالحلم والعفو وكظم الغيظ وعدم الغضب وعدم الإنتصار للنفس ونحو ذلك، مما يطول ذكره وعرضه وذكر أدلته وشواهده، ونماذجه وأمثلته، وذلك لاهميته ودوره، حيث إنه (نصف الإيمان، فالإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر، وهو مذكور في القرآن على ستة عشر نوعا، منها: الأمر به، والنهي عن ضده، والثناء على أهله، ايجاب محبة الله لهم، وضمان نصرهم...، وروي عن الإمام أحمد أنه قال : الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعا(١)، ولذلك فسأختصر الكلام فيه وأقسمه إلى النقاط الآتية :

١ - فضله ومنزلته :

لقد جاءت النصوص المتعددة في بيان فضله ومكانته،فمنها مادل على عظيم أجره وجليل قدره، حتى يوفى أجر الصابرين بلا حدٍ ولاحصر ، قال تعالى :﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُوْنَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٢). ومنها مادل على أن (من صبر على اساءة من اساء اليه وغفر للمسيء جرمه إليه، فلم ينتصر منه، وهو على الإنتصارمنه قادر، ابتغاء وجه الله وجزيل ثوابه، فإن ذلك كله من عزم الأمور التي ندب اليها عباده، وعزم عليهم العمل به)(٣) قال سبحانه : ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُوْرِ﴾(٤).

يقول الشيخ السعدي في تعليقه على الآية :(﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُوْرِ﴾ أي : الأمور التي حث الله عليها وأكدها وأخبر أنه لايلقاها إلا أهل الصبر والحظوظ العظيمة، ومن الأمور التي لايوفق لها إلا أولو العزائم والهمم، وذوو الألباب والبصائر، فإن ترك الإنتصار للنفس ، بالقول أو الفعل، من أشق

---

١ - تهذيب مدارج السالكين. عبدالمنعم العزي ص٣٥١ بتصرف

٢ - الزمر : ١٠

٣ - انظر الطبري (٤٠/٢٥) بتصرف

٤ - الشورى :٤٣

شيء عليها، والصبر على الأذى، والصفح عنه ومغفرته، ومقابلته بالإحسان أشق وأشق، ولكنه يسير على من يسره الله عليه وجاهد نفسه على الإتصاف به، واستعان الله على ذلك، ثم اذا ذاق العبد حلاوته، ووجد آثاره، تلقاه برحب الصدر، وسعة الخلق، والتلذذ فيه»(١)،

كما أن من النصوص ما تعد من كظم غيظه وضبط نفسه عن الإنتقام بجزيل الثواب حيث قال ﷺ: «من كظم غيظاً، وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله عز وجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة، حتى يخيره من الحور العين ماشاء»(٢)، ومنها مايدل على تكفير السيئات ومغفرة الذنوب بسبب الصبر كما في قوله عليه السلام: «مايصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه»(٣)

ويكفي الحليم فضلا أن الله عز وجل يحب هذه الصفة كما يحب الأناة وترك العجلة، ولذلك قال ﷺ لأشج عبد القيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة»(٤)

وعلى كل حال فإن الرفق عموما بما في معناه: من الحلم والصبر والتحمل، ممدوح مطلوب، وحيثما وجد فهو زين، وحيثما فقد فهو شين قال ﷺ: «إن الرفق لايكون في شيء إلا زانه، ولاينزع من شيء إلا شانه»(٥)،

---

١ - تفسير السعدي (٤/٤٣١)

٢ - أخرجه ابو داود : الأدب (٤/٢٤٨) رقم٤٧٧٧، الترمذي وحسنه: البر(٤/٣٧٢) رقم٢٠٢١، ابن ماجة: الزهد (٢/١٤٠٠) رقم٤١٨٦، احمد (٣/٤٣٨)

٣ - أخرجه البخاري كتاب المرض رقم٥٦٤١، مسلم : البر (٤/١٩٩٣) رقم٥٢، الترمذي : الجنائز (٣/٢٨٩) رقم٩٦٦، احمد (٢/٣٠٣)

٤ - أخرجه مسلم: الايمان (١/٤٨) رقم٢٥، ابو داود: الأدب(٤/٣٥٨) رقم٥٢٢٥، الترمذي: البر (٤/٣٦٦) رقم٢٠١١، ابن ماجة: الزهد (٢/١٤٠١) رقم٤١٨٨، احمد (٣/٢٣)،

٥ - أخرجه مسلم: البر (٤/٢٠٠٤) رقم٧٨، ابو داود: الجهاد (٣/٣) رقم٢٤٧٨، احمد (٦/٥٨)،

ولهذا فقد حرص السلف على التخلق بهذا الخلق الرفيع، والتأدب بهذا الأدب القويم، ولهم في ذلك أقوال وأخبار وقصص وأحداث، تدل على عنايتهم به واهتمامهم، ومن هذه الأقوال في هذا الباب:

قول المنتصر بالله - أبو جعفر محمد بن المتوكل - حين عفا على أحد الناس فقال: (لذة العفو أعذب من لذة التشفي، وأقبح فعال المقتدر الإنتقام)(١)

وقال عروة بن الزبير رحمه الله (رب كلمة ذل احتملتها أورثتني عزا طويلا)(٢)

وكما قيل ايضا: (الإحتمال قبر المعايب)(٣)

وقال المستظهر بالله - أبو العباس أحمد بن المقتدى - (الصبر على الشدائد ينتج الفوائد)(٤) إلى غير ذلك من الاقوال والآثار وسيأتي إن شاء الله ذكر مزيد من الأمثلة والنماذج.

ولأهمية هذه الخصال وفضلها فإنه يجب على المحاور أن يكون حليما صبورا، عفوا محتملا، لايغضب لأتفه سبب ولا ينفر لأدنى أمر، ولايستفز بأصغر كلمة وأقل حركة، إذ إن ذلك يؤدي إلى النفرة والابتعاد بين الطرفين ولا يوصل إلى اقناع الخصم أو التأثير عليه.

٢ - ولذلك فقد كان الأمر بهذه الآداب والنهي عن ضدها، وصية الله ورسوله عليه السلام: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(٥)، وقال رجل للنبي ﷺ: أوصني. قال «لاتغضب» فردد مرارا، قال: لاتغضب»(٦) ومعنى الحديث: اجتنب اسباب الغضب ولا تتعرض لما يجلبه، ولا تفعل ما يأمرك به الغضب(٧).

---

١ - سير أعلام النبلاء: (١٢/٤٤) (والمنتصر بالله: هو محمد بن المتوكل على الله، كان وافر العقل، راغبا في الخير قليل الظلم، عاش ستة وعشرين سنة، ومات سنة ثمان وأربعين ومائتين، وكانت خلافته ستة أشهر وأياما. انظر السير: ١٢/٤٢ -٤٥)

٢- نفس المصدر (٤/٤٣٦)

٣ - نفس المصدر (٢٠/١٩٦)

٤ - نفس المصدر (١٩/٣٩٨) (والمستظهر بالله: هو أمير المؤمنين أبو العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله، ولد سنة سبع وأربعين ومائة، واستُخلِف عند وفاة أبيه وله ستة عشر سنة، كان موصوفا بالسخاء والجود ومحبة العلماء وأهل الدين وتفقد المساكين مع الفضل والنبل والبلاغة وعلو الهمة وحسن السيرة. انظر السير: ١٩/٣٩٦ - ٤١٢)

٥ - البقرة :١٥٣

٦ - أخرجه البخاري: الأدب رقم٦١١٦، الترمذي: البر (٤/٣٧١) رقم٢٠٢٠ الموطأ في الغضب(٢/٢٤٣) رقم٣٩، أحمد: (٢/١٧٥)

٧ - انظر الفتح (١٠/٥٢٠) بتصرف

وقد نقل ابن حجر رحمه الله قولا لطيفا لابن التين قال :(جمع ﷺ في قوله : «لاتغضب» . خير الدنيا والآخرة، لأن الغضب يؤول إلى التقاطع ومنع الرفق، وربما إلى أن يؤذي المغضوب عليه فينتقص ذلك من الدين)(١)

ولذلك حث الله على كظم الغيظ والعفو عن الناس، وذلك عندما أثنى على المتصفين بهذه الصفات وعدهم من المتقين ووعدهم بالجنة والمغفرة فقال سبحانه :﴿وَسَارِعُواْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ والأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِيْنَ۰ الَّذِيْنَ يُنْفِقُوْنَ فِي السَّرَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِيْنَ الْغَيْظَ وَالْعَافِيْنَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَ﴾(٢)۰

ومعنى الآية :﴿وَالْكَاظِمِيْنَ الْغَيْظَ﴾ أي: الجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه، وكظم الغيظ بتجرعه وحفظ النفس من أن تمضي ما هي قادرة على إمضائه باستمكانها ممن غاظها ،وانتصارها ممن ظلمها، ﴿وَالعَافِيْنَ عَنِ النَّاسِ﴾ أي : الصافحين عن الناس عقوبة ذنوبهم إليهم، وهم على الإنتقام منهم قادرون، فتاركوها لهم(٣)۰

قال سيد قطب رحمه الله في تعليقه على الآية ما نصه:(كذلك تعمل التقوى في هذا الحقل، بنفس البواعث ونفس المؤثرات۰ فالغيظ انفعال بشري، تصاحبه أو تلاحقه فورة في الدم، فهو إحدى دفعات التكوين البشري، إحدى ضروراته۰ وما يغلبه الإنسان إلا بتلك الشفافية اللطيفة المنبعثة من إشراق التقوى، وإلا بتلك القوة الروحية المنبثقة من التطلع إلى أفق أعلى وأوسع من آفاق الذات والضرورات)(٤)۰

١- الفتح (١٠/٥٢٠)

٢ - آل عمران:١٣٣-١٣٤

٣ - الطبري:(٤/٩٣) بتصرف

٤ - الظلال:(١/٤٧٥)

ولذلك أيضا أمر الله سبحانه وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بأخذ العفو من أخلاق الناس، ومراعاة طبائعهم وإعذارهم وترك الإغلاظ عليهم(١)، كما في قوله تعالى ﴿خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِيْنَ﴾(٢)

قال الزمخشرى : (العفو : ضد الجهد : أي خذ ما عفا لك من أفعال الناس وأخلاقهم وما أتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لاينفروا ٠٠٠٠٠، والعرف : المعروف والجميل من الأفعال ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِيْنَ﴾ولا تكافيء السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم وأغض على مايسؤك منهم)(٣)٠

فهذه الآية تبين ما ينبغي معاملة الناس به من أخذ وقبول ماسمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق، فلا يكلفوا مالا تسمح به طبائعهم، بل يشكر من كل أحد مالديه من خلق جميل، ويتجاوز عن تقصيرهم، ويغض الطرف عن نقصهم، ولا يتكبر على الصغير لصغره،ولا ناقص العقل لنقصه، ولا الفقير لفقره، بل يعامل الجميع باللطف، والمقابلة بما تقضيه الحال، وتنشرح له صدورهم، وهذا الإغضاء عن الضعف البشري، والعطف عليه والسماحة معه، هو واجب الكبار الأقوياء تجاه الصغار الضعفاء(٤)٠ والآية لما فيها من هذه الإشارات إلى الأخلاق والآداب قال فيها الزمخشري : (وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها)(٥) وقال فيها الشيخ السعدي - رحمه الله : (هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس، وما ينبغي في معاملتهم) (٦)

----

١ - انظر الطبري:(٩/١٥٥)

٢ - الأعراف:١٩٩

٣ - الكشاف:(٢/١٣٨)

٤ - انظر تفسير السعدي(٢/١٨٢)، الظلال(٣/١٤١٩) بتصرف

٥ - الكشاف (٢/١٣٩)

٦ - تفسير السعدي (٢/١٨٢)

وأجمع من ذلك واتمه ماقاله فيها الإمام القاضي أبوبكر بن العربي : (قال علماؤنا هذه الآية من ثلاث كلمات، قد تضمنت قواعد الشريعة، المأمورات والمنهيات، حتى لم يبق فيه (١) حسنة إلا أوعتها، ولا فضيلة إلا شرحتها، ولا أكرومة إلا أفتتحتها، وأخذت الكلمات الثلاث أقسام الإسلام الثلاثة : فقوله :﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ تولى بالبيان جانب اللين ونفي الحرج في الأخذ والإعطاء، والتكليف٠ وقوله ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ تناول جميع المأمورات والمنهيات، وأنهما ما عرف حكمه، واستقر في الشريعة موضعه، واتفقت القلوب على علمه، قوله :﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ تناول جانب الصفح بالصبر الذي به يتأتى للعبد كل مراده في نفسه وغيره٠ ولو شرحنا ذلك على التفصيل لكان أسفارا)(٢)٠

٣ - ولعله من خلال الآيتين السابقتين قد تبينت بعض مقتضيات الصبر والحلم، وما يزيد على مجرد ضبط النفس وملكها عند الغضب أو في الصدمة الأولى، فإن هذا مطلوب وهو برهان على القوة والشدة كما قال ﷺ : «ليس الشديد بالصرعة ، انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»(٣)٠ كما أنه دليل على التخلق بالصبر والإحتمال، قال ﷺ : «انما الصبر عند الصدمة الأولى»(٤)، ولكن يزيد على ذلك العفو والصفح﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾(٥) وقال سبحانه : ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾(٦) أي الحسن الذي قد سلم من الحقد، والأذية القولية والفعلية(٧)٠

---

١ - لعلها : (فيها)

٢ - أحكام القرآن لابن العربي: (٨٢٦/٢)[ومعنى الكرومة : مكرمة من الكرم كأعجوبة من العجب (الصحاح: ٢٠٢١/٥)]

٣ - أخرجه البخاري: الأدب رقم٦١١٤، مسلم : البر (٢٠١٤/٤) رقم١٠٧، الموطأ في الغضب (٢٤٣/٢) رقم٤٠، احمد(٣٨٢/١)٠

٤ - البخاري: كتاب الجنائز (١٣٠٢)، مسلم كتاب الجنائز (٦٣٧/٢،٦٣٨) رقم ١٥،الترمذي: كتاب الجنائز (٣٠٥/٣) رقم٩٨٨، النسائي كتاب الجنائز (٢٢/٤) رقم١٨٧٠، ابو داود : كتاب الجنائز (١٨٩/٣) رقم٣١٢٤

٥ - النور:٢٢

٦ - الحجر:٨٥

٧ - انظر تفسير السعدي : (٤٣/٣)

قال سيد قطب رحمه الله في قوله تعالى ﴿والعَافِيْنَ عَنِ النَّاسِ﴾(١) : (وكظم الغيظ هو المرحلة الأولى، وهي وحدها لاتكفي. فقد يكظم الإنسان غيظه ليحقد ويضطغن، فيتحول الغيظ الغائر الى إحنة غائرة، ويتحول الغضب الظاهر إلى حقد دفين.. و إن الغيظ والغضب لأنظف وأطهر من الحقد والضغن.. لذلك يستمر النص ليقرر النهاية الطليقة لذلك الغيظ الكظيم في نفوس المتقين.. إنها العفو والسماحة والإنطلاق..إن الغيظ وقر على النفس حين تكظمه، وشواظ يلفح القلب، ودخان يغشى الضمير.. فأما حين تصفح النفس ويعفو القلب، فهو الإنطلاق من ذلك الوقر، والرفرفة في آفاق النور، والبرد في القلب، والسلام في الضمير)(٢).

إذا فالصفح والعفو أبلغ من كظم الغيظ ورد الغضب ، لأن العفو ترك المؤاخذة مع السماحة عن المسيء، ومغفرة خطيئته، وطهارة القلب نحوه من أي غل أو حقد أو نحوهما، وهذا انما يكون ممن تحلى بالأخلاق الجميلة، وتخلى عن الأخلاق الرذيلة، واحتسب أجره عند خالقه، وأيقن بقول ربه عز وجل ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَىٰ اللَّهِ﴾(٣)

ويزيد على ذلك الصبر والعفو ما هو أكبر منه وأعظم وهو دفع السيئة بالحسنة، ومقابله فحش الكلام بلينه، وسوء الخلق بحسن الأدب، والشدة بالرفق، ورد الكلمة الجارحة بالكلمة الطيبة العذبة، والعبس بالتبسم، والسخرية والإحتقار بالتوقير والإحترام، وهذا مبلغ لايصل إليه إلا من صبر وكان ذا حظ عظيم :﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِيْ هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيْمٌ. وَمَايُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيْمٍ﴾(٤)

---

١ - آل عمران:١٣٤

٢ - الظلال : (٤٧٥/١)

٣ - الشورى :٤٠ وانظر تفسير السعدي (٢٧١/١)

٤ - فصلت:٣٤

وتحقيق ذلك كله انما يكون بتعلمه وتجرعه مرارته وتعويد النفس قبوله، قال ﷺ : «إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتحر الخير يعطه، ومن يتق الشر يوقه»(١) وفي الحديث ايضا «ومن يتصبر يصبره الله»(٢).

٤ - ثم أنتقل إلى ذكر بعض النماذج والأمثلة التي طبق فيها الصبر، وجرب فيها الحلم والعفو، فبانت آثارها، وظهرت نتائجها، فمنها :-

صبر الأنبياء عامة على أذى أقوامهم وسفاهتهم، ومقابلة جهلهم وإستهزائهم بالحسنى والرفق واللين والصفح والإعراض عنهم.

فهذا نوح عليه السلام يكذبه قومه ويتهمونه بالضلال المبين، فيرد عليهم في حلم وهدؤ: ﴿قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٣) ومثله هود عليه السلام ويتهم بالسفاهة فلايزيد على نفي هذه التهمة في صبر وحكمة: ﴿ قَالَ يَاقَوْمِ ليس بي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٤) ويوسف عليه السلام يكيد له إخوته ويفرقون بينه وبين أبيه سنين عددا، ثم لما يظهر عليهم ويكشف أمرهم، لايكتفي بالصفح عنهم بل يزيد على ذلك فيعلن لهم أنه لايلومهم ولا يثرب عليهم، ولن يعيّرهم بذنبهم، ومع ذلك يدعو لهم بالمغفرة والرحمة، وهذا نهاية الإحسان، الذي لايتأتي إلا من خواص الخلق وخيار المصطفين(٥)، قال تعالى: ﴿لَاتَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ﴾(٦).

---

١ - أخرجه الخطيب في تاريخه والطبراني في الأوسط وانظر الزوائد للهيثمي: (١٣٣/١)،(وحسنه الألباني انظر صحيح الجامع الصغير رقم٢٣٢٨ج ١ ص٤٦١)

٢ - جزء من حديث أخرجه البخاري: الزكاة (٣٣٥/٣)، رقم١٤٦٩، مسلم الزكاة (٧٢٩/٢) رقم١٢٤، ابو داود: الزكاة (١٢٥/٢) رقم١٦٤٤، الترمذي : البر (٣٧٣/٤) رقم٢٠٢٤، احمد (١٢/٣)

٣ - الأعراف:٦١

٤ - الأعراف:٦٧

٥ - انظر : تفسير السعدي (٤٣٥/٢)

٦ - يوسف:٩٢

وأما «ذو النون» - يونس عليه السلام فانه لم يصبر على تكاليف الرسالة، وضاق صدرا بقومه، والقى عبء الدعوة، وذهب مغاضبا، ضيق الصدر، حرج النفس، فأوقعه الله في الضيق الذي تهون إلى جانبه مضايقات المكذبين(١)﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَاإِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ٠٠﴾(٢) الآيات٠ ورحم الله سيد قطب إذ قال: (إنه من السهل على صاحب الدعوة أن يغضب لأن الناس لايستجيبون لدعوته، فيهجر الناس٠٠إنه عمل مريح، قد يفثأ الغضب، ويهدئ الأعصاب٠٠ ولكن أين هي الدعوة؟ وما الذي عاد عليها من هجران المكذبين ؟

إن الدعوة هي الأصل لاشخص الداعية! فليضق صدره، ولكن ليكظم ويمض٠ وخير له أن يصبر فلا يضيق صدره بما يقولون)(٣)٠

ويوضح مدى ما وصل اليه صبر الإنبياء واحتمالهم وعفوهم، قول عبدالله بن مسعود : (كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه، فهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : رب اغفر لقومي فإنهم لايعلمون)(٤)

والأنبياء في ذلك يتبعون ملة أبيهم إبراهيم الذي لقي من أبيه مالقي، وهدده بالرجم والجلد، فما زاد على أن قال لأبيه المعاند:﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيْ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِياً٠٠﴾(٥) الآيات

يقول الشيخ السعدي رحمه الله في تعليقه على آلايات : (وقد أمرنا الله باتباع ملة إبراهيم، فمن اتباع ملته، سلوك طريقه في الدعوة إلى الله، بطريق العلم والحكمة، واللين والسهولة، والإنتقال من رتبه إلى رتبة، والصبر على ذلك، وعدم السآمة منه، والصبر على ماينال الداعي من أذى الخلق، بالقول والفعل،

---

١ - انظر الظلال: (٢٣٩٣/٤)

٢ - الأنبياء :٨٧

٣ - الظلال : (٢٣٩٤/٤)

٤ - أخرجه البخاري كتاب قتال المرتدين(٢٨٢/١٢) رقم٦٩٢٩، مسلم الجهاد(١٤١٧/٣) رقم١٥٠، ابن ماجة: الفتن (١٣٣٥/٢) رقم٤٠٢٥، أحمد(٣٨٠/١)

٥ - مريم:٤٧

ومقابلة ذلك، بالصفح والعفو، بل بالاحسان القولي والفعلي)(١).

وإذا كان ذلك هو صبر الأنبياء، فإن نبينا ﷺ قد كان له حظ من الصبر وافر، ونصيب من الحلم والعفو، فها هو عليه الصلاة والسلام يقسم غنائم حنين فيعطي أناسا من أشراف العرب ويؤثرهم يومئذ في القسمة، فيقول الرجل : والله إن هذه لقسمة ماعدل فيها، وما أريد فيها وجه الله . فلما بلغت الكلمة رسول الله ﷺ فتغير وجهه حتى كان كالصرف(٢). ثم قال :«فمن يعدل إن لم يعدل الله ورسوله! ثم قال : يرحم الله موسى قد أوذي باكثر من هذا فصبر»(٣)

وقد تقدم مثال واضح على صبره عليه السلام في قصة الأعرابي الذي جبذه بردائه جبذة شديدة، حتى أثرت حاشية الرداء في صفحة عنقه ﷺ من شدة جبذته، ثم قال : يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك. فالتفت اليه رسول الله ﷺ ثم ضحك، ثم أمر له بعطاء(٤).

قال الحافظ في تعليقه على الحديث : (وفي هذا الحديث بيان حلمه ﷺ وصبره على الأذى في النفس والمال، والتجاوز على جفاء من يريد تألفه على الإسلام، وليتأسى به الولاة بعده في خلقه الجميل، من الصفح والإغضاء والدفع بالتي هي أحسن)(٥)

ومن كريم عفوه ﷺ ما جاء في قصة فتح مكة، حيث إنه قد صفح وغفر لمن آذاه وقاتله، وطرده وأخرجه فما إن ظفر عليهم حتى قال : يامعشر قريش، ما ترون إني فاعل فيكم؟ قالوا خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم.

قال : أذهبوا فأنتم الطلقاء، وقال : «نصبر ولانعاقب»(٦)

---

١ - تفسير السعدي : (٣/٢٠٦)

٢ - الصرف: صبغ أحمر يصبغ به الجلود (انظر التعليق على مسلم:٧٣٩/٢، وأنظر المصباح المنير: ص١٢٩)

٣ - أخرجه البخاري : المغازي رقم٤٣٣٦: الزكاة (٢/٧٣٩) رقم١٤٠، أحمد(١/٤١١)

٤ - أخرجه البخاري : اللباس رقم٥٨٠٩، مسلم الزكاة (٢/٧٣٠) رقم١٢٨،النسائي : القيامة ٣٣/٨)، أحمد (٣/١٥٣).

٥ - الفتح :(١٠/٥٠٦)

٦ - أخرجه أحمد في المسند (٥/١٣٥)، الحاكم (٢/٣٥٩) وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ، واخرجه ابن هشام في السيرة (انظر تهذيب السيرة ص٢٩٢)

وإذا كانت تلك أخلاق القدوة ﷺ - فمما لاشك فيه أن المقتدين به على شاكلته وعلى رأسهم صحابته رضوان الله عليهم الذين تربوا على يده، وعودهم الصبر والتحمل، فها هو خباب رضي الله عنه يقول :أتيت النبي ﷺ وهو متوسسد بردة في ظل الكعبة - وقد لقينا من المشركين شدة - فقلت : يارسول الله ، ألا تدعو الله لنا ؟ فقعد وهو محمر وجهه فقال :«لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد، مادون عظامه من لحم أو عصب، مايصرفه ذلك عن دينه، ويوضع الميشار على مفرق رأسه فينشق باثنين، مايصرفه ذلك عن دينه• وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون»(١)•

قال في الفتح : (قال ابن التين: كان هؤلاء الذين فعل بهم ذلك انبياء أو اتباعهم، قال : وكان في الصحابة من لو فعل به ذلك لصبر، إلى أن قال : ومازال خلق من الصحابة واتباعهم، فمن بعدهم يؤذون في الله، ولو أخذوا بالرخصة لساغ لهم)(٢)•

ثم هذا الفاروق رضي الله عنه يطبق مبدأ الحلم والعفو، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما - قال : (قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر رضي الله عنه، وكان القراء اصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولا أو شبانا• فقال عيينة لابن أخيه: يا أبن أخي لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال : سأستأذن لك عليه• قال ابن عباس فاستأذن الحر لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال : هي يا ابن الخطاب، فوالله ماتعطينا الجزل(٣)، ولاتحكم بيننا بالعدل• فغضب عمر

---

١ - أخرجه البخاري: مناقب الأنصار (١٦٤/٧) رقم٣٨٥٢، ابو داود كتاب الجهاد (٤٧/٣) رقم٢٦٤٩، أحمد (١٠٩/٥)•

٢ - الفتح : (١٦٧/٧)

٣ - الجزل : أي الكثير انظر الفتح (٢٥٩/١٣)

حتى هم به فقال له الحر : يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه: ﷺ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾(١) وإن هذا من الجاهلين. والله ماجاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافا عند كتاب الله)(٢).

كما قد كان معاوية رضي الله عنه مضرب المثل في الحلم، حتى إن كان الرجل ليقول له : والله لتستقيمن بنا يامعاوية أو لنقومنك، فيقول بماذا ؟ فيقولون: بالخشب (٣)، فيقول إذا أستقيم(٤).

ولعل هذه الآمثلة كافية في الدلالة على المقصود،وبيان التطبيق العملي لمعاني الصبر والتحمل، والحلم والعفو وكظم الغيظ ونحوها.

٥ - واذا كانت تلك منزلة الصبر والعفو، وذلك تطبيقه وأمثلته ، فإن المحاور المسلم يحتاج أنواعا من الصبر كثيرة، إذ أن الحوار والمناقشات تثير في النفس نوازع متعددة من الإنتصار للنفس وللرأي، والقابلية السريعة للإستفزاز، والتعالى على الخصم أو على الحق ونحوها فلابد من التذكير بالانواع المتعلقة بالحوار ومنها :

(أ) - الصبر على وجود الحوار ومواصلته، والإنتهاء منه بالرأي الراجح الصحيح، فإن بعضا من الناس لايطيق الحوار ولا يرضى بالمناقشة - مع علمه بالحق وتمكنه من إدارة الحوار -، ولكنه يريد أن يأخذ الناس كلامه دية مسلمة وخاصةً اذا كان خصمه أقل علما منه أو أصغر سنا أو أضعف تجربة ونحو ذلك. فهذا يحتاج إلى أن يعود نفسه أن يناقشه الآخرون ويبدوا آراءهم، ويراعي أفهامهم، وعليه أن يصبر نفسه مع من هو أقل منه شأنا.

---

١ - الأعراف:١٩٩

٢ - اخرجه البخاري (٤٦٤٢) كتاب التفسير

٣ - الخشب : جمع خشيب. وهو السيف الصقيل (انظر القاموس المحيط:٦٣/١)

٤ - انظر سير أعلام النبلاء : (١٥٤/٣)

(ب) - الصبر على سوء خلق الخصم، من حيث ضيق صدره، وسرعة غضبه، وسعيه للانتصار لنفسه، ورغبته في ظهور رأيه، إذ قد يواجه المحاور من كان على مثل هذه الشاكلة، وعندها لاينبغي أن يقابل سوءه بالسوء، بل بالرحابة وضبط النفس والتجرد لطلب الحق، ولو لم يستفد الخصم من حواره إلا هذه المعاني الرفيعة، ورؤيته لتطبيقها العملي فتكفيه فائدة ودرسا.

(جـ) - الصبر على استهزاء الخصم، وقبح الفاظه، وفحش كلامه، وسوء عبارته، أو نقصه وضعفه وجهله(١) فهنا يحتاج المحاور أن يدفع بالتي هي أحسن، ويعود نفسه تحمل ذلك في سبيل إنجاح الحوار وإقناع الخصم ويحتسب أجره عند الله عز وجل.

(د) - الصبر على تفنج(٢) الباطل، ووقاحة الطغيان، وانتفاش الشر، وتصعير الغرور والخيلاء، إذ قد يخذل الحق في موضع لظروف وملابسات، وقد يعلو الباطل لحظة من اللحظات، فتحتاج هذه اللحظة إلى الصبر والإحتمال.

(هـ) - الصبر على شهوات النفس ورغائبها في الإنتصار والإستعلاء، واطماعها في العلو والإرتفاع، وضعفها في عدم قبول الهزيمة بسعة صدر، فقد ينفخ الشيطان في المحاور الذي يعلم أن الحق قد ظهر على لسان خصمه، ولكنه لايعترف به ولا يرضى بقبوله، ويأبى إلا الجدال العقيم، والخصام والعناد، فهنا يحتاج إلى صبر وقوة تكظم الغيظ وتضبط الاعصاب، وتتحكم في الشهوات الخفية للنفس التي يذكيها الشيطان.

(و) - قد يكون الخصم على الباطل الواضح والضلال المبين، ومع ذلك يكون خصما هادئا حليما، عفوا صبورا، وهذا يحتاج إلى نوع من المصابرة، وهو الصبر على طول صبر الخصم وحلمه وهدوئه، إذ قد ينفد صبر المحاور، ويستفزه ذلك الصبر الطويل فيخسر نتيجة الحوار.

---

١ - انظر مصطلح الصبر: مجلة البيان ٢٧/٢٧-٢٩

٢- تَفنّج: أي علا وارتفع، يقال: انتفج جنبا البعير: أي ارتفعا (الصحاح: ١/٣٤٦)

(ز) - ومن أهم أنواع الصبر للمحاور وغيره: الصبر على ضبط النفس في ساعة القدرة والإنتصار، واستقبال الظهور على الخصم في شكر وتواضع، وأدب ورحمة، بعيدا عن أمراض القلوب وشهوات النفوس، من الكبر والغرور والإعجاب ونحوها. بعيدا عن الشماتة بالطرف الآخر أو تعييره بهزيمته أو إشعاره بضعفه وعجزه، وهذا نوع من الصبر أصعب من الصبر على الهزيمة، ولا يستطيعه إلا المخلصون الصادقون.

٦ - وإذا كان الصبر مطلوب، والحِلْم ممدوحاً والعفو محموداً في الأصل، فإن هناك مواضع وأحوالًاَ ينبغي فيها الغضب ولا يشرع فيها الحلم، ولكن ليس ذلك استجابة لهوى النفس وميلها وشهواتها، وإنمابالضابط الشرعي المحدد ومن ذلك الغضب اذا انتهك حرمة الله، واعتدي على شرعه، ويدل عليه قول عائشة رضي الله عنها: (ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما مالم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه، إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها)(١) وفي رواية «فإن انتهكت حرمة الله كان أشد الناس غضبا لله»(٢).

قال ابن حجر رحمه الله : (ويؤخذ من ذلك الندب إلى الأخذ بالرخص مالم يظهر الخطأ، والحث على العفو إلا في حقوق الله تعالى، والندب إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحل ذلك مالم يفض إلى ما هو أشد منه، وفيه ترك الحكم للنفس وإن كان الحاكم متمكنا من ذلك بحيث يؤمن منه الحيف على المحكوم عليه، لكن لحسم المادة والله أعلم)(٣)

---

١ - أخرجه البخاري: المناقب رقم٣٥٦٠، مسلم الفضائل: (١٨١٣/٤) رقم٧٨، أبو داود: الأدب (٢٥٠/٤) رقم٤٧٨٥، الموطأ: حسن الخلق (٢٤١/٢) رقم٢٣١، احمد (٣٢/٦)

٢ - الرواية: ذكرها الحافظ في الفتح وسكت عنها (٥٧٦/٦)

٣ - انظر الفتح : (٥٧٦/٦)

٧ - وإكمالا لهذا الموضوع فلابد من ذكر علاج الغضب، ووسائل القضاء عليه، إذ أن هذا يفيد المحاور الذي يصعب عليه كظم الغيظ والتحكم في النفس عند الإستفزاز، وهذه الطرق دلت عليها نصوص الشرع، وذكرها الأئمة الأعلام، فمن ذلك الإستعاذة بالله من الشيطان الرجيم فقد ثبت أنه استب رجلان عند النبي ﷺ، وأحدهما يسب صاحبه مغضبا قد احمر وجهه، فقال النبي ﷺ : «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه مايجده، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. الحديث»(١) .

ومن ذلك السكوت عند الغضب لقوله ﷺ: «واذا غضب أحدكم فليسكت»(٢)

ومن ذلك ماقاله ﷺ ايضا : (إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب، وإلا فليضطجع»(٣). وقد روي كذلك أن مما يسكن الغضب الوضوء، ففي الحديث : «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»(٤).

ولعل من هذا الباب أيضا أن يتذكر صبر غيره ومالقيه، ويشهد لذلك ما تقدم من قوله ﷺ: «يرحم الله موسى .قد أوذي باكثر من هذا فصبر»(٥).

وفي ذلك يقول ابن حجر رحمه الله : (ويعين على ترك الغضب استحضار ماجاء في كظم الغيظ من الفضل، وماجاء في عاقبة ثمرة الغضب من الوعيد، وأن

---

١ - أخرجه البخاري: الأدب:٦١١٥، مسلم، البر (٢٠١٥/٤) رقم١٠٩، ابو داود ألأدب (٢٤٩/٤) رقم٤٧٨٠، الترمذي: الدعوات (٥٠٤/٥) رقم٣٤٥٢.

٢ - أخرجه أحمد في المسند: (٢٣٩/١) وصححه أحمد شاكر برقم ٢١٣٦، والألباني في صحيح الجامع :٦٩٣

٣- أخرجه ابو داود : الأدب (٢٥٠/٤)رقم٤٧٨٢، احمد (١٥٢/٥) (وانظر مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي: رقم١٥١٤، صحيح الجامع رقم٦٩٤)

٤ - أخرجه أبو داود: الأدب (٢٥٠/٤) رقم٤٧٨٤، أحمد (٢٢٦/٤)

٥ - تقدم تخريجه آنفا

<u>تنبيه</u> : بعد الإنتهاء من طبع وترقيم الرسالة بدا لي أن انقل ص:(١٦١،١٦٢) إلى آخر هذا الباب، ولذلك سقطت من الترتيب هنا ووضعت هذا الرقم بأعلى الصفحة (١٦١-١٦٣) للدلالة عليها . علماً بأن الصفحتين المتواليتين قد أخذتا الرقمين (٢٢٥-٢٢٦) من هذه الرسالة .

يستعيذ من الشيطان كما تقدم في حديث سليمان بن صرد(١)، وأن يتوضأ كما تقدمت الإشارة اليه في حديث عطية(٢) والله أعلم. وقال الطوفي*: أقوى الأشياء في دفع الغضب استحضار التوحيد الحقيقي، وهو أن لافاعل إلا الله، وكل فاعل غيره فهو آلة له، فمن توجه اليه بمكروه من جهة غيره فاستحضر أن الله لو شاء لم يمكن ذلك الغير منه اندفع غضبه، لأنه لو غضب والحالة هذه كان غضبه على ربه جل وعلا وهو خلاف العبودية. قلت: وبهذا يظهر السر في أمره ﷺ الذي غضب بأن يستعيذ من الشيطان لأنه إذا توجه إلى الله في تلك الحالة بالاستعاذة به من الشيطان أمكنه استحضار ماذكر، وإذا استمر الشيطان متلبسا متمكنا من الوسوسة لم يمكنه من استحضار شيء من ذلك، والله أعلم(٣)
وكذلك فقد اطال الغزالي في الكلام عن الغضب وأسبابه، وعلاجه، ومما قاله : (والأسباب المهيجة للغضب هي : الزهو والعجب والمزاح والهزل والهزء والتعيير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه، وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعا ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الاسباب، فلابد من إزالة هذه الاسباب بأضدادها...)(٤). ثم ذكر أن الغضب يعالج بمعجون العلم والعمل، وذكر في العلم ستة أمور هي :-

١ - أن يتفكر في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والإحتمال فيرغب في ثوابه، فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفي والإنتقام وينطفىء عنه غيظه.

٢ - أن يخوف نفسه بعقاب الله وهو أن يقول قدرة الله علي أعظم من قدرتي على هذا الإنسان، فلو أمضيت غضبي عليه لم آمن أن يمضي الله غضبه علي يوم القيامة أحوج ما أكون إلى العفو.

----

١ - هو حديث «اني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه مايجد..» وقد تقدم آنفا.

٢ - هو حديث : «إن الغضب من الشيطان» وقد تقدم أيضا

٣ - انظر الفتح : (١٠/٥٢١).

٤ - انظر الأحياء: (٣/١٨٣)

* - هو سليمان بن عبد القوي الطوفي الصرصري، نجم الدين: فقيه حنبلي ولد بقرية طوف بالعراق، جاور الحرمين وتوفي بفلسطين سنة ٧١٦هـ، له مؤلفات عديدة منها: الإكسير في قواعد التفسير، البلبل في أصول الفقه، مختصر الترمذي وغيرها. (الأعلام للزركلي: ٢/١٢٨)

٣ - أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعي في هدم اغراضه والشماتة بمصائبه، وهو لايخلو عن المصائب، فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا إن كان لايخاف من الآخرة.

٤ - أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب، ويتفكر في قبح الغضب في نفسه، ومشابهة صاحبه للكلب الضاري والسبع العادي، ومشابهة الحليم الهادي التارك للغضب للأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء.

٥ - أن يتفكر في السبب الذي يدعوه إلى الإنتقام ويمنعه من كظم الغيظ، مثل قول الشيطان له: إن هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيرا في أعين الناس، فيعاتب نفسه على تلك الأنفة واتباع خطوات الشيطان، ويذكر بالخزي والإفتضاح على رؤوس الخلائق يوم القيامة.

٦ - أن يعلم أن غضبه من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله لاعلى وفق مراده، فكيف يقول مرادي أولى من مراد الله ؟ ويو شك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه.

ثم ذكر ما يتعلق بجانب العمل من الاستعاذة والوضوء والجلوس والإضطجاع والسكوت، نحو ماتقدم في الأحاديث(١).

وبعد هذه الإفاضة في أدب الصبر والحلم وكظم الغيظ وعدم الغضب وترك الإنتصار للنفس، فإن المحاور يحتاج إلى معرفة تلك الأمور التي تقدمت وغيرها، ليعود نفسه هذه الآداب ويتجنب أضدادها، ليذكر نفسه بفضائلها ويحذرها من عواقبها، وليفرق بين مايؤثر فيه الغضب وما يؤثر فيه الحلم والصبر، وليعالج نفسه إن احتاجت إلى العلاج، كل ذلك حتى يستمر الحوار هادئا مؤدبا، ولتحفظ فيه النفوس وتصان فيه الأعراض، وليؤدي إلى نتيجة مثمرة، وغاية مستحسنة. والله أعلم.

---

١ - انظر الأحياء : (٣/١٨٤-١٨٦)

المبحث السادس: الرحمة والشفقة بالخصم والحرص على إقناعه

إن الحوار مبدؤ رفيع ، ووسيلة نبيلة، للوصول إلى غاية حميدة، وهدف سام، والمحاور المسلم المخلص الصادق لايتصور منه إلا الحرص على إظهار الحق لخصمه، والشفقة عليه من البعد والضلال، والخوف عليه من أن تتفرق به السبل، ورحمته باعتباره إنسانا قامت عليه الحجة، وخاصة إن كان هذا الخصم كافرا، فعندها تتأكد الشفقة والرحمة، إذ الإعراض والمكابرة والتولي عن الحق إلى الكفر أو الشرك، تكون نهايته الخلود في نار جهنم والعياذ بالله.

١ - والتزام هذا الأدب ليس غريبا على المحاور المسلم الذي يدين بدين الرحمة والهدى، قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(١) فجمع الله غاية رسالته في الرحمة كما في هذه الآية.

والمحاور المسلم يستقي رحمته من رحمة ربه الرحمن الرحيم، الذي قال عن نفسه:﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾(٢) وهو سبحانه أرحم من الوالدة بولدها(٣). وقال ﷺ عن رحمة ربه :«جعل الله الرحمة في مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا، وأنزل في الأرض جزءا واحدا، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه»(٤) وقال سبحانه وتعالى في تخصيص رحمته للمؤمنين ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾(٥).

ولذلك فإن هذه الرحمة الواسعة قد شملت الإنس والجن والبهائم والطير والجمادات وغيرها، وعلى المسلم أن يرحم متى وجد مجالا للرحمة، ولو أن يشفق على كلب فيرحمه، فلعله بذلك أن يدرك رحمة أرحم الراحمين.

---

١ - الأنبياء:١٠٧

٢ - الاعراف :١٥٦

٣ - هو معني حديث صحيح أخرجه البخاري :٥٩٩٩ في كتاب الأدب

٤ - أخرجه البخاري : الأدب٦٠٠٠، مسلم : التوبة (٢١٠٨/٤) رقم١٧، الترمذي: الدعوات (٥٤٩/٥) رقم٣٥٤١

٥ - الأحزاب:٤٣

فقد صح في الحديث أن النبي ﷺ قال :«بينما كلب يطيف بركية(١) كاد يقتله العطش، إذ رأته بغى(٢) من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها(٣) فسقته فغفر لهابه»، فكيف بمن يرحم إنسانا ذا كبد فإنه «في كل ذات كبد رطبة أجر»(٤)، وكيف بمن يرحم أخاه المسلم، وتكون هذه الرحمة لدينه، وخوفا عليه من الضلال،وإنقاذا له من التخبط والإضطراب٠

والمحاور المسلم يتمثل الحرص والرحمة والشفقة، اقتداءا بنبيه ﷺ، الذي قال الله في وصفه : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾(٥) فهذا نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام، الذي يعز عليه ويثقل على طبعه وشعوره المرهف، عنت أتباعه ولقاؤهم مايكرهونه أو يشق عليهم، وهو مع ذلك حريص عليهم، قال في تفسير المنار : (الحرص : شدة الرغبة في الحصول على المفقود، وشدة العناية بحفظ الموجود، وكان عليه السلام حريصا على اهتداء قومه به ، بإيمان كافرهم، وثبات مؤمنهم في دينه، كما قال تعالى له :﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾(٦) ومعنى «بالمؤمنين رؤوف رحيم » أي : شديد الرأفة والرحمة بالمؤمنين كافة، ولذلك وصفه ربه بقوله :﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ(٧)﴾(٨)٠

---

١ - الركية : بفتح الراء وكسر الكاف وتشديد التحتانية: البئر مطوية أو غير مطوية(انظر الفتح: ٥١٦/٦)

٢ - البغي : بفتح الموحدة وكسر المعجمة هي الزانية، وتطلق على الأمة مطلقا (انظر الفتح :٥١٦/٦)

٣ - الموق : بضم الميم وسكون الواو بعدها قاف هو الخف وقيل مايلبس فوق الخف (انظر الفتح :٥١٦/٦)

٤ - اخرجه البخاري : الأدب ٦٠٠٩، احمد (٣٧٥/٢)

٥ - التوبة:١٢٨

٦ - يوسف:١٠٣

٧ - الآحزاب :٦

٨ - أنظر مختصر تفسير المنار :(٣٦٩/٣-٣٧٠) بتصرف

ويزيد سيد قطب رحمه الله في بيان هذه الرحمة وذاك الحرص فيقول في معنى ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾:(لايلقي بكم في المهالك، ولايدفع بكم إلى المهاوي، فإذا هو كلفكم الجهاد، وركوب الصعاب، فما ذلك من هوان بكم عليه، ولا بقسوة في قلبه وغلظة ، إنما هي الرحمة في صورة من صورها. الرحمة بكم من الذل والهوان، والرحمة بكم من الذنب والخطيئة، والحرص عليكم أن يكون لكم شرف حمل الدعوة، وحظ رضوان الله، والجنة التي وعد المتقون)(١).

وإن من تمام رحمته ﷺ أنه أمر بالرحمة وأشار إلى فضلها، وحث عليها مبينا أن رحمة الله تدرك برحمة الخلق بعضهم لبعض فمن ذلك قوله عليه السلام :«الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء»(٢) وقوله ايضا : «من لايرحم لايرحم»(٣) ومثله قوله ايضا : «من لايرحم الناس لا يرحمه الله»(٤). بل قد وصف من لم يرحم بأنه شقي فقال عليه السلام : «لاتنزع الرحمة إلا من شقي»(٥).

وقد ذكر الحافظ قول ابن بطال في تعليقه على حديث «من لايرحم لايرحم» حيث قال: (فيه الحض على استعمال الرحمة لجميع الخلق فيدخل المؤمن والكافر والبهائم، المملوك منها وغير المملوك، ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام والسقي والتخفيف في الحمل وترك التعدي بالضرب)(٦).

---

١ - انظر الظلال :(١٧٤٣/٣)

٢ - أخرجه أبو داود: الأدب (٢٨٧/٤) رقم٤٩٤١، الترمذي:البر (٣٢٤/٤) رقم ١٩٢٤ وقال حسن صحيح، أحمد (١٦٠/٢)

٣ - أخرجه البخاري: الأدب٦٠١٣، مسلم الفضائل (١٨٠٩/٤) رقم٦٥، عبدالرزاق في المصنف (٢٩٨/١١) رقم٢٠٥٨٩

٤ - اخرجه البخاري: التوحيد ٧٣٧٦، مسلم الفضائل (١٨٠٩/٤) رقم٦٦، الترمذي: البر (٣٢٣/٤) رقم١٩٢٢، احمد (٤٠/٢).

٥ -اخرجه ابو داود: الأدب (٢٨٧/٤) رقم ٤٩٤٢، الترمذي البر (٣٢٣/٤) رقم١٩٢٣ وحسنه. احمد (٣٠١/٢)

٦ - انظر الفتح (٤٤٠/١٠)

ولما شهد ﷺ وفاة ابن لبعض بناته، فبكى عليه السلام فقال : سعد بن عبادة: اتبكي، فقال «إنما يرحم الله من عباده الرحماء»(١)٠

وقد عرف السلف رحمهم الله سعة رحمة ربهم وأيقنوا برأفته، مصداقا لقوله عز وجل في ذكره لدعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾(٢) ومن هذا ماجاء في أن حماد بن سلمة عاد سفيان الثوري، فقال سفيان : أترى الله يغفر لمثلي ؟ فقال حماد : والله لو خيرت بين محاسبة الله إياي وبين محاسبة أبوي لأخترت محاسبة الله، وذلك لأن الله أرحم بي من أبوي(٣)٠

وعلى كل حال فالرحمة أدب مهم جدا في الحوار، إذ يجب على المحاور أن يسعى لهداية الآخرين واستقامتهم ، كما يجب عليه أن ينصح لهم ويجهد، وأن يشفق عليهم ويرحم، إذ ذلك أدعى إلى استجابتهم وأقرب إلى نجاح الحوار٠

٢ - واذا كانت تلك منزلة الرحمة والشفقة، وهذه قيمتها في ميزان الشرع، فإن دورها في الحوار آكد، وحاجته إليها أمس فـ (للرحمة كمال في الطبيعة يجعل المرء يرق لآلام الآخرين ويسعى في إزالتها، ويأسى لاخطائهم فيتمنى لهم الهدى)(٤) أما قاسي القلب فإنه يسعي للإنتقام، ويتمنى لغيره الأخطاء، ويفرح بها ويرتقبها ويتصيدها، وربما عير بها من غير رحمة ولا شفقة(٥)٠

فلابد أن يعلم المحاور أن الحوار وسيلة نبيلة، ينبغي أن تطهر من كل معاني القسوة والغلظة، والفظاظة والشدة، ولاينبغي أن يكون الحوار بحال من الأحوال - فرصة للكيد والإنتقام، أو وسيلة لتنفيس الأحقاد، وطريقة لإظهار الغل والحسد، أو لنشر العداوة وبث الكراهة بين الطرفين٠

---

١ - أخرجه البخاري التوحيد ٧٤٤٨، مسلم، الجنائز (٢/٦٣٥) رقم١١، ابو داود: الجنائز (٣/١٨٩) رقم٣١٢٥، النسائي: الجنائز (٤/٢١) رقم١٨٦٨، ابن ماجة (١/٥٠٦) رقم١٥٨٨، احمد (٥/٢٠٤)٠

٢ - الحشر :١٠

٣ - انظر سير أعلام النبلاء (٧/٤٤٩)

٤ - انظر خلق المسلم للغزالي ص٣٤٨

٥ - انظر الحوار مع أهل اكتاب: ص ١٧٢

فالرحمة إذا أدعى إلى تمحيص هدف الحوار وتنقيته وتخليصه، ووضوحه وتبيينه، كما أن وجود الرحمة في قلب المحاور دليل على تجريد الإخلاص لله عز وجل في نشر دينه، وعلامة على الصدق في الدعوة إلى سبيله، فلا ينبغي للمحاور أن ينسى أنه داعية إلى الله عز وجل بحواره ومناظرته، فحواره دعوة، وكلامه دين يدين الله به، ونواياه ومقاصده عبادة وقربة، وحركاته وتصرفاته انعكاس لايمانه وصورة لإسلامه، وعندها لايملك إلا أن يشفق ويرحم، ويراعي ويحرص ، لتكون عبادته لله عز وجل بالحوار، خالصة محضة، صافية نقية، لاتشوبها شائبة ولا يتطرق اليها نقص أو خلل. وإضافة إلى ذلك فالرحمة جسر بين المحاور والطرف الآخر، ومفتاح لقلبه وعقله ، وخاصة عندما يشعر بها ويلمسها، فتخرج ما في نفسه من أمراض الكبر والبطر والحقد والحسد ونحوها، فهي بذلك وسيلة لجمع القلوب وتأليف الأفئدة، وكلما ظهرت الرحمة على المحاور، واتضحت معالمها، كلما انشرح صدر الخصم، واقترب من محاوره، وأوشك على الإذعان والإقتناع، وبمثل هذا المعنى يمتن الله على نبيه عليه الصلاة والسلام، مشيرا إلى أثر رحمة الله في لينه ﷺ، وأثر ذلك في جمع الناس، وتأليف القلوب، فيقول سبحانه : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ٠٠﴾(١) الآية.

وتأويل الكلام كما قاله الطبري : (فبرحمة الله يا محمد ورأفته بك، وبمن آمن بك من أصحابك، لنت لهم لتُبَّاعك وأصحابك فسهلت لهم خلائقك، وحسنت لهم أخلاقك، حتى احتملت أذى من نالك منهم أذاه، وعفوت عن ذي الجرم منهم جرمه، وأغضيت عن كثير ممن لو جفوت به، وأُغلظت عليه، لتركك ففارقك، ولم يتبعك، ولا ما بعثت به من الرحمة، ولكن الله رحمهم ورحمك معهم، فبرحمة من الله لنت لهم)(٢)

---

١ - آل عمران:١٥٩

٢ - انظر الطبري :(١٥١/٤)

وقال ابن كثير رحمه الله - في معنى ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيْظَ القَلْبِ لاَنْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾: (أي : لو كنت سيء الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك، و ألان جانبك لهم تأليفا لقلوبهم)(١)٠

قال قتادة في تذكره لهذه النعمة : (إي والله، لطهره الله من الفظاظة والغلظة، وجعله قريبا رحيما بالمؤمنين رؤوفا)(٢)٠ وإتماما للرحمة بهم والشفقة عليهم(٣) قال له سبحانه وتعالى :﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾٠

وفي تلك المعاني السامية يقول سيد قطب رحمه الله : (فهي رحمة الله التي نالته ونالتهم، فجعلته ﷺ رحيما بهم، لينا معهم٠ ولو كان فظا غليظ القلب ما تألفت حوله القلوب، ولاتجمعت حوله المشاعر٠ فالناس في حاجة إلى كنف رحيم، وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة، وإلى ود يسعهم، وحلم لايضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم٠٠في حاجة إلى قلب كبير، يعطيهم ولايحتاج منهم إلى عطاء، ويحمل همومهم ولا يعنيهم بهمه، ويجدون عنده دائما الإهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضاء٠٠)(٤)

٣ - ومع أن الرحمة ضرورية ومهمة ، وشأنها عظيم كما تقدم، إلا أن هذه الرحمة والشفقة، وذلك الحرص واللين، لايعني التنازل عن شيء من الدين أو المداهنة فيه، أو كتمه وإخفاءه، أو تغييره وتبديله، بل يجب على المحاور المسلم أن يجمع بين الرحمة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبين الشفقة على محاوره والصدع بالحق وإبطال الباطل، وليعلم أنه من (الرحمة بالآخرين ومن الشفقة عليهم ، أمرهم بما أوجب الله عليهم، وزجرهم عما نهاهم عنه ، فلا تمنعه الرحمة من أداء واجبه ، كما يجب ألا يأخذه الأمر والنهي

---

١ - ابن كثير : (١/٤٢٠)

٢ - انظر الطبري : (٤/١٥١)

٣ - انظر الكشاف (١/٤٧٤)

٤ - الظلال :(١/٥٠٠-٥٠١)

فيتجرد من معاني الرحمة(١).

وفي هذا المعنى يقول ابن القيم رحمه الله في نونيته :-

اجعل لقلبك مقلتين كلاهمـــا بالحق في ذا الخلق ناظرتان

فانظر بعين الحكم وإرحمهم بها إذ لاترد مشـــيئة الديان

وانظر بعين الأمر واحملهم على أحكامه فهما إذا نظـــران(٢)

٤ - وبعد هذا العرض الموجز لأهمية الرحمة ومكانتها، لابد من ذكر بعض نماذجها وشواهدها في الكتاب والسنة، مع أن الآيات والأحاديث في ذكر الرحمة لاتكاد تحصر، إذ إن مادة الرحمة بمشتقاتها قد وردت في القرآن فيما يزيد على«ثلاثمائة وثمان وعشرين» موضعا(٣)، وورودها في السنة لايحصى ، فهذا دليل واضح على قيمتها وكثرة الإشارة إليها بالأساليب المختلفة، ولذلك فيكفي ذكر بعض الأمثلة مما يكون أقرب إلى موضوع الحوار:-

فمن صور الرحمة وآثار الشفقة ما ظهر من حال نبينا ﷺ حتى عاتبه الله في ذلك ونهاه عن المبالغة في الحرص على من أعرض وتولى، إذ بلغ به الأمر أنه يكاد يهلك نفسه ويقتلها حسرة عليهم وشفقة ورحمة بهم، وفي ذلك يقول الله تعالى :﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾(٤) وذلك أن النبي ﷺ كان حريصا على هداية الخلق ساعيا في ذلك أعظم السعي فكان ﷺ يفرح ويسر بهداية المهتدين، ويحزن ويأسف على المكذبين الضالين، شفقة منه ﷺ عليهم ورحمة بهم(٥)، حتى يكاد يهلك نفسه مما يحرص عليهم ويحزن (٦)،

---

١ - الحوار مع أهل الكتاب ص١٧٣ بتصرف

٢ - الكافية الشافية (النونية):٢١

٣ - انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ص٣٠٤-٣٠٩

٤ - الكهف :٦

٥ - انظر تفسير السعدي (١٤١/٣) بتصرف يسير

٦ - انظر ابن كثير (٣٣١/٣) بتصرف

وهذه الآية كقوله تعالى ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾(١) وقوله سبحانه ﴿فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾(٢) وكلها تدل دلالة واضحة على رحمة النبي ﷺ وحزنه الشديد على من لم يؤمن حرصا منه على الخير، ونصحا لهم، وشفقة عليهم(٣)·وقد بلغت هذه الشفقة غايتها عندما سنحت له الفرصة للقضاء عليهم والإنتقام منهم، ولكنه الرحيم المشفق لم يرد ذلك، ويؤثر الصبر والتحمل، حتى في أحلك الظروف وأصعبها فها هي عائشة رضي الله عنها تقول له ﷺ : (هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال : لقد لقيت من قومك مالقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال : يا محمد، فقال ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين (فقال:النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لايشرك به شيئا)(٤)·

قال الحافظ في الفتح : (وفي هذا الحديث بيان شفقة النبي ﷺ على قومه، ومزيد صبره وحلمه ، وهو موافق لقوله تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ (٥) وقوله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(٦)(٧)

---

١ - الشعراء:٣

٢ - فاطر : ٨

٣ - انظر تفسير السعدي (٤/٤٥٧) بتصرف

٤ - أخرجه البخاري: بدء الخلق ٣٢٣١، مسلم: الجهاد (١٤٢٠/٣) رقم١١١

٥ - آل عمران:١٥٩

٦ - الأنبياء:١٠٧

٧ - انظر الفتح (٣١٦/٦)

ومن هذا الباب دعاؤه ﷺ لبعض من أعرض وعصى، فقد صح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (قدم الطفيل بن عمرو على رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله، إن دوسا قد عصت وأبت، فادع الله عليها. فظن الناس أنه يدعو عليهم، فقال : اللهم اهد دوسا، وأت بهم)(١).

وإذا كانت تلك رحمته وشفقته على من كفر وعصى فان رحمته بمن آمن به وصدقه أوسع وأكبر ومنه قول عائشة رضي الله عنها: إن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم(٢) وزاد في رواية مالك« وكان يحب ما خف على الناس» (٣) وفي رواية أحمد «فكان يحب ماخفف عليهم من الفرائض»(٤). وقد نص الحافظ في الفتح على أن الحديث فيه من الفوائد ماكان النبي ﷺ عليه من الشفقة على أمته والرأفة بهم(٥). ومثل ذلك أيضا قول عائشة رضي الله عنها أيضا :«نهى رسول الله ﷺ عن الوصال رحمة لهم، فقالوا إنك تواصل، قال : إني لست كهيئتكم، إني يطعمني ربي ويسقين»(٦)

ومن صور الحرص على هداية الآخرين وإقناعهم ما جاء في حوار نبي الله إبراهيم مع ربه حيث قال تعالى :﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَايَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾(٧).

فهذا خليل الله عليه السلام يحرص ويرغب في أن يكون لذريته من الخير والهدى والإمامة كما جعل الله له، وهي شفقة الأبوة والنبوة.

---

١ - اخرجه البخاري : الدعوات ٦٣٩٧، مسلم: فضائل الصحابة (١٩٥٧/٤) رقم١٩٧،احمد (٢٤٣/٢)

٢ - أخرجه البخاري : التهجد ١١٢٨، مسلم صلاة المسافرين(٤٩٧/١) رقم٧٧، احمد (١٦٨/٦)

٣ - الموطأ : (١١١/١) رقم ٢٠٦ باب صلاة الضحى

٤ - المسند (٣٤/٦)

٥ - انظر الفتح (١٤/٣) بتصرف يسير

٦ - اخرجه البخاري: الصوم ١٩٦٤، مسلم: الصيام (٧٧٦/٢) رقم ٦١، الترمذي : الصيام (١٣٩/٣) رقم٧٧٨، احمد (٢٤٢/٦)

٧ - البقرة:١٢٤

وقريب من ذلك قصة ذلك النبي الذي أشفق على قومه وخشي أن يفرض عليهم القتال حين طلبوه، ثم لا يطيقونه، ولذلك لما قالوا له:﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ رد عليهم رد المشفق المحذر، قال ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ﴾(١)

ومنه أيضا شفقة الخضر على موسى عليهما السلام - في أن يكلفه الصبر على مالا يعلمه (٢) حيث قال تعالى في قصتهما:﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً٠ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً٠ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَالَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً﴾(٣) وكذا شفقة موسى على من في السفينة من أن يغرقوا حيث قال :﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾(٤) ولم يقل (لتغرقنا)، فنسي نفسه واشتغل بغيره في الحالة التي كل أحد يقول نفسي نفسي. فسبحان من جبل أنبياءه وأصفياءه على نصح الخلق والشفقة عليهم والرأفة بهم، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (٥)

ومن أمثلة ذلك أيضا ماذكره الله عز وجل في قصة الرجل الذي جاء من أقصا المدينة يسعى، حرصا على نصح قومه، ورغبة في هدايتهم حين سمع مادعت اليه الرسل، وآمن بهم وعلم مارد به قومه عليهم(٦)٠ قال تعالى :﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُواْ الْمُرْسَلِينَ٠ اتَّبِعُواْ مَنْ لاَيَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾(٧) الآيات٠

---

١ - البقرة:٢٤٦

٢ - انظر الظلال :(٢٢٧٩/٤)

٣ - الكهف ٦٦-٦٨

٤ - الكهف : ٧١

٥ - انظر تعليق الجرجاني في حاشيته على الكشاف(٤٩٢/٢)

٦ - انظر تفسير السعدي (٢٣٣/٤)

٧ - يس :٢٠-٢١

يقول سيد قطب رحمه الله في تعليقه على استجابة هذا القلب الحي، وسعيه وحركته وحرصه، مانصه:[إنها استجابة الفطرة السليمة لدعوة الحق المستقيمة، فيها الصدق والبساطة، والحرارة، واستقامة الإدراك، وتلبية الإيقاع القوي للحق المبين، فهذا رجل سمع الدعوة فاستجاب لها بعدما رأى فيها من دلائل الحق والمنطق مايتحدث عنه في مقالته لقومه، وحينما استشعر قلبه حقيقة الايمان تحركت هذه الحقيقة في ضميره فلم يطق عليها سكوتا، ولم يقبع* في داره بعقيدته وهو يرى الضلال من حوله والجحود والفجور، ولكنه سعى بالحق الذي استقر في ضميره وتحرك في شعوره، سعى به إلى قومه وهم يكذبون ويجحدون ويتوعدون ويهددون، وجاء من أقصا المدينة يسعى ليقوم بواجبه في دعوة قومه إلى الحق، وفي كفهم عن البغى وفي مقاومة اعتدائهم الأثيم الذي يوشكون أن يصبوه على المرسلين(١)].

ومن صور الرحمة والشفقة أيضا ما جاء في حديث عمران بن حصين، قال كانت ثقيف حلفاء لبني عقيل، فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ، واسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلا من بني عقيل، وأصابوا معه العضباء(٢) فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو في الوثاق، قال يامحمد! فأتاه، فقال : ما شأنك؟ فقال : : بم أخذتني وبم أخذت سابقة الحاج(٢) ؟ فقال : (إعظاما لذلك) أخذتك بجريرة حلفائك ثقيف ، ثم انصرف عنه فناداه فقال : يامحمد! يامحمد!، وكان رسول الله ﷺ رحيما رقيقا، فرجع اليه فقال : ماشأنك ؟ قال: إني مسلم قال : لو قلتها وأنت تملك أمرك، أفلحت كل الفلاح، ثم انصرف، فناداه فقال : يامحمد! فأتاه فقال : ماشأنك ؟ قال إني جائع فأطعمني، وظمآن فأسقني قال :هذه حاجتك، فغدي بالرجلين(٣).. الحديث

---

* يقبع : أي يقف عاجزاً أو ضعفاً مكتوف اليد، وأصلها من قبع يقبع قبوعاً : إذا أدخل الرجل رأسه في قميصه (الصحاح : ٢/ ٢٦٠)

١ - الظلال :(٥/ ٢٩٦٣)

٢ - سابقة الحاج هي العضباء حيث كانت لاتكاد تسبق (وهي القصيرة اليد : انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير :٣/ ٢٥١)

٣ - أخرجه مسلم : النذر(٣/ ١٢٦٢) رقم٨، ابو داود : الإيمان (٣/ ٢٣٦)رقم٣٣١٦ أحمد (٤/ ٤٣٠)

والامثلة غير هذه كثيرة متعددة، مما يبين أهمية الرحمة والشفقة وضرورة الحرص والرأفة، و أثر ذلك في الحوار.

٥ - ولعله مع وجود الرحمة والشفقة في قلب المحاور فإن ابداءها والتصريح بها للخصم، أدعى لقبوله وتليين موقفه، إذ إنه إذا رأى من محاوره الحرص عليه والرغبة في انقاذه وهدايته، وتبين بذلك هدف المحاور وقصده ونيته بوضوح فلابد من أن يؤثر ذلك تأثيرا إيجابيا، فيفتح قلبه للعدل والإنصاف، ويضيق الهوة بين الطرفين، وهذا وحده يعتبر تقدما ومكسبا وخطوة في طريق نجاح الحوار.

ولهذا فقد جاءت أمثلة ونماذج يصرح فيها المحاور لخصمه، بالخوف عليه والحرص والشفقة لتحقيق تلك الاهداف ومن هذه الأمثلة :

قول نوح عليه السلام لقومه وتصريحه لهم بهذا الأمر كما قال تعالى :﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾(١) وفي الآية الأخرى :﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم اليم﴾(٢) فقد انذر نوح عليه السلام قومه عاقبة الكفر والتكذيب، في اشفاق الأخ الناصح لإخوانه، وفي صدق الرائد الناصح لأهله(٣).

قال الشيخ السعدي رحمه الله في تعليقه على قول نوح في الآية ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ ما نصه :(وهذا من نصحه عليه الصلاة والسلام، وشفقته عليهم ، حيث خاف عليهم العذاب الأبدي، والشقاء السرمدي، كإخوانه من المرسلين الذين يشفقون على الخلق أعظم من شفقة آبائهم وأمهاتهم)(٤).

---

١ - الاعراف :٥٩

٢ - هود :٢٦

٣ - انظر الظلال : (١٣٠٨/٣) بتصرف

٤ - تفسير السعدي (١٢٢/٢)

كذلك فإن نبي الله هود - عليه السلام - ينذر قومه ويحذرهم، ثم يخوفهم عذاب يوم عظيم . في صورة الإشفاق عليهم من ذلك العذاب،فهو أخوهم، وهو واحد منهم، وهو حريص ألا يحل بهم عذاب ذلك اليوم الذي لاشك فيه، حيث اخبر تعالى عنه أنه ذكر قومه بنعم الله عليهم وأمرهم بتقوى الله وطاعته ثم خوفهم عذابه فقال تعالى :﴿ فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُونِ. وَاتَّقُواْ الَّذِيَ أَمَدَّكُمْ بِمَاتَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِيْنَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَومٍ عَظِيْمٍ﴾(١).

وكذلك فقد قال شعيب عليه السلام لقومه بعد أن أمرهم بعبادة الله وحده ولا شريك له، ونهاهم عن نقص المكيال والميزان وذكرهم بنعم الله عليهم قال تعالى :﴿ وإلى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره. ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط﴾(٢)

ومن هذا الباب أيضا خوف إبراهيم عليه السلام على أبيه، بعد أن دعاه إلى عبادة الله ، وحذره من عبادة الشيطان، ثم قال له :﴿يَاأَبَتِ إِنِّيَ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً﴾(٣)

ومثله أيضا ما ذكره الله في شأن نبينا ﷺ مع قومه حيث قال تعالى :﴿وَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيْرٍ﴾(٤).

ومن نماذج ذلك أيضا تصريح مؤمن آل فرعون لقومه، بالخوف عليهم في اكثر من موضع، قال سبحانه وتعالى :﴿وَقَالَ الَّذِيءَآمَنَ يَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ. مِثْلَ دَأْبِ قَومِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِيْنَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلعِبَادِ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم يَوْمَ التَّنَادِ. يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِيْنَ مَالَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَالَهُ مِنْ هَادٍ﴾(٥)

----

١ - الشعراء١٣١-١٣٥

٢ - هود:٨٤

٣ - مريم :٤٥

٤ - هود:٣

٥ - غافر :٣٠-٣٣

ومن أمثلته وصوره أيضا ما جاء في شفقة النبي ﷺ على أمته من أن يكلفوا مالايطيقونه، وكما تقدم أنه ربما ترك العمل رحمة بهم خشية أن يكتب عليهم، وكان يحب التخفيف عليهم، ومن هذا ما فعله ﷺ في أمر صلاة التراويح كما أخبرت عائشة رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ خرج من جوف الله فصلى في المسجد، فصلى رجال بصلاته. فأصبح الناس يتحدثون بذلك. فاجتمع اكثر منهم. فخرج رسول الله ﷺ في الليلة الثانية فصلوا بصلاته. فأصبح الناس يذكرون ذلك. فكثر أهل المسجد في الليلة الثالثة فخرج فصلوا لصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله فلم يخرج اليهم رسول الله ﷺ ، فطفق رجال منهم يقولون الصلاة! فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ حتى خرج لصلاة الفجر. فلما قضى الفجر أقبل على الناس، ثم تشهد فقال :« أما بعد فإنه لم يخف علي شأنكم الليلة. ولكني خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها»(١)

ومنه ايضا ما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما - أنه قال لمؤذنه في يوم مطير : إذا قلت أشهد ألا إله إلا الله أشهد أن محمداً رسول الله، فلا تقل حي على الصلاة، قل: صلوا في بيوتكم. قال : فكأن الناس استنكروا ذاك فقال : أتعجبون من ذا ؟ قد فعل ذا من هو خير مني. إن الجمعة عزمة(٢). وإني كرهت أن أحرجكم فتمشوا في الطين والدحض(٣).

فتبين بتلك الأمثلة أنه لابأس بالتصريح للخصم، وبيان الحرص والخوف عليه وإظهار الشفقة والرحمة به، وأن ذلك ربما كان أدعى لاستجابة الخصم وإذعانه.

---

١ - أخرجه البخاري: الجمعة ٩٢٤: صلاة المسافرين (١/ ٥٢٤) رقم١٧٧، احمد (٦/ ١٦٩)

٢ - عزمه: أي واجبه متحتمة، فلو قال المؤذن حي على الصلاة لكلفتم المجيء اليها ولحقتكم المشقة.(التعليق على مسلم:١/ ٤٨٥)

٣ - أخرجه البخاري: الأذان ٦٦٨، مسلم صلاة المسافرين (١/ ٤٨٥) رقم٢٦
ومعنى الدَحَض : الزلق ، يقال : مكان دحض أي زلق ، ودحضت رجله : أي زلقت . (انظر الصحاح : ٢/ ١٠٧٥)

٦ - وهذه الرحمة والشفقة وذلك الحرص والخوف على الخصم، ليس معناه المداهنة ولا المودة ولا القربة ولا المحبة للكافر المعاند - إن كان الخصم كافرا متفحشا، والشفقة والرحمة يمكن أن تنتهي عند حد معين، حين يصل الأمر إلى مداه، ويقطع الأمل في الخضوع والإقتناع، ولذلك لما انتهى نوح عليه السلام - إلى تلك النهاية مع قومه، وتبين إصرارهم وضلالهم وأوحي اليه أنه لن يؤمن أحد بعد ذلك، عندها انتهى وقت الرحمة والتقرب اليهم، فما كان منه إلا أن أطلق هذه الكلمات :﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَاتَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِيْنَ دَيَّاراً ٠ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُواْ إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً﴾(١)

ولاتعارض بين رحمة نوح - عليه السلام - في أول أمره وقوله لقومه ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيْمٍ﴾(٢) ونحوها من العبارات اللطيفة الرحيمة الودودة، وبين دعائه عليهم بالهلاك والدمار، وذلك لأن نوحا كان نبيا يوحى إليه، وعلم من الوحي استمرار قومه على الكفر والتواصي به والإصرار عليه فدعا عليهم، قال قتادة: (في قوله ﴿ رَبِّ لَاتَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الكَافِرِيْنَ دَيَّاراً﴾ أما والله مادعا عليهم حتى أتاه الوحي من السماء :﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْآمَنَ﴾(٣) فعند ذلك دعا عليهم نبي الله نوح)(٤)

قال ابن العربي رحمه الله تعالى :(لما قال لنوح عليه السلام :«إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن» حين استنفد ما في أصلاب الرجال، وما في أرحام النساء من المؤمنين، دعا عليهم نوح بقوله :﴿رَبِّ لَاتَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِيْنَ دَيَّاراً﴾ فأجاب الله دعوته، وأغرق أمته• وهذا كقول النبي ﷺ «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، هازم الأحزاب، اهزمهم وزلزلهم»(٥)

---

١ - نوح :٢٦-٢٧

٢ - الاعراف:٥٩

٣ - هود:٣٦

٤ - انظر الطبري: (١٠١/٢٩)

٥ - أحكام القرآن: (١٨٦٠/٤)

فالمقصود أن نوحا عليه السلام - لم يدع عليهم من أول مرة أعرضوا فيها، ولم يغضب ويشتد عليهم حتى أيقن بضلالهم وإصرارهم، وبعد أن دعاهم ألف سنة إلا خمسين عاما، ولذلك فإن الله لم يعاتبه على ذلك بل استجاب دعاءه.

ومن هذا الباب أيضا قتال الأنبياء لأقوامهم، وما يشهده تاريخهم من غزوات ومعارك وجهاد، مع حرصهم ورحمتهم وشفقتهم ، ولكن (احيانا لايصلح أي علاج آخر غير تطهير وجه الأرض من الظالمين، لأن وجودهم يجمد الدعوة إلى الله نهائيا، ويحول بينها وبين الوصول إلى قلوب الآخرين، وهي الحقيقة التي عبر عنها نوح وهو يطلب الإجهاز على أولئك الظالمين، اجهازا كاملا لايبقى منهم ديارا - أي صاحب ديار - فقال ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ﴾ وذلك بفتنتهم عن عقيدتهم بالقوة الغاشمة، أو بفتنة قلوبهم بما ترى من سلطان الظالمين وتركهم من الله في عافية، ثم إنهم يوجدون بيئة وجوا يولد فيها الكفار، وتوحي بالكفر من الناشئة الصغار، بما يطبعهم به الوسط الذي ينشئه الظالمون، فلا توجد فرصة لترى الناشئة النور، من خلال ما تغمرهم به البيئة الضالة التي صنعوها، وهي الحقيقة التي اشار اليها نوح بقوله : ﴿وَلَا يَلِدُواْ إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً﴾ من أجل هذا دعا نوح - عليه السلام -دعوته الماحقة الساحقة. ومن أجل هذا استجاب الله دعوته، فغسل وجه الأرض من ذلك الشر، وجرف العواثير التي لاتجرفها إلا قوة الجبار القدير)(١).

فهذه مبررات نوح في ذلك وتلك أعذاره، مع ما في قلبه من الشفقة والرحمة. ولذلك أيضا عوتب النبي ﷺ حين قنت وقال :« اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها سنين كسني يوسف. يجهر بذلك.وكان يقول في بعض صلاته في صلاة الفجر: اللهم العن فلانا وفلانا - لأحياء من العرب - حتى أنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَىْءٌ﴾(٢) الآية (٣)

---

١ - الظلال :(٣٧١٧/٦)

٢ - آل عمران:١٢٨

٣ - أخرجه البخاري :المغازي ٤٥٦٠، مسلم: المساجد(٤٦٦/١) رقم٢٩٤، ابو داود: الصلاة (٦٩/٢) رقم١٤٤٢، النسائي :التطبيق (٢٠١/٢) رقم١٠٧٣

فالأمر أمر الله والدين دينه، والحكم حكمه، والرسول مبلغ ومنذر ومحذر، فبينت هذه الآية أن الأمر كله لله، وأن الرسول ﷺ ليس له من الأمر شيء، لأنه عبد من عبيد الله، والجميع تحت عبودية ربهم، مدبَّرون لا مدبِّرون. وهؤلاء الذين دعوت عليهم، أيها الرسول، أو استبعدت فلاحهم وهدايتهم، إن شاء الله تاب عليهم، ووفقهم للدخول في الإسلام - وقد فعل، فإن أكثر أولئك هداهم الله فأسلموا -وإن شاء عذبهم، فإنهم ظالمون مستحقون لعقوبات الله وعذابه(١) فيظهر بذلك ألا تعارض بين التودد والرحمة في وقتها وخاصة في بداية الدعوة، وبين الشدة والجهاد واستخدام القوة بعد استنفاد الوسائل وإقامة الحجة.

---

١ - انظر تفسير السعدي (١/٢٦٨)

المبحث السابع : العزة والثبات على الحق

إن المحاور المسلم يستمد قوته من قوة الدين الذي يدين به، وعظمة الإيمان الذي يخالط بشاشة قلبه، ومن ذلك فهو ينطلق من عزة في تواضع، وثبات على المبدأ في رفعة ولين، ويعلو بإيمانه مع رحمة الآخرين والشفقة عليهم ، وحيث إن الحوار من المواطن التي تثار فيها الشبهات ويكثر خلالها النقد والتشكيك، وخاصة مع الخصم المعاند أو الفاجر أو الكافر، لذلك يحتاج المحاور أن يكون على درجة من العزة واستعلاء الإيمان، مع الثبات على الحق حتى وإن علم من نفسه ضعف الحجة، وقلة العلم، فلا يجوز أن يؤدي الحوار بالمسلم إلى الذلة والمهانة، أو يزعزعه عن الحق المبين.

إن العزة التي يتصف بها المسلم - محاورا كان أو غيره - ترجع إلى اعتزازه بربه، الذي له العزة المطلقة الكاملة، ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾(١) [فهو يؤتيها من يشاء، فكان على من أرادها أن يطلبها منه بصدق الإيمان والسير على سننه تعالى، واتباع هداية وحيه الذي يرشد إلى طرقها ويبين أسبابها، وقد ءآتاها نبيّه والمؤمنين باهتدائهم بكتابه، وسيرهم على سننه](٢).

ومن طرق العزة المشار اليها ماذكره الله تعالى في قوله :﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ...الآية﴾(٣).

قال الزمخشري:(ومعنى ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أن العزة كلها مختصة بالله، عزة الدنيا وعزة الآخرة، ثم عرف أن ما تطلب به العزة هو الإيمان والعمل الصالح بقوله :﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾(٤)فهذه الأعمال التي ترفع إلى الله تعالى، ويرفع الله صاحبها ويعزه(٥).

---

١ - النساء:١٣٩

٢ - مختصر تفسير المنار (٢/٢٠٤) بتصرف

٣ - فاطر:١٠

٤ - الكشاف:(٣/٣٠٢)

٥ - تفسير السعدي (٤/٢٠٧)

وقال سيد قطب رحمه الله في تعليقه على الآية الكريمة : (إنها حقيقة اساسية من حقائق العقيدة الإسلامية. وهي حقيقة كفيلة بتعديل القيم والموازين، وتعديل الحكم والتقدير، وتعديل النهج والسلوك، وتعديل الوسائل والأسباب! ويكفي أن تستقر هذه الحقيقة وحدها في أي قلب لتقف به أمام الدنيا كلها عزيزا كريما ثابتا في وقفته غير مزعزع، عارفا طريقه إلى العزة، طريقه الذي ليس هنالك سواه !

إنه لن يحني رأسه لمخلوق متجبر، ولا لعاصفة طاغية ولا لحدث جلل ولا لوضع ولا لحكم ولا لدولة ولا لمصلحة، ولا لقوة من قوى الأرض جميعا، وعلام ؟ والعزة لله جميعا. وليس لأحد منها شيء إلا برضاه ؟

ومن هنا يذكر الكلم الطيب والعمل الصالح، فهو إشارة إلى أسباب العزة ووسائلها لمن يطلبها عندالله. القول الطيب والعمل الصالح ، القول الطيب الذي يصعد إلى الله في علاه، والعمل الصالح الذي يرفعه الله اليه ويكرمه بهذا الإرتفاع. ومن ثم يكرم صاحبه ويمنحه العزة الإستعلاء)(١)

وحتى لايختلط مفهوم العزة مع المفاهيم المذمومة التي تشترك معه في الإستعلاء وغيره، ولبيان حقيقة العلاقة وكيفية الجمع بين العزة والتواضع وبين الإستعلاء بالإيمان والخضوع لله، يكمل سيد رحمه الله الكلام فيقول :(إن العزة ليست عنادا جامحا يستكبر على الحق ويتشامخ بالباطل. وليست طغيانا فاجرا يضرب في عتو وتجبر وإصرار، وليست اندفاعا باغيا يخضع للنزوة ويذل للشهوة، وليست قوة عمياء تبطش بلا حق ولا عدل ولا صلاح..كلا ! انما العزة استعلاء على شهوة النفس،واستعلاء على القيد والذل،واستعلاء على الخضوع الخانع لغيرالله ثم هي خضوع لله وخشوع، وخشية لله وتقوى، ومراقبة لله في السراء والضراء. ومن هذا الخضوع لله ترتفع الجباه،

---

١ - الظلال :(٥/٢٩٣٠) بتصرف يسير

ومن هذه الخشية لله تصمد لكل ما يأباه، ومن هذه المراقبة لله لا تعنى إلا برضاه. هذا مكان الكلم الطيب والعمل الصالح من الحديث عن العزة، وهذه هي الصلة بين هذا المعنى وذاك في السياق(١)

وإذا كان الله عز وجل قد بين طريق العزة ووسائل تحصيلها، بالإيمان والعمل الصالح، فقد حذر سبحانه من طلبها من غير طريقها، وإبتغائها عند غير من يملكها، ولذلك بشر المنافقين الذين يوالون الكفرة ابتغاء النصرة والعزة بالعذاب الأليم، إذ إنهم أساؤا الظن بالله وأساؤا تصورهم لمصدر العزة والقوة، فأحبوا ووالوا وقربوا وعبدوا غير الله ، فاستحقوا الذل والخزي والعذاب، لأن الأمر إما عبودية لله كلها استعلاء وعزة وانطلاق ،وإما عبودية لغيره كلها استخذاء وذلة وأغلال..(٢)

قال تعالى :﴿بَشِّرِ المُنَافِقِيْنَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيْماً الَّذِيْنَ يَتَّخِذُوْنَ الكَافِرِيْنَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ المُؤْمِنِيْنَ، أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ العِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيْعاً﴾(٣)

قال سيد قطب رحمه الله في تعليقه على الآيات : (وما أحوج ناسا ممن يدعون الإسلام، ويتسمون باسماء المسلمين، وهم يستعينون بأعدى أعداء الله في الأرض، أن يتدبروا هذا القرآن..إن كانت بهم رغبة في أن يكونوا مسلمين..وإلا فإن الله غني عن العالمين)(٤)

وإذا كان أمر العزة لله وحده، وطريقه هو الإيمان والعمل الصالح، فلا معنى لأن يذل المؤمن أو يهين ولا أن يخضع أو يركع لغير العزيز الجبار المتكبر، ولذلك قال سبحانه وتعالى محذرا وموجها المؤمنين: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنْتُمْ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ﴾(٥)

---

١ - نفس المصدر (٥/٢٩٣١)

٢ - انظر الظلال (٢/٧٨٠)

٣ - النساء :١٣٨-١٣٩

٤ - الظلال :(٢/٧٨٠)

٥ - آل عمران:١٣٩

فهذه الآية تمثل حال العزة والإستعلاء التي يجب أن تستقر عليها نفس المؤمن - مادام مؤمنا -إزاء كل شيء وكل وضع وكل قيمة وكل أحد، الإستعلاء بالإيمان، والعزة بالله وحده، فالمؤمن هو الأعلى.. الأعلى سندا ومصدرا، فهو من الله يتلقى، وإلى الله يرجع، وعلى منهجه يسير.. وهو الأعلى ضميرا وشعورا، وخلقا وسلوكاوهو الأعلى شريعة ونظاما(١)، ولذلك فقد نهاه الله عن الضعف والوهن، ونهاه عن التنازل وتضييع المبادىء، لأن الله معه ولن يتركه أو يهمله، ولذلك قال تعالى في الآية الأخرى:﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾(٢) والوهن: الضعف في العمل، وفي الأمر، وكذا في الرأي(٣)

والإنسان لايهن، إلا إذا كان أذل من غيره، وأضعف عددا، أو عُددا وقوة داخلية وخارجية(٤).

ومن هذا الباب، ومن صور العزة والكرامة التي وجدت وحققت في الواقع، ما جاء في عزة يوسف عليه السلام حيث سجن وظلم، ولبث في السجن بضع سنين،ولما جاءه الفرج، وسنحت له الفرصة للخروج - وليس أي خروج - إنما كان بطلب الملك نفسه، وليقربه ويصطفيه ويدنيه، ومع ذلك لم يستجب لذلك، ليحفظ كرامته ويصون عرضه، وتتبين براءته، وتظهر عزته:﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾(٥).

---

١ - انظر معالم في الطريق لسيد قطب :١٦٣-١٦٦

٢ - محمد:٣٥

٣ - مختصر المنار:(٤٠٥/١)

٤ - تفسير السعدي (٣٩/٥)

٥ - يوسف:٥٠

فلما تبينت للملك براءته، وتبين له معها كرامته وإباؤه، إذ إنه لم يتهافت على الخروج من السجن، ولم يتهافت على لقاء الملك، وإنما وقف وقفة الرجل الكريم الشريف، المتهم في سمعته، المسجون ظلما وكيدا، ويطلب رفع الاتهام عن سمعته قبل أن يطلب رفع السجن عن بدنه ، ويطلب الكرامة لشخصه ولدينه الذي يمثله قبل أن يطلب الحظوة عند الملك(١).. كل ذلك أوقع في نفس الملك احترام هذا الرجل وحبه حتى قال ﴿ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾(٢)

يقول سيد قطب رحمه الله في تعليقه على ذلك الموقف العجيب: (فياليت رجالا يمرغون كرامتهم على أقدام الحكام - وهم أبرياء مطلقوا السراح - فيضعوا النير في أعناقهم بأيديهم، ويتهافتوا على نظرة رضى وكلمة ثناء، وعلى حظوة الأتباع لا مكانه الأصفيا..ياليت رجالا من هؤلاء يقرأون هذا القرآن، ويقرأون قصة يوسف، ليعرفوا أن الكرامة والإباء والإعتزاز تدر من الربح - حتى المادي - أضعاف مايدره التمرغ والتزلف والإنحناء)(٣)

وبمثل موقف يوسف عليه السلام تكون العزة والإستعلاء، وهكذا المسلمون الأوائل يقفون أمام المظاهر الجوفاء، والقوى المتنفجة، والإعتبارات التي كانت تتعبد الناس في الجاهلية(٤).

وهكذا وقف المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أمام صور الجاهلية وأوضاعها وقيمها وتصوراتها، في معسكر رستم قائد الفرس المشهور: حيث جاء سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه - حتى نزل القادسية ومعه مالايزيد على سبعة الاف والمشركون ثلاثون ألفا أو نحو ذلك، فقالوا : لايد لكم ولا قوة ولا سلاح، ماجاء بكم ؟ ارجعوا. قال المسلمون ما نحن براجعين، فكانوا يضحكون من نبلهم ويقولون «دوك دوك »(٥) وشبهوها بالمغازل، ثم قالوا ابعثوا الينا رجلا من

---

١ - انظر الظلال(٢٠٠٤/٤) بتصرف

٢ - يوسف:٥٤

٣ - الظلال :(٢٠٠٥/٤)

٤ - انظر معالم في الطريق لسيد قطب ص١٦٦

٥ - يظهر أن هذه كلمة فارسية تدل على السخرية والإحتقار

عقلائكم يبين لنا ماجاء بكم. فقال المغيرة بن شعبة : أنا، فعبر اليهم فقعد مع رستم على السرير فنخروا وصاحوا فقال : إن هذا لم يزدني رفعة ولم ينقص صاحبكم. فقال رستم: صدق، ماجاء بكم ؟ فقال : إنا كنا قوما في شر وضلالة، فبعث الله الينا نبيا فهدانا الله به ورزقنا على يديه، فكان فيما رزقنا حبة تنبت في هذا البلد، فلما أكلناها وأطعمناها أهلينا قالوا : لاصبر لنا عنها ، أنزلونا هذه الأرض حتى نأكل من هذه الحبة.

فقال رستم :إذا نقتلكم. قال : إن قتلتمونا دخلنا الجنة، وإن قتلناكم دخلتم النار وأديتم الجزية. قال : فلما قال وأديتم الجزية نخروا وصاحوا وقالوا : لاصلح بيننا وبينكم. فقال المغيرة : تعبرون إلينا أو نعبر إليكم؟ فقال رستم : بل نعبر إليكم، فاستأخر المسلمون حتى عبروا فحملوا عليهم فهزموهم(١).

وفي رواية أخرى : أن المغيرة بن شعبة أقبل والقوم في زيهم، عليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب، وبسطهم على غلوة(٢) لايصل إلى صاحبهم، حتى يمشي عليهم غلوة، وأقبل المغيرة وله أربع ضفائر يمشي، حتى جلس مع رستم على سريره ووسادته، فوثبوا عليه فترتروه وأنزلوه ومغثوه(٣) فقال : كانت تبلغنا عنكم الأحلام، ولا أرى قوما أسفه منكم ،إنا معشر العرب سواء، لايستعبد بعضنا بعضا إلا أن يكون محاربا لصاحبه، فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى، وكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض، وأن هذا الأمر لايستقيم فيكم فلا نصنعه، ولم آتكم، ولكن دعوتموني، اليوم علمت أن أمركم مضمحل، وأنكم مغلوبون، وأن ملكا لا يقوم على هذه السيرة، ولا على هذه العقول.. الخ(٤)

وهكذا تكون العزة، وهكذا يقف الأعزاء، وهكذا يتكلم الكرماء.

---

١ - انظر تاريخ الطبري :(٢/٣٨٩)، البداية والنهاية (٧/٤١) بتصرف

٢ - الغلوة : الغاية مقدار رمية (الصحاح : ٦/٢٤٤٨)

٣ - المعنى : ضربوه ضربا غير مبرح (الصحاح:١/٢٩٣)

٤ - انظر تاريخ الطبري (٢/٤٠٢-٤٠٣)

وليس هذا موقفا فرديا نادرا، أو فلتة من المغيرة بن شعبة ليس لها نظير، كلا بل كان هذا طابعا عاما ومظهرا سائدا لدى كل مسلم صادق يقف في مثل ذلك الموقف، ويواجه مثل هذه الأحداث.

فهذا ربعي بن عامر رضي الله عنه - يقف في تلك المعركة نفسها (القادسية) موقفا مشابها للمغيرة، تظهر فيه الثقة والعزة، وتتجلى فيه الكرامة والإباء: فقد بعثه سعد بن أبي وقاص رسولا إلى رستم، فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة والزرابي الحرير، واظهروا اليواقيت واللآلىء الثمينة، والزينة العظيمة وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، قد جلس على سرير من ذهب. ودخل ربعى بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه. فقالوا له ضع سلاحك. فقال : إني لم آتكم، وإنما جئتكم حين دعوتموني فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت. فقال رستم: ائذنوا له فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها، فقالوا له: ماجاء بكم ؟ فقال : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم اليه ، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه إبدا حتى نفضي إلى موعود الله. قالوا : وما موعود الله ؟ قال الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي.. الخ(١).

ومثل ذلك كان من حذيفة بن محصن في كلامه مع رستم، وموقفه مع الفرس ، في نفس تلك المعركة حيث بعثه سعد بن أبي وقاص بعد ربعى بن عامر، وبعث بعده المغيرة بن شعبة - رضي الله عنهم أجمعين (٢).

---

١ - انظر البداية والنهاية (٧/٤٠، وتاريخ الطبري :٢/٤٠١)

٢ - انظر تاريخ الطبري (٢/٤٠٢)

ولما ظهر من الثلاثة من توافق فى الرأى، وقوة في التعبير، وعزة وكرامة وصدق، خلص رستم تألفا بأهل فارس، وقال : أين هؤلاء منكم؟ ما بعد هذا ! ألم يأتكم الأولان فحسراكم واستحرجاكم، ثم جاءكم هذا فلم يختلفوا وسلكوا طريقا واحدا، ولزموا أمرا واحدا، هؤلاء والله الرجال، صادقين كانوا أم كاذبين، والله لئن كان بلغ من إربهم وصونهم لسرهم ألا يختلفوا، فما قوم أبلغ فيما أرادوا منهم، لئن كانوا صادقين ما يقوم لهؤلاء شيء(١).

فهذه أمثلة لطيفة في بيان العزة التي ينبغي أن يتصف بها المحاور المسلم - لاسيما إن كان خصمه كافرا أو معاندا- فيجدر به حينئذ ألا يذل أو يهين، بل يعلوا بايمانه ويسمو بمبادئه، وإن كان ضعيفا في عدده وعدته، فليست العزة بالقوى المادية، ولا بالمظاهر البراقة ، كلا بل تكون بقوة القلب وصدق العزيمة، وبتمكن الإيمان وثبات النفس على الحق.

ويتعلق بالعزة جدا مبدأ الثبات على الحق، فهو من دلالالتها ومن أمارات الصدق والقوة، والمحاور يحتاجه ولابد له منه، إذ المقصود من الحوار: إقناع الآخرين وإرجاعهم إلى الحق والصواب، فإذا كان المحاور نفسه مضطرب النفس مشوش الأفكار، يضعف أمام الشبه المختلفة، وينهار أمام الأباطيل الملفقة ويتزعزع عند النقاش الجاد، ويتراجع ويتنازل عن مبادئه الأصلية، التي لاتقبل التبديل ولا التغيير، فمثل هذا الأجدر به ألا يتجاسر على الحوار، وألا يدخل في جدال، إذ ينعكس الهدف الذي من أجله وجد الحوار.

وهناك امثلة ونماذج متعددة، تدل على مواقف قوية في الثبات على الحق أمام مختلف التحديات:

ولعل من أبرز المواقف المشرفة وأنبل النماذج ما كان من سحرة فرعون الذين آمنوا بموسى لما تبين لهم الحق وظهر أمره وصدقه، فما كان منهم إلا أن سجدوا لله تعالى وقالوا: ﴿آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾(٢).

---

١ - نفس المصدر (٤٠٣/٢)

٢ - طه:٧٠

فلجأ الطاغية الأثيم إلى التهديد بالعذاب الغليظ الذي يعتمد عليه الطغاة، ويسلطونه على الجسوم والأبدان حين يعجزون عن قهر القلوب والأرواح ، فقال لهم : ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ، وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾. ثم الإستعلاء بالقوة الغاشمة. قوة الوحوش في الغابات. القوة التي تمزق الأحشاء والأوصال، ولا تفرق بين إنسان يقرع بالحجة وحيوان يقرع بالناب: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَىٰ﴾(١) . وهنا وقف هؤلاء المؤمنون الصادقون موقف العزيز المستعلى، وثبتوا على دينهم الحق، واستحقروا الحياة كلها - إن كانت في الكفر والطغيان - ورأوا أن القوى الأرضية كلها ضئيلة ضئلية، وأن الحياة الأرضية كلها زهيدة زهيدة(٢)، فأضافوا إلى القوة والثبات التحدي والإفحام: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾(٣). وفي الآية الآخرى :﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾(٤).

كما أن مواقف الأنبياء في وجوه أقوامهم، كلها عزة وثبات، وقوة واباء، وما التحدى(٥) الذي يعلنه النبي لقومه إلا دليل على ذلك الإستعلاء والثبات.

ومن تلك المواقف الكثيرة المتعددة موقف نبي الله هود عليه السلام حين كذبه قومه وعاندوه، فأعلن براءته منهم ومن آلهتهم، وتحداهم أن يكيدوا له جميعا، وتوكل على ربه الذي نواصيهم بيده، كل ذلك وهو فرد واحد، ويواجه قوما غلاظا حمقى، ولكنها عزة الايمان واستعلاؤ، وثقة الإيمان واطمئنانه(٦):

---

١ - طه:٧١

٢ - انظر الظلال (٢٣٤٣/٤) بتصرف

٣ - طه:٧٢

٤ - الشعراء:٥٠

٥ - سيأتي الكلام مفصلا بأدلته عن التحدى - باذن الله تعالى

٦ - انظر الظلال(١٨٩٩/٤)

﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ، إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(١)

يقول سيد قطب رحمه الله في تعليقه على موقف هود عليه السلام : (إن اصحاب الدعوة إلى الله لابد أن يجدوا حقيقة ربهم في نفوسهم على هذا النحو، حتى يملكوا أن يقفوا بإيمانهم في إستعلاء أمام قوى الجاهلية الطاغية من حولهم.. أمام القوة المادية، وقوة الصناعة ، وقوة المال، وقوة العلم البشري، وقوة الأنظمة والأجهزة والتجارب والخبرات... وهم مستيقنون أن ربهم آخذ بناصية كل دابة، وأن الناس - كل الناس - إن هم إلا دواب من الدواب)(٢).

وكما ذكرت آنفا فإن مواقف الأنبياء كلها ثبات وقوة، وعزة واستعلاء، وهم أحق من يعتز، وأجدر من يستعلى، إذ إنهم بالله يتصلون، ومنه يستمدون، وبنصره يثقون. ولعل المقام يطول لو استعرضنا قصصهم ومواقفهم تفصيلا ، ولكن اشير باختصار إلى بعض مواقف الثبات والقوة في بعض حواراتهم :

فمنها موقف الخليل إبراهيم عليه السلام عندما حاجه قومه وأخافوه، فثبت ورد عليهم في ثقة وأمن واطمئنان، قال تعالى ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ، وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً ، فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ..﴾(٣).

ومنها موقف: موسى عليه السلام في مواجهته الطويلة القوية لفرعون، ومن ذلك لما أنكر فرعون دعوة موسى وتعجب من مقالته، وقال﴿إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً﴾(٤)

---

١ - هود:٥٤-٥٦

٢ - الظلال (١٩٠٦/٤)

٣ - الأنعام:٨٠-٨١

٤ - الإسراء:١٠١

وذلك لطغيان فرعون وتصوره أنه لايمكن أن تصدر دعوة مضادة له إلا من مسحور أو مجنون غير عاقل، ولكن رد عليه موسى الكليم عليه السلام في قوة وعزة، ومواجهة بالحق بلا تردد أو تنازل﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً﴾(١)

ومن مواقف الثبات في السنة ما أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن أبي قلابة قال : كنت بالشام في حلقة فيها مسلم بن يسار ٠ فجاء أبو الأشعث٠ قال : قالوا : أبو الأشعث، أبو الأشعث٠ فجلس فقلت له : حدث أخانا حديث عبادة بن الصامت٠ قال : نعم، غزونا غزاة٠ وعلى الناس معاوية، فغنمنا غنائم كثيرة٠ فكان فيما غنمنا آنية من فضة، فأمر معاوية رجلا أن يبيعها في أعطيات الناس٠ فتسارع الناس في ذلك، فبلغ عبادة بن الصامت فقام فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ ينهي عن بيع الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح إلا سواء بسواء، عينا بعين٠ فمن زاد أو ازداد فقد أربى٠ فرد الناس ما أخذوا، فبلغ ذلك معاوية فقام خطيبا فقال : ألا مابال رجال يتحدثون عن رسول الله ﷺ أحاديث٠ قد كنا نشهده ونصحبه فلم نسمعها منه٠ فقام عبادة بن الصامت فأعاد القصة ، ثم قال : لنحدثن بما سمعنا من رسول الله ﷺ وإن كره معاوية (أو قال : وإن رغم) ٠ ما أبالي أن لا أصحبه في جنده ليلة سوداء(٢)٠

فهذا ثبات من عبادة بن الصامت رضي الله عنه على حجته وما سمعه من رسول الله ﷺ وعدم التنازل عنه لأجل معاوية٠

ومثله ثبات عمر رضي الله عنه على رأيه في مسألة التيمم للجنب، حيث اخرج أبو داود بسنده عن عبدالرحمن بن أبزى قال : كنت عند عمر فجاءه رجل فقال : إنا نكون بالمكان الشهر والشهرين.

---

١ - الإسراء:١٠٢

٢ - أخرجه مسلم: المساقاة: (٣/١٢١٠) رقم٨٠، النسائي: البيوع (٧/٢٧٥) رقم٤٥٦٢

فقال عمر : أما أنا فلم أكن أصلي حتى أجد الماء، قال : فقال عمار: يا أمير المؤمنين، أما تذكر إذ كنت أنا وأنت في الإبل فأصابتنا جنابة، فأما أنا فتمعكت، فأتينا النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فقال : «إنما كان يكفيك أن تقول هكذا، وضرب بيديه إلى الأرض ، ثم نفخها، ثم مسح بهما وجهه ويديه إلى نصف الذراع، فقال عمر : يا عمار، اتق الله، فقال : يا أمير المؤمنين، إن شئت والله لم أذكره أبدا، فقال عمر : كلا والله لنولينك في ذلك ما توليت(١)

فقول عمر : (ياعمار اتق الله) أي فيما ترويه، وتثبت فيه فلعلك نسيت أو اشتبه عليك، فإني كنت معك ولا أتذكر شيئا من هذا(٢). وهذا هو موقف الثبات من عمر على حجته ورأيه، وذلك عذره ومبرره. إذ إنه قد انتهى إلى ما علم - وإن خفي عليه ما أخبر به عمار.

ومن هذا الباب ايضا ما كان من ثبات أبي هريرة رضي الله عنه - في حواره مع كعب الأحبار، وذلك أن النبي ﷺ قال : «فقدت أمة من بني إسرائيل، لايدرى مافعلت. ولا أراها ألا الفار، ألا ترونها إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشربه، وإذا وضع لها ألبان الشاء شربته» قال أبو هريرة: فحدثت هذا الحديث كعبا فقال :أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قلت : نعم. قال ذلك مرارا قلت : أأقرأ التوراة ؟(٣).

فهنا ثبت أبو هريرة رضي الله عنه على حديثه الذي سمعه من النبي ﷺ - ثم انكر على كعب تكراره لسؤاله، فقال له« أأقرأ التوراة» ويعني بذلك أنه ليس عنده شيء إلا سمعه عن النبي ﷺ فلم ينقل عن التوراة أو غيرها من الكتب(٤)

---

١ -هذه رواية أبي داود : الطهارة (٨٦/١) رقم٣٢٢، وأصله في البخاري: التيمم٣٣٨، وفي النسائي الطهارة (١٦٦/١) رقم٣١٢

٢ - انظر الفتح (٤٥٧/١) [ولعل الأظهر هنا: ثبات عمار - رضي الله عنه - على موقفه وعدم التزعزع عنه حتى في مواجهة أمير المؤمنين]

٣ - أخرجه البخاري : بدء الخلق٣٣٠٥، مسلم: الزهد (٢٢٩٤/٤) رقم٦١، احمد (٢٣٤/٢).

٤ - انظر التعليق على الحديث في صحيح مسلم (٢٢٩٤/٤)

ومن آخر هذه الأمثلة المختصرة ما جاء في حديث سلمة بن صخر الأنصاري رضي الله عنه حيث أنه ظاهر من امرأته في شهر رمضان ثم إنه وقع عليها، فلما جاء إلى النبي ﷺ وأخبره بخبره قال له : أنت بذاك ؟ قال قلت : أنا بذاك. قال : أنت بذاك ؟ قال قلت : أنا بذاك. قال : أنت بذاك؟ قال قلت : أنا بذاك، وها أنذا فأمض في حكم الله فإني صابر لذلك... الحديث »(١)

فواضح من الحديث ثبات سلمة رضي الله عنه على الحق وصدقه في ذلك، مع أن الأمر في غير مصلحته، بل واضح استعداده وقبوله لحكم الله مهما كان، وصبره لذلك، فكان له الفرج على يد رسول الله ﷺ حيث أعانه في كفارته، فرجع بعد ذلك إلى قومه وقال لهم : (وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي، ووجدت عند رسول الله ﷺ السعة والبركة)

ولعل هذه النماذج كافية في الدلالة على المقصود، وبيان أهمية العزة التي تتفق مع التواضع، وضرورة الثبات الذي لاينافي التدرج، وعلى المحاور أن يشعر بقيمة هذا الأدب، ويراعي ذلك المبدأ بحكمة واتزان.

---

١ - أخرجه أبو داود: الطلاق (٢/٢٧٢)، الترمذي وحسنه: التفسير (٥/٤٠٥) رقم٣٢٩٩، احمد (٤/٣٧) وحسنه الأرناؤوط في جامع الأصول برقم (٥٨٢١) ج ٧ ص٦٥٠

المبحث الثامن : حسن الإستماع

لابد للمحاور الناجح أن يتقن فن الإستماع، فكما أن للكلام فناً وأدباً، فكذلك للإستماع مثله، والمتحدث البارع مستمع بارع ، والإهتمام بكلام الطرف الآخر وحسن الإنصات إليه، مفتاح لقلب الخصم، ودليل على الصدق في طلب الحق والحرص عل اظهاره واتباعه، ولكل طرف في الحوار الحق في إبداء ما عنده من الآراء والأقوال والشبه، وليس الحوار من حق طرف واحد يستأثر فيه بالكلام دون محاوره، ففرق بين الحوار الذي فيه معنى النقاش وتبادل الآراء والتجاوب في الكلام وبين الإستماع إلى كلمة أو محاضرة أو نحوها. ولاينبغي للمحاور أن يحصر همه فيما سيقوله هو لمستمعه، دون أن يلقى لكلام خصمه بالا، والناس يفضلون المستمع الجيد على المتكلم الجيد (١).

وفي الإستماع إلى الطرف الآخر نوع من التواضع، وإعطاء الأهمية لكلام الآخرين يطرد العجب بالنفس وأدعى إلى الإخلاص والتجرد، وفيه مراعاة للوقت ولإستيعاب الخصم للكلام، إذ إن المستمع لايستطيع أن يركز في سماعه اكثر من ربع ساعة، وبعدهايكل الذهن ويقل التركيز(٢).

ومقاطعة كلام الطرف الآخر إضافة إلى مافيه من سوء الأدب واحتقار الآخرين، فإنه طريق سريع لتنفير الخصم وانفضاضه وتقليل قيمة فاعله، ومن ابتلي بهذا الداء - داء مقاطعة الآخرين وعدم الإنصات إليهم - فكأنما طبق نصيحة كارينجي القائلة: (إذا كنت تريد أن ينفض الناس من حولك، ويسخروا منك عندما توليهم ظهرك، فهاك "الوصفة": لاتعط أحدا فرصة الحديث.. تكلم بغير انقطاع عن نفسك، وإذا خطرت لك فكرة بينما غيرك يتحدث فلا تنتظر حتى يتم حديثه: إنه ليس ذكيا مثلك ولا أريبا، فلماذا تضيع وقتك في الإستماع إلى حديثه

---

١ - انظر اصول الحوار ص٢٧

٢ - رسالة قل «انما اعظكم بواحدة» ص٢٦-٢٧

السخيف ؟! اقتحم عليه الحديث واعترضه في منتصف كلامه (١)٠

وقد قال الشاعر في الثناء على المستمع الجيد :-

من لي بإنسان إذا خاصمته ـــــه وجهلت كان الحلم رد جوابه

وإذا صبوت الي المدام شربت من اخلاقه وسكرت من أدابـه

وتراه يصغى للحديث بســمعه وبقلبه ولعله أدرى بــه!!(٢)

واضافة إلى ذلك فإن قطع الفكرة أو التشويش عليها يؤثر على تسلسل الأفكار وترابطها(٣)، ويودى إلى اضطرابها ونسيان بعضها٠

وقد ذكر العلماء في آداب المتناظرين : ألا يتعرض احدهما لكلام الآخر حتى يفهم مراده من كلامه تماما، وأن ينتظر كل واحد منهما صاحبه حتي يفرغ من كلامه ولا يقطع عليه كلامه من قبل أن يتمه(٤)

فلا يحسن الإستعجال في قطع كلام الخصم أو مناقشته قبل فهم كلامه، بل الواجب الإنصات وحسن السماع، فإن في ذلك فائدة للطرفين على السواء، فأما المتكلم : فقد يغير الدليل، أو يزيد عليه بما يدفع الإعتراض، او يحذف فيه مايوجب الخلل، أو يدلل على مقدمة نظرية ، أو ينبه على مقدمة خفية، فيسلم من مناقشة الخصم، وأما المستمع أو الطرف الآخر فربما يخطىء بالإستعجال فيظهر جهله، وقد يذكر المحاور بعد إقامة دليله ما يظهر به ما خفي على محاوره، فيكفيه مؤنة البحث والنقاش، وقد يؤدي استعجال البحث والمناقشة إلى فساد الحوار وضياع الوقت(٥)

---

١ - كيف تكسب الأصدقاء ص٩٧

٢ - انظر اصول الحوار ص٢٧

٣ - رسالة «قل انما أعظكم بواحدة» ص٤٢

٤ - انظر آداب البحث والمناظرة للشنقيطي: (٧٦/٢)، اصول المعرفة والإستدلال للميداني: ص٣٨٣

٥ - انظر أداب الحوار والمناظرة د٠ على جريشة: ص٠٦٩ بتصرف

وكيف يليق بالمحاور المسلم ألا يستمع للآخرين ولا يلقى لهم بالا، وربه السميع البصير العليم بما في الصدور يستمع إلى أعدى الأعداء ابليس، ويترك له الفرصة في الكلام، بل في التهديد والوعيد، فسبحان الله العليم الحليم، القائل سبحانه في هذا الشأن.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ. قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِم وَمِنْ خَلْفِهِم وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ. قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾(١).

هذا الحوار الذي تكرر ذكره في القرآن عدة مرات، والذي يظهر منه عناد ابليس وكبره وغروره، يبرز فيه إمهال الله وإنظاره للّعين إبليس، وإنما(أجابه تعالى إلى ما سأل لماله في ذلك من الحكمة والإرادة والمشيئة التي لاتخالف ولا تمانع ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب(٢)، (فلما علم ابليس انه منظر بادى ربه - من خبثه -بشدة العداوة لربه ولآدم وذريته، فقال ﴿فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ﴾(٣)(٤)

وحسن الإستماع يحتاج إلى تهيئة النفس للإنصات، والبعد عما يشغل أو يقلل التركيز، ولا بأس بأن يظهر المحاور تهيئه واستعداده وتقبله لكلام محاوره،وأن يتفاعل معه اثناء السماع، ويعطيه الفرصة الكافيه لإبداء آرائه، ويمنحه فرصة السؤال والتثبت ، وكل ذلك وغيره تمثل في أدب رسول الهدى ﷺ وهو يحاور

---

١ - الاعراف:١١-١٨

٢ - تفسير ابن كثير:(٢/٢٠٤)

٣ - ص:٨٢

٤ - تفسير السعدي (٣٠٢/٤)

ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال «بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله ثم قال لهم : أيكم محمد - والنبي ﷺ - متكىء بين ظهرانيهم فقلنا : هذا الرجل الأبيض المتكىء، فقال له الرجل : ابن عبد المطلب، فقال النبي ﷺ: قد أجبتك، فقال الرجل للنبي ﷺ : إني سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد على في نفسك.فقال : سل عما بدا لك. فقال : أسألك بربك ورب من قبلك، آلله أرسلك إلى الناس كلهم ؟ فقال : اللهم نعم، قال : أنشدك بالله، آلله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة ؟ قال : اللهم نعم، قال : أنشدك بالله، آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة ؟قال اللهم نعم، قال أنشدك بالله، آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنياءنا فتقسمها على فقرائنا ؟ فقال النبي ﷺ : اللهم نعم، فقال الرجل: آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر»(١)

فيلاحظ أن النبي ﷺ قد تهيأ للرجل، حتى قال له :«قد أجبتك: أي أسمعتك، والمراد إنشاء الإجابة»(٢).

ثم أعطاه مطلق الحرية في السؤال والإستفسار فقال له «سل مابدا لك». ثم أنصت اليه فعلا. وأجابه على اسئلته حتى انتهى، ثم انطلق مؤمنا ورسولا مبلغا من وراءه من قومه.

بل أعجب من ذلك: إنصاته ﷺ وحسن استماعه للمخالفين له، وصبره على كلامهم، مع انه يظهر في بعضه الجهل والتعدي، أو سوء الأدب وعدم التقدير له، ولكن أخلاق النبوة تحول بينه ﷺ وبين أي تصرف آخر غير حسن الإنصات والرد الجميل بعده.

---

١ - تقدم ذكره في المبحث الأول ن هذا الباب ص:٩٣

٢ - انظر الفتح (١/١٥١)

ومن المواقف التي تبين هذا ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما:« أن ضمادا قدم مكة، وكان من ازد شنوءة، وكان يرقى من هذا الريح(١)، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون : إن محمدا مجنون. فقال : لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي، قال فلقيه فقال : يامحمد! إني أرقى من هذه الريح، وإن الله يشفي على يدي من شاء، فهل لك ؟ فقال رسول الله ﷺ :«إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، أما بعد، قال فقال: اعد علي كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات. قال فقال : لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء. فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء. ولقد بلغن ناعوس البحر(٢). قال فقال: هات يدك ابايعك على الإسلام. قال فبايعه. فقال رسول الله ﷺ «وعلى قومك» قال وعلى قومي. قال: فبعث رسول الله ﷺ سرية فمروا بقومه، فقال صاحب السرية للجيش: هل أصبتم من هؤلاء شيئا ؟ فقال رجل من القوم : أصبت منهم مطهرة. فقال : ردوها. فإن هؤلاء قوم ضماد»(٣)

فالنبي ﷺ يستمع إلى ضماد وهو يعرض عليه سفاهة أهل مكة وطعنهم فيه عليه السلام، ويحسن الإنصات فلا يسكته ولا يزجره، ثم يرد عليه بكلمات لطيفة تقرع قلبه، فيقاطعه قبل أن يكمل، ويطلب إعادتها ثم يسلم رضي الله عنه وأرضاه.

ومثل هذا بل وأعجب منه ما جاء في السير وبعض المسانيد من محاورة عتبة بن ربيعة للنبي ﷺ وذلك أن عتبة، وكان سيدا ، قال يوما وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده : يامعشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها، فنعطيه أيها شاء ويكف عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون.

---

١ - أي من الجنون ومس الجن (انظر تعليق على الحديث في صحيح مسلم:٩٣/٢)

٢ - أي وسطه ولجته (انظر التعليق على الحديث في صحيح مسلم:٩٣/٢)

٣ - أخرجه مسلم الجمعة ٥٩٣/٢ رقم٤٦

فقالوا : بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلمه، فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به من مضى من ءابائهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها. فقال رسول الله ﷺ : قل يا أبا الوليد أسمع، قال: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا، جمعنا من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا، وان كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لاتستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه.

حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال : أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال : نعم، قال : فاسمع مني، قال: افعل فقال ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. حَمٓ. تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِياً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُم فَهُمْ لايَسْمَعُونَ. وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾(١) ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه فلما سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليها يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة، منها فسجد، ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ماسمعت، فأنت وذاك.. الخ(٢)

فهذا الحوار يظهر منه واضحا حسن انصات رسول الله ﷺ، وتهيئة نفسه لسماع خواطر مقززة من رجل كافر، مع ذلك يقول له (قل يا أبا الوليد). وماقاله سفه وعرض رخيص، إلا أن النبي ﷺ يتلقاها حليما، ويستمع كريما،

---

١ - فصلت:١-٥

٢ - انظر تهذيب سيرة ابن هشام لعبدالسلام هارون ص٦٢-٦٣، والقصة أخرجها غير ابن اسحاق في السيرة: البغوي في التفسير (١٠٧/٦) في تفسير سورة فصلت، وقد ذكر بعض رواياتها ابن كثير في تفسيره (٤/٩٠-٩١) وقال عن عن رواية البغوي وهذا أشبه من سياق البزار وأبي يعلى، وذكر بعدها رواية ابن اسحاق هذه وقال (وهذا السياق اشبه من الذي قبله والله أعلم) والقصة حسنها الألباني في تخريج فقه السيرة ص١١٢

وهو مطمئن هادىء ودود، لايعجل عتبة عن إستكمال هذه الخواطر الصغيرة، حتى إذا انتهى قال في هدؤ وثبات وسماحة(١) ليتأكد من فراغه : « أقد فرغت يا أبا الوليد» فهو صلى الله عليه وسلم يضرب لنا مثلا في أدب الإستماع وحسن الإنصات، فلا يكفي أنه يستمع إلى رجل كافر معاند، وكلامه حمق وسفه بل يطلب منه أن يخرج كل ما في جعبته، كل ذلك بلطف وطيب كلام وسعة صدر، حتى يكنى عتبة (يا أبا الوليد) زيادة في أدبه وحسن خلقه وكريم شمائله ٠

ولعل قصص الأنبياء عليهم السلام حافلة بالأمثلة والنماذج لحسن استماع الرسل لأقوامهم، و إنصاتهم للشبه والإعتراضات، بل للسب والشتم والإعتداء في القول أحيانا - ومع ذلك يصبرون على سماع تلك الأقوال والكلمات النابيةويتلوها منهم الرد الجميل، أو الجواب المفحم بأدب لطيف، وكلام منزه عن السفاهة والشتائم، وذكر الأمثلة يطول جدا، ولكن أشير إلى بعض الأقوال الآثمة والشبه الباطلة التى استمعها الأنبياء من أقوامهم،

قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام:﴿قَالَ ٱلْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُبِيْنٍ﴾(٢)

وقوله أيضا :﴿فَقَالَ المَلأُ الَّذِيْنَ كَفَرُواْ مِنْ قَوْمِهِ مَانَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِثْلَنَا وَمَانَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِيْنَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَينَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِيْنَ﴾(٣)

قوله تعالى عن قوم هود عليه السلام :﴿ قَالَ المَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الكَاذِبِيْنَ ﴾(٤)

وقال ايضا عنهم :﴿قَالُواْ يَاهُودُ مَاجِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِيْنَ﴾(٥)

---

١ - انظر الظلال : (٣١١٧/٥)

٢ - الاعراف:٦٠

٣ - هود:٢٧

٤ - الاعراف:٦٦

٥ - هود:٥٣

قوله تعالى في قوم شعيب عليه السلام :﴿قَالَ المَلأُ الّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَاشُعَيْبُ وَالّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾(١)

وقال فيهم ايضا :﴿وَقَالَ المَلأُ الّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ قَومِهِ لَئِنْ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُم إِذاً لَخَاسِرُونَ﴾(٢)

وقال ايضا :﴿ قَالُواْ يَاشُعَيبُ أَصَلَواتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَايَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَو أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنْتَ الحَلِيْمُ الرَّشِيْدُ﴾(٣)

وقال سبحانه :﴿قَالُواْ يَاشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَينَا بِعَزِيْزٍ﴾(٤)

ومن ذلك أقوال فرعون المتعددة في أمر موسى عليه السلام ومنها ماجاء في قوله تعالى :﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الّذِيَ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾(٥)

وقوله تعالى :﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلهاً غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ المَسْجُونِيْنَ﴾(٦) وقوله أيضا﴿قَالَ لِلمَلإِ حَولَهُ إِنَّ هَذا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾(٧)

وقوله تعالى في قصة موسى ايضا : ﴿قَالُواْ اقْتُلُواْ أَبنَاءَ الّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ واسْتَحْيُواْ نِسَاءَهُم وَمَا كَيْدُ الكَافِرِينْ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ.وَقَالَ فِرْعَونُ ذَرُونِيَ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الفَسَادَ﴾(٨)

إلى غير ذلك من الأمثلة والشواهد التي تثبت حسن استماع الأنبياء عليهم السلام، وانصاتهم لتلك الترهات والضلالات، وضبط النفس اثناء عرضها، ثم ما يتلو ذلك من الرد المفحم اللطيف.

---

١ -الأعراف:٨٨

٢ - الاعراف:٩٠

٣ - هود:٨٧

٤ - هود:٩١

٥ - الشعراء:٢٧

٦ - الشعراء:٢٩

٧ - الشعراء:٣٤

٨ - غافر:٢٥-٢٦

ولابأس أن يستنصت المحاور من أمامه حتى يتم سماعهم جيدا، فعن جرير بن عبدالله قال: قال لي رسول الله ﷺ - في حجة الوداع: «استنصت الناس (١) ثم قال «لاترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض »(٢) وليس من الأدب عدم الإهتمام واللامبالاة بكلام المحاور، أو عدم الإكتراث برأيه، أو تعمد الإنشغال عنه أثناء كلامه بل ينبغي أن يتكلف الصبر على استماع محاوره، ويتعمد اظهار الإهتمام بكلامه، فهذا أدعى للتفاهم بين الطرفين، وأقرب لنجاح الحوار، حتى وإن كان الكلام معروفا لدى السامع أو مكررا، فهذا عطاء بن أبي رباح علامة التابعين رحمه الله يقول :(إن الرجل ليحدثني بالحديث، فأنصت له كأني لم أسمعه، وقد سمعته قبل أن يولد)(٣)

والإستماع إلى الطرف الآخر والعناية به وحسن الإنصات له إضافة إلى ما فيها من احترام وتقدير الآخرين، فإنها تشرح نفس الطرف ألاخر، وتهيئها لقبول الحق وتمهدها للرجوع عن الخطأ، ومهما كان الخصم معاندا فإنه إن وجد مستمعا طيبا هادئا لبقا لابد وأن يتأثر، فإن: (أشد الناس جفافا في الطبع وغلظة في القول لايملك إلا أن يلين إزاء مستمع صبور عطوف.. مستمع يلوذ بالصمت إذا أخذ محدثه الغاضب، يصول ويجول كالحية الرقطاء وهو ينفث سمة هنا وهناك)(٤)

والمقصود أن حسن الإستماع، وإعطاء الفرصة للخصم في إبداء آرائه وعدم الإستئثار بالكلام دون الطرف الآخر، والصبر على ما قديكون في كلام الخصم من إساءة أو تعريض أو نحوه، وعدم مقاطعته أو الإنشغال عنه، كل ذلك من الأدب اللطيف، والخلق الجميل، الذي ينبغي أن يتصف به المحاور حتى يكون ناجحا.

وليعلم المحاور أن الإستئثار بالكلام والإطالة فيه - غالبا - مايدل على اعجاب المرء بنفسه، أوحب الشهرة والثناء، أو الغفلة عن تقدير الطرف الآخر من حيث العلم والوقت والموقف(٥).

---

١ - أي مرهم بالإنصات: انظر رياض الصالحين ص٣١٣

٢ - أخرجه البخاري : العلم١٢١، مسلم الإيمان (١/٨١) رقم١١٨، ابوداود: السنة (٤/٢٢٠) رقم٤٦٨٦، احمد(٢/٨٥)

٣ - سير أعلام النبلاء : (٥/٨٦)

٤ - كيف تكسب الأصدقاء : ص٩٢

٥ - أصول الحوار ص٢٥

المبحث التاسع : المحبة رغم الخلاف

مادام أن الخلاف واقع لامحالة، ولابد من وجوده وحصوله، فإذا كان هذا الخلاف بين مسلمين صادقين في طلب الحق، جادين في الوصول إلى نتيجة صحيحة، ثم كان خلافا في قضية جزئية، أو مسألة فرعية، فلا يجوز بحال من الأحوال أن يؤدي بهما مثل هذا النوع من الخلاف إلى شيء من التباغض والتنافر، أو التقاطع، والتهاجر، أو التشاحن والتدابر :«لاتحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ..»(١)

فأخوة الدين يجب أن تبقى فوق تلك الخلافات الجزئية، والمحبة في الله لايجتمع معها شيء من هذه التصرفات التي يذكيها الشيطان، واختلاف وجهات النظر لاينبغي أن تقطع حبل المودة، ومهما طالت المناظرة أو تعدد الحوار أو تكررت المناقشة، فلا يليق أن تؤثر على القلوب، أو تكدر الخواطر، أو تثير الضغائن والإحن.

ولذلك فينبغي للمحاور المخلص أن يتجنب ذلك كله، وأن يحرص على ألا يتسلل إلى قلبه شيء من تلك الهنات، وعليه أن يخطب ود أخيه، وينتزع ما قد يكون تسلل اليه من غل أو حقد أو نحوهما بسبب الحوار والمناقشة، كما أنه يجب أن يكون متذكرا هذا الأمر جيدا - قبل وأثناء وبعد - الحوار والمناظرة، فلا يخرج من الحوار معلنا الخصومة على محاوره، أو موسعا الهوة بينه وبين إخوانه، مهما كلفه الأمر من اللين والتواضع وخفض الجناح، وعليه أن يتذكر القول المشهور :«واختلاف الرأي لايفسد للود قضية»(٢)

ثم لينظر كل محاور إلى تطبيق هذا القول، وإلى صفاء القلوب وطهارة النفوس، من خلال اختلافات السلف رضوان الله عليهم - والتي قد يصل بعضها إلى حد رفع السيف والقتال - مع بقاء أصل الأخوة الدينية، والمحبة الإسلامية والتعبير عنها بالكلمات المؤثرة، والمواقف الإيمانية الفذة.

---

١ - جزء من حديث أخرجه مسلم وغيره وتقدم في مبحث التواضع ص:١٤١

٢ - انظر أصول الحوار ص٤٩

فهذان الخليفتان الراشدان، أفضل رجلين في هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ مبشران بالجنة، ومقربان إلى رسول الله ﷺ ، ثم هما يختلفان في أمور كثيرة وقضايا متعددة، مع بقاء الألفة والمحبة، ودوام الأخوة والمودة، وذلك من آثار تربية النبوة، ويظهر ذلك من خلال بيان بعض المواقف والمسائل التي اختلفا فيها ، ثم من خلال النظر في ثناء كل منهما على صاحبه والثقة به والإقرار بمنزلته، فمن مواقف الخلاف بينهما :

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : (كانت بين أبي بكر وعمر محاورة فأغضب أبوبكر عمر فأنصرف عنه عمر مغضبا، فأتبعه ابوبكر يسأله أن يستغفر له، فلم يفعل، حتى أغلق بابه في وجهه. فأقبل أبوبكر إلى رسول الله ﷺ - قال أبو الدرداء: ونحن عنده - فقال رسول الله ﷺ : أما صاحبكم هذا فقد غامر. قال:وندم عمر على ما كان منه، فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبي ﷺ وقص على رسول الله ﷺ الخبر. قال أبو الدرداء : وغضب رسول الله ﷺ وجعل أبوبكر يقول : والله يارسول الله ، لأنا كنت أظلم فقال رسول الله ﷺ :«هل أنتم تاركوا لي صاحبي؟، هل أنتم تاركوا لي صاحبي؟ إني قلت : يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا فقلتم كذبت، وقال أبوبكر : صدقت»(١).

فهذا خلاف بين الخليفتين الراشدين - رضي الله عنهما - ولكنه لم يذهب بالمودة ولم يقطع حبل الأخوة بينهما، وقد جاء في حديث ابن عمر عند الطبراني في نحو هذه القصة : (أن النبي ﷺ قال لعمر : «يسألك أخوك أن تستغفر له فلا تفعل، فقال : والذي بعثك بالحق ما من مرة يسألني إلا وأنا أستغفر له، وما خلق الله من أحد أحب إليّ منه بعدك، فقال أبوبكر : وأنا والذي بعثك بالحق كذلك»(٢)

---

١ - تقدم تخريجه في الباب الأول ص٥

٢ - انظر الفتح (٧/٢٥)

ومن الخلاف بينهما ما جاء في حديث ابن الزبير رضي الله عنه قال : «قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ ، فقال أبوبكر : أمِّر القعقاع بن معبد، وقال عمر : بل أمِّر الأقرع بن حابس. فقال أبوبكر ما أردت إلا خلافي، فقال عمر : ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما، فنزل في ذلك ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَاتُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُوْلِهِ﴾ حتى انقضت الآية(١)

ومن الخلاف الذي كان بينهما، اختلافهما في وفاة رسول الله ﷺ، ثم في حرب المرتدين، ثم في جمع الصحف ونحوها (٢) وإن كانت مثل هذه الخلافات تنتهي بمجرد ورود النص فيها، أو بيان المصلحة منها.

وهناك اختلافات بينهما في مسائل فقهية أو نظرية، استمرت ودامت ولكنها لم تؤثر شيئا في نفسيهما، ومن ذلك (اختلفا في سبي أهل الردة فرأى أبوبكر سبي نسائهم، ورأى عمر عكس ذلك، ولذلك فقد نقض عمر في خلافته حكم أبي بكر في هذه المسألة وردهن إلى أهليهن، لكنه لم ينشق على أبي بكر، فلكل اجتهاده في المسائل القابلة للإجتهاد، واختلفا في قسمة الأراضي المفتوحة. فقسمت في عهد ابي بكر ولم تقسم في عهد عمر، وكذلك في أمر الخلافة فقد استخلف أبوبكر من بعده عندما مات ، وعمر لم يستخلف بل جعل الأمر شورى)(٣)

مع هذا الخلاف وغيره بينهما إلا أن كلا منهما كان يحمل الحب والتقدير للآخر ويظهر ذلك من ثناء كل واحد منهما على صاحبه، فمن ذلك ما جاء في قصة الخلافة بعد الرسول ﷺ، وفيها (فقال أبوبكر: لا، ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب دارا وأعربهم أحسابا، فبايعوا عمر أو أباعبيدة. فقال عمر : بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ،

---

١ - أخرجه البخاري برقم٤٨٤٧،٤٨٤٥ في كتاب التفسير وتقدم في الباب الأول

٢ - انظر تاريخ الطبري (٢/٢٣٢)

٣ - انظر أدب الخلاف لابن حميد ص٢٠

فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس(١)

ومنه ما تقدم في المحاورة التي كانت بينهما وقال عمر للنبي ﷺ : والذي بعثك بالحق ما من مرة يسألني إلا وأنا استغفر له، وما خلق الله من أحد أحب الي منه بعدك. فقال أبوبكر ،وأنا والذي بعثك بالحق كذلك(٢)

وفي المقابل كم كانت ثقة أبيبكر بعمر رضي الله عنهما - ويكفي في ذلك أنه استخلفه من بعده ليكون إماما لأمة محمد ﷺ وقال لرعيته وهو في مرض موته : (إني وليت أمركم خيركم في نفسي)(٣).

ولما قال له طلحة بن عبيد الله: استخلفت على الناس عمر، وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه، فكيف به اذا خلا بهم؟ وأنت لاق ربك فسائلك عن رعيتك. فقال أبوبكر - وكان مضطجعا : أجلسوني، فأجلسوه، فقال لطلحة : أبالله تفرقني - أو أبالله تخوفني - إذا لقيت الله ربي فسألني قلت : استخلفت على أهلك خير أهلك(٤).

إلى غير ذلك من الأقوال والمواقف، والتي تبين أنه رغم المحاورة والجدال والخلاف الذي وقع بين الصاحبين - رضوان الله عليهما- إلا أن المحبة بقيت، لم يشبها أي شائبة من غل أو حقد أو كدر.

ومن أمثلة ذلك أيضا ما كان من خلاف بين أبي بكر وعلي رضي الله عنهما - في ميراث النبي ﷺ ، فعن عائشة رضي الله عنها :(أن فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ - أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ، مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبوبكر: إن رسول الله ﷺ قال : لانورث، ما تركنا صدقة،إنما يأكل آل محمد ﷺ من هذا المال،

---

١ - أخرجه البخاري: فضائل الصحابة ٤٣٦٦٨، الترمذي المناقب (٥/٦٠٦) رقم٣٦٥٦

٢ - تقدم آنفا

٣ - انظر تاريخ الطبري (٢/٣٥٣)

٤ - نفس المصدر (٢/٣٥٥)

وإني والله لا أغير شيئا من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله ﷺ، ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله ﷺ، فأبى أبوبكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئا. فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر. فلما توفيت دفنها زوجها علي -رضي الله عنه- ليلا ولم يؤذن بها أبابكر، وصلى عليها، وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة، فلما توفيت استنكر علي وجوه الناس ، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته،ولم يكن يبايع تلك الأشهر، فأرسل إلى أبي بكر أن ائتنا، ولا يأتنا أحد معك، كراهة لمحضر عمر، فقال عمر : لا والله، لاتدخل عليهم وحدك، فقال أبوبكر وما عسيتهم أن يفعلوا بي؟ والله لآتينهم. فدخل عليهم أبوبكر. فتشهد علي فقال : إنا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله، ولم ننفس عليك خيرا ساقه الله اليك، ولكنك استبددت علينا بالأمر، وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله ﷺ نصيبا، حتى فاضت عينا أبي بكر، فلما تكلم أبوبكر قال: والذي نفسي بيده، لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي، وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال فلم آل فيه عن الخير، ولم أترك أمرا رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيها إلا صنعته. فقال علي لأبي بكر: موعدك العشية للبيعة، فلما صلى أبوبكر الظهر رقى على المنبر فتشهد، وذكر شأن علي وتخلفه عن البيعة وعذره الذى اعتذر إليه، ثم استغفر، وتشهد علي فعظم حق أبي بكر، وحدث أنه لم يحمله على الذي صنع نفاسة على أبي بكر، ولا إنكارا للذي فضله الله به، ولكنا نرى لنا في هذا الأمر نصيبا فاستبد علينا،فوجدنافي أنفسنا،فسر بذلك المسلمون وقالوا أصبت.وكان المسلمون إلى علي قريبا حين راجع الأمر المعروف(١)

---

١ - أخرجه البخاري: المغازي ٤٢٤٠، واحمد:(١/١٠)

فهذا خلاف آخر بين أبي بكر وعلي رضي الله عنهما ولكن يظهر معه الإحترام والمحبة والإعتراف بالفضل، ولذلك قال القرطبي فيما نقله عنه ابن حجر - رحمهما الله - (من تأمل مادار بين ابي بكر وعلي من المعاتبة ومن الإعتذار وما تضمن ذلك من الإنصاف عرف أن بعضهم كان يعترف بفضل الآخر، وأن قلوبهم كانت منفقة على الإحترام والمحبة، وإن كان الطبع البشري قد يغلب أحيانا لكن الديانة ترد ذلك والله الموفق)(١)

ومن صور ذلك أيضا ما كان من خلاف - بل قتال - بين علي وعائشة رضي الله عنهما، ثم وبعد انتهاء القتال بينهما في وقعة الجمل : (راح علي -رضي الله عنه - إلي عائشة على بغلته، فلما انتهى إلى دار عبدالله بن خلف وهي أعظم دار بالبصرة، وجد النساء يبكين على عبدالله وعثمان ابني خلف مع عائشة، وصفية ابنة الحارث مختمرة تبكي، فلما رأته قالت : يا علي ، يا قاتل الأحبة، يا مفرق الجمع، أيتم الله بنيك منك، كما أيتمت ولد عبدالله منه، فلم يرد عليها شيئا، ولم يزل على حاله حتى دخل على عائشة، فسلم عليها وقعد عندها، وقال لها: جبهتنا صفية(٢)، أما إني لم أرها منذ كانت جارية حتى اليوم، فلما خرج علي أقبلت عليه فأعادت عليه الكلام، فكف بغلته وقال : أما لهممت واشار إلى الأبواب من الدار - أن افتح هذا الباب وأقتل من فيه، ثم هذا فأقتل من فيه، ثم هذا فأقتل من فيه - وكان اناس من الجرحى قد لجؤوا إلى عائشة، فأخبر علي بمكانهم عندها، فتغافل عنهم - فسكتت. فخرج علي، فقال رجل من الأزد: والله لا تفلتنا هذه المرأة. فغضب وقال : صه! لا تهتكن سترا ، ولا تدخلن دارا ، ولا تهيجن امرأة بأذى، وإن شتمن أعراضكم، وسفهن امراءكم وصلحاءكم، فإنهن ضعاف، ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن، وإنهن لمشركات، وإن الرجل ليكافح المرأة ويتناولها بالضرب فيعير بها عقبه من بعده، فلا يبلغني عن أحد عرض لامرأة فأنكل به شرار الناس. ومضى علي ، فلحق به رجل ، فقال يا أمير

---

١ - انظر الفتح (٧/٤٩٥)

٢ - أي استقبلتنا بما نكره (انظر الصحاح:٦/٢٢٣٠)

المؤمنين، قام رجلان ممن لقيت على الباب، فتناولا من هو أمضّ لك شتيمة من صفية، قال : ويحك! لعلها عائشة. قال نعم، قام رجلان منهم على باب الدار فقال أحدهما:

جزيت عنا أمنا عقوقا

وقال الآخر : يا أمنا توبي فقد خطيت.

فبعث القعقاع بن عمرو إلى الباب، فأقبل بمن كان عليه، فأحالوا على رجلين، فقال : اضرب أعناقهما، ثم قال: لانهكنهما عقوبة. فضربهما مائة مائة، وأخرجهما من ثيابهما)(١).

فهذا علي - ضي الله عنه- مع خلافه الذي بلغ حد القتال مع أم المؤمنين عائشة إلا أنه يغضب على من تناولها ويأمر بمعاقبته.

ولما أرادت عائشة رضي الله عنها الخروج من البصرة، جهزها علي بكل شيء ينبغي لها من مركب أو زاد أو متاع، وأخرج معها كل من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات، وقال: تجهز يا محمد، فبلغها، فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه، جاءها حتى وقف لها، وحضر الناس فخرجت على الناس وودعوها: وودعتهم، وقالت : يا بني تعتب بعضنا على بعض استبطاء واستزادة، فلا يعتدين أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك، وإنه والله ما كان بيني وبين علي في القدم إلا ما يكون بين المرأة واحمائها، وانه عندي على معتبتي من الأخيار . وقال علي : ياأيها الناس: صدقت والله وبرت، ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة.. ثم شيعها علي أميالا وسرح بنيه معها يوما(٢).

فسبحان الذي شرف أولئك بصفاء القلوب ودوام المحبة - حتى في حال الإختلاف - وبالأدب الحسن والخلق الجميل، فعلي رضي الله عنه يثني على

---

١ - تاريخ الطبري (٥٨/٣)

٢ - نفس المصدر : ٣/٦٠-٦١ بتصرف يسير

عائشة رضي الله عنهاوينهى عن إيذائها أو تناولها باللسان،ثم يجهزها ويشيعها، وهي رضي الله عنهاتثني عليه وتعترف بأنه من الأخيار، وتقلل من شأن الخلاف الذي كان، حتى تجعله كالخلاف العادي البشري الذي يكون بين المرأة وأحمائها، ثم تنهى عن أن يعتدي أحد من أصحابها على أحد بشيء، فرضي الله عن الصحابة أجمعين.

وتبعا لذلك الخلاف فقد كان عمار بن ياسر في صف علي ضد عائشة رضي الله عنهم، ومع خلافه معها، يقول عمار لها فرغ القوم من الجمل: يا أم المؤمنين، ما أبعد هذا المسير من العهد الذي عهد إليك ! قالت : أبو اليقظان!

قال : نعم، قالت : والله انك - ما علمت - قوال الحق، قال : الحمد لله الذي قضى لي على لسانك(١).

وفي مرة ينال أحدهم من أم المؤمنين عائشة، بمحضر من عمار رضي الله عنهما - فيقول له عمار : اسكت مقبوحا منبوحا، أتؤذي محبوبة رسول الله ﷺ!! أشهد أنها زوجة رسول الله ﷺ في الجنة، لقد سارت أمنا عائشة رضي الله عنها مسيرها وإنا لنعلم أنها زوجة النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلانا بها. إياه نطيع أو إياها(٢).

فالخلاف بين عائشة وعمار رضي الله عنهما لايمنعها من أن تنصفه وتثنى عليه بما هو أهله، ولا يمنعه هو من أن يدافع عنها ويشهد بفضلها ويعترف بما فيها.

وتبعا لذلك أيضا : يدخل عمران بن طلحة بن عبيدالله على علي رضي الله عنه - بعد ما فرغ من موقعة الجمل - وقد كان طلحة والد عمران ضد علي فيها - فيرحب علي بعمران ويدنيه ويقول : إني لأرجو أن يجعلني وأباك من الذين قال الله عز وجل فيهم :﴿وَنَزَعْنَا مَافِي صُدُورِهِم مِنْ غِلٍ إِخْوَاناً عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾(٣)

---

١ - نفس المصدر :(٣/٦١)

٢ - انظر أدب الخلاف لابن حميد ص٢٧

٣ - الحجر :٤٧

ثم أخذ يسأله عن أهل بيت طلحة فردا فردا وعن غلمانه وأمهات أولاده: يا ابن أخي كيف فلان وكيف فلانة ؟ فيتعجب بعض الحاضرين من ذلك، فيقول رجلان منهم : الله اعدل من ذلك تقتلهم بالأمس وتكونوا إخوانا في الجنة؟ فيغضب علي رضي الله عنه ويقول لهما : فمن هو إذن إن لم أكن أنا وطلحة!!ويسأل بعضهم عليا رضي الله عنه عن أهل الجمل: أمشركون هم ؟ فيقول من الشرك فروا قال : أمنافقون هم ؟ قال : إن المنافقين لايذكرون الله إلا قليلا، قال فمن هم إذن؟فيقول:إخواننا بغوا علينا(١)

فعلي رضي الله عنه يرى أنه وطلحة إخوة في الدنيا وفي الجنة، رغم الخلاف بينهما، بل يرى أن أهل الجنة الذين قاتلوه كلهم اخوة له، وهذا من عظيم شرفه رضي الله عنه.

ومن الخلاف المعلوم المشهور : ما كان بين علي ومعاوية - رضي الله عنهما - وبعد وفاة علي رضي الله عنه ، يدخل حمزة بن ضرار الكناني على معاوية، فيقول معاوية : صف لي عليا، فقال له: أو تعفيني يا أمير المؤمنين؟ قال له: لا أعفيك. قال: أما إذ لابد فإنه والله بعيد المدى شديد القوى، يقول فصلا، ويحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطلق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير العبرة، طويل الفكرة، يقلب كفيه ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ماقصر، ومن الطعام ما خشن، وكان والله كأحدنا يدنينا إذا أتينا، ويجيبنا إذا سألنا، وكان مع تقربه إلينا وقربه لنا لا نكلمه هيبة له، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين ويحب المساكين، لايطمع القوي في باطله ولاييأس الضعيف من عدله، فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه، يميل في محرابه قابضا على لحيتيه، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين،

----

١ - أدب الخلاف ص٢٦

فكأني أسمعه الآن وهو يقول : ياربنا ياربنا، يقول للدنيا: إلي تعرضت!! الي تشوفت، هيهات هيهات، غري غيري، قد بتتك ثلاثا، فعمرك قصير ومجلسك حقير، وخطرك يسير، آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق. فوكفت دموع معاوية رضي الله عنه على لحيته لايملكها، وجعل ينشفها بكمه، وقد اختنق القوم بالبكاء فقال معاوية: كذلك كان أبو الحسن رحمه الله كيف وجدك عليه يا ضرار؟ قال وجد من ذبح واحدها في حجرها، لا ترقأ دمعتها ولايسكن حزنها(١)

فلم يمنع معاوية رضي الله عنه - ذلك الخلاف الطويل مع علي رضي الله عنه، أن يبكي عليه ويعترف بمناقبه وفضائله ويترحم عليه.

ومما ينبغي أن يعلم في هذا المجال، أن من علامات وجود المحبة - رغم الخلاف - طهارة القلب وصفاء الخاطر نحو المخالف وقبول معذرته، وهذا ما كان من يوسف الصديق عليه السلام، حين عاداه إخوته وكادوا له، فلما ظهر عليهم وكشف أمرهم، واعترفوا بالخطأ، قبل معذرتهم واستغفر لهم، قال تعالى : ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ، قَالَ لاَتَثْرِيبَ عَلَيكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ﴾(٢).. قال يونس الصدفي : مارأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوما في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخوانا وإن لم نتفق في مسألة؟ قال الذهبي : هذا يدل على كمال عقل هذا الإمام وفقه نفسه، فمازال النظراء يختلفون(٣)

ولعل في هذه الأمثلة كفاية في بيان المقصود، والدلالة على أن الخلاف في المسائل الفرعية، والقضايا الإجتهادية، والأمور الجزئية، مع محاور مسلم مخلص ، لابد أن تضفي عليه المحبة، وتطغى فيه الأخوة، وتغلب فيه المودة، ولابد أن يتذكر كل طرف من المتحاورين ضرورة المحافظة على هذا الأصل، وأهمية تنقية القلوب وتصفية الخواطر، قبل وبعد الحوار، و إلا كان الحوار فاشلا، إذ إنه يكون قد قضى على أصل عظيم، وحبل متين، وملأ القلب غلا وحقدا، وشحناء وبغضاء، إضافة ألى عدم التوصل إلى رأي موحد في القضية المطروحة للحوار.

---

١ - انظر أدب الخلاف ص٢٨-٢٩

٢ - يوسف:٩١-٩٢

٣ - سير أعلام النبلاء (١٦/١٠)

المبحث العاشر : الهدوء والثقة بالنفس

تقدم بحث طويل في الصبر والحلم وعدم الغضب، وحيث إن له علاقة بهذا المبحث، إذ الهدوء والسيطرة على النفس من مقتضيات الصبر، لذلك فسأختصر في هذا المبحث الذي أفردته هنا لأهميته في الحوار، وضرورته في المناقشات والمناظرات، مقتصرا على قواعد وضوابط ووسائل مهمة في تحقيق هذا الأدب والوصول اليه، ومنها :-

١ - يجب أن توحي شخصية المحاور بالهدوء والصفاء والتوازن، وقبل الدخول في الحوار عليه أن يتأكد من قدرته على قيادة نفسه وضبط أعصابه، إذ لايمكن لمن لايسيطر على نفسه أن يسيطر على الآخرين أو يخضعهم للحق الذي معه، مهما كان واثقا من صحة وصدق افكاره، فإنه إن لم يخضع نفسه ويملكها، تعذر عليه أن ينقل أفكاره إلى الغير

٢ - والهدوء المطلوب هو الهدوء الناجم عن قوة وإرادة، والذي يصحبه ترتيب للأفكار وحسن استماع للخصم، وفهم واستيعاب لكلامه وتمييز بين مايمكن إقراره وما يجب رده، ومراقبته لتصرفات الطرف الآخر ، وليس الهدوء الصادر عن خمول وخور، وضعف وسوء فهم أو لا مبالاة، فإن هذا سلبية تعصف بالحوار، ووسيلة لفشل المحاور واندحاره وإن كان محقا٠

٣ - على المحاور ألا يعرف الخوف والقلق، والذعر والإضطراب، وإذا وجد عنده شيء من ذلك لاشعوريا، فعليه أن يتقن اخفاءه بمجرد الشعور به، وأن يسارع إلى حالته الطبيعية، واستعادة توازنه، ليوحي إلى خصمه بالثبات والقوة - خاصة -في حالة اذا كان المحاور يملك الحق البين، والخصم على باطل بين، ومع ذلك يعاند ويكابر ويماطل ويرفض الأدلة الواضحة والبراهين الثابتة، ويلقى بالشبه والأباطيل لزعزعة محاوره عن الحق٠

وعندما يتجنب المحاور ردود الفعل العصبية، ويكبح جماح نفسه، ويستقبل الإنتقادات بروح مرحة، ويتقبل الإعتراضات بصبر وتؤده، عندها يطمئن بهدوئه المؤيدون له، ويدفع عنهم القلق والفزع الذي قد تثيره شبهات الخصم وتشكيكاته وعندها يثبت لخصمه أنه صاحب إرادة قوية لاتتحول عن الحق ولا تزيغ عنه ولا تتنازل، كما أن ذلك الهدؤ العميق يثير القلق لدى الخصم العنيد، ويشعره بالضعف والحبوط والفشل، ويحس بأنه أمام قوة لاتقهر، وأن آراءه وشبهه وتشكيكاته لا مكان لها ولا قيمة ولا وزن في مواجهة الحق الأكيد

٤ - وحتى يحافظ المحاور على هدوئه، عليه أن يحسن الإستماع ويتكلف الصمت والإنصات، إذ الثرثرة تفقده الإحترام والثقة، وعليه أن يعتاد على مواجهة الشبه والإعتراضات وكأنها عادية.

أما سرعة الإنفعال والتوتر العصبي، والهياج والقلق، فتأثيرها سيء على ذهن المحاور ونفسيته، ولايمكن تلافي نتائجها السلبية اذا صدرت عن المحاور أمام خصمه، وبالتالي لايمكن استمرار الحوار ولايتوقع نجاحه أو تحقيق مهمته وأهدافه إذا بدت تلك البوادر وظهرت تلك الأعراض

٥ - ولذلك فعلى المحاور ألا يرفع صوته أكثر مما يحتاج اليه السامع، ففي ذلك رعونة وإيذاء، ورفع الصوت لايقوى حجة صاحبه قط، وفي أكثر الحالات يكون صاحب الصوت الأعلى قليل المضمون، ضعيف الحجة، يستر عجزه بالصراخ، على عكس صاحب صوت الهادىء الذي يعكس عقلا متزنا وفكرا منظما، وحجة وموضوعية.

ويضرب المثل في ذلك بالبحر إذ يقال« الماء العميق أهدأ» إذ تجد الصخب والضجيج على الشاطىء حيث الماء الضحل، ولا جواهر ولا درر، وتجد الهدؤ والسكون لدى الماء الأعمق حيث نفائس البحر وكنوزه(١)

---

١ - اصول الحوار :ص٥٦

ومن هنا كان توجيه لقمان لابنه بغض الصوت وتقصيره﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ﴾(١).

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية [واغضض من صوتك : أي لاتبالغ في الكلام ولا ترفع صوتك فيما لافائدة فيه ولهذا قال :إن أنكر الأصوات لصوت الحمير، قال مجاهد وغير واحد إن اقبح الأصوات لصوت الحمير، أي غاية من رفع صوته أنه يشبه بالحمير في علوه ورفعه، ومع هذا هو بغيض إلى الله تعالى، وهذا التشبيه في هذا بالحمير يقتضي تحريمه وذمه غاية الذم](٢)

ومثله قال الزمخشري : (فتشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير، وتمثيل أصواتهم بالنهاق، ثم إخلاء الكلام من لفظ التشبيه وإخراجه مخرج الإستعارة، وإن جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا، مبالغة شديدة في الذم والتهجين، وافراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه وتنبيه على أنه من كراهة الله بمكان(٣)

فتبين بذلك أن رفع الصوت سوء أدب، ولافائدة منه ولا مصلحة، ولايعد ميزة أو منقبة، وإلا لما اختص بذلك الحمار (٤)، فهو مذموم غاية الذم، وكما قال سيد قطب رحمه الله : -(والغض من الصوت فيه أدب وثقة بالنفس واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته، وما يزعق أو يغلظ في الخطاب إلا سيء الأدب، أو شاك في قيمة قوله، أو قيمة شخصه، يحاول اخفاء هذا الشك بالحدة والغلظة والزعاق)(٥).

والأمثلة والنماذج في بيان الهدؤ والإطمئنان وأثره على الحوار كثيرة، وقد تقدم من قصص الأنبياء وصبرهم وحسن استماعهم، حتى عندما يكون الكلام ضدهم، من شبهة غايتها التشكيك، أو تهمة هدفها التنفير ، أو شتم وسفاهة

---

١ - لقمان:١٩

٢ - تفسير ابن كثير(٣/٤٤٦)

٣ - الكشاف (٣/٢٣٤)

٤ - انظر تفسير السعدي (٤/١١٠)

٥ - الظلال:(٥/٢٧٩٠)

دافعها التشفي والإنتقام، ثم مع ذلك نجد ثقة الأنبياء بأنفسهم بعد ثقتهم بربهم عز وجل، وتلمس السكينة والطمأنينة وبرودة الأعصاب وهدؤ البال، ولو خوطب غير الأنبياء بتلك الأقوال والحماقات، لما طاق سماعها، ولما استطاع تحملها - إلا ماشاء الله - وإلا فمن يملك صبر نوح - عليه السلام في دعوة قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، ولا يزدادون إلا بعدا وضلالا ﴿وَأَصَرُّواْ وَاسْتَكْبَرُواْ اسْتِكْبَاراً﴾(١) ولايكتفون بإصرارهم على الكفر حتى يضيفوا إلى ذلك سوء الأدب منهم، والسخرية والإستهزاء بنبيهم واتهامه بالضلال والكذب حيث قالوا:﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(٢) وقالوا: ﴿بَلْ نَظُنُّكُم كَاذِبِينَ﴾(٣)، فيتلقى ذلك برحابة صدر وهدؤ نفس ولايزيد في الرد عليهم على أن ينفي ذلك عنه ويبين لهم حقيقة رسالته:﴿قَالَ يَاقَومِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِيْنَ﴾(٤)، وقريب منه أمر هود عليه السلام إذ قال له قومه:﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الكَاذِبِينَ﴾(٥) فيستقبل هذه الشتيمة القبيحة والتهمة الشنيعة، بثقة واطمئنان ويردها بأدب جم:﴿ قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ﴾(٦) ومثل ذلك سائر الأنبياء والمرسلين عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم، الذين كانوا قدوة في الأدب والهدؤ والثقة وحسن الإستماع، واللين والسماحة والرفق والبشاشة، حتى مع المخالفين لهم، وهذا رسول الله ﷺ يأتيه المنافقون - اعداء الله (فيجدون منه ﷺ - أدبا رفيعا في الإستماع إلى الناس باقبال وسماحة، ويعاملهم بظاهرهم حسب اصول الشريعة ، ويهش لهم

---

١ - نوح:٧

٢ - الأعراف:٦٠

٣ - هود:٢٧

٤ - الأعراف:٦١

٥ - الأعراف:٦٦

٦ - الأعراف:٦٧

ويفسح لهم من صدره، فيسمون هذا الأدب العظيم بغير اسمه، ويصفونه بغير حقيقته، ويقولون عن النبي ﷺ ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ أي: سماع لكل قول، فيرد الله عليهم ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾(١) فهو يستمع اليكم في أدب ولا يجبهكم بنفاقكم، ولا يرميكم بخداعكم، ولايأخذكم بريائكم (٢).

والخلاصة: أنه ينبغي أن يسود الحوار هدؤ وطمأنينة، وضبط للأعصاب، وبعد عن الإنفعالات، (وعلى المحاور الحكيم أن يراقب نفسه، بنفس الدرجة من اليقظة والإنتباه التي يراقب فيها الآخرين، وليتذكر دائما أنه بالقدر الذي يظهر فيه مسيطرا على نوازعه ولسانه وصوته وطريقته في الأداء، يفوز باحترام الآخرين، كما عليه إذا وجد خللا في شيء من ذلك أن يعدل طريقته فورا، ويعتذر عن إساءته، ولا يستسلم لعاطفته أو لهواه فيتمادى في خطائه وهذا من ألزم ما يلزمه كرجل ينشد الحق، ويبحث عن الصواب، ويريد الهداية للآخرين)(٣)

---

١ - التوبة:٦١

٢ - انظر الظلال(٣/-١٦٧٠-١٦٧١)

٣ - اصول الحوار ص٢٨

المبحث الحادي عشر : احترام الطرف الآخر

على المحاور أن يحترم الأطراف الأخرى التى يحاورها، مسلمة كانت أو غير مسلمة، ويمنحها حقها المتوجب لها من التقدير والتوقير، فنحن مأمورون أن ننزل الناس منازلهم، دون تملق أو نفاق أو كذب أو نحوه، فهذا يجعلنا أقدر على الإقناع، ويجعل فرصة استماع الآخرين لنا أفضل(١).

فلابد من التأدب مع الخصم وحفظ اللسان عما يسوءه من الألفاظ، وأن يثنى عليه بما فيه وفكرته من الإيجابيات والخير الكثير(٢)، وأن يتجنب الإستهزاء به والسخرية منه(٣)، وكل ما يشعر باحتقار المناظر وازدرائه لصاحبه، أو وسمه بالجهل أو قلة الفهم، كالتبسم والضحك والغمز والهمز واللمز(٤)، وأن يتجنب كلام السفهاء، فإنه من وظائف الجهال يسترون بها جهلهم(٥)

قد تسبب كلمة طائشة أو تعبير قاس محقر، حقدا عميقا، بينما تخفف اللهجة المهذبة من قسوة الملاحظة وتجعلها مقبولة، والمحاور العاقل يحترم محاوره، حتى لو لم يكن راضيا عنه، إذ من المستحيل أن يكون الخصم مثاليا، كما أن إطلاق الشتائم لاتشرف من يطلقها، بل تخفض قيمته، وتقلل احترام الآخرين له، وتفتح في النفوس جرحا لا يندمل(٦)

ولعل فيما تقدم من ثنايا البحث أمثلة عديدة على هذا الأدب الجميل، فأول من اتصف به الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه - وها هي قصصهم ومحاوراتهم في القرآن والسنة، ولم يحفظ على أحد منهم كلمة قبيحة أورد سفيه سيء، أو عبارة تحمل شتيمة أو غمز أو همز أو لمز، كل ذلك رغم ما وجدوه وعانوه من

---

١ - ملخصا عن اصول الحوار ص٣٩

٢ - رسالة «قل انما اعظكم بواحدة» ص٤٧ بتصرف يسير

٣ - آداب البحث للشنقيطي :(٧٦/٢) بتصرف يسير

٤ - أصول المعرفة للميداني ص٣٨٢

٥ - أدب الحوار لجريشة ص٧٠

٦ - لمحات في فن القيادة ص٨٤-٨٧

اقوامهم من اتهام لنواياهم والطعن في اعراضهم أو أخلاقهم أو عقولهم، فما زادهم ذلك إلا حلما وصبرا ، وثباتا ويقينا، فأي إحترام للكائن البشري فوق هذا التقدير والأدب والإحترام، ولا حاجة لإعادة نفس القصص والآيات التى تقدمت فيما يتعلق بالكلمة الطيبة وخلق الصبر والحلم، أو حسن الإستماع أو نحوها، وإنما المقصود الإشارة إلى هذا الخلق النبيل، وبيان اتصاف الأنبياء به، وعلى رأسهم نبينا محمد ﷺ الرفيق الحليم، الذي ما كان يزيده جهل الجاهل إلا حلما، فيأتيه أعرابي ويجبذه من ردائه ويغلظ له في القول، فيبتسم في وجهه ويعطيه ما يرضيه، بل يعرض له اليهود ويسبونه بقولهم (السام عليكم) كناية عن الموت والهلاك فلا يزيد على أن يقول: وعليكم ولما تجاوزت عائشة هذه الكلمات عاتبها، ثم هو يستمع بأدب واحترام لعتبة بن ربيعة ولأحبار اليهود وسفهاء المشركين وغيرهم (١)

ولئن كانت هذه أخلاق النبوة، فأتباع الأنبياء من العلماء والمحدثين والفقهاء هم أولى الناس بتمثل هذه الآداب فقد كان التوقير والإحترام بينهم مشاعا، لا في وجوه بعضهم البعض فحسب، بل حتى في حال غياب الأقران عن بعضهم.

ومن صور هذا التقدير والإحترام : ما أشار إليه الحافظ في الفتح نقلا عن القرطبي في بيان الفوائد من الحوار الذي دار بين أبي بكر وعلي في مسألة الميراث، حيث قال : (من تأمل ما دار بين أبي بكر وعلي من المعاتبة والإعتذار، وما تضمن ذلك من الإنصاف عرف أن بعضهم كان يعترف بفضل الآخر، وأن قلوبهم كانت متفقة على الاحترام والمحبة)(٢) ومنها أن البراء بن مالك رضي الله عنه سئل عن مسئلة فقال للسائل : سل زيد بن أرقم، فإنه خير مني وأعلم(٣)

---

١ - تقدم ذكر هذه الأمثلة في عدة مباحث منها «الصبر» ،«حسن الإستماع» وغيرهما
٢ - الفتح: ٤٩٥/٧
٣ - انظر سير اعلام النبلاء (١٦٧/٣)

- ومنها أن أبا برزة الأسلمي كان يلبس الصوف، فقيل له : إن أخاك عائذ بن عمرو يلبس الخز، قال : ويحك! ومن مثل عائذ !؟ فانصرف الرجل، فأخبر عائذا، فقال : ومن مثل أبي برزة ؟

قال الذهبي :(قلت هكذا كان العلماء يوقرون أقرانهم)(١)

وعن عبدالرحمن بن زيد بن اسلم قال : كان يحيى بن سعيد يجالس ربيعة [الرأي]، فإذا غاب ربيعة، حدثهم يحيى أحسن الحديث، وكان كثير الحديث فاذا حضر ربيعة كف يحيى إجلالا لربيعة، وليس ربيعة أسن منه، وهو فيما هو فيه، وكان كل واحد منهما مبجلا لصاحبه(٢).

فلابد إذا من تقدير مخلص للخصم، وإظهار اهتمام بالآخرين، واحترام وتوقير وتقدير، وحتى في حالة الظهور والإنتصار فإنه ينبغي للمحاور أن يدع الطرف ألاخر يحتفظ بماء وجهه، فإنما المقصود بيان الحق وإزهاق الباطل، لاتعيير الأشخاص أو إحراجهم وإذلالهم.

---

١ - سير اعلام النبلاء(٣/٤٢)

٢ - نفس المصدر(٦/٩٢)

المبحث الثاني عشر : الجرأة والغضب لنصرة الحق

تقدم أنه ينبغي للمحاور أن يكون رفيقا حليما، هينا لينا، يتسم بالصبر وعدم الغضب أو الإنفعال لكن قد يواجه أحيانامواقف يستلزم فيها الغضب ولكن لنصرة الحق، وتستدعي منه قوة في الحق وصلابة وجرأة على مواجهة الخصوم وصراحة لايخاف صاحبها في الله لومة لائم.

فعندما يعتدى على أصل من اصول الدين، أو يطعن في شيء من معالمه، أو ينال من حملته من الأنبياء أو الصحابة أو العلماء السائرين على نهجهم، أو عندما تتعمد مخالفة الحق بعد العلم به، أو نحوا من هذه الحالات، فإنه يجدر بالمحاور عندئذ أن يتجرأ في نصرة الحق، ويغضب لانتهاك محارم الله، وعليه أن يصبر بعد ذلك ويتحمل نتيجة تلك الجرأة والقوة، فقد يؤذى بسببها أو يبتلى ولكن له سلف في الأنبياء والأتقياء والصلحاء والعلماء، وقد تقدم قول عائشة عن النبي ﷺ : «فإن انتهكت حرمة الله كان أشد الناس غضبا لله»(١)

وامثلة هذا النوع متعددة اذكر منها على سبيل المثال :

غضبه ﷺ حين طعن في أمانته وعدله، وذلك حين قسم غنائم حنين، فجاء رجل فقال: يامحمد اعدل. فقال ﷺ :«ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل؟ لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل». وفي رواية أن الرجل قال : اتق الله يامحمد! فقال النبي ﷺ:«فمن يطع الله إن عصيته! يأمنني على أهل الأرض ولاتأمنوني»(٢) الحديث.

ولما بلغه ﷺ عن أبي ذر أنه سب رجلا فعيره بأمه، قال له النبي ﷺ «يا أباذر، أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية»(٣)

ففي هذين الموقفين غضب لنصرة الحق وجرأة لقوله.

وأمام تحجر قوم إبرهيم عليه السلام لم يملك نفسه - وهو الأواه الحليم - إلا أن يهزهم بعنف، ويعلن عداوته لهم ولاصنامهم وعقيدتهم الفاسدة(٤)،

---

١ - تقدم في مبحث «الصبر» ص١٦٠

٢ - تقدم في مبحث الصبر

٣ - اخرجه البخاري«الإيمان» ٣٠، مسلم الإيمان(١٢٨٢/٣) رقم٣٨، احمد ١٦١/٥

٤ - انظر الظلال(٢٦٠٢/٥)

فهو يقول لهم تارة ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَاكُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الأَقْدَمُونَ۔فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِيَ إِلاَّ رَبَّ العَالَمِينَ﴾(١) وتارة يقول ﴿إِنَّا بُرَآؤُامِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ العَدَاوَةُ والبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّىٰ تُؤمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾(٢)

ويمكن أن يكون من هذا الباب جرأة مريم البتول، حين اخبرها الرسول بما يخدش سمع الفتاة الخجول، وهو أنه يريد أن يهب لها غلاما، وهي امرأة عذراء، فتدركها شجاعة الأنثى المهددة في عرضها، وجرأة وصراحة من كان في مثل موقفها، فالحياء هنا والسكوت لايجدي، والصراحة أولى(٣)، فتقول ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً﴾(٤).

ومن هذا الباب أيضا غضب ابن عمر رضي الله عنه نصرة لسنة النبي ﷺ فقد حدث بما سمعه عن النبي ﷺ أنه قال« لاتمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها» فقال رجل: والله لنمنعهن. فأقبل عليه ابن عمر: فسبه سبا سيئا، وقال : أخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول: والله لنمنعهن(٥)

ومن ذلك جرأة ابي سعيد الخدري رضي الله عنه مع مروان ابن الحكم في صلاة العيد، حيث كان مروان يجره نحو المنبر ليبدأ بالخطبة، وكان هو يجره نحو الصلاة، فلما رأى ذلك قال رضي الله عنه : أين الإبتداء بالصلاة؟ فقال مروان يا أباسعيد قد ترك ماتعلم . فقال : كلا والذي نفسي بيده ! لاتأتون بخير مما أعلم (ثلاث مرات ثم انصرف)(٦).

وفي الترمذي في باب اشعار البدن، أن وكيعا قال لرجل ممن ينظر في الرأي : أشعر رسول الله ﷺ ويقول أبو حنيفة : هو مثلة ؟ فقال الرجل : فإنه روي عن إبراهيم النخعي أنه قال :الإشعار مثلة. فغضب وكيع غضبا شديدا وقال : أقول لك : قال رسول الله ﷺ وتقول : قال إبراهيم ؟ ما أحقك بأن تحبس، ثم لاتخرج حتى تنزع عن قولك هذا(٧)

---

١ - الشعراء:٧٥-٧٧
٢ - الممتحنة:٤
٣ - الظلال:(٢٣٠٦/٤) بتصرف
٤ - مريم:٢٠
٥ - أخرجه مسلم: الصلاة (٣٢٧/١) رقم١٣٥، أبو داود: الصلاة (١٥٢/١) رقم٥٦٨، ابن ماجة: المقدمة(٨/١) رقم١٦، احمد(٤٣/٢)
٦ - أخرجه مسلم العيدين (٦٠٥/٢) رقم٩
٧ - سنن الترمذي:٩١٤ باب الحج

ومن ذلك ايضا مابوب به الإمام البخاري بقوله :«باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى مايكره»(١)، وذكر فيه حديث الرجل الذي قال: يارسول الله لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان، فما رؤي النبي ﷺ في موعظة أشد غضبا من يومئذ فقال :«أيها الناس إنكم منفرون، فمن صلى بالناس فليخفف فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة»(٢)٠

ومنه حديث الرجل الذي سأل عن اللقطة فقال : أعرف وكاءها أو قال : وعاءها وعفاصها، ثم عرفها سنة ثم استمتع بها، فإن جاء ربها فأدها اليه» قال : فضالة الإبل؟ فغضب حتى أحمرت وجنتاه - أو قال: احمر وجهه - فقال : «ومالك ولها» ؟٠٠٠ الحديث»(٣)٠ ولعل السبب في غضبه في الحديثين لأنه كان نهى قبل ذلك عن تطويل الصلاة وعن التقاط ضالة الإبل، وقيل في الثاني لأن السائل قصر في فهمه، فقاس مايتعين التقاطه على مالا يتعين(٤)٠

وحديث أن النبي ﷺ سئل عن اشياء كرهها، فلما أكثر عليه غضب٠٠فلما رأى عمر ما في وجهه قال يارسول الله إنا نتوب إلى الله عز وجل (٥)٠

وقد ذكر الحافظ رحمه الله بعد هذه الأحاديث أن الواعظ من شأنه أن يكون في صورة الغضبان لأن مقامه يقتضي تكلف الإنزعاج لأنه في صورة منذر، وكذا المعلم اذا أنكر على من يتعلم منه سوء فهم ونحوه، لأنه قد يكون أدعى للقبول منه، وليس ذلك لازما في حق كل أحد بل يختلف باختلاف أحوال المتعلمين(٦)٠

---

١ - انظر الفتح (١/١٨٦)

٢ - اخرجه البخاري : العلم رقم٩٠، مسلم الصلاة(١/٣٤٠) رقم١٨٢، الترمذي: الصلاة (١/٤٦١) رقم٢٣٦، النسائي: الامامة(٢/٩٤) رقم٨٢٣، أحمد(٤/١١٨)

٣ - أخرجه البخاري : العلم رقم ٩١، مسلم اللقطة (٣/١٣٤٦) رقم١، الترمذي الأحكام (٣/٦٤٦) رقم١٣٧٢، احمد (٤/١٦٦)

٤ - انظر الفتح (١/١٨٧)

٥ - أخرجه البخاري: العلم رقم٩٢(باب الغضب في الموعظة والتعليم اذا رأى مايكرهه)

٦ - انظر الفتح (١/١٨٧)

ومن المواضع التي غضب فيها رسول الله ﷺ ، حين قال اليهودي : لا، والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر، فلطمه الأنصاري، فلما اشتكى إلى النبي عليه السلام غضب رسول الله ﷺ حتى عرف الغضب في وجهه، ثم قال : «لاتفضلوا بين أنبياء الله .. الحديث»(١)

ومن المواطن التي غضب فيهارسول الله ﷺ لما سترت عائشة رضي الله عنها سهوة لها بقرام فيه تماثيل: فلما قدم فرآه عرفت الكراهية في وجهه، فهتكه وتلون وجهه وقال : « ياعائشة أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله»(٢). وكذا غضبه عليه السلام حين كلمه أسامة ابن زيد رضي الله عنه في أمر المرأة المخزومية التي سرقت، فقال ﷺ : « أتشفغ في حد من حدود الله؟ ثم قام فخطب فقال : يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها»(٣).

وغير ذلك من النماذج والحالات التي يشرع فيها الغضب، ويستحسن فيها الحزم، ولذلك قال الزمخشرى بعد كلامه عن الصبر والعفو : [ثم الأمر قد ينعكس في بعض الأحوال، فيرجع ترك العفو مندوبا إليه، وذلك إذا احتيج إلى كف زيادة البغي وقطع مادة الأذى، وعن النبي ﷺ مايدل عليه : وهو أن زينب اسمعت عائشة بحضرته وكان ينهاها فلا تنتهي، فقال لعائشة : دونك فانتصري»(٤)](٥)

إلى غير ذلك من أمثلة هذا وشواهده، وقد تبين من خلال ذلك أن الجرأة في الحق، والغضب متى انتهكت المحارم أو اعتدي على الشريعة، مطلب لايتنافي مع آداب الحوار التي تقدمت، بل لكل موقف ما يناسبه من الحقوق والآداب.

---

١ - أخرجه البخاري: الأنبياء رقم٣٤١٤، مسلم الفضائل (١٨٤٣/٤) رقم١٥٩

٢ - أخرجه البخاري اللباس رقم٥٩٥٤، مسلم اللباس (١٦٦٦/٣) رقم٨٧

٣ - أخرجه البخاري:٦٧٨٨ كتاب الحدود، مسلم: الحدود٨، الترمذي الحدود (٣٧/٤) رقم١٤٣، النسائي: قطع السارق (٧٣/٨) رقم٤٨٩٨، ابن ماجه (٨٥١/٢) رقم٢٥٤٧

٤ - الحديث أخرجه ابن ماجة: النكاح (٦٣٧/١) رقم١٩٨١، احمد (٩٣/٦) (وقال البوصيري في مصباح الزجاجة: هذا اسناد صحيح على شرط مسلم (١١٨/١)

٥ - انظر الكشاف: (٤٧٣/٣)

الباب الثالث

«آداب الحوار العلمية»

الباب الثالث : آداب الحوار العلمية

وأعني بها الآداب التي تتعلق بمادة الحوار الأصلية، وموضوعاته الأساسية، والضوابط والأصول العلمية، من حيث إيراد المعلومات وترتيبها وتقريرها أوردها، وما يتعلق بذلك من أسس يجب اتباعها أو محاذير يجب اجتنابها حتى ينضبط الحوار ويحقق نتيجته.

وأجمل ذكر هذه الآداب أولا ثم أبدأ في تفصيلها على الترتيب:

١ - العلم .

٢ - البدء بالنقاط المشتركة وتحديد مواضع الإتفاق .

٣ - التدرج والبدء بالأهم .

٤ - الدليل .

٥ - الوضوح والبيان.

٦ - الصدق والأمانة.

٧ - التثبت.

٨ - الرد على الشبه بما يناسبها.

٩ - ضرب الأمثلة.

١٠ - العدول عن الإجابة باستخدام المعاريض وأسلوب الحكيم.

١١ - تأكيد القضية وتقريرها .

١٢ - الرجوع إلى الحق والتسليم بالخطأ .

١٣ - الإحتمالات .

١٤ - التحدي والإفحام وإقامة الحجة على الخصم.

وسأجعل كل أدب منها مبحثا مستقلا، على ما تقدم في الباب السابق، والله الموفق.

المبحث الأول :العلم(١)

مما لاشك فيه أن العلم شرط أساسي لنجاح الحوار وتحقيق غايته، وبدونه لاينجح حوار ولا تستقيم مناظرة، بل يكن الضرر أكبر من النفع، ويهدر الوقت ويضيع الجهد بلا ثمرة تذكر.

والعلم المقصود هنا والذي يشترط في المحاور، ليس مطلق العلم بتفاصيل الأمور وأنواع العلوم ومختلف الفنون، كلا، بل هو العلم المتعلق بموضوع الحوار والذي لايتم إلا به، والذي الجهل به يطعن في أهلية المحاور ويضعف الحوار أو يهوي به في هاوية من الجهل والتخبط.

ومن أنواع العلم المطلوب توفرها فيمن يحاور في أي قضية ما يلي :

١ - العلم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وجمع النصوص منهما في القضية المطروحة للنقاش والمسألة التي حولها الخلاف، إذ لايمكن أن يستقيم حوار في قضية جاءت فيها النصوص ودلت عليها الأدلة - بدون أن تعلم وتجمع هذه النصوص، فقد يكون الحوار - بدون علم - في قضية محسومة وفي حكم منتهي بنص صريح في الكتاب والسنة، ولا مجال للنقاش أو الجدال فيها أصلا، بل عندها يكون الحوار باطلا من أصله. لكن إن كان الحوار فيموضوع ليس فيه نص قاطع، بل هو محل للإجتهاد ويقبل الخلاف فيه، فعندئذ لابد من العلم بأصول الإجتهاد وضوابط الإستنباط والقواعد التي يبنى عليها الإجتهاد والخلاف، حتى يتوصل بها إلى الحكم الصحيح والرأي الراجح.

٢ - العلم بما ينقض الرأي المخالف للصواب، ومعرفة الردود والأجوبة القوية التي يمكن أن تواجه بها الشبهات والإعتراضات التي يثيرها الخصم، ولايكفي في الحوار - الذي يقصد به اقناع الطرف الآخر برأي معين أو قطع حجته والقضاء على شبهاته، وارجاعه الى الحق - لايكفى فيه مجرد معرفة أدلة الرأي الراجح دون معرفة الجواب على أدلة الرأي المرجوح أو المعارض، وبدون العلم بالرد الواضح والجواب البين على الرأي المخالف، فقد يتعرض المحاور إلى الشك فيما عنده أو التردد والتراجع عن شيء من الحق، أو قد تتعرض أدلته إلى الإحتمال وتطرأ عليها الشبه فيسقط الإستدلال بها أو يضعف

---

١ - تقدم شيء من الكلام عن العلم في ذكر شروط المحاور كما في الباب الأول.

ولاينتهي الحوار إلى غايته المطلوبة ونتيجته المرجوة.

٣ - العلم بالطرف الآخر من حيث منزلته ومقدار علمه ومعرفة ظروفه وأحواله، فلابد من (أن يكون المتحاوران متقاربين - ما أمكن - في العلم والجاه، وأن يجتنب ذا هيبة يخشى أو يستحي من مناظرنه لأن ذلك يؤثر على قوة الحجة والجرأة على الإدلاء بها)(١).

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله في ذكر آداب المتناظرين : (ومنها أن يتجنب المناظرة مع من هو أهل المهابة العظيمة والإحترام العظيم، كيلا تدهشه وتذهله جلالة خصمه عن القيام بحجته كما ينبغي. ومنها ألا يحتسب خصمه حقيرا قليل الشأن لأن ذلك يؤديه إلى عدم الجد والإجتهاد في القيام بحجته فيكون ذلك سببا لغلبة الخصم الضعيف له، وغلبة القرن الحقير أشنع من غلبة القرن العظيم كما قال الشاعر :

ولو أني بليت بهاشمي خئولته بنو عبد المدان

لهان علي ما ألقى ولكن تعالوا فانظروا بمن ابتلاني

وعن حاتم الطائي لما لطمته عجوز قبيحة قال : لو ذات سوار لطمتني)(٢)

فلابد من العلم التام والمعرفة الصحيحة بالخصم المقابل وقدره ومدى قوته أو ضعفه، ولايكفي مجرد الظن في ذلك، إذ قد يظن خصمه حقيرا ضعيفا قليل الشأن، فهذا يقلل من اهتمامه، فيمكن خصمه الضعيف منه، وربما مع ذلك أن يتسلل إلى النفس شيء من العلو والغرور والتفاخر الذي يتنافى مع أدب الحوار، بل مع أخلاق الإسلام وتعاليمه، ولعل من هذا الباب ما جاء في قول النبي ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن : «إنك ستأتي قوما أهل كتاب....»(٣) فبين له حقيقة خصمه.

---

١ - انظر رسالة «قل انما أعظكم بواحدة» ص٤٦ وانظر أصول المعرفة والإستدلال ص٣٨٢

٢ - آداب البحث والماظرة للشنقيطي (٢/٧٦)

٣ - أخرجه البخاري١٤٩٦ الزكاة، مسلم الإيمان (١/٥١) رقم٣١

قال ابن حجر رحمه الله : (هي كالتوطئة للوصية لتستجمع همته عليها لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة، فلا يكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجهال من عبدة الأوثان)(١)٠

وقد يظن المحاور خصمه أقوى منه بكثير، فعندها يتخاذل ويضعف عن تقديم حجته على الوجه المطلوب(٢)

كما أنه لابد من معرفة ظروف الطرف الآخر النفسية والجسدية وغيرها، ويراعي الجو المناسب للحوار - على ما تقدم في الباب السابق(٣) - ويبتعد عن الأحوال التي قد يكون الخصم فيها قلقا أو مضطربا أو منفعلا، إذ لافائدة من الحوار في مثل هذه الظروف٠

٤ - العلم بآداب الحوار والبحث والمناظرة، ومراعاة هذه الآداب والحرص على تطبيقها، والسعي في التأدب بها على القدر المستطاع، إذ هي وسائل إلى نجاح الحوار، وطريق إلى استمراره بصورة متزنة صحيحة، دون أن يعصف به شيء مما يعكر جو الحوار أو يقطعه أو ينتهي به إلى غير فائدة ولا نتيجة، لذا كان من الضروري على المحاور أن يتعلم هذه الآداب ويحيط بها قبل الدخول في الحوار، وأن يراقب نفسه ويلاحظها في العمل بها٠

ولما كان العلم هو الوسيلة الأساسية للوصول إلى الحق، وللتفكير السليم وإقامة الحجج والبراهين على هذا الحق، جاءت النصوص الكثيرة في الأمر به والحث عليه وبيان منزلة أهله وفضلهم، والإنكار على من لايعلم، وارجاع الأمور إلى الحكيم العليم، ونحو ذلك حتى تكررت مادة (علم) في القرآن ما يقارب «سبعمائة وسبع وعشرين» مرة(٤)، ولاشك أن هذا العدد الهائل يدل على أهمية القضية ومكانتها في الشرع٠

---

١ - الفتح (٣٥٨/٣)

٢ - انظر أصول المعرفة والإستدلال ص٣٨٢ بتصرف

٣ - انظر مبحث «تهيئة الجو المناسب» من الباب السابق

٤ - انظر العجم المفهرس لالفاظ القرآن :٤٦٩-٤٨٠

ومن هذه النصوص قوله تعالى :﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِيْ الَّذِيْنَ يَعْلَمُوْنَ وَالَّذِيْنَ لَايَعْلَمُوْنَ﴾(١) والمعنى : لايستوون(٢)

وقوله سبحانه :﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾(٣)

كما وصف سبحا نه العلماء بالخشية وبالفهم والمعرفة والعقل حيث قال :﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾(٤)

وقال ايضا :﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾(٥) أي وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتضلعون منه(٦)

والأحاديث في أمر العلم كثيرة جدا ويكفي في ذلك قول النبي ﷺ «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»(٧).

قال الحافظ في شرحه : (ومفهوم الحديث أن من لم يتفقه في الدين - أي يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع - فقد حرم الخير...، وفي ذلك بيان ظاهر لفضل العلماء على سائر الناس، ولفضل التفقه في الدين على سائر العلوم)(٨). ومنها الحديث العظيم الذي يقول فيه النبي ﷺ : «من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر

---

١ - الزمر :٩

٢ - انظر الطبري(٢٣/٢٠٣)

٣ - المجادلة :١١

٤ - فاطر :٢٨

٥ - العنكبوت :٤٣

٦ - ابن كثير :(٣/ ٤١٤)

٧ - أخرجه البخاري: العلم:٧١، مسلم: الزكاة (٢/٧١٨) رقم٩٨، الترمذي : العلم (٥/٢٨) رقم٢٦٤٥، ابن ماجة (١/٨) رقم٢٢٠، أحمد(١/٣٠٦)

٨ - الفتح :(١/١٦٥)

على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر»(١).

والنصوص كثيرة معلومة، ومما يهمنا منها ما جاء في الإنكار على من يجادل ويناظر ويحاور بغير علم ولاهدى ولا بصيرة،كما قال تعالى في الإنكار على أهل الكتاب في محاجتهم بالباطل وبدون علم:﴿هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَاتَعْلَمُونَ﴾(٢)

قال القرطبي رحمه الله : (في الآية دليل على المنع من الجدال لمن لاعلم له، والحظر على من لاتحقيق عنده... وقد ورد الأمر بالجدال لمن علم وأيقن فقال تعالى :﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٣)(٤).

ففي الآية انكار على كل من يحاج فيما لاعلم له به(٥)، وفيها دليل على أنه لايحل للإنسان أن يقول أو يجادل فيما لاعلم له به(٦). ومثله الإنكار لذلك في قوله تعالى :﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَاهُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾(٧)

ولذلك نهى سبحانه عن أن يتبع المسلم مالا علم له به، وأن يتدخل فيما لايعنيه ولايحسنه كما قال تعالى :﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾(٨) كما أنكر سبحانه وتعالى على الذين ادعوا أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى فقال لهم تعالى :﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾(٩)

---

١ - أخرجه البخاري : العلم باب ١٠ معلقا، ابوداود: العلم(٣/٣١٦) رقم٣٦٤١، الترمذي: العلم(٥/٤٨) رقم٢٦٨٢، ابن ماجة المقدمة (١/٨١) رقم٢٢٣

٢ - آل عمران:٦٦

٣ - النحل:١٢٥

٤ - الجامع لأحكام القرآن (٤/٧٠)

٥ - انظر ابن كثير(١/٣٨٢)

٦ - انظر تفسير السعدي(١/٢٥١)

٧ - الحج:٨

٨ - الإسراء:٣٦

٩ - البقرة:١٤٠

وأنكر عز وجل على من تقول بغير علم وادعى أن له ولدا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، فقال تعالى :﴿قَالُواْ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَ تَقُولُونَ عَلَىٰ اللَّهِ مَالاَ تَعْلَمُونَ﴾(١)٠

فمن خلال ذلك تبين أهمية العلم بالنسبة للمحاور وغيره، وأنه يجب على المحاور خاصة ألا يجادل أو يحاور في موضوع لايعرفه جيدا، ولايدافع عن فكرة لم يقتنع بها تماما، فإنه بذلك يسيء إلى الفكرة والقضية التي يدافع عنها، ويعرض نفسه للإحراج وعدم التقدير والإحترام(٢)، بل إذا علم من نفسه عدم الأهليه للحوار وقلة العلم بموضوعه فعليه ألا يدخل فيه أصلا.

لذلك على المحاور أن يتأكد من قدرته على خوض غمار الحوار والدخول في النقاش، وعليه أن يعد مادته إعدادا متقنا دقيقا، وعندها تسهل مهمته في الحوار ويصل إلى غايته باسرع طريق٠

وإذا كان المحاور على ثقة ويقين من علمه واخلاصه، ورأى أن في إظهار علمه والتصريح بأنه أعلم من خصمه، مصلحة ظاهرة فلا بأس بذلك، فإن له أسوة في هذا الأمر كما تبينه النماذج التالية:

قول نوح عليه السلام لقومه :﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَالاَ تَعْلَمُونَ﴾(٣)٠ وقول إبراهيم لأبيه :﴿يَاأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَالَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِيَ أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِياً﴾(٤)

---

١ - يونس:٦٨

٢ - انظر أصول الحوار ص٢٣

٣ - الاعراف:٦٢

٤ - مريم:٤٣

فهو العلم الذي جاءه من الله فهداه، ولو أنه أصغر من أبيه سنا وأقل تجربة، ولكن هذا المدد من الله، وذلك العلم من العليم الحكيم، فتح له باب الرحمة والهداية، وجعله أهلا لأن يتبع فيهدي -بإذنه - إلى صراط مستقيم(١)٠

ومثله قول شعيب ومن قبله نوح وصالح عليهم السلام﴿قَالَ يَاقَومِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّيْ﴾(٢)

فهو يشعرهم بأنه على بينة من الله، وأنه على ثقة مما يقول لأنه أوتي من العلم مالم يؤتوا، فهو يصدر عن هذه البينة واثقا مستيقنا(٣)

وهناك عدة أمثلة أيضا في قصة يوسف عليه السلام فمنها قول يعقوب لبنيه :﴿إِنَّمَا أَشْكُواْ بَثِّيْ وَحُزْنِيَ إِلَىٰ اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَالَا تَعْلَمُوْنَ﴾(٤)، وقول يوسف للملك :﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيْظٌ عَلِيْمٌ﴾(٥) فهو يذكر من صفاته - الحفظ والعلم - ما تحتاج اليه المهمة التي تواجهه، والتي يرى أنه أقدر عليها وامكن(٦)٠

واذا تقررت هذه القضية فلا عجب أن يقول الهدهد لسليمان عليه السلام:﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَإٍ يَقِيْنٍ﴾(٧) فهو يبدأ بهذه المقدمة اللطيفة والمفاجأة، ليضمن إصغاء الملك له، وعفوه عنه(٨)٠

ومن أمثلة في السنة ما جاء في قصة الخضر وقوله لموسى - عليهما السلام -(يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لاتعلمه أنت، وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه)(٩)٠

---

١ - انظر الظلال (٢٣١١/٤) وابن كثير(١٢٣/٣)

٢ - هود:٨٨

٣ - انظر الظلال:(١٩٢٠/٤)

٤ - يوسف:٨٦

٥ - يوسف:٥٥

٦ - انظر الظلال (٢٠٠٥/٤)

٧ - النمل:٢٢

٨ - انظر الظلال (٢٦٣٨/٥)

٩ - أخرجه البخاري: العلم:(١٢٢)، مسلم: الفضائل(١٨٤٧/٤) رقم١٧٠، الترمذي: التفسير(٣٠٩/٥) رقم٣١٤٩، أحمد (١١٨/٥)

ومثله ما أخرجه البخاري عن أبي حازم قال : (سألوا سهل بن سعد من أي شيء المنبر ؟ فقال:ما بقي في الناس أعلم مني، هو من أثل الغابة، عمله فلان مولى فلانة لرسول الله ﷺ)(١)

فمن خلال الأمثلة يتبين أنه يمكن للمحاور أن يظهر علمه بتلك الصورة، شريطة ألا يؤدي ذلك إلى الكبر والغرور ونحوهما، فإن هذه الأمراض القلبية تنافي الإخلاص ولا تستقيم مع العلم.

ولا ينبغي للمحاور ولا لغيره أن يجمع المعلومات أو يحشد الأدلة لمجرد تقوية رأيه، ولكن ينبغي أن يكون العلم الذي يستعمله في الحوار والنصوص التي يستخدمها، لمعرفة الحق والوصول إليه فقط، ومن أقوال وكيع بن الجراح - رحمه الله - :(من طلب الحديث كما جاء فهو صاحب سنة، ومن طلبه ليقوي به رأيه، فهو صاحب بدعة)(٢).

ويروى عن الشافعي رحمه الله - في بيان ضرورة العلم للحوار والمناظرة قوله : (ما ناظرت عالما إلا غلبته، ولا ناظرت جاهلاً إلا غلبني).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في التأكيد على ضرورة العلم لمن يتصدى للحوار والمناظرات ما نصه : (وقد ينهون عن المجادلة والمناظرة، اذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجة وجواب الشبهة، فيخاف عليه أن يفسده ذلك المضل، كما ينهى الضعيف في المقاتلة أن يقاتل علجا قويا من علوج الكفار، فإن ذلك يضره ويضر المسلمين بلا منفعة. وقد ينهى عنها إذا كان المناظر معاندا يظهر له الحق فلا يقبله - وهو السوفسطائي - فإن الأمم كلهم متفقون على أن المناظرة إذا انتهت إلى مقدمات بينة بنفسها ضرورية وجحدها الخصم كان سوفسطائيا، ولم يؤمر بمناظرته بعد ذلك، بل إن كان فاسد العقل داووه، وإن كان عاجزا عن معرفة الحق - ولا مضرة فيه - تركوه، وإن كان مستحقا للعقاب عاقبوه مع القدرة: إما بالتعزير وإما بالقتل، وغالب الخلق لاينقادون للحق إلا بالقهر.

---

١ - أخرجه البخاري:الصلاة٣٧٧، أحمد (٥/٣٣٠)

٢ - سير أعلام النبلاء (٩/١٤٤)

والمقصود أنهم نهوا عن المناظرة من لايقوم بواجبها، أو مع من لايكون في مناظرته مصلحة راجحة، أو فيها مفسدة راجحة فهذه أمور عارضة تختلف باختلاف الأحوال. وأما جنس المناظرة بالحق فقد تكون واجبة تارة ومستحبة أخرى. وفي الجملة جنس المناظرة والمجادلة فيها محمود ومذموم، ومفسدة ومصلحة، وحق وباطل(١)هـ

(فلابد أن تنعقد العزائم على بلوغ أقصى المراتب في التحصيل العلمي، ولاشك أن أولي النهى يعلمون أن قلة العلم قد جرأت رجالا كثيرين على المراء الذي ينشيء الخلاف العقيم انشاءا، ويؤجج نيرانه تأجيجا)(٢)

وحيث إن هذا الأدب - العلم من أهم الآداب، بل هو شرط أساسي للحوار، فما سيأتي من مباحث في هذا الباب تتعلق به، وبعضها توضيح له وفرع عنه، وزيادة بيان لأهميته، ولذلك فلا يحتاج إلى الإطالة في هذا المبحث حيث سيتم بما بعده إن شاء الله.

---

١ - درء تعارض العقل والنقل:(٧/١٧٣-١٧٤)

٢ - مجلة الفيصل:العدد١٨٨ ص٢٢ ملف العدد«الحوار» والكلام للدكتور عبدالله التركي.

المبحث الثاني : البدء بالنقاط المشتركة وتحديد مواضع الإتفاق

لاشك أن بين كل اثنين مختلفين حدا مشتركا من النقاط المتفق عليها بينهما والتي يسلم بها الطرفان، والمحاور الذكي الناجح هو الذي يستطيع أن يبرز أكثر قدر ممكن من مواطن الإتفاق.إذ إن البدء بالأمور المتفق عليها كالمسلمات والبدهيات - يقلل الفجوة، ويوثق الصلة بين الطرفين، ويشعر كلا منهما أن هوة الخلاف ضيقة، وهذا له أثره الايجابي، ومردوده النفسي في الحوار

وعلى الخلاف منه فيما لوكان البدء بنقاط الخلاف، أو بمواضع النزاع فإن فجوة الخلاف تتسع، وتقل فرص التلاقي، كما أنه يغير القلوب ويكدر الخواطر، ويثير النفوس للتنافس في الغلبة ورد أقوال المحاور بدون النظر إلى صحة الفكرة، ونسيان الهدف الذي من أجله وجد الحوار.

إن المحاور الذي يبدأ بتقديم نقاط الإتفاق بينه وبين الطرف الآخر، إنما يبدأ في الحقيقة بكسب ثقته ويبني معه جسرا من التفاهم إلى الأمر محل الخلاف(١).

وإضافة إلى ما سبق فإن فائدة معرفة النقاط المشتركة تتلخص في أمرين:

أولهما : تحرير محل النزاع، وتحديد نقطة الخلاف وحجمه.

ثانيهما : التدرج وحسن ترتيب القضايا على بعضها.

فلابد أن يكون الحوار حول مسألة محددة، فإن كثيرا من الحوارات يكون جدلا عقيما سائبا ليس له نقطة محددة ينتهي إليها، كما أنه ينبغي للمحاور أن يبني على الأسس والمسلمات المتفق عليها ويتدرج من خلالها إلي إقناع محاوره. ويحسن في الإنتقال من القضية التي يقررها إلى أخرى تترتب عليها. ومن الشواهد على ذلك ما يلي:-

---

١ - ملخص بتصرف من رسالة «قل إنما أعظكم بواحدة» للجليل، ورسالة «أصول الحوار».

أسلوب القرآن في إثبات الوهية الله عز وجل ونفي ما عداه من الآلهة والإنكار على من اتخذ معه أو من دونه أندادا، وذلك بعد إثبات ربوبيته سبحانه وتعالى، والبدء بما يسلم به المشركون من الخلق والتدبير، ومن أمثلته: ما ذكره الله تعالى من خلقه للناس وعنايته بهم، ثم نهيهم بعد ذلك عن أن يجعلوا له ندا، حيث قال سبحانه ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ﴾(١).

قال الطبري رحمه الله بعد ذكر الآية: (يعني بذلك أنه أنزل من السماء مطرا، فأخرج بذلك المطر مما أنبتوه في الأرض من زرعهم وغرسهم ثمرات رزقا لهم غذاء وأقواتا، فنبههم بذلك على قدرته وسلطانه وذكرهم به آلاءه لديهم، وأنه هو الذي خلقهم وهو الذي يرزقهم ويكفلهم دون من جعلوه له ندا وعدلا من الأوثان والآلهة، ثم زجرهم عن أن يجعلوا له ندا مع علمهم بأن ذلك كما أخبرهم، وأنه لا ند له ولا عدل، ولا لهم نافع ولا ضار ولا خالق ولا رازق سواه)(٢).

وقال سيد قطب رحمه الله: (﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ﴾: تعلمون أنه خلقكم والذين من قبلكم، وتعلمون انه جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء، وأنه لم يكن له شريك يساعد ولاند يعارض. فالشرك به بعد هذا العلم تصرف لايليق)(٣).

فواضح من خلال هذه الآيات أن الله عز وجل بدأهم بما يقرون به من الآلاء والنعم، وبما يعترفون به من أنه خالقهم ورازقهم ومدبر شؤنهم، وهي نقاط مشتركة وموضع اتفاق من الجميع ثم رتب عليها نهيهم عن اتخاذ الأنداد مع علمهم وإقرارهم بربوبيته، ومع إعترافهم بتفضله وإحسانه.

---

١ - البقرة:٢١-٢٢

٢ - الطبري:(١/١٦٣)

٣ - الظلال (١/٤٧)

ومما يصلح أن يكون شاهدا في حسن ترتيب القضايا على بعضها ماذهب اليه ابن كثير رحمه الله في كلامه عن مجادلة إبراهيم للنمرود في قوله تعالى :﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، قَالَ أَنَاْ أُحْيِي وَأُمِيتُ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ، فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَايَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِيْنَ﴾(١)٠

حيث قال - رحمه الله - ما نصه :(ولهذا قال له إبراهيم لما ادعى هذه المكابره: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ أي إذا كنت كما تدعي من أنك تحي وتميت، فالذي يحي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود في خلق ذواته وتسخير كواكبه وحركاته، فهذه الشمس تبدو من المشرق فإن كنت إلها كما تدعي تحي وتميت فأت بها من المغرب ؟٠٠ إلى أن قال: وهذا التنزيل على هذا المعنى أحسن مما ذكره كثير من المنطقيين أن عدول إبراهيم عن المقام الأولى إلى المقام الثاني انتقال من دليل إلى أوضح منه، ومنهم من قد يطلق عبارة ترديه وليس كما قالوه بل المقام الأول يكون كالمقدمة للثاني ، ويبين بطلان ما أدعاه نمرود في الأول والثاني ولله الحمد والمنة)(٢)٠

فعلى هذا القول يكون إبراهيم عليه السلام قدرتب قضية التصرف في الوجود والإتيان بالشمس على قضية الإحياء والإماتة، وذلك حتى يقيم الحجة على خصمه ويبهته٠

ومن أمثلة ذلك أيضا ما ذكره الله تعالى في قوله: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُوْنَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ٠ فَذٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾(٣)٠

---

١ - البقرة:٢٥٨

٢ - تفسير ابن كثير :(٣١٣/١)

٣ - يونس:٣١-٣٢

قال ابن كثير رحمه الله.."يحتج تعالى على المشركين باعترافهم بوحدانيته وربوبيته على وحدانية الآلهة.. إلى أن قال : وقوله ﴿فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ الآية أي: فهذا الذي اعترفتم بأنه فاعل ذلك كله هو ربكم وإلهكم الحق الذي يستحق أن يفرد بالعبادة﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾

أي فكل معبود سواه باطل لا إله إلا هو واحد لا شريك له، ﴿فأنى تصرفون﴾ أي فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة ما سواه وأنتم تعلمون أنه الرب الذي خلق كل شيء والمتصرف في كل شيء"(١)، فكما هو ظاهر من الآيات أن الله عز وجل أقررهم بربوبيته واثبت أنه سبحانه حق باعترافهم. وهذه نقاط اتفاق - ثم رتب على ذلك ألوهيته وإبطال ما عداه من الآلهة والأرباب(٢).

وقريب من هذا: الأسئلة المتعددة التي أمر الله بتوجيهها للمشركين لتقريرهم بإجابتها المتفق عليها، في إثبات الربوبية ومن ثم الإنتقال إلى إثبات الالوهية ونفي الولد والند والشريك حيث قال تعالى :﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ. قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ. قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ.بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾(٣)

فبعد تلك الأسئلة المحرجة، تجيء هذه الإعترافات الواضحة والأجوبة الصادقة البينة التي لايمكن العدول عنها أو إنكارها، ثم تأتي اللحظة المناسبة لتقرير حقيقة التوحيد وبطلان ما يدعونه لله من الولد والشريك،وفي اللحظة المناسبة بعد ذلك الجدل يجيء هذا التقرير﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾(٤).

---

١ - ابن كثير (٢/٤١٦)

٢ - انظر فتح القدير(٢/٤٤٣)، الظلال :(٣/١٧٨٢)

٣ - المؤمنون:٨٤-٩١

٤-نظر الظلال :(٤/٢٤٧٨)

ومن أدلة ذلك أيضا ما ذكره الله عز وجل في حوار إبراهيم لقومه حيث قال تعالى :﴿وَاتْلُ عَلَيْهِم نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَومِهِ مَا تَعْبُدُونَ. قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُ لَهَا عَاكِفِيْنَ. قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُوْنَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ .. إلى قوله﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِيَ إِلاَّ رَبَّ العَالَمِيْنَ﴾(١)

فهذه الآسئلة من إبراهيم عليه السلام فيها تقريرهم بقضايا متفق عليها وهي بيان عجز الآلهة عن النفع والضر، ومن ثم يرتب عليها بيان بطلانها وعدم صلاحيتها بل عداوتها وهجرها، وبيان المستحق الوحيد للعبادة وهو رب العالمين.

ومن شواهد ذلك أيضا ما جاء في حديث ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه في رواية الإمام مسلم عن أنس بن مالك. قال : نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية فقال : يامحمد: أتانا رسولك فزعم لنا أن الله أرسلك ؟ قال : صدق، قال : فمن خلق السماء ؟ قال : الله، قال : فمن خلق الأرض ؟ قال : الله، قال : فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل ؟ قال : الله، قال فبالذي خلق السماء وخلق الأرض، ونصب هذه الجبال، آلله أرسلك؟ قال : نعم... الحديث(٢)

قال النووي رحمه الله : (هذه جملة تدل علة أنواع من العلم، قال صاحب التحرير. هذا من حسن سؤال هذا الرجل وملاحة سياقته وترتيبه، فإنه سأل أولا عن صانع المخلوقات من هو، ثم أقسم عليه به أن يصدقه في كونه رسولا للصانع ثم لما وقف على رسالته وعلمها، أقسم عليه بحق مرسله وهذا ترتيب يفتقر إلى عقل رصين، ثم إن هذه الأيمان جرت للتأكيد وتقرير الأمر لا لإفتقاره اليها، كما أقسم الله تعالى على أشياء كثيرة ، هذا كلام صاحب التحرير)(٣).

---

١ - الشعراء:٦٩-٧٧

٢ - تقدم ذكره مرارا : انظر ص٥٦

٣ - مسلم بشرح النووي:(١٧٥/١)

فهذا ضمام رضي الله عنه يسأل أسئلة معلومة الإجابة، ومحل اتفاق الجميع عليها ثم يرتب عليها أسئلة أخرى، حتى يصل إلى مقصوده ·

ومثل ذلك أيضا حديث حجة الوداع من رواية عبدالرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه ذكر أن النبي ﷺ قعد على بعيره وأمسك إنسان بخطامه أو بزمامه قال : أي يوم هذا ؟ فسكتنا حتى ظننا انه سيسميه سوى اسمه· قال: أليس يوم النحر ؟ قلنا: بلى·· إلى قوله ﷺ: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا··· الحديث(١)

قال النووي: هذا السؤال والسكوت والتفسير أراد به التفخيم والتقرير والتنبيه على عظم حرمة هذا الشهر والبلد واليوم(٢)

وواضح من أسئلته ﷺ أنها واضحة الإجابة، وموضع اتفاق بين جميع السامعين، ولكن أراد أن ينتقل منها إلى أمر آخر وهو بيان حرمة المسلم فرتبها على تلك النقاط المشتركة والقضايا المتفق عليها·

ولعله من خلال النماذج السابقة تتبين أهيمة البدء بالنقاط المشتركة ومواضع الإتفاق، لتوفير الوقت والجهد، ولتهيئة نفسية الخصم، ولترتيب القضايا على بعضها وتحرير محل النزاع، ولذلك ينبغي أن يحرص المحاور على أن يلقى على الطرف الآخر أسئلة يكون جوابها: «نعم»، ويتجنب ما يكون جوابه النفي ، يقول أحد مفكري الغرب: (دع الطرف الآخر يوافق في البداية على الأسئلة التي تطرحها عليه ويجيب «بنعم» وحل مااستطعت بينه وبين «لا» لأن كلمة «لا» عقبة كؤؤد يصعب التغلب عليها فمتى قال أحد: «لا» أوجبت عليه كبرياؤه أن يظل مناصرا لنفسه·

إن قول «لا» هو أكثر من مجرد التفوه بكلمة مكونة من حرفين إن كيانه بغدده وأعصابه وعضلاته، يتحفز ليناصره في اتجاهه إلى الرفض، بينما لايكلف قول: «نعم» أي نشاط جسماني)· ويقول أيضا: فالمتحدث اللبق هو الذي يحصل في مبدأ الأمر على أكبر عدد من الإجابات «بنعم»(٣)·

---

١ - تقدم تخريجه·انظر ص:٩٥

٢ - شرح النووي (١١/١٦٩)

٣ - كيف تكسب الأصدقاء (١٥٣-١٥٤)

المبحث الثالث : التدرج والبدء بالأهم

إن المحاور العاقل الذكي هو الذي يصل إلى هدفه بأقرب طريق، فهو لايضيع وقته في مالا فائدة منه ولا علاقة له بأصل موضوع الحوار، أو بمقدمات يظنها مهمة وهي ليست كذلك، فيضيق الوقت على الموضوع الأساسي، وربما لايكمل نقاشه أو لايعطى حقه ولا يخرج منه بنتيجة، ولذلك فإن معرفة الأهم والبدء به وتحديده بوضوح يسهل كثيراً من المهمة، ويختصر الطريق في الوصول إلى الحق، وهذا ليس معناه عدم تهيئة الجو المناسب للحوار، أو اهمال المقدمات الضرورية والتي لابد من ذكرها، كلا وانما المقصود التوازن في ذلك أولا، ثم وبعد المقدمات والتهيئة، يختار أهم قضية في الموضوع للبدء بنقاشها ومن ثم الإنتقال إلى غيرها وهكذا .

ولعل أوضح الأمثلة لذلك بدء الأنبياء - عليهم الصلوات والسلام - بأهم قضية واكبر غاية، بل هي أم القضايا وأساسها، ألا وهي الدعوة إلى عبادة الله وحده لاشريك له، وعدم صرف شيء منها لغيره، وكذلك فقد كان كل نبي أول ما يبدأ بدعوة قومه يقول لهم :﴿اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾(١) قالها نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام كلهم بدأ بنفس الكلمة وقالوا نفس اللفظة، وماذاك إلا لأهميتها وكونها أصل مايدعو إليه الأنبياء وأهم ما جاؤا به.

ومثله بدء النبي ﷺ دعوته بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، خاصة في الحوار المذكور في سورة فصلت حيث قال المشركون كما ذكر الله عنهم :﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ فكان الرد عليهم بتوضيح القضية وتبسيط المطلوب وإجلاء الأمر:﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ...﴾(٢) الآيات.

---

١ - الاعراف:٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥

٢ - فصلت:٥-٦

وهي نفسها القضية التي بدأ بها يوسف عليه السلام في دعوة السجناء قبل أن يعبر لهم رؤياهم، أو يسترسل معهم في حديث فقال: ﴿ يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ • مَاتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَايَعْلَمُونَ﴾(١)

قال الشيخ السعدي رحمه الله في ذكر الفوائد من قصة يوسف عليه السلام:

(ومنها: أن يبدأ بالأهم فالأهم، وأنه إذا سئل المفتي، وكان السائل في حاجة أشد لغير ما سأل عنه، أنه ينبغي له أن يعلمه ما يحتاج إليه قبل أن يجيب سؤاله، فإن هذا علامة على نصح المعلم وفطنته، وحسن إرشاده وتعليمه، فإن يوسف - لما سأله الفتيان عن الرؤيا - قدم لهما قبل تعبيرها - دعوتهما إلى الله وحده لاشريك له)(٢). بل كان مما يأمر به النبي ﷺ عند ارساله للرسل وبعثه للكتب، أن يبدأوا بدعوة الناس إلى هذه القضية العظيمة والمبدأ الأصيل، ومن ثم يتدرجوا منها إلى غيرها، فيبدأوا بالأهم فالأهم، فها هو ﷺ يبعث معاذا رضي الله عنه إلى اليمن فيقول له: إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا الصلاة فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم وترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم، وتوق كرائم أموال الناس)(٣)

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:(بدأ بالأهم فالأهم، وذلك من التلطف في الخطاب لأنه لو طالبهم بالجميع في أول مرة لم يأمن النفرة)(٤)

---

١ - يوسف:٣٩-٤٠

٢ - تفسير السعدي:(٤٤٨/٢)

٣ - أخرجه البخاري بهذا اللفظ:١٤٥٨، ومسلم الإيمان:٣٢ وقد تقدم في المبحث الأول من هذا الباب

٤ - الفتح:(٣٥٩/٣)

وهذه القضية العظيمة - أعني الدعوة إلى توحيد الله وعبادته - هي الأمر الذي بدأ الله به كلامه لموسى عليه السلام قبل أن يرسله أو يأمره، كما في قوله تعالى ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ، إِذْ رَأَىٰ نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّيَ آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّيَ آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى. فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَامُوسَىٰ إِنِّيَ أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى. وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ. إِنَّنِيَ أَنَا اللَّهُ لَاإِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾(١)... الآيات.

حيث أتبع ذلك بالكلام عن العصا ثم اليد ثم ارساله إلى فرعون، وعندما طلب موسى وزيرا من أهله هو هارون، ثم الكلام عن أم موسى ثم تكرار الإرسال بقوله ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾(٢). وتثبيتهما، الخ القصة.

والمقصود منها أن بداية الحوار الطويل، كانت بأهم قضية وأولاها، ثم تلتها بقية القضايا وهكذا.

وهذا المبدأ هو الذي كان يربي العلماء طلابهم عليه، فيلقنوهم مع العلم، التدرج فيه ومراعاة الأهم والبدء به، بل وترك غير المهم من فضول العلم والكلام وغيره، وهذا مثال لعالم رباني، يتضح من خلاله هذا الأدب وبصورة عملية (قال المزني قلت إن كان أحد يخرج ما في ضميري، وما تعلق به خاطري من أمر التوحيد فالشافعي، فصرت إليه، وهو في مسجد مصر، فلما جثوت بين يديه، قلت: هجس في ضميري مسألة في التوحيد فعلمت أن أحدا لايعلم علمك، فما الذي عندك؟

فغضب، ثم قال : أتدري أين أنت ؟، قلت : نعم، قال: هذا الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون.

أبلغك أن رسول الله ﷺ أمر بالسؤال عن ذلك ؟ قلت :لا ، قال : هل تكلم فيه الصحابة ؟ قلت : لا، قال : تدري كم نجما في السماء؟ قلت :لا، قال:فكوكب منها: تعرف جنسه،طلوعه، أفوله، مم خلق؟

---

١ - طه:٩-١٤

٢ - طه:٤٣

قلت : لا، قال : فشيء تراه بعينك من الخلق لست تعرفه، تتكلم في علم خالقه؟! ثم سألني عن مسألة في الوضوء. فأخطأت فيها، ففرعها على أربعة أوجه، فلم أصب في شيء منه، فقال : شيء تحتاج إليه في اليوم خمس مرات، تدع علمه، وتتكلف علم الخالق، إذا هجس في ضميرك ذلك، فارجع إلى الله، وإلى قوله تعالى :﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَاإِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ، إِنَّ فِيْ خَلْقِ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ٠٠﴾(١) الآية، فاستدل بالمخلوق على الخالق، ولا تتكلف علم مالم يبلغه عقلك، قال: فتبت(٢)٠

إذا تقرر هذا الأدب - وهو البدء بالأهم - فقد يحتاج المحاور إلى أن يتدرج ويتنازل مع خصمه، ويسلم له ببعض الأمور تسليما جدليا مؤقتا، وذلك حتى يصل إلى القضية الأهم والمسألة الأم، أو لتقريب وجهات النظر بينهما، أو لزعزعة موقف الخصم المعاند، خاصة إذا كان الأمر المتنازل عنه أو المسلم به - جدليا -، مسألة شكلية أو جزئية، لاتمس أصل قضية الحوار،أولاتؤثر فيها بشكل واضح، أو كان في التسليم بها تدرجا إلى دليل قوي وحجة بينة، وكثيرا مايكون هذا الأسلوب هو بداية النجاح للمحاور المحق، إذ إن الخصم المعاند - غالبا - مايتمسك بجزئية تافهة أو حجة واهية، ويظن أنها القاصمة لخصمه، وأنه سيعلوا بها وينتصر، فيبني عليها جميع نقاط الحوار والنقاش، ويرجع إليها كل صغيرة وكبيرة، فإذا سلم له المحاور من بداية الطريق، تسليما مؤقتا، وأظهر موافقته التامة على شبهته - التى يظنها حجة دامغة - عندها يكون المحاور قد أحرق أهم ورقة لخصمه، وعندها يمكن للمحاور أن يجر خصمه إلى القضية الأهم ويلقي عليه من الحجج والبراهين ما تفحمه وتسقطه، إذ لايملك جوابا ولا ردا لها، لأنه لم يحسب لها أي حساب أصلا٠

وهناك عدة أمثلة ونماذج لهذا الاسلوب فمنها :

----

١ - البقرة:١٦٣-١٦٤

٢ - سير أعلام النبلاء :(٣٢/١٠)

قصة إبراهيم عليه السلام والأسلوب الذي اتبعه مع قومه ليصل بهم إلى التوحيد وإبطال الشرك، حيث قال تعالى :﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾(١) وهذا على وجه التنزل مع الخصم، أي هذا ربي - بزعمكم - فهلم ننظر، هل يستحق الربوبية والعبادة؟ وهل هناك دليل على الوهيته؟ إذ لاينبغي لعاقل أن يتخذ إلها بغير حجة ولا برهان(٢) ولذلك: ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾(٣)

فبطلت إذا عبادة الكوكب، ثم فعل مثل ذلك لما رأى القمر ولما رأى الشمس، حتى وصل بهم إلى حد ابطال عبادة الشمس والقمر وسائر الكواكب، ولم يبق إلا أن يتبرأ مما يشرك به قومه، وأن يتوجه بالعبادة لخالقها الذي فطر السموات والأرض:﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ٠ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ٠ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٤)

وهذا الأسلوب من الخليل عليه السلام٠ وقوله ﴿هذا ربي﴾ (قول من ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل، فيحكى قوله كما هو غير متعصب لمذهبه، لأن ذلك أدعى إلى الحق وأنجى من الشغب، ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة)(٥)

وهذا الذي استعمله إبراهيم عليه السلام هو التسليم الجدلي، فإبراهيم كان مناظرا لقومه، فقال ما قال تمهيدا للإنكار عليهم، فحكى مقالتهم أولا حكاية استدرجهم بها إلى سماع حجته على بطلانها، إذ أوهم أنه موافق عليها على زعمهم ثم كر عليه بالنقض، بانيا دليله على قاعدة الحس ونظر العقل(٦)٠

---

١ - الانعام:٧٦

٢ - انظر تفسير السعدي:(٣٧/٢)

٣ - الانعام:٧٦

٤ - الانعام:٧٧-٧٩

٥ - انظر الكشاف:(٣١/٢)

٦ - مختصر تفسير المنار:(٤٩٤/٢)

ولعل من هذا الباب أيضا ومن التنازل الظاهري، والذي يقصد منه بيان الحق للخصم، والعدل والإنصاف معه، ما جاء في قوله تعالى في الحوار مع المشركين:﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(١)٠

قال ابن كثير :« أي واحد من الفريقين مبطل، والآخر محق، لاسبيل إلى أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال، بل واحد منا مصيب٠٠»(٢)٠

ومن هذا مجاراة المعاند حتى يصل إلى الحقيقة(٣)، وكما في الآية بعدها٠﴿قُلْ لَاتُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَانُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(٤)

وقريب منه ما فعله النبي ﷺ مع كفرة قريش المعاندين، والمكذبين بالقرآن وبالتوراة حيث قال :﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(٥)

فهو يسير معهم خطوة في الإفحام والإحراج، ويتدرج بهم ليبين كذبهم وعنادهم، فكأنه يقول لهم :إن لم يكن يعجبكم القرآن، ولم تكن تعجبكم التوراة، فإن كان عندكم من كتب الله ما هو أهدى من القرآن والتوراة فأتوا به أتبعه(٦)

وهذا غاية في التنازل مع الخصم، وإلا فإن النبي عليه السلام - يعلم أن القرآن حق، والتوراة حق، وهما من كلام الله، لا يملك المشركون مثلهما فضلا عن كتاب أهدى منهما، ولكنه التدرج بهم والتنازل معهم بقصد إثبات عجزهم وإفحامهم، وإثبات صدقه وصحة الكتاب الذي معه٠

---

١ - سبأ :٢٤

٢ - ابن كثير :(٥٣٨/٣) وانظر الكشاف :(٢٨٩/٣) والظلال :(٢٩٠٥/٥)

٣ - انظر أدب الحوار لجريشة ص٦٧

٤ - سبأ :٢٥

٥ - القصص :٤٩

٦ - انظر الظلال :(٢٦٩٩/٥)

ويظهر مثل هذا الموقف في قصة يوسف التي تقدمت الإشارة إليها آنفا، فيوسف عليه السلام الذي بدأ مع السجناء حواره بالقضية الأهم - وهي الأمر بتوحيد الله وعبادته - يتدرج معهم فيها خطوة خطوة، ويعرضها بموضوعية، فيبدأ بسؤال مجرد يهز به فطرتهم ويوقظها:﴿يَاصَاحِبَي السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾(١)٠ وفي هذا السؤال جوابه، فلاشك أن الواحد القهار خير، وهو الذي يستحق العبادة وحده، ثم يخطو يوسف - عليه السلام - خطوة أخرى في تفنيد عقائد الجاهلية، وأوهامها الواهية فيقول :﴿مَاتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾(٢) فتلك الآلهة والأرباب لادليل على عبادتها ولاحجة لها ولابرهان، فلم يجعل الله لها سلطانا، ولم ينزل بها من سلطان، ثم يضرب يوسف ضربته الأخيرة الحاسمة فيبين لمن ينبغي أن يكون السلطان، ولمن ينبغي أن يكون الحكم ولمن ينبغي أن تكون الطاعة٠٠٠أي لمن ينبغي أن تكون العبادة فيقول :﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ٠أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُواْ إِلَّا إِيَّاهُ٠ ذَلِكَ الدِّيْنُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَ أَكْثَرَ النَّاسِ لَايَعْلَمُونَ﴾(٣)٠ فقرر أخيرا أن الدين الصحيح القيم هو الذي لايعبد فيه إلا الله وحده لاشريك له، وبذلك يصل إلى مراده من تقرير توحيد الله سبحانه٠(٤)

ولعل من هذا أيضا ما تكرر على ألسنة الأنبياء عليهم السلام من طلبهم من أقوامهم أن يفترضوا - ولو مجرد افتراض - أن يكونوا مرسلين من عند الله، وأن يفترضوا أن معهم حجة وبينة، ولاشك في صدق الأنبياء وثقتهم في ربهم، ولكنه من باب التنزل مع الخصم لتقريب الأمر إليه وزعزعة موقفه، ومن الآيات في ذلك:

قول نوح عليه السلام :﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُم إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُوْنَ﴾(٥)

---

١ - يوسف:٣٩

٢ - يوسف:٤٠

٣ - يوسف:٤٠

٤ - انظر الظلال:(١٩٨٩/٤-١٩٩١) بتصرف

٥ - هود:٢٨

وقول صالح عليه السلام:﴿قَالَ يَاقَومِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾(١)

ومثلهما قول شعيب عليه السلام:﴿قَالَ يَاقَومِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَاأُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَاأَنْهَاكُمْ عَنْهُ ..﴾(٢) الآية.

قال الشوكاني رحمه الله :(وهذه الأمور وإن كانت متحققة الوقوع، لكنها صدرت بكلمة الشك اعتبارا بحال المخاطبين، لأنهم في شك من ذلك)(٣)، فكأن الأنبياء يرجعون أمر صدقهم إلى أقوامهم، ويطرحون الموضوع للتفكير والرأي والنظر، وكأن النبي يقول لقومه: (فكروا في قولي وأخبروني)(٤)، مع أن الأمر حق لامرية فيه، وليس متروكا لعقول أولئك وآرائهم أصلا.

ومثل ذلك ماقاله النبي ﷺ لقومه كما قال تعالى :﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾(٥) يقول سيد قطب رحمه الله في تعليقه على الآية:(وأمام هذه النفس العارية من كل رداء، المكشوفة من كل ستار، يسألهم: فماذا أنتم إذاً صانعون إن كان هذا الذي تكذبون به من عند الله، وكان هذا الوعيد حقا، وكنتم تعرضون أنفسكم لعاقبة التكذيب والشقاق: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِاللَّهِ ..﴾.إنه احتمال يستحق الإحتياط، فماذا أخذوا لأنفسهم من وسائل الإحتياط)(٦).

---

١ - هود :٦٣

٢ - هود :٨٨

٣ - فتح القدير :(٥٠٨/٢)

٤ - انظر زبدة التفسير ص٢٩٣

٥ - فصلت :٥٢

٦ - الظلال :(٣١٣٠/٥) بتصرف يسير

ومثله مجاراة الأنبياء لأقوامهم وصولا إلى تبكيتهم وإلزامهم (١) كما في قوله تعالى في حوار الأنبياء مع أقوامهم ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ۰۰﴾(٢) (فكأن الرسل عليهم الصلاة والسلام قالوا في الرد على المنكرين لنبوتهم: ما ادعيتم من كوننا بشرا حق لاننكره، ولكن دعواكم هذه لاتنتج عدم الرسالة، ولاتنافي أن يمن الله علينا بها)(٣)۰

وهذا التنازل مع الخصم تكرر في مواقف متعددة ذكرت في السنة فمنها على سبيل المثال:

ماجاء في قصة الحديبية - والحديث طويل - وإنما الشاهد منه: «فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتابا، فدعا النبي ﷺ الكاتب. فقال النبي ﷺ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فقال سهيل أما ﴿الرحمن﴾ فوالله ما أدري ما هي: ولكن أكتب بإسمك اللهم كما كنت تكتب، فقال المسلمون : والله لانكتبها إلا ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فقال النبي ﷺ أكتب : «بإسمك اللهم» ثم قال : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم إنك رسول الله ماصددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب : محمد بن عبد الله، فقال النبي ﷺ: « والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، اكتب محمد بن عبد الله»۰ قال الزهري: وذلك لقوله :لايسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها، فقال له النبي ﷺ: «على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به، فقال سهيل: والله لاتتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب، فقال سهيل: وعلى أنه لايأتيك منا رجل - وإن كان على دينك - إلا رددته إلينا، قال المسلمون : سبحان الله، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلما؟۰۰۰الخ القصة)(٤)۰

---

١ - انظر أدب الحوار لجريشة ص٦٨

٢ - إبراهيم:١١

٣ - انظر مناهج الجدل ص٨٣

٤ - أخرجه البخاري : الشروط:٢٧٣١، أحمد : (٤/٣٣٠)

ولاشك أن في هذه القصة يظهر التنازل مع الخصم ومسايرته في أمور جزئية يسيرة، ولذلك ذكر ابن حجر رحمه الله من فوائد القصة: (جواز بعض المسامحة في أمر الدين، واحتمال الضيم فيه، مالم يكن قادحا في أصله، إذا تعين ذلك طريقا للسلامة في الحال، والصلاح في المآل، سواء كان ذلك في حال ضعف المسلمين أو قوتهم)(١)

ومن هذا الباب ماورد في قصة الحبر اليهودي، التي حدث بها ثوبان مولى رسول الله ﷺ فقال :(كنت قائما عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فقال السلام عليك يا محمد! فدفعته دفعة كاد يصرع منها. فقال لم تدفعني؟ فقلت : ألا تقول يارسول الله! فقال اليهودي: إنما ندعوه بإسمه الذي سماه به أهله. فقال رسول الله ﷺ :«إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي..الخ الحديث»(٢)

وفيه تواضع النبي ﷺ ، وتنازله مع اليهودي في مسألة ندائه بصفة الرسالة «يارسول الله» أو بإسمه «محمد» وذلك للوصول إلى أصل الموضوع الذي جاء اليهودي للجدال فيه، وهو السؤال عن بعض أمور الآخرة والقيامة وعن الولد ومن ثم تصديقه للنبي ﷺ فيما أخبره به.

ومن الأمثلة في ذلك ما رواه سهل بن سعد رضي الله عنه قال :(استعمل على المدينة رجل من آل مروان. قال فدعا سهل بن سعد فأمره أن يشتم عليا. قال فأبى سهل. فقال له : أما إذ أبيت فقل: لعن الله أبا التراب. فقال سهل : ما كان لعلي اسم أحب اليه من أبي التراب. وإن كان ليفرح إذا دعي بها. فقال له : أخبرنا عن قصته. لم سمي أباتراب؟ قال : جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة، فلم يجد عليا في البيت. فقال : أين ابن عمك؟ فقالت : كان بيني وبينه شيء،

---

١ - الفتح:(٥/٣٥٣)

٢ - تقدم في الباب الثاني: (مبحث التواضع) انظر ص١٣٤، وسيأتي بطوله ص:٤٣٠

فغاضبني فخرج، فلم يقل عندي، فقال رسول الله ﷺ لإنسان انظر أين هو؟ فجاء فقال: يارسول الله هو في المسجد راقد. فجاءه رسول الله ﷺ وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول :«قم أبا التراب! قم أبا التراب»(١).

ففي هذا الأسلوب الذي اتبعه سهل رضي الله عنه وهو التنازل لحجة الخصم الذي طلب منه لعن (أبا التراب) فذكر له - تنازلا معه -، ما كان من حب علي لهذه الكنية وفرحه بها، مما دعا خصمه إلى السؤال عن قصتها، فقصها عليه، وفيها عبرة له إذ تبين فضل علي رضي الله عنه، وتذكر أن الذي كناه بتلك الكنية هو رسول الله ﷺ، وفي هذا كفاية للرد على ذلك الخصم.

وبالجملة فالتنازل الجزئي المؤقت، والتسليم الجدلي، في أمر لايقدح في أصل الموضوع، بل في أمر شكلي جزئي يسير، يفيد كثيرا في تقريب وجهات النظر، وفي زعزعة موقف المعاند، وفي الوصول إلى القضية الأهم.

كما أن عدم مراعاة الترتيب والتدرج في العلم والحوار والنقاش، يبعثر الجهد ويفقد التركيز : (فإن العلوم مرتبة ترتيبا ضروريا، وبعضها طريق إلى بعض، والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج)(٢) وتعليم العلم بطريق الحوار وغيره يجب أن يكون بالتدرج، لأن الشىء إذا كان ابتداؤه سهلا حبب إلى من يدخل فيه، وتلقاه بانبساط وكانت عاقبته غالبا الازدياد بخلاف ضده(٣)

---

١ - أخرجه البخاري : الصلاة٤٤١، مسلم: فضائل الصحابة(١٨٧٤/٤) رقم ٣٨

٢ - انظر إحياء علوم الدين:(٥٢/١)

٣ - انظر الفتح:(١٦٣/١)

المبحث الرابع : الدليل

إن أهم ما ينجح الحوار، وأول ما ينبغي استحضاره والعناية به، وهو من مقتضيات العلم -الذي هو شرط في الحوار - الدليل، فإن الإقناع لابد أن يكون بالحجة والبرهان لابمجرد الكلام، والرد من غير دليل، بمنزلة هدم العلم بالشك المجرد، وسوق الحقائق المجرده أقل تأثيرا في النفوس من سوقها مدعمة بالشواهد المعتمدة، سواء من الكتاب أو السنة أو أقوال الأئمة والعلماء أو غيرهم ٠

ولابد من إثبات صحة الدليل وكما قيل :(إن كنت ناقلا فالصحة، أو مدعيا فالدليل)(١)، ولايحسن بالمحاور أن يستدل بأدلة ضعيفة أو حجج واهية، فدليلان قويان لايمكن الرد عليهما أفضل من سوقهما مع ثلاثة أدلة أخرى يمكن الأخذ

والرد فيها، إذ ربما يستغلها الطرف الآخر فيضعف الفكرة ويسيء إلى موقف صاحبها بسبب الأدلة الضعيفة(٢)٠

ومتى وجد الدليل وثبتتصحته، فلابد من صحة دلالته على المطلوب، وإلا لما كان له فائدة أو أثر في إيراده، ولابد أيضا من ترتيب الأدلة حسب قوتها وصراحتها في الدلالة على المقصود٠

والكلام طويل فيما يتعلق بالدليل، ولذلك فسوف أقصر الكلام في النقاط الآتية :

١ - المبادرة بتقديم الدليل٠

٢ - ايراد الأدلة القوية٠

٣ - طلب الدليل، وقبوله٠

٤ - الإنتقال في الدليل، وإقفال المناقشة٠

ولكل قضية منها أدلة وشواهد في الكتاب والسنة، بل كل منها يمكن أن تكون مبحثا مستقلا، ولكن من باب الإختصار وجمع الموضوع أكتفي بتفصيلها هنا تحت هذا المبحث العام الذي يجمعها تقريبا٠

---

١ - الرد على المخالف: ص٦٤

٢ - أصول الحوار ص٣٨ بتصرف

أولا : المبادرة بتقديم الدليل

إن مما ينبغي أن يتميز به المحاور المسلم ألا يقرر مسألة أو يذكر فكرة، إلا وله عليها برهان واضح ودليل قوي، حتى يكون للحوار فائدة، ومنعا من إطالة الكلام في جدل عقيم أو أقوال لاتنتهي، مالم تجد حجة فاصلة يقدمها المحاور مثبتا بها كل كلمة يقولها، وكل قضية يطرحها، ولذلك فأمثلة هذا كثيرة جدا في سير الأنبياء والعلماء والدعاة الموقعين عن رب العالمين ،إذ إنهم يدعون إلى أمور بينة وعلى بصيرة وعلم ويقين، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُواْ إِلَىٰ اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيْرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾(١)، ومن الشواهد في ذلك :

تقديم الأنبياء عليهم السلام ومبادرتهم بطرح مامعهم من البينات والحجج والدلالات، فهذا صالح عليه السلام يبدأ دعوة قومه إلى توحيد الله مقدما معه البينة والبرهان، قال تعالى :﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ..﴾(٢).

ومثله فعل شعيب عليه السلام إذ قال تعالى في قصته﴿...وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾(٣)

وكذلك فعل موسى وهارون عليهما السلام إذ أمرهما الله بأن يأتيا فرعون ويخبراه بأمر الرسالة والنبوة مع تقديم الحجة والبينة، قال تعالى :﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾(٤) وفي الآية الأخرى:﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾(٥) وفي هذا احراج لفرعون أمام الملأ الذين استمعوا لقول موسى، ولو رفض الإصغاء إلى برهانه المبين لدل على خوفه من حجته، ومن ثم وجد نفسه مضطرا لأن يطلب الدليل الذي قدمه موسى وعرضه منذ البداية(٦).

---

١ - يوسف:١٠٨

٢ - الاعراف:٧٣

٣ - الاعراف:٨٥

٤ - طه:٤٧

٥ - الشعراء:٣٠

٦ - انظر الظلال:(٥/٢٥٩٣)

ومن شواهد ذلك في السنة ما جاء في قصة استئذان أبي موسى على عمر رضي الله عنهما -: عن أبي سعيد الخدري قال : كنت في مجلس من مجالس الأنصار، إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور، فقال: استأذنت على عمر ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت، فقال: ما منعك؟ قلت : استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت، وقال رسول الله ﷺ :«إذا أستأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع» فقال : والله لتقيمن عليه بينة، أمنكم أحد سمعه من النبي ﷺ ؟ فقال : أبي بن كعب: والله لايقوم معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم، فقمت معه فأخبرت عمر أن النبي ﷺ قال ذلك.(١)

فهذا أبو موسى رضي الله عنه يبادر بتقديم الدليل مع الإجابة، فيخبر عما عمله من أنه استأذن ثلاثا فلما لم يؤذن له رجع، ويأتي بالدليل على عمله هذا مماسمعه من رسول الله ﷺ.

ومثل ذلك ماذكره أبو هريرة رضي الله عنه قال : لما توفي رسول الله ﷺ، وكان أبوبكر رضي الله عنه، وكفر من كفر من العرب ،فقال عمر رضي الله عنه: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ:« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لاإله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله»(٢)

فيقدم عمر رضي الله عنه الحجة والدليل عند إبداء رأيه واعتراضه على مارآه أبوبكر رضي الله عنه.

ومن أمثلة ذلك أيضا ما كان من عائشة رضي الله عنها في الحديث عن ابن أبي عتيق قال :تحدثت أنا والقاسم عند عائشة رضي الله عنها حديثا، وكان القاسم رجلا لحانة(٣) وكان لأم ولد ، فقالت عائشة : مالك لاتحدث كما يتحدث

---

١ - أخرجه البخاري: الإستئذان٦٢٤٥، مسلم :الآداب(٣/ ١٦٩٤) رقم٣٣،أبوداود : الآدب٤ ،الإستئذان٥١٨٠، ابن ماجة :ألأدب(٢/ ١٢٢١) رقم٣٧٠٦، أحمد٣/ ٦

٢ - أخرجه البخاري: الزكاة١٣٩٩ ،مسلم الإيمان(١/ ٥١) رقم٣٢، النسائي الزكاة:(٥/ ١٤) رقم٢٤٤٣، ابوداود : الزكاة (٢/ ٩٥) رقم١٥٥٦، الترمذي: الإيمان(٥/ ٣) رقم٢٦٠٦

٣ - لحانة :أي كثير اللحن في كلامه(شرح النووي:٥/ ٤٦)

ابن أخي هذا؟ أما إني قد علمت من أين أتيت، هذا أدبته أمه وأنت أدبتك أمك، قال فغضب القاسم وأضب (١) عليها، فلما رأى مائدة عائشة قد أتي بها قام، قالت :أين؟ قال : أصلي، قالت : اجلس، قال: إني أصلي، قالت اجلس غدر! إني سمعت رسول الله ﷺ يقول :«لاصلاة بحضرة الطعام، ولا وهو يدافعه الأخبثان»(٢)

وواضح في هذا المثال تقديم عائشة رضي الله عنها للدليل ومبادرتها بالحجة والبرهان عند الحاجة إليه.

ومن هذا الباب ما كان من ابن عباس رضي الله عنهما حيث خطب الناس يوما بعد العصر حتى غربت الشمس وبدت النجوم. وجعل الناس يقولون: الصلاة الصلاة، قال فجاءه رجل من بني تميم لايفتر ولاينثني: الصلاة الصلاة. فقال ابن عباس: أتعلمني بالسنة؟ لا أم لك!. ثم قال : رأيت رسول الله ﷺ جمع بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء(٣)

وقريب منه أيضا ماجاء في حديث زينب امرأة ابن مسعود رضي الله عنهما قالت : كانت عجوز تدخل علينا ترقي من الحمرة، وكان لنا سرير طويل القوائم. وكان عبدالله إذا دخل تنحنح وصوت، فدخل يوما، فلما سمعت صوته احتجبت منه. فجاء فجلس إلى جانبي فمسني فوجد مس خيط، فقال : ماهذا؟ فقلت: رقي لي فيه من الحمرة، فجذبه وقطعه، فرمى به وقال: لقد أصبح آل عبدالله أغنياء عن الشرك. سمعت رسول الله ﷺ يقول :«إن الرقى والتمائم والتولة شرك» الحديث(٤)

---

١ - أضب : أي حقد (شرح النووي: ٤٧/٥، وانظر المصباح المنير ص١٣٥)

٢ - اخرجه مسلم: المساجد(٣٩٣/١) رقم٦٧، أبو دواد :الطهارة(٢٢/١) رقم٨٩، أحمد(٤٣/٦).

٣ - أخرجه مسلم: المسافرين(٤٩١/١) رقم٥٧،

٤ - أخرجه أبوداود: الطب(٩/٤) رقم٤٨٨٣، ابن ماجة الطب(١١٦٦/٢) رقم٣٥٣٠، أحمد(٣٨١/١) (وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة :٢٦٩/٢).

وظاهر في هذين الحديثين: تقديم الدليل والمبادرة به من كل من ابن عباس وابن مسعود، رضوان الله عليهم أجمعين.

وهناك أمثلة كثيرة غير ما ذكرت أتركها للإختصار، ولأن القضية لاتحتاج إلى مزيد ايضاح، ففي الأمثلة السابقة كفاية إن شاء الله.

ثانيا: ايراد الأدلة القوية

إذا تقررت أهمية الأدلة وقيمتها ودورها في اختصار الحوار ونجاحه، وقد تقدم أن الأدلة لابد وأن تكون صحيحة موثقة، وأن إيراد الأدلة الضعيفة ولو كشواهد مع أدلة قوية قد تؤدي بالحوار إلى متاهات وجدال لاينتهي، وأن الإكتفاء ولو بدليل واحد صحيح قاطع خير من سوق عشرات الأدلة الواهية معه، ظنا أنها تزيد في الحجة أو تدعم موقف المحاور، بل ربما كانت سببا في إضعاف الدليل القوي واهتزاز موقف المحاور، لاسيما إن كان في جمع من الناس قد تعلق بأذهانهم تلك الأدلة الضعيفة والردود التي تسقطها، وقد ينسون الدليل الواضح الصريح. ولذلك فقد ظهر استخدام الأدلة القوية في حوارات كثيرة ذكرت في الكتاب والسنة فمن ذلك:

- جواب النبي ﷺ الصارم، ورده القوي على زوجه كما في سورة التحريم: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾(١)

(والإشارة إلى العلم والخبرة هنا إشارة مؤثرة - في حالة التآمر والمكايدات المحبوكة وراء الأستار! - ترد السائلة إلى هذه الحقيقة التي ربما نسيتها أو غفلت عنها)(٢).

---

١ - التحريم:٣

٢ - الظلال:(٦/٣٦١٦)

- ومن ذلك أيضا ما كان من قصة ابن عباس رضي الله عنه مع الخوارج حيث قال: (لما خرجت الحرورية أتيت عليا رضي الله عنه، فقال: ائت هؤلاء القوم، فلبست أحسن مايكون من حلل اليمن، قال أبو زميل: وكان ابن عباس رجلا جميلا جهيرا، قال ابن عباس: فأتيتهم فقالوا: مرحبا بك يا ابن عباس، ماهذه الحلة؟ قال: ماتعيبون علي؟ لقد رأيت على رسول الله ﷺ أحسن مايكون من الحلل) وقال أبوداود: اسم أبي زميل سماك بن الوليد الحنفي(١).

فهذا الجواب من حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما يظهر فيه قوة الدليل وإقناع الخصم وإلقامه الحجة، التي لايملك معها أي اعتراض أو عناد أو غيره.

- ومثل ذلك ماجاء في محآجة آدم وموسى عليهما السلام وفيها قال موسى لآدم: «أنت الذي نفخ الله فيك من روحه وعلمك الأسماء كلها وأمر الملائكة فسجدوا لك؟ قال: نعم، قال: فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ فقال آدم: أنت نبي بني إسرائيل الذي كلمك الله من وراء الحجاب، لم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه؟ قال: نعم، قال: أفما وجدت أن ذلك كان في كتاب الله قبل أن أخلق؟ قال: نعم، قال: فبم تلومني في شيء سبق من الله تعالى فيه القضاء قبلي؟ قال رسول الله ﷺ عند ذلك: «فحج آدم موسى، فحج آدم موسى»(٢)

وتظهر هنا قوة الحجة من آدم عليه السلام والتي استطاع أن يحج بها موسى عليه السلام. وأمثلة هذا كثيرة وسيأتي شيء منها - بمشيئة الله تعالى - عند ذكر التحدي والإفحام، وإنما المقصود أن يستعمل المحاور أقوى ما لديه من حجج وأوضح ماعنده من براهين، فيحكم النقض للشبه، ويكشف زيف الباطل،

---

١ - تقدم تخريجها في الباب الأول وستأتي كاملة. انظر ص:٣٧، ٤٣٢

٢ - تقدم تخريجه في الباب الأول. ص:١٢

ويقذف بالحق القوي الأبلج على الباطل الضعيف حتى يتلجلج.

ألم تر أن الحق تلقاه أبلجا   وأنك تلقى باطل القول لجلجا.

فلا يبقى للخصم ولا لمن يسمعه متعلق يلبس به الحق بالباطل، وليعلم المحاور أن الحق يوهن لوهاء الرد وضعفه(١).

ولذلك فقد قال شيخ الإسلام رحمه الله: (فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع، مناظرة تقطع دابرهم، لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفى بموجب العلم والإيمان، ولاحصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين)(٢).

ثالثا: طلب الدليل، وقبوله:

إن أكبر ما يفحم الخصم المعاند، وأعظم مايحرجه، ويكشف تزيفه، طلب الدليل منه في كل قضية ومسألة تحتاج إلى استدلال، وهذا أمر لاينبغي أن يتساهل به المحاور، فلا يقبل فكرة إلا بدليها، ولا رأيا إلا بحجته، بل هذا هو أخصر طريق لإسكات الخصم وهزيمته، وأيسر أسلوب لإنهاء الجدال العقيم، وأقرب وسيلة للوصول إلى حوار هادف أصيل، لايبنى على الأوهام والظنون، أو الأحداس والتخمين، كلا وإنما على الأدلة الصريحة الواضحة التي يمتلكها الطرفان، ولأن الحوار إذا كان كلاما مجردا من البراهين، وآراء وأفكار عارية من الأدلة، فلن ينتهي عند حد، ولن يحقق غاية، ولن نخرج منه بنتيجة، ومتى ظهر الدليل الصحيح، واتضحت دلالته على المقصود، لزم قبوله والتسليم به، ولايصح رده أو الإعتراض عليه.

ولذلك فقد تكرر هذا الأمر كثيرا في الحوارات المذكورة في الكتاب والسنة، خاصة فيما يتعلق بالمعاندين والمغالطين للحقائق ومن ذلك مثلا :

- ماذكر في قوله تعالى في الحوار مع أهل الكتاب :﴿وَقَالُواْ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُوْداً أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ • قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ﴾(٣)

---

١ - انظر الرد على المخالف: ص٦٣ بتصرف

٢ - الفتاوى : (٢٠/١٦٤-١٦٥)

٣ - البقرة:١١١

قال الطبري رحمه الله في الآية: (وهذا أمر من الله جل ثناؤه لنبيه ﷺ بدعاء الذين **قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى**، إلى أمر عدل بين جميع الفرق، مسلمها ويهودها ونصاراها، وهو إقامة الحجة على دعواهم التي ادعوا من أن الجنة لايدخلها إلا من كان هودا أو نصارى، يقول الله لنبيه محمد ﷺ يا محمد قل للزاعمين أن الجنة لايدخلها إلا من كان هودا أو نصارى دون غيرهم من سائر البشر هاتوا برهانكم على ماتزعمون من ذلك فنسلم لكم دعواكم إن كنتم في دعواكم من أن الجنة لايدخلها إلا من كان هودا أو نصارى محقين، والبرهان: هو البيان والحجة والبينة)(١).

- ومن ذلك أيضا ما جاء في قوله تعالى: ﴿**كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾(٢).

وهذه الآية ايضا جاءت في شأن أهل الكتاب وبعض دعواتهم الكاذبة والتي يظهر بطلانها عند طلب الدليل منهم.

- وكذا ما جاء في شأن المشركين وطلب الدليل منهم كما في الآية: ﴿**سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا . قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ**﴾(٣).

وهنا يطلب منهم دليل على أن الله رضي منهم أن يشركوا به - كما يزعمون - وأن يحللوا ويحرموا من دونه: ﴿**قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا**﴾ ولما لم يكن عندهم علم ولا حجة ولا دليل، فهم على جهل وظنون كاذبة لا أساس لها من الواقع والصحة(٤).

---

١ - الطبري : (٤٩٢/١)

٢ - آل عمران: ٩٣

٣ - الأنعام: ١٤٨

٤ - انظر زبدة التفسير للأشقر ص ١٨٨

- ومن الأمثلة التي فيها إبطال كلام الخصم لعدم وجود الدليل، وعدم إقامة الحجة والبرهان، والإستدلال بعدم وجود السلطان المبين على كذب الخصم وافترائه ما جاء في الآية ﴿قَالُواْ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِيْ الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُوْنَ عَلَىٰ اللَّهِ مَالاَ تَعْلَمُوْنَ ۰قُلْ إِنَّ الَّذِيْنَ يَفْتَرُوْنَ عَلَىٰ اللَّهِ الْكَذِبَ لاَيُفْلِحُونَ ۰۰﴾(١)

وإلايات في هذا المعنى كثيرة وسيتكرر ذكر شيء منها في مباحث أخرى قريبة من هذا، وأما الأحاديث في بيان هذا الأدب والإلتزام به فهي كثيرة أيضا وأذكر منها :

- طلب المرأة للدليل من ابن مسعود عندما قال : لعن رسول الله ﷺ الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن، المغيرات لخلق الله۰ فبلغ ذلك امرأة من بني اسد، يقال لها أم يعقوب فجاءت إليه، فقالت : بلغني عنك أنك قلت كيت وكيت، قال: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله؟ قالت: إني لأقرأ مابين لوحيه فما وجدته، قال : إن كنت قرأته فقد وجدته، أما قرأت ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُوْلُ فَخُذُوْهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوْا﴾(٢) قالت : بلى۰ قال فإن رسول الله ﷺ قد نهى عنها۰۰۰ الحديث(٣)۰

فهذا فيه سؤال المرأة لابن مسعود وطلبها للدليل والتأكد منه۰

---

١ - يونس :٦٨-٦٩

٢ - الحشر :٧

٣- أخرجه البخاري :التفسير٤٨٨٦ ،مسلم اللباس(١٦٧٨/٣) رقم١٢٠ ، أبو داود : الترجل (٧٥/٤) رقم٤١٦٩ ، ابن ماجة : النكاح(٦٤٠/١) رقم١٩٨٩

وعلى المحاور أن يجتهد في طلب البينة ويبحث عمن لديه الدليل ويسأل الحجة ولو من غير الخصم، لأن المقصود أولا هو الوصول إلى الحق. ومما يوضح ذلك ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه (أنه تمارى هو والحر بن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى ، قال ابن عباس: هو خضر، فمر بهما أبي بن كعب فدعاه ابن عباس فقال : إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل موسى السبيل إلى لقيه، هل سمعت النبي ﷺ يذكر شأنه؟ قال : نعم... الحديث)(١)

- وقريب منه ما جاء في حديث البراء بن عازب قال : (مر النبي ﷺ بيهودي محمم مجلود، فدعاهم فقال : «هكذا تجدون في كتابكم حد الزانى؟» قالوا نعم : فدعا رجلا من علمائهم فقال :أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حد الزاني؟ قال : لا، ولولا أنك نشدتني لم أخبرك. نجد حد الزانى في كتابنا الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا الرجم. فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وكنا إذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، فقلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع. فاجتمعنا على التحميم والجلد، هكان الرجم. فقال النبي ﷺ :«اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه» وأمر به فرجم)(٢)

فهذا ايضا فيه طلب الحجة من غير الخصم بل ممن يملكهامن أهل العلم منهم.

- وهذا إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله يبتلى ويضرب ويعذب، ثم يطلب منه التنازل حتى يقول له المعتصم: يا أحمد أجبني إلى شيء لك فيه أدنى فرج حتى أطلق عنك بيدى، فلا يزيد على أن يقول: أعطوني شيئا من كتاب الله أو سنة رسوله(٣)، وهكذا فعل كلما أرادوا منه أن يلين أو يخضع، يسكتهم بطلب الدليل فيعجزون ويفحمون.

---

١ - تقدم تخريجه في «مبحث العلم»ص:٢٣٥

٢ - أخرجه مسلم: الحدود(١٣٢٧/٣) رقم٢٨، أبوداود الحدود(١٥٣/٤) رقم٤٤٤٨، ابن ماجة: الحدود (٨٥٥/٢) رقم٢٥٥٨

٣ - انظر مقدمة المسند لأحمد شاكر:(٩٥/١)

والأمثلة كثيرة في هذا الجانب، إذ مدار كل حوار هادف هو الدليل، وتقديمه وطلبه وقبوله لتحقيق نجاح الحوار.

رابعا: الإنتقال في الدليل، وإقفال المناقشة:

قد يتعذر على الخصم فهم دليل ما، وقد لاتتضح له وجه الدلالة فيه، كما أنه قد يفهمه ويدركه لكنه يتعمد المغالطة وعدم الإذعان والتسليم، عندئذ لابد للمحاور من أن ينتقل إلى دليل آخر ويأتي بمثال أوضح لايجد الخصم معه مفرا دون الإنقطاع أو التسليم(١)، وفي ذلك توفير الوقت والجهد من العبث والضياع.

ومن أمثلة هذا ما ذهب اليه بعض المفسرين في قصة إبراهيم عليه السلام مع النمرود، التي قال الله فيها ﴿أَلَمْ تَرَإِلَىٰ الَّذِيْ حَاجَّ إِبْرَاهِيْمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ المُلْكَ. إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيْمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيْتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيْتُ. قَالَ إِبْرَاهِيْمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ المَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ المَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَايَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(٢)

ففي هذه الآية يقدم إبراهيم عليه السلام دليلا على أن الله هو الرب سبحانه وتعالى، وهذا الدليل هو أن الله يحي ويميت، فعارضه النمرود بنفس دليله فزعم أنه كذلك يحي ويميت، مع الفارق العظيم والواضح بين ما يقصده كل منهما، فلم يشأ إبراهيم عليه السلام أن يدخل في إبطال دليل خصمه، لأنه يعرف فساد هذه المعارضة لإختلاف المقصود بالإحياء والإماتة عندهما، فانتقل لإلزامه وإفحامه وقطع لجاجته(٣)، إذ لايخلو حال النمرود: إما أن يكون مافهم حقيقة الإحياء والإماتة، أو فهم إلا أنه قصد المصادمة والمباهتة، وكلاهما يوجب العدول إلى دليل يفضح معارضته ويقطع حجاجه، ومتى كان الخصم بهذه الصفة جاز لخصمه الإنتقال إلى دليل آخر أقرب إلى الفهم وأفلح للحجة(٤)

---

١ - انظر مناهج الجدل ص٨٢ (للألمعي)

٢ - البقرة:٢٥٨

٣ - انظر مناهج الجدل ص١٥٤ بتصرف

٤ - عن استخراج الجدل من القرآن، ص٦٧-٦٨ (لابن الحنبلي)

قال القرطبي في الآية :(وذكر الأصوليون في هذه الآية أن إبراهيم عليه السلام لما وصف ربه تعالى بما هو صفة له من الإحياء والإماتة لكنه أمر له حقيقة ومجاز، قصد إبراهيم عليه السلام إلى الحقيقة، وفزع نمرود إلى المجاز وموه على قومه، فسلّم له إبراهيم تسليم الجدل وانتقل معه من المثال وجاءه بأمر لامجاز فيه:﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ أي انقطعت حجته ولم يمكنه أن يقول أنا الآتي بها من المشرق، لأن ذوي الألباب يكذبونه)(١)٠

- وقريب من ذلك ما فعله موسى عليه السلام في حواره مع فرعون، حيث سأله فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِيْنَ﴾(٢) فأجابه بما يناسب حاله من تجاهله الرب سبحانه، وبما يوجه نظره إلى هذا الكون الهائل والتفكير في رب الكون كله، رب العالمين، قال ﴿رَبُّ السَّمَوٰاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوْقِنِيْنَ﴾(٣) ، فعلم موسى جهله فأضرب عن سؤاله وأعلمه بعظيم قدرة الله التي تبين للسامع أنه لامشاركة لفرعون فيها(٤) وخشي فرعون من تسرب كلمات الحق البسيطة الصريحة إلى قلوب من حوله من المستمعين، فالتفت اليهم يعجبهم من هذا القول، أو لعله يصرفهم عن التأثر به(٥):﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُوْنَ﴾(٦) وهم يستمعون كما يستمع هو، ولكنه يظهر تعجبه من هذا القول الغريب ، الذي لاعهد لهم به ، ولم يقله أحد قبله٠عند ذلك يزيد موسى في البيان، وينتقل إلى دليل أوضح وأقرب:﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَائِكُمُ الأَوَّلِيْنَ﴾(٧): (فجاءه بدليل يفهمونه عنه، لأنهم يعلمون أنه قد كان لهم ءآباء وأنهم قد فنوا، وأنه لابد لهم من مغير، وأنهم قد كانوا بعد أن لم يكونوا، وأنهم لابد لهم من مكون)(٨)

---

١ - الجامع لأحكام القرآن: (١٨٦/٢) وانظر تفسير الظلال:(٢٩٨/١)

٢ - الشعراء:٢٣

٣ - الشعراء:٢٤

٤ - تفسير القرطبي:(٦٧/٧)

٥ - الظلال:(٢٥٩٢/٥)

(٦ -٧) - الشعراء:(٢٥-٢٦)

٨ - القرطبي(٦٧/٧)

وهذا الدليل أشد مساسا بفرعون ودعواه وشبهه، فموسى يجيبه بأن رب العالمين هو ربه ورب قومه ورب آبائهم واجدادهم وما فرعون إلا واحد من عبيده، لاإله كما يدعي بين قومه، ولذلك فلايطيق فرعون سكوتا على هذه القاصمة، وهناك من يستمع لهذه الأقوال، ومن ثم يرمي قائلها في تهكم بالجنون(١) ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾(٢) أي ليس يجيبني عما أسأل(٣)، فأردف موسى ماذكر بشاهدين آخرين(٤) فقال ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٥) أي ليس ملكه كملكك، لأنك إنما تملك بلدا واحدا لايجوز أمرك في غيره، ويموت من لاتحب أن يموت، والذي أرسلني يملك المشرق والمغرب(٦)، وذلك لأن المشرق والمغرب آيتان عظيمتان لايقدر فرعون على ادعائهما(٧)، ومن ثم اندحضت حجته، وسقطت أدلته، فخشي من يقظة الشعوب وصحوة القلوب، فلجأ إلى انهاء الحوار مع موسى بالتهديد الغليظ، وبالبطش الصريح، الذي يعتمد عليه الطغاة عندما يسقط في أيديهم وتخذلهم البراهين: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾(٨) ، ولاشك أن هذا دليل العجز، وعلامة الضعف، ولكنها سمةالطغاة في القديم والجديد(٩).

---

١ - الظلال:(٥/٢٥٩٢) بتصرف

٢ - الشعراء:٢٧

٣ - القرطبي:(٦٧/٧)

٤ - استخراج الجدل من القرآن ص٧١

٥ - الشعراء:٢٨

٦ - القرطبي:(٦٧/٧)

٧ - استخراج الجدل ص٧١

٨ - الشعراء:٢٩

٩ - الظلال:(٥/٢٥٩٢) بتصرف

المبحث الخامس : الوضوح والبيان

إن قوة التعبير وفصاحة اللسان وحسن البيان وجودة العرض، من عوامل نجاح الحوار، ويكون له الأثر الأكبر في إيضاح الفكرة وقبول الطرف الآخر لها، وربما ضاع الحق لسوء التعبير عنه، وظهر الباطل لفصاحة قائله وبلاغته.

لذلك ينبغي للمحاور الجيد أن يضبط كلامه ويتقن لغته، ويتجنب الألفاظ الغريبة صعبة الفهم، أو الألفاظ المجملة التي تحتمل عدة معان من غير توضيح للمعنى المراد منها، وذلك أن الكلام المحكم الجميل، الذي يخلو من الخطأ، وتتضح فيه مخارج الحروف، ويخرج متواليا بانتظام وترتيب واسترسال، يترك أحسن الأثر في السامع الذي يفهمه ويجعله يحترم قائله، لأنه يرى قائله محيطا بما يقول، قادرا على الإفصاح والإيضاح(١)

وهذا الوضوح والبيان وحسن الصياغة والعرض تقتضي أمورا منها:

أ - التزام لسان العرب في الصياغة من غير إغراب ولا تعقيد، فإن الألفاظ قوالب للمعاني، وهي رسل لها، وإذا فات جمال العرض، آلت إلى مرض محض، قال الشافعي :(ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لجهلهم لسان العرب)(٢).

ب - الإقتصاد في السياق وتفصيل الألفاظ على قدر المعاني، وذلك أن الرد ضرورة تقدر بقدرها، وينبغي الحرص على الوصول إلى المطلوب بأقرب عبارة وأوجز لفظ، والحذر من تكثير الكلام وتكراره وتطويله - إلا لحاجة -،أو اشتماله على الغث والسمين فهو مخل ممل، بما يجلبه من وهاء وفتور.(٣)

جـ - الدقة في اختيار الأدلة والشواهد الصحيحة الصريحة الواضحة الدلالة، والبعد عن الضعيف أو العام أو المجمل، والذي قد يكون محل نقاش وجدل يحول دون وضوح الحق وبيان الراجح.

---

١ - انظر أصول الحوار ص٢٩ ورسالة «قل انما أعظكم بواحدة» ص٣٣ بتصرف

٢ - سير اعلام النبلاء: (٧٤/١٠)

٣ - ملخصه بتصرف عن الرد على المخالف ص٦٥-٦٨،وانظر أدب الحوار لجريشة: ص٧٠

- ومن أمثلة في السنة ما جاء في حوار ابن مسعود وأبي موسى رضي الله عنهما، حيث قال أبو موسى: أرأيت يا أبا عبدالرحمن إذا أجنب فلم يجد ماء كيف يصنع؟ فقال عبدالله: لايصلي حتى يجد الماء، فقال أبو موسى : فكيف تصنع بقول عمار حين قال له النبي ﷺ «كان يكفيك» قال : ألم تر عمر لم يقنع بذلك؟ فقال أبو موسى: فدعنا من قول عمار، كيف تصنع بهذه ألاية؟(١)

فمادرى عبدالله ما يقول فقال :إنا لو رخصنا لهم في هذا، لأوشك إذا برد على أحدهم الماء أن يدعه ويتيمم(٢).

قال ابن حجر رحمه الله في قول أبي موسى (فدعنا من قول عمار): (فيه جواز الإنتقال من دليل إلى دليل أوضح منه، ومما فيه الإختلاف إلى مافيه الإتفاق)(٣).

وقال الكرماني: (وفي الباب جواز المناظرة، وجواز الإنتقال فيها من حجة إلى حجة، وجواز الإجتهاد)(٤).

فتبين مما سبق أن الإنتقال في الدليل أسلوب متبع في الحوار، وأن في الإنتقال من دليل إلى آخر نوع من إقفال المناقشة - ولو جزئيا في الدليل المنتقل عنه، وهذا الأدب يحتاج إلى حكمة المحاور وسرعة بديهيته واستحضاره لعدة أدلة قوية يمكن الإنتقال فيها، كما ظهر من خلال الأمثلة السابقة.

وإن كان في بعض الأحيان يجد المحاور أن شقة الخلاف بينه وبين خصمه كبيرة جدا، وأن هناك أمورا أساسية غير متفق عليها ولايسمح الوقت بتقريرها، أو أن الخصم معاند مغالط مكابر، والحوار معه تضييع للوقت وتبديد للجهد، عند ذلك يكون من الأفضل إقفال المناقشة بطريقة لبقة ذكية تشعر أن الطرف الأول لم ينسحب عجزا، ولم يترك المناقشة هزيمة.

----

١ -الآية قوله تعالى:﴿فتيمموا صعيدا طيبا﴾ المائدة:٦

٢ - تقدم تخريجه في الباب السابق ص:١٩٤

٣ - الفتح: (١/٤٥٥)

٤ - شرح الكرماني: (٣/٢٣١).

د - الإسهاب والتفصيل في الإجابة عند الحاجة - لقصد التوضيح، أو زيادة في التأكيد والتثبيت، أو نفيا لشبه محتملة أو نحو ذلك مما تقتضيه المصلحة ويحكمه الموقف.

- ولاشك أن حورات الكتاب والسنة وما فيهما من أجوبة وردود وأدلة وشواهد، قد تميزت بالوضوح والبيان من حيث الإلتزام باللغة الفصحى الواضحة، وجمال العرض ومناسبة الألفاظ للمعاني، والسلامة من التطويل الممل والإختصار المخل، والتنزيه عما لا فائدة فيه ولاطائل من ورائه، وكل ذلك مسلم به واضح بين لايحتاج إلى إستدلال.

ولكن هناك شواهد وأمثلة لبعض القضايا الجزئية المتعلقة بهذا الأدب فمنها :

- دقة إبن مسعود رضي الله عنه في الإستدلال بقوله تعالى :﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُوْلُ فَخُذُوْهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوْا﴾(١) كما تقدم في المبحث السابق في حواره مع المرأة، وقوله: ومالي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله ؟ فقالت : إني لأقرأ مابين لوحيه فما وجدته. قال : إن كنت قرأته فقد وجدته، أما قرأت:﴿وَمَاآتَاكُمُ الرَّسُوْلُ فَخُذُوْهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوْا﴾(١)

قالت : بلى، قال فإن رسول الله ﷺ قد نهى عنها.. الحديث(٢)

- وحيث إن الحوار مبني على خلاف، وقد يؤثر هذا الخلاف في النفوس وتتكدر منه الخواطر، لذلك فإن توضيح الأمر وبيان العذر، وتجلية الحقيقة، لها دور كبير في تصفية القلوب وإعادة الود، ولعل مما يصلح مثالا لهذا ما كان من أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين عرض ابنته حفصة على عثمان فلم يتزوجها، ثم عرضها على أبي بكر، فصمت ولم يرجع إليه شيئا، فوجد عليه أكثر مما وجد على عثمان، فلبث ليالي ثم خطبها النبي ﷺ فتزوجها، فلقيه أبوبكر فقال: لعلك وجدت علي حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك شيئا ؟ قال عمر :

---

١ - الحشر :٧

٢ - تقدم تخريجه في المبحث السابق.ص:٢٦٣

قلت نعم، قال أبوبكر : فإنه لم يمنعني أن أرجع اليك فيما عرضت علي إلا إني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سر رسول اللّـه ﷺ.، ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها(١).

إن الايجاز في الجواب والتفصيل فيه، يرجع في كثير من الأحيان إلى المسألة المطروحة للنقاش، وإلى حال المخاطب أحيانا، أو نحو ذلك، بحيث يتضمن الكلام الجواب وما يتعلق به من تفصيلات واحتمالات، وهذا الإمام البخاري رحمه الله يترجم لأحد أبوابه بقوله : (باب من أجاب السائل بأكثر مما سأله)(٢) ثم ذكر فيه حديث ابن عمر عن النبي ﷺ: (أن رجلا سأله: مايلبس المحرم؟ فقال: «لايلبس القميص ولا العمامة ولا السراويل ولا البرنس، ولا ثوبا مسه الورس أو الزعفران، فإن لم يجد النعلين فليلبس الخفين وليقطعهما حتى يكونا تحت الكعبين»(٣)

قال الحافظ في شرحه : (قال ابن المنير: موقع الترجمة التنبيه على أن مطابقة الجواب للسؤال غير لازم، بل إذا كان السبب خاصا والجواب عاما جاز، وحمل الحكم على عموم اللفظ لا على خصوص السبب، لأنه جواب وزيادة فائدة. ويؤخذ منه أيضا: أن المفتي إذا سئل عن واقعة واحتمل عنده أن يكون السائل يتذرع بجوابه إلى أن يعديه إلى غير محل السؤال: تعين عليه أن يفصل الجواب، ولهذاقال: «فإن لم يجد نعلين» فكأنه سأل عن حالة الإختيار فأجابه عنها وزاد حالة الإضطرار.. إلى أن قال: وفي الحديث أيضا العدول عما لاينحصر إلى ما ينحصر طلبا للإيجاز، لأن السائل سأل عما يلبس فأجيب بمالا يلبس، إذ الأصل الإباحة ولو عدد له ما يلبس لطال به.. الخ كلامه)(٤).

---

١ - أخرجه البخاري: النكاح٥١٢٢، النسائي النكاح (٦/٧٧) رقم٣٢٤٨، أحمد(١/١٢)

٢ - كتاب العلم-رقم الباب ٥٣ (الفتح:١/٢٣١)

٣ - أخرجه البخاري العلم١٣٤، مسلم: الحج(٢/٨٣٤) رقم١، ابو داود(٢/١٧٠) رقم١٨٢٣، الترمذي: الحج(٣/١٨٥) رقم٨٣٣، النسائي: الحج (٥/١٢٩) رقم٢٦٦٧

٤ - الفتح :(١/٢٣١)

وقال ابن القيم : (يجوز للمفتي أن يجيب السائل بأكثر مما سأله عنه، وهو من كمال نصحه وعلمه وإرشاده، ومن عاب ذلك فلقلة علمه)(١)٠

فهذا الحديث فيه جمع بين الايجاز والتفصيل، فقد فصل الجواب للحاجة إلى التفصيل، وأوجز عندما كان الجواب لاينحصر٠

ومثل هذا أيضا ما قاله المغيرة لترجمان كسرى عندما سأله: ما أنتم؟ فأجاب رضي الله عنه بقوله: «نحن أناس من العرب كنا في شقاء شديد وبلاء شديد، نمص الجلد والنوى من الجوع، ونلبس الوبر والشعر والحجر، فبينا نحن كذلك إذ بعث رب السموات والأرضين - تعالى ذكره وجلت عظمته - إلينا نبيا من أنفسنا، نعرف أباه وأمه، فأمرنا نبينا رسول ربنا ﷺ: أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده ، أو تؤدوا الجزية، وأخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثلها قط ، ومن بقي منا ملك رقابكم»(٢)

وقد ذكر الحافظ في الفتح: أن هذا يدل على فصاحة المغيرة وبلاغته، فقد اشتمل كلامه هذا الوجيز على بيان أحوالهم الدنيوية، من المطعم والملبس ونحوهما، وعلى أحوالهم الدينية أولا وثانيا، وعلى معتقدهم من التوحيد والرسالة والايمان بالمعاد، وعلى بيان معجزات الرسول ﷺ وإخباره بالمغيبات ووقوعها كما أخبر(٣)

ومن البيان وتوضيح الإجابة وتفصيلها عند الحاجة ما فعله ابن عمر رضي الله عنهما حيث جاء رجل من أهل مصر وحج البيت، فرأى قوما جلوسا فقال: من هؤلاء؟ فقالوا: هؤلاء قريش٠ قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبدالله بن عمر٠ قال : يا ابن عمر إني سائلك عن شيء فحدثني عنه: هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟

---

١ - اعلام الموقعين:(١٢١/٤)

٢ - أخرجه البخاري: الجزيه٣١٥٩

٣ - الفتح (٢٦٦/٦) بتصرف يسير

قال : نعم، فقال : تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد؟ قال : نعم، قال الرجل : هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم، قال : الله أكبر، قال ابن عمر: تعال أبين لك· أما فراره يوم أحد فاشهد أن الله عفا عنه وغفر له، وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال له رسول الله ﷺ: «إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه»· وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله بيده اليمنى: هذه يد عثمان، فضرب بها على يده فقال : هذه لعثمان· فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك)(١)

ويظهر من هذا الحديث ان السائل كان ممن كان يتعصب على عثمان فأراد بالمسائل الثلاث أن يقرر معتقده فيه، ولذلك كبر مستحسنا لما أجابه به ابن عمر، ثم فهم ابن عمر منه مراده، لما كبر، وإلا لو فهم ذلك من أول سؤاله لقرن العذر بالجواب، وحاصله أنه عابه بثلاثة أشياء، فأظهر له ابن عمر العذر عن جميعها، ولذلك قال له بعد البيان: (اذهب بها الآن معك) أي اقرن هذا العذر بالجواب حتى لايبقى لك فيما أجبتك به حجة على ما كنت تعتقده من غيبة عثمان، ولا ينفعك ما تمسكت به بعد ما بينت لك(٢)

ومن التفصيل في الجواب أيضا ما جاء في حديث أبي الطفيل قال :(قلت لابن عباس:أرأيت هذا الرمل بالبيت ثلاثة أطواف، ومشي أربعة أطواف· أسنة هو ؟ فإن قومك يزعمون أنه سنة، قال فقال: صدقوا وكذبوا·

قال قلت: ما قولك: صدقوا وكذبوا؟ قال إن رسول الله ﷺ قدم مكة· فقال المشركون: إن محمدا وأصحابه لايستطيعون أن يطوفوا بالبيت من الهزل· وكانوا يحسدونه قال: فأمرهم رسول الله ﷺ أن يرملوا ثلاثا ويمشوا أربعا،

---

١ - أخرجه البخاري فضائل الصحابة٣٦٩٨، أحمد (١٠١/٢)

٢ - انظر الفتح (٥٩/٧) بتصرف

قال قلت له: أخبرني عن الطواف بين الصفا والمروة راكبا أسنة هو؟ فإن قومك يزعمون أنه سنة. قال: صدقوا وكذبوا. قال قلت : وما قولك : صدقوا وكذبوا؟ قال: إن رسول الله ﷺ كثر عليه الناس يقولون هذا محمد. هذا محمد. حتى خرج العواتق من البيوت. قال: وكان رسول الله ﷺ لايضرب الناس بين يديه، فلما كثر عليه ركب، والمشي والسعي أفضل»(١).

فهنا ينصف ابن عباس ويفصل كما في قوله صدقوا وكذبوا: مبينا أنهم صدقوا في أن النبي ﷺ فعل ذلك، وكذبوا في قولهم: إنه سنة مقصودة متأكدة(٢).

ومن الاستطراد المفيد، والتفصيل المهم، الذي يناسب حال المخاطب ويقصد به تعليمه ولفت نظره إلى بعض المهم ما جاء في حديث جابر بن سليم عندما قدم على النبي ﷺ وقال: أنت رسول الله؟ فقال : أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضر فدعوته كشفه عنك، وإن أصابك عام سنة فدعوته أنبتها لك، وإذا كنت بأرض قفراء أو فلاة فضلت راحلتك فدعوته ردها عليك..»(٣)

ومن النماذج القرآنية التي جمعت بين الدقة والوضوح والبيان مع الإسهاب والتفصيل اللازم ما جاء في حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه حيث قال تعالى :﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيْمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيْهِ وَقَوْمِهِ مَاتَعْبُدُوْنَ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِيْنَ. قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُوْنَ أَوْ يَنْفَعُوْنَكُمْ أَوْ يَضُرُّوْنَ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُوْنَ﴾(٤).فهذه بداية الحوار ويظهر فيه المجاوبة والأخذ والرد، ولكن أمام تحجر هؤلاء القوم وتعصبهم لم يجد إبراهيم - على حلمه وأناته - إلا أن يهزهم بعنف، ويعلن عداوته لأصنامهم وعقيدتهم الفاسدة،

---

١ - أخرجه مسلم: الحج (٢/٩٢١) رقم٢٣٧، أبوداود المناسك (٢/١٨٤) رقم١٨٨٥، الترمذي المناقب (٥/٦٢٩) رقم٣٧٠٦

٢ - انظر شرح النووي (٩/١٠)

٣ - تقدم في الباب الأول ص:٥٩

٤ - الشعراء:٦٩-٧٤

ويستثنى ربه سبحانه وتعالى﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِيْنَ﴾ ثم يستطرد بدقة وروعة في وصف ربه عز وجل، ويسترسل في تصوير صلته به، متذكرا إنعامه وأفضاله، ويجمع في صفة ربه عناصر العقيدة الصحيحة: توحيد الله رب العالمين، والإقرار بتصريفه للبشر في أدق شؤون حياتهم على الأرض، والبعث والحساب بعد الموت، وفضل الله وتقصير العبد، وهي العناصر التي ينكرها قومه وينكرها المشركون(١)..﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَاكُنْتُمْ تَعْبُدُوْنَ أَنْتُمْ وَءَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُوْنَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِيْ إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِيْنَ. الَّذِيْ خَلَقَنِيْ فَهُوَ يَهْدِيْنِ وَالَّذِيْ هُوَ يُطْعِمُنِيْ وَيَسْقِيْنِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِيْنِ وَالَّذِي يُمِيْتُنِي ثُمَّ يُحْيِيْنِ وَالَّذِيْ أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِيْ خَطِيئَتِيْ يَوْمَ الدِّيْنِ...﴾(٢) الآيات

ولعل هذه النماذج المختصرة كافية في بيان أهمية الوضوح والدقة والبيان والتفصيل وحسن العرض والصياغة، ودور ذلك كله في نجاح الحوار وتحقيق أهدافه.

---

١ - انظر الظلال: (٢٦٠٢/٥-٢٦٠٣)

٢ - الشعراء:٧٥-٨٢

المبحث السادس : الصدق والأمانة

إن المحاور المسلم لابد أن يكون صادقا أمينا، وهذا من مقتضيات إيمانه، والمؤمن لايكون كاذبا، والحوار أمانة يجب ألا يخونها المحاور بالغش والغموض وكتم الحقائق والتلفيق ونحو ذلك، فهو مسؤولية يحاسب عليها: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾(١) كما أن الكذب والغدر والخيانة والفجور في الخصومة من أبرز صفات المنافق كما قال ﷺ : «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذ ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»(٢).

فلابد من احترام الحقيقة، والقيام بمسؤولية الكلمة، والحوار المبارك هو الحوار الصادق الذي يطمئن كل طرف فيه إلى الآخر، واللجوء إلى الغموض والمراوغة قلة في الإخلاص وضعف في النفس، ويؤدي إلى فقدان الثقة بين الطرفين ومن ثم إلى فشل الحوار.(٣)

ومن مقتضيات هذا الأدب ما يلي :

(أ) الأمانه في العرض والنقل فلا يجوز قطع عبارة عن سياقها أو عزلها عن مناسبتها عند الإقتباس لتخدم رأيا ما، فإن بتر النقول والنصوص والدس في الكلام وتحريف الأقوال من مسالك أهل البدع والأهواء، وهو نقص في الدين والإخلاص وهو أخو الكذب والخيانة، فضلا عن أنه يعرض فاعله للسخرية وعدم الثقة به متى اكتشف تلاعبه بالنصوص وتحايله في الإستشهاد(٤)

(ب) التوثيق: فلا بد أن تكون مسائل الحوار موثقة من الناحية العلمية

---

١ - الأحزاب:٧٢

٢ - أخرجه البخاري: الإيمان٣٤، مسلم:الإيمان(٧٨/١) رقم١٠٦، الترمذي: الإيمان (١٩/٥) رقم٢٦٣٢، النسائي: الإيمان(١١٦/٨) رقم٥٠٢٠، أحمد (١٨٩/٢)

٣ - انظر رسالة «قل إنما أعظكم بواحدة»ص٢٨-٣٥

٤ - انظر الرد على المخالف: ص٥٨، ولمؤلفه بحث مستقل بعنوان«تحريف النصوص»

والإسنادية، فلايستدل بشىء إلا مسندا لقائله ومصدره الذي أخذ منه، فإن ذكر الحقائق مدعمة بمصادرهاومراجعها، أعمق أثرافي النفوس من ذكرهامجردة.

(جـ) ومن ذلك الإعراض عن النقول الضعيفة والحجج الواهية، والأدلة الساقطة، وكذا عدم الإستشهاد بآراء وأقوال من لايطمئن إلى علمه وأمانته.

(د) ومن مقتضيات هذا الأدب أيضا: الإخلاص والتجرد في طلب الحق، والعدل والإنصاف مع الخصم - وقد تقدم ذكرها في مباحث سابقة - وكذا بذل النصيحة للطرف الآخر، فهي من دلائل الصدق وعلامة الأمانة.

(هـ) ومن لوازم ذلك أيضا عدم كتم شيء من الحق أو إخفاء بعض العلم الذي له علاقة بموضوع الحوار، - خاصة إذا كان ظاهر تلك الأدلة المسكوت عنها لصالح الطرف الآخر -فإن في ذلك خرم للأمانة، وقدح في مصداقية فاعله، الذي أخذ عليه وعلى أمثاله الميثاق ببيان الحق وعدم كتمان العلم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيْثَاقَ الَّذِيْنَ أُوْتُواْ الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَتَكْتُمُوْنَهُ﴾(١) وإضافة إلى تعرض فاعل ذلك للعقاب الأليم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَابَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِيْ الكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُوْنَ. إِلاَّ الَّذِيْنَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُولَئِكَ أَتُوْبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ﴾(٢) وفي الحديث: «من سئل عن علم فكتمه، ألجم يوم القيامة بلجام من نار»(٣)

(و) ومما يدخل في هذا الباب ايضا عدم تعمد اتباع المتشابه من الأدلة والشواهد والنقول والأقوال، فهذا مسلك أهل الزيغ الذين قال الله فيهم: ﴿فَأَمَّا الَّذِيْنَ فِي قُلُوْبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُوْنَ مَاتَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيْلِهِ...﴾(٤) الآية.

---

١ - آل عمران:١٨٧

٢ - البقرة:١٥٩-١٦٠

٣ - أخرجه أبوداود: العلم(٣/٣٢٠) رقم٣٦٥٨، الترمذي: العلم(٥/٢٩) رقم٢٦٤٩، ابن ماجة المقدمة(١/٩٦) رقم٢٦١، أحمد(٢/٢٦٣)

٤ - آل عمران:٧

قال الشاطبي رحمه الله : (وقد علم العلماء أن كل دليل فيه اشتباه وإشكال ليس بدليل في الحقيقة، حتى يتبين معناه ويظهر المراد منه، ويشترط في ذلك أن لايعارضه أصل قطعي)(١)

ويدخل في هذا ايضا الإقتصار على دليل واحد وعدم النظر في الأدلة الأخرى خاصة إذا كانت معارضة له - في الظاهر.

قال الشاطبي أيضا:(ثم اتباعه للمتشابه - ولوكان من جهة الإسترشاد به لا للفتنة به - لم يحصل به مقصود على حال. فما ظنك به إذا اتبع ابتغاء الفتنة؟ وهكذا المحكم اذا اتبعه إبتغاء الفتنة به، فكثيرا ما ترى الجهال يحتجون لأنفسهم بأدلة فاسدة وبأدلة صحيحة، اقتصارا بالنظر على دليل ما، وإطراحا للنظر في غيره من الأدلة الأصولية والفروعية العاضدة لنظره أو المعارضة له.. إلى أن قال، وكذلك الأمر في كل مسألة فيها الهوى أولا، ثم يطلب لها المخرج من كلام العلماء أو من أدلة الشرع وكلام العرب.. الخ)(٢).

وهناك نصوص وأمثلة كثيرة تدل على ضرورة هذا الأدب وأهميته وأثره، كيف لا؟ (والعقيدة الإسلامية عقيدة الصدق والوضوح والإستقامة والنصاعة، ولايقوم شيء فيها على الظن أو الوهم أو الشبهة فضلا عن الكذب والخداع والخيانة، قال تعالى :﴿وَلَاتَقْفُ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾(٣) فهذه الكلمات القليلة تقيم منهجا كاملا للقلب والعقل، يشمل المنهج العملي الذي عرفته البشرية حديثا جدا، ويضيف إليه استقامة القلب ومراقبة الله، ميزة الإسلام على المناهج العقلية الجافة)(٤)

فهذا المنهج الذي يقوم على الصدق والأمانة، ويحاسب فيه الفرد على كلامه وسمعه وبصره بل وقلبه ، لايمكن لمن آمن به إلا أن يكون صادقا أمينا، ليس في

---

١ - الاعتصام:(١/٢٣٩)

٢ - نفس المصدر(١/٢٢٢-٢٢٣)

٣ - الإسراء :٣٦

٤ - الظلال:(٤/٢٢٢٧) بتصرف يسير.

الحوار فحسب، بل في كل صغيرة وكبيرة من حياته، قولا وعملا، قلبا وقالبا، قال سيد قطب رحمه الله عند الآية السابقة:(والأمانة العلمية التي يشيد بها الناس في العصر الحديث ليست سوى طرف من الأمانة العقلية القلبية التي يعلن القرآن تبعتها الكبرى، ويجعل الإنسان مسؤولا عن سمعه وبصره وفؤاده، أمام واهب السمع والبصر والفؤاد..

إنها أمانة الجوارح والحواس والعقل والقلب. أمانة يسأل عنها صاحبها، وتسأل عنها الجوارح والحواس والعقل والقلب جميعا. أمانة يرتعش الوجدان لدقتها وجسامتها كلما نطق اللسان بكلمة، وكلما روى الإنسان رواية، وكلما أصدر حكما على شخص أو أمر أو حادثة)(١).

ولما كان أمر الصدق والأمانة من الأهمية بمكان، حرص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على إبراز هذا الجانب قبل محاورة أقوامهم فهذا هود عليه السلام يلخص مهمته ودوره في كلمات معدودة: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾(٢) بل هؤلاء الأنبياء من نوح إلى هود إلى صالح إلى لوط إلى شعيب كل منهم يقول ويعلن بهذه الكلمة: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾(٣) - كما في سورة الشعراء - قبل الدخول في أي نقاش أو حوار، إذ إن أهم مقدمات الدعوة حتى يستجاب لصاحبها - الصدق في الرسالة والأمانة في التبليغ، فلا يخون ولا يخدع، ولايزيد شيئا أو ينقصه(٤)

وكذلك كان رسولنا ﷺ في أموره وأحواله - حتى قبل البعثة - يعرف بالصدق والأمانة، فقد كان يأمنه المشركون(٥) ، وكان يظهر الصدق عليه في كلامه وأفعاله بل في تقاسيم وجهه، فهذا عبدالله بن سلام رضي الله عنه يقول: لما قدم

---

١ - الظلال :(٢٢٢٧/٤)

٢ - الأعراف :٦٨

٣ - الشعراء :١٠٧، ١٢٥، ١٤٣، ١٦٢، ١٧٨

٤ - انظر الظلال :(٢٦٠٧/٥)

٥ - انظر تهذيب سيرة ابن هشام :ص١٢٣

رسول الله ﷺ المدينة، انجفل الناس إليه، وقيل قدم رسول الله ﷺ، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما استبنت وجه رسول الله ﷺ - عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب.. الحديث(١)

وكما قالت عائشة رضي الله عنها لمسروق: (من حدثك أن النبي ﷺ كتم شيئا من الوحي فلا تصدقه، إن الله تعالى يقول :﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَاأُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَابَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾.(٢)(٣)

وقال أنس رضي الله عنه: لو كان رسول الله ﷺ كاتما شيئا لكتم هذه - يعني قوله تعالى :﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَااللَّهُ مُبْدِيهِ﴾(٤)(٥)

ومن أمثلة الصدق في الحجة والأمانة في العرض: ما كان من أمر الأنصار رضوان الله عليهم حين قالوا يوم حنين: (إن هذا لهو العجب. إن سيوفنا تقطر من دمائهم وإن غنائمنا ترد عليهم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ - فجمعهم، فقال : ما الذي بلغني عنكم؟ قالوا : هو الذي بلغك. وكانوا لايكذبون. قال : أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا إلى بيوتهم، وترجعون برسول الله إلى بيوتكم!

لو سلك الناس واديا أو شعبا، وسلكت الأنصار واديا أو شعبا، لسلكت وادي الأنصار أو شعب الأنصار"(٦)

فالأنصار هنا لا يكذبون ولا يهربون من الإجابة، بل يصدقون ويعترفون بما قالوا فرضي الله عنهم جميعا.

---

١ - أخرجه الترمذي: القيامة (٦٥٢/٤) رقم٢٤٨٥، ابن ماجة: اقامة الصلاة(٤٢٣/١) رقم١٣٣٤، أحمد (٤٥١/٥) (وانظر السلسلة الصحيحه للألباني ٥٦٩)

٢ - المائدة:٦٧

٣ - أخرجه البخاري: التوحيد٧٥٣١، مسلم: الإيمان (١٥٩/١) رقم٢٨٧، الترمذي (٢٦٢/٥) رقم٣٠٦٨

٤ - الأحزاب:٣٧

٥ - أخرجه البخاري: التوحيد٧٤٢٠، مسلم الايمان (١٦٠/١) رقم٢٨٨، الترمذي: التفسير (٣٥٢/٥) رقم٣٢٠٧، أحمد (٢٤١/٦).

٦ - أخرجه مسلم الزكاة(٧٣٣/٢) رقم١٣٢، الترمذي: المناقب(٧١٤/٥) رقم٣٩٠١

ومثل ذلك ماروي في حوار عمر مع أسماء بنت عميس - وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر إليه - فقال عمر لها: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم، فغضبت وقالت كلمة: كذبت ياعمر ! كلا والله! كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم. وكنا في دار أو في أرض - البعداء البغضاء-في الحبشه، وذلك في الله وفي رسوله. وايم الله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ - ونحن كنا نؤذى ونخاف. وسأذكر ذلك لرسول الله ﷺ وأسأله. ووالله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد على ذلك. فلما جاء النبي ﷺ قالت : يانبي الله إن عمر قال كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: «ليس بأحق بي منكم. وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم، أهل السفينة هجرتان»(١)

فتظهر أمانة النقل في قول أسماء رضي الله عنها(وسأذكر ذلك لرسول الله ﷺ وأسأله ووالله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد على ذلك).

- ولعل مما يصلح أن يكون شاهدا لمسألة الأمانة والصدق في الحجة ماحدث به أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بينما أنا ورسول الله ﷺ خارجين من المسجد.، فلقينا رجلا عند سدة المسجد فقال : يا رسول الله متى الساعة؟ قال رسول الله ﷺ«ما أعددت لها» قال فكأن الرجل استكان، ثم قال : يا رسول الله! ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله، قال «فأنت مع من أحببت»(٢)

وهنا يظهر أيضا صدق هذا الرجل حيث اعترف بعدم إكثاره من هذه العبادات، مع بيانه للأمر العظيم الذي يملكه بقلبه وهو حب الله ورسوله ﷺ.

وإذا كانت الحجة في صالح المتكلم، فإن الصدق فيها والأمانة في عرضها ونقلها وشرحها وبيانها أمر سهل طبيعي ، بل محبب إلى نفس المتكلم ، ولكن

---

١ - أخرجه البخاري: المغازي٤٢٣٠ مسلم فضائل الصحابة(١٩٤٦/٤) رقم١٦٩

٢ - أخرجه البخاري: الأدب٦١٧١، مسلم البر(٢٠٣٣/٤) رقم١٦٤، الترمذي: الزهد (٥٩٥/٤) رقم٢٣٨٥ (ومعنى « استكان » أي: خضع. انظر الصحاح: ٦/ ٢١٩٠)

يتمحص الصادق الأمين، ويتميز المخلص الوفي، عندما تكون الحجة لصالح خصمه ويكون الدليل خلاف رأيه، ثم مع ذلك يصدق ويدلي بما عنده طلبا للحق، وتجردا لله عز وجل وإبراء للذمة، ولعل فيما يلي من الأمثلة ما يدل على هذا النوع النادر من الصدق والإخلاص والأمانة:

ففي حديث الإفك وحيث كان النبي ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمر عائشة رضي الله عنها - (فقال : يا زينب ما علمت؟ ما رأيت؟ فقالت : يارسول الله! أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت عليها إلا خيرا، قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني، فعصمها الله بالورع)(١)

فهنا يظهر صدق زينب وأمانتها، مع ما كان بينها وبين عائشة من التنافس في طلب الرفعة والخطوة عند النبي ﷺ (٢)، ولكن ذلك لم يحملها على الكذب أو الخداع ونحوه.

ومن المواقف العجيبة التي تبين قبح الكذب - حتى في الجاهليه - كما هو قبيح في الإسلام، ما جاء في حوار أبي سفيان مع هرقل، حين دعا هرقل ركب قريش الذين كانوا تجارا بالشام وفيهم أبو سفيان، الذي روى القصة فقال: (فقال هرقل: أدنوه مني، وقربوا أصحابه فأجعلوهم عند ظهره. ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا الرجل، فإن كذبني فكذبوه، قال أبو سفيان: فو الله لولا الحياء من أن يأثروا علي كذبا لكذبت عنه، ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب، قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت : لا، قال فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت : لا قال : فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت : بل ضعفاؤهم قال : أيزيدون أم ينقصون؟ قلت : بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت : لا. قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا. قال : فهل يغدر؟ قلت: لا

-----

١ - تقدم تخريجه في الباب السابق ص:١٢٥

٢ - انظر الفتح:(٨/٤٧٨)

ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها، قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة. قال : فهل قاتلتموه؟ قلت : نعم، قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت : الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا، واتركوا مايقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والصلة... الخ الحديث(١)

فهذا موقف من مواقف الخصام والعداوة بين النبي ﷺ وأبي سفيان، مع عدم حضور النبي ﷺ ، ومع أن الفرصة سنحت لأبي سفيان أن يكذب أو يخون ويغش، ولكنه ترك الكذب استحياء وأنفه من أن يتحدثوا بذلك بعد أن يرجعوا فيصير عند سامعي ذلك كذابا، وإلا فإنه كان واثقا ممن معه بعدم تكذيبه - إن كذب - لاشتراكهم معه في عداوة النبي ﷺ(٢).

ولعل قريباً من هذا ما جاء في مقتل عبدالله بن سهل، فاتهموا اليهود بقتله، فجاء أخوه عبدالرحمن وابنا عمه حويصة ومحيصة إلى النبي ﷺ فتكلموا، فقال لهم رسول الله ﷺ: يقسم خمسون منكم على رجل منهم فيدفع برمته، قالوا: أمر لم نشهده كيف نحلف؟.. الخ(٣)

وهذا هو الشاهد حيث أنهم أبوا الكذب مع أن الموقف في صالحهم وضد اليهود، ولكنه الصدق والأمانة.

والأمثلة في هذا لاتنحصر، إذ إن هذا الأمر مع كونه أدباً في الحوار فهو مبدأ إسلامي رفيع، وخلق نبيل لا خيار للمسلم في التحلي به، ولايليق به إلا التخلق به، فهو من مقتضيات إخلاصه وتقواه.

---

١ - أخرجه البخاري: بدء الوحي٧، مسلم: الجهاد(٣/١٣٩٣)رقم١٧٧٣، أحمد(١/٢٦٢)

٢ - انظر الفتح: (١/٣٥)

٣ - أخرجه مسلم: القسامة (٣/١٢٩١) رقم١، أبوداود: الديات (٤/١٧٥) رقم٤٥٢٠، النسائي: القسامة (٨/٨) رقم٤٧١٣

المبحث السابع : التثبت

إن من أهم مقومات الحوار الناجح أن تراعى فيه الحقائق الثابتة، والأدلة الواضحة، وأن يقوم على أساس الصدق واليقين، لاعلى مجرد الوهم والظن والشك، فإن هذا الدين يأبى أن تقوم قضية من قضاياه إلا على أساس الوضوح والاستقامه والنصاعه﴿وَلَاتَقْفُ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾(١) (فالتثبت من كل خبر ومن كل ظاهرة ومن كل حركة قبل الحكم عليها هو دعوة القرآن الكريم، ومنهج الإسلام الدقيق. ومتى استقام القلب والعقل على هذا المنهج، لم يبق مجال للوهم والخرافة في عالم العقيدة-. ولم يبق مجال للظن والشبه في عالم الحكم والقضاء والتعامل. ولم يبق مجال للأحكام السطحية والفروض الوهمية في عالم البحوث والتجارب والعلوم... ﴿وَلَا تَقْفُ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ : ولا تتبع مالم تعلمه علم اليقين، ومالم تتثبت من صحته من قول يقال ورواية تروى. من ظاهرة تفسر أو واقعة تعلل. ومن حكم شرعي أو قضية اعتقادية)(٢)

ومن هذا الباب تحذير النبي ﷺ من الظن حيث قال :«إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»(٣) وكذا تحذيره من الكلام في كل شيء وبكل مايسمع من غير تعقل ولا تثبت حيث قال أيضا : «كفي بالمرء كذبا أن يحدث بكل ماسمع»(٤) ولذلك قال الإمام مالك رحمه الله: اعلم أنه ليس يسلم رجل حدث بكل ماسمع، ولا يكون إماما أبدا، وهو يحدث بكل ما سمع(٥)

---

١ - الإسراء:٣٦

٢ - الظلال:(٢٢٢٧/٤) بتصرف يسير

٣ - أخرجه البخاري:الأدب٦٠٦٦، مسلم البر(١٩٨٥/٤) رقم٢٨، الترمذي: البر(٣٥٦/٤) رقم١٩٨٨، أحمد (٢٤٥/٢)

٤ - أخرجه مسلم المقدمة(١٠/١) رقم٥،

٥ - انظر مقدمة مسلم: (١١/١)

لذلك وجب التثبت من كل قول أو حادثة أو مسألة، ويتأكد التثبت عند الإستدلال بشيء من حديث رسول الله ﷺ إذ إن الكذب عليه ليس كالكذب على غيره، ونسبة الأقوال اليه من غير تثبت مطية إلى الكذب: قال ﷺ: «من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»(١)

ومن النصوص العامة التي تؤكد أهمية التثبت وتقرر ضرورته، وتبين للمؤمنين كيف يتلقون الأنباء وكيف يتصرفون بها: قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُواْ قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِيْنَ﴾(٢).

ولعل قراءة عامة قراء أهل المدينة تبين المعنى بوضوح إذ قرأوا: ﴿فَتَثَبَّتُوا﴾ والمعنى على كلا القراءتين: أي أمهلوا حتى تعرفوا صحته، ولا تعجلوا بقبوله(٣)

فمتى تطرق الشك إلى الخبر أو ضعف ناقله وجب التثبت، ولم يجز الحكم به أو العمل بموجبه إلا بعد التأكد، وليس ذلك أمرا عسيرا أو تكليفا شاقا، لأن التأخر في قبوله والعمل به أهون وأيسر من التعجل ومؤاخذة الغير أو إصابته عن جهل وتسرع، مما يثير العداوة والبغضاء، وبعدها لاينفع الندم، ويصعب التراجع وإصلاح الخطأ، كما أن المطلوب هو التثبت من كلام ونقل غير الثقة، وأما الثقة الصالح الذي لايعرف عنه كذب ولا تدليس فيقبل منه، قال سيد قطب عند تفسيره هذه الآية:(ومدلول الآية عام وهو يتضمن مبدأ التمحيص والتثبت من خبر الفاسق، فأما الصالح فيؤخذ بخبره، لأن هذا هو الأصل في الجماعة المؤمنة، وخبر الفاسق استثناء. والأخذ بخبر الصالح جزء من منهج التثبت لأنه أحد مصادره. أما الشك المطلق في جميع المصادر وفي جميع الأخبار، فهو مخالف لأصل الثقة المفروض بين الجماعة المؤمنة، ومعطل لسير الحياة وتنظيمها في الجماعة، والإسلام يدع الحياة تسير في مجراها

---

١ - أخرجه مسلم المقدمة (٩/١)، الترمذي: العلم (٣٦/٥) رقم٢٦٦٢، ابن ماجة: المقدمة(١٤/١) رقم٣٨، أحمد (١٤/٥).

٢ - الحجرات:٦

٣ - انظر تفسير الطبري :(١٢٣/٢٦)

الطبيعي، ويضع الضمانات والحواجز فقط لصيانتها لا لتعطيلها ابتداء. وهذا نموذج من الإطلاق والإستثناء في مصادر الأخبار(١)

وعلى هذا فإن أدلة هذا الأمر كثيرة متعددة، وقد جاءت في صور مختلفة، فهناك أمثلة عديدة في جانب التثبت في الأخبار، وشواهد على لزوم التثبت في الأدلة وخاصة الحديث، ونماذج في التثبت في الأحداث، وأخرى يؤكد راويها أنه متثبت مما يروي وينقل، ولكثرة الأمثلة والنماذج، فسأقتصر على بعض منها في كل جانب من تلك الجوانب.

ففي جانب التثبت في الأخبار يمكن ذكر الأمثلة الآتية:

- تثبت سليمان عليه السلام من خبر الهدهد وعدم التسرع في تصديقه أو تكذيبه، وذلك حين قال الهدهد فيما قاله تعالى :﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ..﴾(٢) الآيات فلا يتسرع سليمان في الأمر، ولايستخفنه النبأ العظيم الذي جاء به. وإنما يأخذ في تجربته، للتأكد من صحته. شأن النبي العادل والملك الحازم:﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ. اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾(٣)

ومنه تثبت النبي ﷺ حين بلغه أن بني سلمة يعزمون على الإنتقال من ديارهم إلى قرب المسجد فقال لهم :«إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد، قالوا نعم يارسول الله! قد أردنا ذلك. فقال :« يا بني سلمة! دياركم تكتب آثاركم. دياركم تكتب آثاركم»(٤)

---

١ -الظلال:(٣٣٤١/٦)

٢ - النمل:٢٢-٢٣

٣ - النمل:٢٧-٢٨

٤ - مسلم: المساجد (٤٦٢/١) رقم٢٨٠، الترمذي: التفسير(٣٦٣/٥) رقم٣٢٢٦

وكذا تثبته من عبدالله بن عمرو بن العاص حين أخبر أنه يقول : لأقومن الليل ولأصومن النهار ماعشت، فقال رسول الله ﷺ «آنت الذيتقول ذلك؟ قال : قد قلته يا رسول الله ! فقال رسول الله ﷺ : «فإنك لاتستطيع ذلك٠٠ الحديث»(١)

ولعل من هذا ايضا أنه لما بلغ عائشة رضي الله عنها قول أهل الإفك، حيث أخبرتها أم مسطح بذلك، فأستأذنت النبي ﷺ في أن تأتي أبويها قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما٠٠ الخ(٢)

وفي حديث الإفك كله تثبت النبي ﷺ من هذا الخبر بسؤال بريرة مرة، وسؤال زينب بنت جحش مرة أخرى، وفيه تثبت أبي بكر أيضا وعدم تسرعه في الأمر، لأنه لم ينقل عنه في هذه القصة مع تمادي الحال فيها شهرا كلمة فما فوقها، إلا ماورد عنه في بعض طرق الحديث أنه قال: والله ماقيل لنا هذا في الجاهلية، فكيف بعد أن أعزنا الله بالإسلام(٣)

وفي جانب التثبت في الأحداث ما كان من تثبت النبي ﷺ في قصة حاطب بن أبي بلتعة في فتح مكة بعد أن كان منه ما كان، وجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ بالوحي، فلم يعجل بالحكم على حاطب حتى استدعاه وسأله: «ماحملك على ما صنعت»(٤) إذ إن أول المراحل عند وقوع حادثة أو سماع خبر هي مرحلة التثبت من وقوع الحدث ومن صحة الخبر، وفي هذه الحادثة تم التثبت عن طريق أوثق المصادر ألا وهي الوحي، والمرحلة الثانية هي مرحلة التثبت من الأسباب التي دفعت إلى إرتكاب الخطأ وهو ما فعله النبي ﷺ حين سأل حاطبا بنفسه عن سبب فعلته(٥)٠

---

١ - البخاري: الصوم١٩٧٥، مسلم(٢/٨١٢) رقم١٨١، النسائي: الصيام(٤/٢٠٩) رقم٢٣٨٨، احمد(٢/١٨٩)٠

٢ - تقدمت الإشارة اليه قريبا (انظر ص ٢٨٢)

٣ - انظر الفتح:(٨/ ٤٨٠)

٤ - الحديث أخرجه البخاري٣٩٨٣، مسلم: فضائل الصحابة: (٤/١٩٤١) رقم١٦١ وتقدم تخريجه في الباب السابق٠

٥ - انظر رسالة «وإذا قلتم فأعدلوا» لعبدالعزيز الجليل ص٣٩

ومنه ايضا تثبته ﷺ من خالد بن الوليد رضي الله عنه، عندما قتل رجل مسلم رجلا من الروم وأخذ سلبه، فمنعه خالد بن الوليد فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : ياخالد، ماحملك على ما صنعت؟ قال يارسول الله استكثرته٠٠ الحديث(١)

ويظهر ذلك جليا في قصة ماعز حيث إن النبي ﷺ تثبت من أصل خبره فقال له :« أحق مابلغني عنك ؟ قال: وما بلغك عني؟ قال: بلغني أنك وقعت بجارية آل فلان ، قال : نعم٠٠» الحديث(٢)

وتثبت من قومه فسألهم عنه « أبه جنون» فأخبر أنه ليس بمجنون٠ فقال :« أشرب خمرا » فقام رجل فشمه فلم يجد منه ريح خمر٠(٣) ثم رجمه بعد هذا التثبت والتأكد٠

ولعل قريبا من هذا سؤاله ﷺ للصحابة حين أخبره ذو اليدين أنه قد صلى العصر ركعتين، فقال ﷺ «أكما يقول ذو اليدين»، وفي رواية« أصدق ذو اليدين»(٤)

وفي جانب التثبت في الدليل، والتأكد من الحديث - خاصة - ما حصل من عمر رضي الله عنه عدة مرات من التشديد في هذا الأمر والتثبت وطلب البينة، ومن ذلك: (لما أستأذن عليه أبو موسى -رضي الله عنه- ثلاثا، فلم يأذن له فرجع، فسأله عن سبب رجوعه فأخبره بقول النبي ﷺ :« الإستئذان ثلاثا فإن أذن لك وإلا فارجع، فقال عمر: لتأتيني على هذا ببينة ، وإلا فعلت وفعلت، فأتى بأبي سعيد الخدري(٥)

---

١ - أخرجه مسلم الجهاد(٣/١٣٧٣) رقم٤٣، أبو داود : الجهاد(٣/٧٢) رقم٢٧١٩، أحمد(٦/٢٦)

٢ - أخرجه مسلم : الحدود (٣/١٣٢٠) رقم١٩، ابوداود: الحدود (٤/١٤٣) رقم٤٤١٩، الترمذي: الحدود(٤/٣٥) رقم١٤٢٧، أحمد(١/٣٢٨)

٣ - هذه رواية لمسلم: الحدود(٣/١٣٢١) رقم٢٢

٤ - أخرجه البخاري: الصلاة٤٨٢، مسلم: المساجد (١/٤٠٣) رقم٩٧، النسائي: السهو (٣/٢٠) رقم١٢٢٤

٥ - وفي رواية لمسلم أنه جاء بأبي بن كعب انظر مسلم الآداب :٣٣(ج٣ ص١٦٩٤)

فسأله عمر عن ذلك فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك يا أبن الخطاب! فلا تكونن عذابا على أصحاب رسول الله ﷺ فقال عمر : سبحان الله ! إنما سمعت شيئا فأحببت أن اتثبت(١)

وفي رواية الموطأ أن عمر قال لأبي موسى: (أما أني لم أتهمك ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله ﷺ) (٢).

ومثله ما ذكره المغيرة بن شعبة قال : سأل عمربن الخطاب عن إملاص المرأة - وهي التي يضرب بطنها فتلقي جنينا فقال : أيكم سمع من النبي ﷺ فيه شيئا؟ قال فقلت : أنا، فقال ماهو؟ قلت سمعت النبي ﷺ يقول : «فيه غرة عبد أو أمة» فقال : لاتبرح حتى تجيئني بالمخرج فيما قلت، قال فخرجت فوجدت محمد بن مسلمة فجئت به فشهد معي أنه سمع النبي ﷺ يقول: «فيه غرة عبد أو أمة»(٣)

ومن هذا الباب ايضا ماحدث به أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «فقدت أمة من بني إسرائيل لايدرى مافعلت، ولا أراها إلا الفأر. ألا ترونها إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشربه، وإذا وضع لها ألبان الشاء شربته؟» قال أبو هريرة: فحدثت هذا الحديث كعبا فقال : أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قلت : نعم. قال ذلك مرارا .

قلت: أ أقرأ التوراة؟(٤)

ومثله ماكان من عائشة رضي الله عنها، حين حدثها عروة حديثا سمعه من عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله لاينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعا ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء»

---

١ - تقدم تخريجه في المبحث الرابع ص:٢٥٧

٢ - الموطأ : (٢/٢٧٠)

٣ - أخرجه البخاري: الإعتصام٧٣١٧

٤ - تقدم في الباب الأول ص:١٩٤

(فلما حج عبد الله بن عمرو قالت عائشة لعروة: يا ابن أختي! انطلق إلى عبد الله فأستثبت لي منه الذي حدثتني عنه، فلما سأله وأخبرها، عجبت فقالت : والله لقد حفظ عبد الله بن عمرو)(١)

ولا بأس أن يزداد المحاور ثباتا أو يزيد الأمر تأكيدا ففي صحيح مسلم عن أبي بكر بن عمارة بن رؤيبة عن أبيه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، يعني الفجر والعصر. فقال له رجل من أهل البصرة: آنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم. قال الرجل: وأنا أشهد أني سمعته من رسول الله ﷺ. سمعته أذناي ووعاه قلبي(٢)

وفي قصة إسلام عمرو بن عبسة وإخباره بما علمه إياه رسول الله ﷺ من فضل الوضوء والصلاة وأنهما يكفران الذنوب والخطايا، فلما حدث عمرو بن عبسة بهذا الحديث أبا أمامة صاحب رسول الله ﷺ. فقال له أبو أمامة: يا عمرو بن عبسة! انظر ماتقول. في مقام واحد يعطى هذا الرجل! فقال عمرو: يا أبا أمامة! لقد كبرت سني، ورق عظمي، وأقترب أجلي، وما بي حاجة أن أكذب على الله، ولا على رسول الله. لو لم أسمعه من رسول الله ﷺ إلا مرة أو مرتين أو ثلاثا(حتى عد سبعا) ما حدثت به أبدا. ولكني سمعته اكثر من ذلك.(٣)

وسأترك بقية الأمثلة اختصارا، وفيما ذكر كفاية- ان شاء الله - في الدلالة على لزوم التثبت وأهميته بالنسبة للحوار، وضرورة الحذر من تصديق كل شيء أو من الإستعجال قبل التأكد من صحة المعلومات.

---

١ - أخرجه البخاري الإعتصام٧٣٠٧، أحمد (٢٠٣/٢)

٢ - أخرجه مسلم: المساجد(٤٤٠/١) رقم٢١٤، أبوداود : الصلاة(١١٣/١) رقم٤٢٧، أحمد(١٣٦/٤)

٣ - أخرجه مسلم: صلاة المسافرين (٥٧١/١) رقم٢٩٤، أحمد (١١١/٤)، ابن خزيمة في صحيحه:(٨٥/١) رقم١٦٥ مختصرا

المبحث الثامن:الرد على الشبه بما يناسبها

يكثر في الحوار إيراد الشبه التي ربما كانت عائقا أمام اقتناع الخصم وإذعانه، وغالبا مايطرح الخصم المعاند مثل هذه الشبه للإعراض عن الحق أو للتلبيس على محاوره، أو لتضييع الوقت والهروب من الحوار والمناقشة، وربما كان الأمر مشتبها فعلا على الخصم ويحتاج إلى كشف للشبهات وإزالة الاشكالات.

لذلك فلابد من قوة وصرامة في مقابلة الشبه التي يطرحها الخصم، كما أنه لابد من مواجهته بما قد يكون عنده من شبه تعرف عنه حتى ولو لم يصرح بها.

ومن شواهد ذلك في القرآن ماذكره الله عز وجل عن المنافقين في أول سورة البقرة حيث قال :﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَاتُفْسِدُواْ فِي الْأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُوْنَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُوْنَ وَلَكِنْ لَايَشْعُرُوْنَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَايَعْلَمُونَ﴾(١)

قال القرطبي رحمه الله : (قال تعالى :﴿أَلَا إِنَّهُم هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ ردا عليهم وتكذيبا لقولهم، قال أرباب المعاني: من أظهر الدعوى كذب ألا ترى أن الله عز وجل يقول :﴿أَلَا إِنَّهُم هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ وهذا صحيح)(٢)

قال ابن عاشور :(﴿أَلَا إِنَّهُم هُمُ السُّفَهَاءُ﴾أتىبمايقابل جفاء طبعهم انتصارا للمؤمنين، ولولا جفاء قولهم :﴿أَنُؤْمِنَ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ لما تصدى القرآن لسبابهم... إلى قوله : فتحسن فيه الصراحة والصرامة)(٣)

ويقول الشيخ عبدالرحمن ابن سعدي: (ولما كان في قولهم :﴿إنما نحن مصلحون﴾ حصر الإصلاح في جانبهم - وفي ضمنه أن المؤمنين ليسو من أهل الصلاح - قلب الله عليهم دعواهم بقوله :﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾(٤)

---

١ - البقرة:١١-١٣

٢ - تفسير القرطبي:(٢٠٤/١)

٣ - التحرير والتنوير:(٢٨٨/١)

٤ - تيسير الكريم الرحمن:(٣٧/١)

فهذا القول من الله جل ثناؤه في قوله :﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ وقوله﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ تكذيب للمنافقين ورد عليهم فيما ادعوه من الإصلاح ومقابلة للشبهه بما يناسبها من الصراحة والصرامة(١)

ومن هذا الباب ايضا رد إبراهيم عليه السلام على قومه حين خوفوه ما أشركوا حيث قال :﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَالَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً، فَأَيُّ الفَرِيْقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ﴾(٢)

فلقد كانت حجة إبراهيم عليه السلام قوية حين قابل تخويفهم له بآلهتهم بتخويفهم من الله عز وجل الذي جعلوا له الشركاء والأنداد من غير حجة ولا سلطان، ثم طرح عليهم ذلك السؤال المحرج سؤال المؤمن الواثق الذي يبين أن الذي يستحق الأمن والإطمئنان هو فريق المؤمنين، وأنه إن كان أحد قمينا بالخوف فليس هو إبراهيم المؤمن الموحد المرسل من ربه، وإنما الذي يشرك بالله مالا سلطان له ولا قوة.

قال الزمخشري :(وكيف أخاف ، لتخويفكم شيئا مأمون الخوف لايتعلق به ضرر بوجه، وأنتم لاتخافون مما يتعلق به كل مخوف، وهو إشراككم بالله مالم ينزل بإشراكه «سلطانا»، أي: حجة، لأن الإشراك لايصح أن يكون عليه، كأنه قال : ومالكم تنكرون علي الأمن في موضع الأمن، ولا تنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف)(٣)

ولذلك قال تعالى بعدها :﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾(٤) فلما واجههم بالحجة التي آتاها الله له وألهمه إياها، سقطت حجتهم وعلت حجته وارتفع ابراهيم على قومه عقيدة وحجة ومنزلة.(٥)

----

١ - انظر الطبري:(١/١٢٧) ، الكشاف:(١/٦٣)

٢ - الأنعام:٨١

٣ - الكشاف: (٢/٣٢)

٤ - الأنعام:٨٣

٥ - انظر الطبري(٧/٢٥٣-٢٥٩) ، الظلال:(٢/١١٤٢)

ويظهر هذا الأدب واضحا في نفي نوح عن نفسه الضلالة، ونفي هود عن نفسه السفاهة حين اتهما بهما - عليهما السلام - حيث قال سبحانه في قصة نوح :﴿قَالَ المَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِيْنٍ· قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُوْلٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِيْنَ أُبَلِّغُكُم رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَالاتَعْلَمُوْنَ﴾(١)

وقال في قصة هود :﴿قَالَ المَلَأُ الَّذِيْنَ كَفَرُواْ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِيْ سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الكَاذِبِيْنَ قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُوْلٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِيْنَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِيْنٌ﴾(٢)

فنجد أن نبييّْ الله عليهما السلام، قد واجه كل واحد منهما الشبهة التي أثيرت حوله بما يناسبها، حيث نفى كل منهما التهمة التي أتهم بها، ثم أثبتا لنفسيهما الرسالة، وكشفا لهم عن حقيقة دعوتهما ومنبعها، وأنهما يحملان مع الرسالة النصح والأمانة، وهذا الرد على تلك الشبهة: غاية في الأدب وحسن الخلق الذي يناسب حال المخاطبين.

قال الزمخشري في هذا المعنى:(وفي إجابة الأنبياء عليهم السلام من نسبهم إلى الضلالة والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإعفاء وترك المقابلة بما قالوا - مع علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفههم - : أدب حسن وخلق عظيم، وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء، وكيف يغضون عنهم ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم)(٣)

ومن نماذج ذلك ايضا ماذكره الله عز وجل عن نوح عليه السلام في قوله تعالى :﴿وَيَصْنَعُ الفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَومِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُوْنَ﴾(٤)

---

١ - الأعراف:٦٠-٦٢

٢ - الأعراف:٦٦-٦٨

٣ - الكشاف:(٨٧/٢)، انظر الظلال:(١٣٠٩/٣)، زبدة التفسير:٢٠٢

٤ - هود:٣٨

فهذا نوح عليه السلام يجيب قومه جواب الواثق ويخبرهم في اعتزاز وثقة وطمأنينة واستعلاء، إنه يبادلهم سخرية بسخرية فإنهم إن كانوا يسخرون منه لأنه يصنع الفلك فإنه يسخر منهم كذلك، ولكن لأنهم لايدركون ماوراء هذا العمل من تدبير الله، وما ينتظرهم من الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة(١)

وقريب من هذا ما أشار الله عز وجل إليه في الرد على المشركين حين أثاروا الشبهة حول تحريم أكل الميتة، وقالوا للمؤمنين: أتأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتل الله؟ يعنون الميتة، فأنزل الله:﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِيْنَ لَيُوحُوْنَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُوْنَ﴾(٢)

فبين سبحانه أن تلك الشبهة وحي من الشياطين لقنوها لأوليائهم المشركين، ليعاندوا بها الله ورسوله وليجادلوا المؤمنين بغير حجة ولا برهان(٣)

وقريب منه أيضا ماذكره الله من رد على من أدعى الإيمان من الأعراب، حيث قال تعالى :﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ ءَآمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُواْ وَلَكِنْ قُولُوْا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيْعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَايَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيْمٌ﴾(٤)

قال الزمخشري في بيان دلالة الآية وبلاغة الرد مانصه :« أفاد هذا النظم تكذيب دعواهم أولا، ودفع ما أنتحلوه، فقيل:﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُواْ﴾ وروعي في هذا النوع من التكذيب أدب حسن حين لم يصرح بلفظه فلم يقل: كذبتم، ووضع ﴿لَمْ تُؤْمِنُواْ﴾ الذي هو نفي ما ادعوا اثباته موضعه، ثم نبه على ما فعل من وضعه موضع كذبتم في قوله في صفة المخلصين: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُوْنَ﴾ تعريضا بأن هؤلاء هم الكاذبون.

---

١ - انظر الكشاف :(٢/٢٦٨)، الظلال :(٤/١٨٧٧)

٢ - الأنعام:١٢١

٣ - انظر تفسير السعدي :(٢/٦٤)، زبدة التفسير :١٨٢

٤ - الحجرات:١٤

ورب تعريض لايقاومه التصريح، واستغنى بالجملة التي هي ﴿لم تؤمنوا﴾ عن أن يقال: لاتقولوا آمنا(١) لاستهجان أن يخاطبوا بلفظ مؤداه النهي عن القول بالإيمان، ثم وصلت بها الجملة المصدرة بكلمة الإستدراك محمولة على المعنى، ولم يقل ولكن اسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوه كما كان قولهم آمنا كذلك ولو قيل ولكن اسلمتم لكان خروجه في معرض التسليم لهم والإعتداد بقولهم وهو غير معتد به(٢)

فظهر مما سبق من كلام الزمخشري واضحا مقابلة ادعاء الأعراب الايمان، بما يناسبه من النفي والتكذيب لدعواهم، وبأسلوب التعريض والتلميح(٣)، مع مراعاة الأدب الحسن الذي يتناسق مع طبيعة الأعراب الجافة الغليظة.

ومن شواهد هذا النوع مارد الله به على اليهود وغيرهم في مسألة تحويل القبلة حيث قال الله تعالى :﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(٤)

وذكر الشيخ السعدي كلاما حول الآية ملخصه: أن الآية اشتملت على معجزة، وتسلية، وتطمين قلوب المؤمنين، وإعتراض وجوابه، من ثلاثة أوجه، وصفة المعترض، وصفة المسلم لحكم الله دينه، فأخبرهم بأنه لابد أن يعترض السفهاء، فسلاهم وأخبر بوقوعه، وأنه إنما يقع ممن اتصف بالسفه، قليل العقل والحلم والديانة، فلا تبالوا بهم، إذ قد علم مصدر هذا الكلام، وقد كان في قوله : ﴿السُّفَهَاءُ﴾ ما يغنى عن رد قولهم، وعدم المبالاة به، ولكنه تعالى مع هذا لم يترك هذه الشبهة، حتى أزالها وكشفها مما سيعرض لبعض القلوب من الإعتراض،

---

١ - الأصل:آمنوا

٢ - الكشاف:(٣/٥٧)

٣ - سيأتي مبحث خاص في ذلك -إن شاء الله

٤ - البقرة:١٤٢

فقال تعالى: ﴿قُلْ﴾ مجيبا لهم:﴿لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(١)

فتبين من خلال ذلك أن الآية فيها مقابلة الخصم بما عنده، والمبادرة بإبطال شبهه، وأن هذا الأسلوب أبلغ في الرد، وأعمق في التأثير٠ ولعل من هذا الباب ايضا ماجاء في مجابهة الرسل لأقوامهم، ومواجهتهم بما عندهم من الشبه والمنكرات والمبادرة بإبطالها والرد عليها، فعلى سبيل المثال ماذكره الله عز وجل عن لوط عليه السلام، حيث قال: ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَاسَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾(٢)

وكذا قوله في الآية الأخرى عنه ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾(٣)

قال في الظلال: (ويبدو انحراف الفطرة واضحا في قصة قوم لوط ، حتى إن لوطا ليجبههم بأنهم بدع دون خلق الله فيها، وأنهم في هذا الإنحراف الشنيع غير مسبوقين)(٤)

ومثل ذلك مواجهة شعيب لقومه ، والمبادرة بالإنكار عليهم في امر التطفيف، بعد دعوتهم للتوحيد، كما في قوله﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ، وَلَاتُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ٠٠٠﴾(٥) الآية فقد واجههم شعيب عليه السلام بما عندهم من الفساد، وبدأهم بما يعرف عنهم من الضلال٠

---

١ - تفسير السعدي:(١/١٠٤-١٠٥)

٢ - الأعراف:٨٠-٨١

٣ - الشعراء:١٦٥-١٦٦

٤ - الظلال:(٣/١٣١٥)

٥ - الأعراف:٨٥

وقبل الإنتقال إلى أمثلة السنة نكمل المسيرة مع القرآن بذكر شواهد مختصرة سريعة تبين كيفية مواجهة الشبه بما يناسبها فمن ذلك مثلا:

قوله تعالى عن المنافقين:﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِيْنَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَو إِلَى شَيَاطِيْنِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكَمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ﴾

ثم واجه هذا الأمر ورد عليه بقوله :﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(١)

وقوله تعالى فيهم أيضا:﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُوْلُ ائْذَنْ لِيْ وَلا تَفْتِنِّيْ﴾ فكان الجواب عليهم: ﴿أَلاَ فِي الفِتْنَةِ سَقَطُواْ﴾(٢)

وقوله تعالى في الرد على شبهة أخرى من شبههم﴿وَقَالُواْ لاتَنْفِرُواْ فِيْ الْحَرْ﴾ فكان الرد أقوى وأحزم:﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُواْ يَفْقَهُوْنَ﴾(٣)

وكذلك قول الله فيهم ﴿الَّذِيْنَ يَلْمِزُوْنَ الْمُطَّوِعِيْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِيْنَ لاَيَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُوْنَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ﴾(٤)

وفي حث المؤمنين على مواجهة اعدائهم بقوة وإيمان صادق يقول سبحانه:﴿أَلاَ تُقَاتِلُوْنَ قَوماً نَكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَؤُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ﴾(٥)

وفي مواجهة الكفار عموما يقول تعالى :﴿وَيَمْكُرُوْنَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِيْنَ﴾(٦)

---

١ - البقرة:١٤-١٥

٢ - التوبه:٤٩

٣ - التوبة:٨١

٤ - التوبة:٧٩

٥ - التوبة:١٣

٦ - الأنفال:٣٠

ويقول أيضا:﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً وَأَكِيدُ كَيْداً فَمَهِّلِ الكَافِرِيْنَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾(١) إلى غيرها من الآيات في مثل هذا الباب.

ومن أدلة ذلك من السنة حديث عائشة رضي الله عنها كما في رواية مسلم ونصه (عن مسروق قال : كنت متكئا عند عائشة فقالت: يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية ، قلت ماهن؟ قالت: من زعم أن محمدا ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متكئا فجلست فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني ألم يقل الله عز وجل:﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِيْنِ﴾(٢) ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾(٣) فقالت : أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء والأرض فقالت : أولم تسمع أن الله يقول:﴿لاتُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيْفُ الخَبِيْرُ﴾(٤) أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿وَماكَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَايَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيْمٌ﴾(٥)

قالت: ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئا من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية والله يقول ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾(٦) قالت: ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول ﴿قُلْ لَايَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾(٧).(٨)

---

١ - الطارق:١٧

٢ - التكوير:٢٣

٣ - النجم:١٣

٤ - الأنعام:١٠٣

٥ - الشورى:٥١

٦ - المائدة:٦٧

٧ - النمل:٦٥

٨ - أخرجه مسلم: الإيمان(١/١٥٩) رقم٢٨٧،الترمذي:التفسير(٥/٣٩٤) رقم٣٢٧٨

فهذه عائشة رضي الله عنها ترد على شبهة مسروق، وذلك ببيان المقصود من الآية التي استدل بها، استنادا إلى ما سمعته من النبي ﷺ في تفسيرها، فتبطل استدلاله بالآيتين، ثم تقابل ذلك الإستدلال بإستدلال أقوى منه، تؤيد به قولها وذلك حين قالت: أولم تسمع أن الله يقول ﴿لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ٠٠﴾ أو لم تسمع أن الله يقول ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً٠٠٠﴾ الآية

ومن أمثلة ذلك ايضا ما جاء في حديث احتجاج آدم وموسى عليهما السلام وفيه: (قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض؟ فكان جواب آدم عليه السلام مقابلا لكلام موسى من حيث التذكير بالنعم والثناء عليه، حيث قال آدم: أنت موسى الذي أصطفاك الله برسالاته وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء، وقربك نجيا، ثم استدرجه بسؤاله عن زمن كتابة التوراة، وأن فيها:﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾(١) وأن ذلك كان مكتوبا عليه قبل أن يخلق بأربعين سنة، وبذلك حج آدم موسى(٢)

ومن أمثلته أيضا حوار أبي هريرة وعبدالله بن سلام، في الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة، وفيه قول عبدالله: إني لأعلم تلك الساعة٠ قال أبو هريرة: فقلت يا أخي حدثني بها٠ قال : هي آخر ساعة من يوم الجمعة قبل أن تغيب الشمس٠ قال قلت : أليس قد سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لايصادفها مؤمن وهو في الصلاة، وليست تلك الساعة صلاة؟ قال : أليس قد سمعت رسول الله ﷺ يقول "من صلى وجلس ينتظر الصلاة لم يزل في صلاته حتى تأتيه الصلاة التي تلاقيها" قال: قلت : بلى! قال فهو كذلك(٣)

فقد قابل عبدالله بن سلام رضي الله عنه الشبهة التى اشكلت على إبى هريرة، بما يناسبها، فحين ذكر أبوهريرة حديثا، ذكر له حديثا يبينه ويقضي على شبهته٠

---

١ - طه:١٢١

٢ - تقدم تخريجه في أول الرسالة ص:١٢

٣ - أخرجه النسائي :الجمعة(٣/١١٥) رقم١٤٣٠ بهذا اللفظ، الموطأ: الصلاة (١/٨٨) رقم٩٣، أحمد (٦/٧)،(وصححه الألباني في صحيح النسائي١٣٥٤)

ومن شواهد ذلك من السنة حديث خباب رضي الله عنه قال :(جئت العاص بن وائل السهمي، أتقاضاه حقا لي عنده، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد. فقلت: لا، حتى تموت ثم تبعث. قال : وإني لميت ثم مبعوث؟ قلت : نعم. قال : إن لي هناك مالا وولدا فأقضيك فنزلت هذه الآية :﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِيْ كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوْتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً﴾(١)(٢).

قال في الفتح: (والنكتة في تعبيره بالبعث تعيير العاص بأنه لا يؤمن به)(٣)

فقد أحسن خباب رضي الله عنه في مواجهه العاص بما يناسبه حاله، لما عرف عنه من إنكار البعث والنشور.

ومثل ذلك ماورد في حديث عبدالله بن سلام رضي الله عنه ومواجهته ليهود حيث قال لهم: فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بحق(٤)

فقد واجههم بما يكتمونه في أنفسهم، من المعرفة برسالته ﷺ، وأن ما جاءهم به حق لامرية فيه.

فمما سبق من أمثلة ونماذج يتبين أنه لابد للمحاور من التفطن إلى شبه خصمه ويقابلها بالرد المناسب المقنع، والجواب الواضح البين الذي يكشف الشبهه ويزيل اللبس والإشكال عنها، فيضع محاوره أمام خيار واحد، لايملك إلا أن يسير فيه ويسلم برأي محاوره.

كما أنه يحسن بالمحاور أن يتنبأ بما يمكن أن يلقى عليه خصمه من الشبه(٥)، ويفترض الإشكالات التي قد تكون عقبة أمام اقتناع الطرف الآخر، وبالتالي اعداد الجواب المناسب لها وإظهار الحجة القوية لإبطالها، ويكون كل ذلك في صراحة وصرامة، مع مراعاة لين الكلام وحسن الأدب، ولطف العبارة...

---

١ - مريم :٧٧

٢ - أخرجه البخاري: التفسير٤٧٣٢، الترمذي:التفسير(٥/٣١٨) رقم٣١٦٢، أحمد(٥/١١١)

٣ - الفتح:(٨/٤٣٠) وانظر تحفة الأحوذي: (٨/٤٨٤)

٤ - أخرجه البخاري : مناقب الأنصار٣٩٣٨، أحمد (٣/١٠٨)

٥ - سيأتي مبحث مستقل في مثل هذا الأمر- إن شاء الله.

ثم إذا تقرر هذا الأدب الرفيع، فإنه يجب على المحاور أن يحذر من مسلك الطريقة الفرعونية، في رد الحق بالباطل، ومقابلة الحجة بالشبهة، فرارا من التسليم للحق، وهروبا من الإعتراف بالخطأ، كما قد قال فرعون لموسى ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ﴾(١) فإنه قد رد الحق البين بالسحر المزعوم، متهما موسى بذلك في رسالته وأمانته، وهو مسلك المعاندين في كل زمان، عند عجزهم عن الحجة القوية والأدلة الظاهرة، وفي ذلك يقول سيد قطب رحمه الله في تعليقه على الآية المذكورة: (وهكذا يفهم الطغاة أن دعوى أصحاب العقائد إنما تخفي وراءها هدفا من أهداف هذه الأرض، وأنها ليست سوى ستار للملك والحكم.. ثم هم يرون مع أصحاب الدعوات آيات، إما خارقة كآيات موسى، وإما مؤثرة في الناس تأخذ طريقها إلى قلوبهم، وإن لم تكن من الخوارق. فإذا الطغاة يقابلونها بما يماثلها ظاهريا...سحر، نأتي بمثله! كلام، نأتي بكلام من نوعه! صلاح، نتظاهر بالصلاح! عمل طيب، نرائي بعمل طيب ! ولايدركون أن للعقائد رصيدا من الايمان، ورصيدا من عون الله، فهي تغلب بهذا وبذاك، لابالظواهر والأشكال)(٢)

---

١ - طه :٥٨.

٢ - الظلال :(٤/٢٣٤٠)

المبحث التاسع : ضرب الأمثلة

المتحدث الناجح والمحاور الذكي، هو الذي يحسن ضرب الأمثلة، ويتخذها وسيلة لإقناع محاوره بالفكرة الصحيحه، أو لتقريب وجهات النظر والتعبير عن المعاني وشرحها، فالأمثلة الجيدة تزيد المعنى وضوحا وبيانا، وهي تفيد مع العالم كما تفيد مع من دونه، وتؤثر على الكبير كما تؤثر على الصغير(١)

ولما للأمثلة من دور إيجابي فعال في تقريب المعاني والإقناع بها، فقد اعتنى القرآن بها كثيرا، فأشار إلى أهميتها وبيان هدفها، وهو أن يفقه السامع ويتفكر ويعقل:﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾(٢) ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٣)، كما أشار إلى أن العالم الحق هو الذي يعقل الأمثال ويدرك مقاصدها: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾(٤)

وقد ذكر في القرآن عدد كبير من الأمثلة في مواضع مختلفة وبأساليب متنوعه، منها ماذكر فيه لفظ: (المثل) وهذه تزيد على العشرين مثلا، ومنها مايذكر المثل بصيغة التشبيه ونحوها، ويلاحظ تنوع الموضوعات التي يضرب لها المثل، وتعدد الجوانب التي ترد فيها.

ففي جانب التوحيد وبيانه وإظهار ثمرته وقوته يقول تعالى :﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾(٥)

---

١ - أصول الحوار ص٣٠ بتصرف يسير

٢ - إبراهيم:٢٥

٣ - الحشر:٢١

٤ -العنكبوت:٤٣

٥ - إبراهيم:٢٤-٢٥

وفي المقابل وفي التحذير من الشرك والكفر ومتعلقاته يقول عز وجل:﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَالَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾(١).

فكلمة التوحيد راسخة في قلب المؤمن في دنياه وآخرته، وكلمة الكفر والباطل نهايتها إلى الفناء والبوار، وفي ضرب هذه الأمثال زيادة تذكير وتفهيم وتصوير للمعاني.(٢)

وفي هذا الجانب أيضا: يضرب مثلا لمن يعبد الله وحده، ولمن يعبد آلهة متعددة ويشرك بالله العظيم:﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَيَعْلَمُونَ﴾(٣)

وفي جانب الإنكار على اليهود تركهم العمل بما عندهم من العلم والكتاب يشبههم بقبيح من الحيوانات:﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُواْ التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَيَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(٤)

وفي جانب التحذير من النفاق والإنكار على المنافقين يقول الله تعالى عنهم:﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَاحَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَيُبْصِرُونَ. صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَيَرْجِعُونَ. أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ المَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالكَافِرِينَ. يَكَادُ البَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٥).

---

١ - إبراهيم:٢٦

٢ - انظر زبدة التفسير ص٣٣٣

٣ - الزمر:٢٩

٤ - الجمعة:٥

٥ - البقرة:١٧-٢٠

فها هنا يضرب الله مثلين للمنافقين: أحدهما: ناري، والآخر: مائي، فيشبه حالهم من استضاءتهم بنور الايمان ومعرفة الحق، ثم الخروج منه إلي ظلمة الكفر والنفاق، بمن كان في ظلمة واحتاج إلى النار فلما أضاءت له الطريق زال عنه نورها، وعاد إلى الظلمة العظيمة والنار المحرقة، فذهب ما فيها من الإشراق، وبقي ما فيها من الإحراق، فاجتمعت عليه ظلمات متعددة: ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة المطر، والظلمة الحاصلة بعد النور، فكيف يكون حال هذا الموصوف؟(١)

ويشبههم أيضا بمن يسير في ظلمة ومطر شديد ورعد وبرق ، فيجعل أصابعه في أذنيه خشية الموت، فالمنافقون إذا سمعوا الحق والقرآن وما فيه من الوعيد والزواجر يصموا آذانهم عن سماعه، كما أنهم ربما يصيبهم شيء من الخير والغنيمة، فهذا الضياء الذي يمشون فيه، ولكن إذا أصابهم بلاء رجعوا عن دينهم وأرتدوا كفارا(٢)٠ وهذا كقوله تعالى فيهم:﴿الَّذِيْنَ يَتَرَبَّصُوْنَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُواْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِيْنَ نَصِيْبٌ قَالُواْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾(٣) الآية

وفي جانب حث المؤمنين على الإنفاق يقول تعالى :﴿ مَثَلُ الَّذِيْنَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيْلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مَائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيْمٌ﴾(٤)

والأمثلة غير ذلك كثيرة في كتاب الله، وفي السنة أكثر من ذلك، فقد كان النبي ﷺ يكثر من ضرب الأمثلة وتقريب المعاني بالأمور المحسوسة، فهو أحيانا

---

١ - انظر تفسير السعدي:(٤٠/١)

٢ - انظر زبدة التفسير ص٥

٣ - النساء:١٤١

٤ - البقرة:٢٦١

يطرح مثلا من عنده ثم يربطه بمعنى عظيم كما في قوله ﷺ : «أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ما تقول ذلك يبقى من درنه ؟ قالوا : لايبقى من درنه شيئا، قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحوا الله به الخطايا»(١).

وهو أحيانا يجيب على أسئلتهم بمثل يوضح الإشكال ويزيل اللبس، فقد سأله الصحابة فقالوا : يارسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا لا يارسول الله. قال : فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا ، قال : فإنكم ترونه كذلك... الحديث»(٢)

وهو أحيانا يطلب منهم مثلا لشيء معين كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا عندرسول الله ﷺ فقال : أخبروني بشجرة تشبه أو كالرجل المسلم لايتحات ورقها ولا ولا ولا.. تؤتي أكلها كل حين، قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبابكر وعمر لايتكلمان، فكرهت أن أتكلم، فلما لم يقولوا شيئا قال رسول الله ﷺ : هي النخلة.. الحديث»(٣)

وهو يستخدم التشبيه البليغ في الإقناع وإزالة الشبهات، ففي صحيح البخاري: (باب من شبه أصلا معلوما بأصل مبين وقد بين النبي ﷺ حكمهما ليفهم السائل)(٤)

---

١ - أخرجه البخاري: المواقيت٥٢٨، مسلم: المساجد(٤٦٢/١) رقم٢٨٣، النسائي: الصلاة(٢٣٠/١) رقم٤٦٢، أحمد(٧٢/١)

٢ - أخرجه البخاري: الأذان ٨٠٦، مسلم : الإيمان(١٦٣/١) رقم٢٩٩، أبوداود: السنة(٢٣٣/٤) رقم٤٧٢٩، الترمذي: الجنة(٦٨٨/٤) رقم٢٥٥٤، ابن ماجة: الزهد(١٤٥٠/٢) رقم٤٣٣٦، أحمد(٢٧٥/٢)

٣ - أخرجه البخاري : التفسير٤٦٩٨، مسلم: المنافقين(٢١٦٤/٤)رقم٦٢، الترمذي الأمثال(١٥١/٥) رقم٢٨٦٧، أحمد (٦١/٢)

٤ - الفتح:(٢٩٦/١٣) كتاب الإعتصام بالسنة

وذكر فيه حديث أبي هريرة أن أعرابيا أتى رسول الله ﷺ فقال : إن إمرأتي ولدت غلاما أسود وإني أنكرته، فقال له رسول الله ﷺ: هل لك من إبل؟ قال : نعم، قال: فما ألوانها؟ قال : حمر، قال: هل فيها من أورق؟ قال إن فيها لورقا، قال : فأنى ترى ذلك جاءها؟ قال : يارسول الله عرق نزعها، قال: ولعل هذا عرق نزعه.. الحديث(١)

ثم ذكر حديث ابن عباس أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: (إن أمي نذرت أن تحج فماتت قبل أن تحج، أفأحج عنها؟ قال: نعم حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ قالت: نعم، قال : فأقضوا الذي له، فإن الله أحق بالوفاء)(٢)

ولعل مثل هذا تماما حديث المرأة التي قالت للرسول ﷺ : إن أمي ماتت وعليها صوم شهر، فقال :« أرأيت لو كان عليها دين أكنت تقضينه؟ قالت:نعم، قال: «فدين الله أحق بالقضاء»(٣)

وفي مرة أتى النبي ﷺ المقبرة فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا ، قالوا: أو لسنا إخوانك يارسول الله؟ قال: أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد، فقالوا : كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يارسول الله؟ فقال :« أرأيت لو أن رجلا له خيل غر محجله بين ظهري خيل دهم بهم، ألا يعرف خيله؟ قالوا : بلى يارسول الله.

---

١ - أخرجه البخاري: الإعتصام٧٣١٤، مسلم اللعان(١١٣٧/٢) رقم١٨، ابوداود : الطلاق(٢٨٦/٢) رقم٢٢٦٠، الترمذي: الولاء(٤٣٩/٤) رقم٢١٢٨، النسائي: الطلاق:(١٧٨/٦) رقم٣٤٧٨، ابن ماجة: النكاح (٦٤٥/١) رقم٢٠٠٢، أحمد(٢٣٣/٢)

٢ - أخرجه البخاري: الإعتصام٧٣١٥، النسائي: الحج(١١٦/٥) رقم٢٦٢٣

٣ - أخرجه البخاري: الصوم١٩٥٣، مسلم: الصيام(٨٠٤/٢) رقم١٥٤، الترمذي: الصوم(٨٧/٣) رقم٧١٦، ابن ماجة الصيام(٥٥٩/١) رقم١٧٥٨

قال: فإنهم يأتون غرا محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أناديهم: ألا هلم! فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول سحقا سحقا»(١)

ولإستقرار هذه القضية ولأهمية ضرب الأمثلة، فقد استخدمها الصحابة رضوان الله عليهم في مناقشاتهم وإختلافهم، فهذه عائشة رضي الله عنها وقع عليها الإبتلاء وأصابها الهم والحزن - كما في حادثة الإفك - فأرادت أن تهون من مصابها، وتخفف من آلامها، فالتمست لنفسها مثلا، فلما سألها رسول الله ﷺ عما أشيع عنها ولم يجب عنها أبوها ولا أمها، فأجابت :«قالت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن، فقلت: إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما يتحدث به الناس ووقر في أنفسكم وصدقتم به، وإن قلت لكم إني بريئة - والله يعلم أني بريئة - لاتصدقونني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر - والله يعلم إني بريئة - لتصدقني، والله ما أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف إذ قال :﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾(٢)(٣)

وكذلك لما خرج عمر رضي الله عنه إلى الشام، ثم أخبروه أن الوباء قد وقع بالشام، فاستشار من معه من المهاجرين، ثم استشار الأنصار، فاختلفوا، فاستشار مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فقالوا : نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء.

فنادى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر، فأصبحوا عليه.فقال أبوعبيدة بن الجراح: أفرارا من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أباعبيدة! (وكان عمر يكره خلافه) نعم. نفر من قدر الله إلى قدر الله. أرأيت لو كانت لك إبل

---

١ - أخرجه مسلم: الطهارة(١/٢١٨) رقم٣٩، النسائي:الوضوء(١/٩٤) رقم١٥٠، ابن ماجة:الزهد(٢/١٤٣٩) رقم٤٣٠٦، الموطأ : الوضوء(١/٤٠) رقم٢٦، أحمد(٢/٣٠٠)

٢ - يوسف:١٨

٣ - تقدم تخريجه ص:١٢٥ وغيرها.

فهبطت واديا له عدوتان، إحداهما خصبة والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ فجاء عبدالرحمن بن عوف، وكان متغيبا في بعض حاجته، فقال: إن عندي من هذا علما. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم به بأرض، فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها، فلا تخرجوا فرارا منه» فحمد الله عمر بن الخطاب ثم انصرف.(١)

ولما كان ضرب المثل نوع من القياس ، فيحسن هنا تلخيص أنواع القياس التي تشبه ضرب الأمثلة، وأن نذكر بعض أمثلتها، فمن ذلك(٢)

أ - الأقيسة الإضمارية: وهي التي تحذف فيها احدى المقدمات مع وجود ماينبىء عن المحذوف(٣)، وبمعنى آخر: هو ماذكرت فيه مقدمة واحدة فقط، ومثاله قول الله عز وجل:﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(٤) وتقدير المعنى في هذه المقايسة: أي إن كان الخلق من غير أب مسوغا لاتخاذ عيسى إلها أو ابنا لله، فإن آدم أولى بذلك من عيسى لأنه خلق من غير أب ولا أم، وهم لايقولون بذلك، بل لم يقل به أحد(٥)

وهذا النوع تكرر في أدلة القرآن كثيرا، وهو يعطي الدليل قوة وفصاحة وبيانا، قال شارح الطحاوية:«والقرآن قد ضرب الله للناس فيه من كل مثل، وهي المقاييس العقلية المفيدة للمطالب الدنيوية، لكن القرآن يبين الحق في الحكم والدليل، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟ وما كان من المقدمات معلومة ضرورية متفقا عليها، استدل بها، ولم يحتج إلى الإستدلال عليها.. والطريقة الفصيحة في البيان أن تحذف، وهي طريقة القرآن»(٦)

---

١ - أخرجه البخاري: الطب٥٧٢٩، مسلم: السلام(١٧٤٠/٤) رقم٩٨، أحمد(١٩٤/١)

٢ - ملخصه من مناهج الجدل ص٧٦-٧٩ بتصرف واضافة عليها

٣ - مناهج الجدل :ص٧٦

٤ - آل عمران:٥٩

٥ - انظر الحوار مع أهل الكتاب ص٢١٠

٦ - شرح العقيدة الطحاوية ص٢٨

ب - قياس الخلف: وهو اثبات المطلوب بإبطال نقيضة، وذلك لأن النقيضين لايجتمعان، ومن أمثلته قوله تعالى:﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا • فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾(١) وتقريره : أن لو كان في السموات والأرض إله غير الله لتنازعت الإرادتان، ولأدى ذلك إلى فسادهما، ولكنهما صالحان غير فاسدين فدل على الوحدانية، ويسمى هذا النوع ايضا دليل التمانع(٢)

جـ - قياس التمثيل : وهو إلحاق أحد الشيئين بالآخر، وذلك بأن يقيس الأمر الذي يريد إثباته على أمر معروف عند المخاطب أو على أمر بدهي لا تنكره العقول، ويبين الجهة الجامعة بينهما، وكثير من أدلة البعث والقيامة ترجع إلى هذا النوع، كعقد المشابهة بين ابتداء الخلق وإعادته كما في قوله تعالى :﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾(٣) وقوله أيضا: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ • قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِيَ أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ • الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ • أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾(٤)

د - قياس الأولى: وهو أن تكون العلة في الفرع أولى بالحكم منها في الأصل، ويصلح مثالا له ماذكر في النوع الأول من قياس عيسى على آدم وإبطال من قال بألوهيته أو بنوته من باب الأولى(٥)

إلى غير ذلك مما يتعلق بالقياس، وإنما المقصود التنبيه على أهمية ضرب المثل وقوته في الإستدلال، والإشارة إلى أنواع من هذا الباب، لإستخدام المناسب منها في الحوار والمناظرة•

---

١ - الأنبياء :٢٢

٢ - مناهج الجدل :ص٧٧-٧٨

٣ - ق :١٥

٤ - يس :٧٨-٨١

٥ - الحوار مع أهل الكتاب :ص٢١٠

وقد لخص الحافظ ابن حجر - رحمه الله - بعض فوائد ضرب الأمثلة، في تعليقه على حديث النخلة وتشبيهها بالمؤمن، فقال: (وفيه ضرب الأمثال والأشباه لزيادة الإفهام، وتصوير المعاني لترسخ في الذهن، ولتحديد الفكر في النظر في حكم الحادثة»(١)

ويبين ابن القيم أن الأمثال تضرب: (لتقريب المراد وتفهيم المعنى، وإيصاله إلى ذهن السامع، وإحضاره في نفسه بصورة المثال الذي مثل به، فإنه قد يكون أقرب إلى تعقله وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره، فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه الأنس التام، وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير، ففي الأمثال من تأنيس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق،أمر لايجحده أحد ولا ينكره، وكلما ظهرت لها الأمثال ازداد المعنى ظهورا ووضوحا، فالأمثال شواهد المعنى المراد، ومزكية له، فهي كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه، وهي خاصة العقل ولبه وثمرته)(٢)

---

١ - الفتح:(١/١٤٧)

٢ - اعلام الموقعين:(١/١٨٢-١٨٣)

المبحث العاشر: العدول عن الإجابة باستخدام المعاريض وأسلوب الحكيم

إن الأصل في الحوار الناجح أن يبنى على الصدق والوضوح والبيان - كما تقدم - إذ يفترض في المتحاورين أن يكونا مخلصين متجردين للحق، غايتهما الوصول إليه والدلالة عليه لاتباعه، ولكن قد تتعذر هذه الصفات في بعض الخصوم، فقد يكون الخصم مجادلا يهوى المراء والكلام، وقد يقصد إضاعة الوقت والتهرب من مواجهة الحوار الجاد، وقد يلقى أسئلة لاقيمة لها ولاتفيد شيئا في الحوار، أو قد يكون في الإجابة على أسئلة مايصده عن الحق ويحول بينه وبين الوصول إلى النتيجة: عند مثل هذه الظروف ونحوها، يضطر المحاور إلى أن يعدل بخصمه عن الجواب المباشر للسؤال المطروح، إلى جواب مفيد مهم، وذلك باستخدام أسلوب الحكيم المعروف عند العرب، والذي جاءت أمثلة له في الكتاب والسنة مرارا، أو باستعمال المعاريض والتورية في الكلام، بحيث يفهم السامع شيئا غير ما يقصده المتكلم، وها هي بعض النماذج المختصرة لهذه القضية:

فمن أبرز الأمثلة على استعمال أسلوب الحكيم في الجواب: ما جاء في قوله تعالى :﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ..﴾(١) الآية، على ما جاء في بعض الروايات أن السؤال كان عن ظهورها ونموها وتناقصها وتغير أحوالها، فما بالها تصنع هذا؟

وهنا اتجه الجواب إلى واقع الحياة العملي، لا إلى مجرد العلم النظري، وحدثهم عن وظيفة الأهلة في واقعهم وفي حياتهم، ولم يحدثهم عن الدورة الفلكية للقمر ووظيفته في المجموعة الشمسية ونحو ذلك، لكنه عدل عن الإجابة العلمية البحتة التي ربما لايدركها السائل ولاتفيده كثيرا في المهمة التي جاء القرآن من أجلها،وليس مجالها على أية حال هو القرآن. إذ القرآن قد جاء لما

---

١ - البقرة:١٨٩

هو أكبر من تلك المعلومات الجزئية، ولم يجيء ليكون كتاب علم فلكي أو كيماوي أو طبي..(١)

ومثل هذا الجواب في قوله تعالى:﴿يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ، قُلْ مَاأَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِيْنَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِيْنِ وَابْنِ السَّبِيْلِ..﴾(٢)

فهذا السؤال عن نوع ماينفقون.. فجاءهم الجواب يبين صفة الإنفاق، ويحدد كذلك أولى مصارفه و أقربها(٣)

ومن هذا النوع أيضا ومما يظهر فيه العدول عن الإجابة، لمن سأل عن الساعة كما في هذين الحديثين:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم، جاءه أعرابي فقال : متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث . فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال: أين أراه السائل عن الساعة؟ قال: ها أنا يارسول الله، قال: «فإذا ضيعت الأمانة فأنتظر الساعة» قال: كيف إضاعتها؟ قال:«إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»(٤).

- وأوضح منه حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بينما أنا ورسول الله ﷺ خارجين من المسجد، فلقينا رجلا عند سدة المسجد فقال: يارسول الله متى الساعة!؟، قال رسول الله ﷺ: « ماأعددت لها؟» قال: فكأن الرجل استكان، ثم قال: يارسول الله ما أعددت لها كبير صلاة ولاصيام ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله. قال :«فأنت مع من أحببت»(٥)

---

١ - انظر الظلال :(١/ ١٨٠-١٨١) بتصرف

٢ - البقرة:٢١٥

٣ - الظلال :(١/ ٢٢١)

٤ - أخرجه البخاري: العلم :٥٩، احمد :(٢/ ٣٦١)

٥ - تقدم تخريجه في مبحث الصدق ص: ٢٨١

فالسؤال في الحديثين عن زمن الساعة وموعدها، ولم يكن الجواب كذلك، بل كان الجواب في الحديث الأول بذكر علامة بارزة، وهي علامة تحمل معنى مؤثر موحي، ينبه به السامع إلى وجوب أداء الأمانة والتحذير من إضاعتها، وكان الجواب في الحديث الثاني بلفت نظر السامع إلى ماهو أهم من معرفة موعد القيامة، ألا وهو الإستعداد لها والعمل قبل مجيئها٠

وكما تقدم فقد يكون ترك الإجابة عن السؤال أو الشبهة، وتحويل وجهة الحوار إلى طريق أخرى، وعدم مناقشة مايطرحه الخصم أصلا، بل عدم المبالاة والإنفعال بكلامه، قد يكون هذا علاجا ناجحا لبعض الخصوم في صرفهم عن شبهاتهم ومتعلقاتهم، ففي الحديث: عن ابن عباس رضي الله عنه أن ضماداً قدم مكة، وكان من أزد شنوءه، وكان يرقى من هذه الريح(١)، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون:إن محمدا مجنون٠ فقال : لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي، قال فلقيه٠ فقال: يامحمد! إني أرقى من هذا الريح،وإن الله يشفي على يدي من يشاء٠ فهل لك؟ فقال رسول الله ﷺ:«إن الحمدلله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له، وأن محمدا عبده ورسوله٠ أما بعد، قال: فقال: أعد علي كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات٠ قال فقال: لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن ناعوس البحر(٢)٠ قال فقال: هات يدك أبايعك على الإسلام٠ قال فبايعه، فقال رسول الله ﷺ :«وعلى قومك»، قال : وعلى قومي٠ قال فبعث رسول الله ﷺ سرية فمروا بقومه، فقال صاحب السرية للجيش: هل أصبتم من هؤلاء شيئا؟ فقال رجل من القوم: أصبت منهم مطهرة، فقال: ردوها، فإن هؤلاء قوم ضماد(٣)

---

١ - الريح هنا : كناية عن الجن، سموا أرواحا لكونهم لايرون، فهم بمنزلة الأرواح(انظر النهاية لابن الأثير :٢/٢٧٢)

٢ - أي لجتة ووسط (انظر النهاية لأبن الأثير :٥/٨١)

٣ - تقدم تخريجه٠ص:٢٠٠

فانظر كيف قابل النبي ﷺ كلام ضماد وكيف واجهه، إنه لم يدافع أو يرد أو يناقش شبهه وكلامه، فيما يتعلق بمس الجن ونحوه، بل استمع إليه حتى انتهى، ثم استفتح بخطبة الحاجة التي كانت وحدها كافية في تغيير وجهة الحوار ودفة النقاش، بل في تغيير مجرى حياة ضماد وقومه بإذن الله تعالى.

وإذا لم ينجح هذا الأسلوب وتعذر العدول بالخصم إلى موضوع آخر، ففي معاريض الكلام مندوحة عن الكذب (١)، وفي التورية بالكلام فرصة للتخلص من الشبه المحرجة أو المتعنتة، وأمثلة هذا متعددة فمنها:

ماذكره الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام بعد أن حطم أصنام قومه إلا كبيرا لهم فتركه، فلما سألوه عن ذلك : ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَاإِبْرَاهِيمُ﴾ كان جوابه :﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾(٢)

قال الزمخشري عند هذه الآية:(هذا من معاريض الكلام، ولطائف هذا النوع لايتغلغل فيها إلا أذهان الراضة(٣) من علماء المعاني، والقول فيه: إن قصد إبراهيم صلوات الله عليه لم يكن إلى أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم، وإنما قصد تقريره لنفسه واثباته لها، على أسلوب تعريض يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم، وهذا كما لو قال لك صاحبك - وقد كتبت كتابا بخط رشيق وأنت شهير بحسن الخط : أأنت كتبت هذا؟ - وصاحبك أمي لايحسن الخط ولا يقدر إلا على خرمشة فاسدة -، فقلت له: بل كتبته أنت، كأن قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الإستهزاء، لا نفيه عنك وإثباته للأمي أو المخرمش، لأن إثباته والأمر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء به وإثبات للقادر..ثم ذكر أقوالا واحتمالات أخر منها أنه اسند الفعل إلى أكبرها لأنه هو الذي تسبب في

---

١ - هذا لفظ حديث أخرجه البخاري في الأدب المفرد من طريق قتادة عن مطرف بن عبدالله قال: صحبت عمران بن حصين من الكوفة إلى البصرة فما أتى عليه يوم إلا أنشدنا فيه الشعر، وقال : إن في معاريض الكلام لمندوحة عن الكذب.(انظر الأدب المفرد:٦/٢٥٩)

٢ - الأنبياء:٦٢-٦٣

٣ - الراضة: يقصد بهم المتروضين والمترسين في هذا الفن(انظر الصحاح:٣/١٠٨١)

تحطيمها، لما كان يراه إبراهيم من شدة وزيادة تعظيمهم له، والفعل كما يسند إلى مباشره يسند إلى الحامل عليه... الخ)(١)

ومثل هذا قولة إبراهيم عليه السلام أيضا حين دعوه إلى الخروج معهم:﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾(٢)

قال ابن كثير رحمه الله في الآية ما ملخصه:(أن معنى سقيم : أي ضعيف: وأما قول النبي ﷺ في الحديث :«لم يكذب إبراهيم عليه السلام غير ثلاث كذبات: ثنتين منها في ذات الله تعالى، قوله:﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وقوله :﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾، وقوله في سارة: « هي أختي»(٣) فهو حديث مخرج في الصحاح والسنن من طرق، ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله حاشا وكلا ولما، وإنما اطلق الكذب على هذا تجوزا، وإنما هو من المعاريض في الكلام لمقصد شرعي ديني.. ثم ذكر تخريجات المفسرين لمعنى قوله:﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ حيث قال بعضهم : أي بالنسبة إلى ما يستقبل يعني مرض الموت، وقيل أراد ﴿إني سقيم﴾ أي مريض القلب من عبادتكم الأوثان من دون الله تعالى)(٤)

وكذا قال الزمخشري عند هذه الآية: (والصحيح أن الكذب حرام إلا إذا عرض ووري، والذى قاله إبراهيم عليه السلام معراض من الكلام، ولقد نوى به أن من في عنقه الموت سقيم، ومنه المثل :كفى بالسلامة داء)(٥)

---

١ - الكشاف:(٢/٥٧٧)

٢ - الصافات:٨٨-٨٩

٣ - الحديث اخرجه البخاري : الأنبياء:٣٣٥٨، مسلم: الفضائل (٤/١٨٤٠) رقم١٥٤، أبوداود: الطلاق (٢/٢٧٢) رقم٢٢١٢، الترمذي التفسير(٥/٣٢١) رقم:٣١٦٦، احمد(٢/٤٠٣)

٤ - ابن كثير:(٤/١٣)

٥ - الكشاف:(٣/٣٤٤)

وقال سيد قطب رحمه الله تعالى:(قال ذلك معبرا عن ضيقه وتعبه، وأفصح عنه ليتركوه وشأنه، ولم يكن هذا كذبا منه. إنما كان له أصل في واقع حياته في ذلك اليوم، وإن الضيق ليمرض ويسقم ذويه!)(١)

وأما قولة إبراهيم الثالثة حيث قال عن سارة (هي أختي) فقد خرّجها إبراهيم بنفسه حيث جاء في بعض طرق الحديث أنه قال لها: (إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك فإن سألك فأخبريه أنك اختي، وإنك أختي في الإسلام(٢)، وفي رواية أخرى أنه قال لها : (يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني عنك فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبيني)(٣)

ومن أمثلة ذلك أيضا ماذكره البخاري رحمه الله في باب «المعاريض مندوحة عن الكذب» ، عن أنس رضي الله عنه قال:(اشتكى ابن لأبي طلحة، قال فمات وأبو طلحة خارج، فلما رأت امرأته أنه قد مات هيأت شيئا، ونحته في جانب البيت، فلما جاء أبو طلحة، قال كيف الغلام؟ قالت: قد هدأت نفسه، وأرجو أن يكون قد استراح، وظن أبو طلحة أنها صادقة، قال فبات، فلما أصبح أغتسل، فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات... الحديث)(٤)

ذكر الحافظ من فوائد الحديث:(مشروعية المعاريض الموهمة إذا دعت الضرورة إليها، وشرط جوازها أن لاتبطل حقا لمسلم)(٥)

وقد استعمل بعض السلف المعاريض لحاجات معينة ومن هذه الإستعمالات أن إبراهيم النخعي كان إذا طلبه إنسان لايحب لقاءه خرجت الجارية، فقالت: اطلبوه في المسجد. وأتاه رجل مرة فقالت : إني ذكرت رجلا بشيء فبلغه عني،

---

١ - الظلال :(٢٩٩٣/٥)

٢ - انظر الفتح :(٣٩٢/٦)

٣ - هذه رواية البخاري المتقدم تخريجها آنفا.

٤ - أخرجه البخاري: الجنائز :١٣٠١، احمد (١٠٥/٣)

٥ - الفتح :(١٧١/٣)

فكيف اعتذر إليه؟ قال: تقول : (والله إن الله ليعلم ماقلت من ذلك من شيء)(١)

وفي ترجمة الامام أحمد عن اسحاق بن هاني قال: كنا عند أحمد بن حنبل في منزله، ومعه المروذي، ومهنّى، فدق داق الباب، وقال : آلمروذي ها هنا؟ فكأن المروذي كره أن يعلم موضعه فوضع أصبعه في راحته وقال: ليس المروذي ها هنا، وما يصنع المروذي هاهنا؟ فضحك أحمد، ولم ينكر(٢)

والمقصود عموما أن استخدام المعاريض - أحيانا - ولحاجة، أمر سائغ ويمكن للمحاور الإستفادة منه إذا دعته الحاجة ولزم الأمر، كما أن استعمال أسلوب الحكيم سائغ ايضا، وكل ذلك للعدول عن الإجابة إذا كان في اظهارها مفسدة محتملة أو ضرر متوقع أو تفويت لمصلحة أعظم.

---

١ - انظر سير أعلام النبلاء(٤/٥٢٩)

٢ - نفس المصدر (١١/٣١٩)

المبحث الحادي عشر : تأكيد القضية وتقريرها

قد يتشعب موضوع الحوار، وتتعدد القضايا المطروحة للنقاش، ولكن تكون ثمت قضية بارزة مهمة، يحبذ التركيز عليها وتأكيدها، ويفضل تثبيتها عند الخصم وتقريرها، فعلى المحاور ألا تفرق به السبل عن أصل الموضوع وأساس القضايا، بل عليه أن يستخدم الأسلوب المناسب لرد الحوار إلى الموضوع المهم، ولفت النظر إلى القضية الأم، فيمكنه أحيانا أن يؤكد ما يريد توكيده بتكرار كلامه مرتين أو ثلاثا أو غير ذلك حسب أهمية الكلام - وقد (كان ﷺ إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه)(١)، وكثيرا ما ترد الأحاديث التي فيها التكرار ثلاث مرات أو نحوها، خاصة في المواضع الحساسة المهمة، وعندما يكون الأمر عظيما، كما فعل ذلك - ﷺ - في حجة الوداع بعد أن قرر حرمة دم المسلم وماله وعرضه حيث قال:«فإن الله تبارك وتعالى قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم -إلا بحقها - كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، ألا هل بلغت (ثلاثا) كل ذلك يجيبونه: ألا نعم.. الحديث»(٢) وكذا لما أراد أن يبين أكبر الكبائر وأعظم المحرمات كرر السؤال عنها ثلاث مرات : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟»(ثلاثا) ثم أراد تأكيد تحريم واحدة منهن وبيان عظم قبحها، ولأنها أسهل وقوعا على الناس والتهاون بها أكثر، والحوامل عليها كثيرة من عداوة وحسد وغيرها، إضافة إلى أن مفسدتها متعدية(٣)، فذكرها ثم كررها مرات ومرات، وجلس وكان متكئا فقال : ألا وقول الزور، فما زال يكررها حتى قال الصحابة ليته سكت(٤)

---

١ - جزء من حديث أخرجه البخاري عن أنس: العلم:٩٥

٢ - تقدم تخريجه ص:٩٥

٣ - انظر الفتح:(٥/٢٦٣)

٤ - أخرجه البخاري: الشهادات:٢٦٥٤، مسلم: الإيمان(١/٩١) رقم:١٤٣، أحمد(٥/٣٧)

وعن عبد الله بن عمرو قال: تخلف رسول الله في سفر سافرناه، فأدركناه وقد أرهقنا الصلاة(*) صلاة العصر ونحن نتوضأ، فجعلنا نمسح على أرجلنا، فنادى بأعلى صوته: «ويل للأعقاب من النار» مرتين أو ثلاثا(١)

قال ابن حجر رحمه الله :(قوله : «مرتين أو ثلاثا» هو شك من الراوي، وهو يدل على أن الثلاث ليست شرطا، بل المراد التفهيم، فاذا حصل بدونها اجزأ)(٢)

وكما ثبت عنه ﷺ تكرار الكلام الذي يريد تأكيده وتفهيمه، وتكرار السؤال الذي يريد أن ينبه إلى أهميته، فقد ثبت عنه أنه كرر الإجابة على بعض الأسئلة ثلاثا، ففي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا، قالوا وما زهرة الدنيا يارسول الله! قال: بركات الأرض قالوا : يارسول الله وهل يأتي الخير بالشر؟ قال: لايأتي الخير إلا بالخير، لايأتي الخير إلا بالخير، لايأتي الخير إلا بالخير... الحديث)(٣)

ولما قال ﷺ :«إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد»

قالوا يارسول الله! وإن كان فيه؟

قال :إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه (ثلاث مرات)(٤)

ومما تكرر فيه السؤال والجواب معا حديث أبي ذر وفيه قال ﷺ:«ذاك جبريل عرض لي في جانب الحرة فقال: بشر أمتك أنه من مات لايشرك بالله شيئا دخل الجنة، قال فقلت: يا جبريل! وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم قال

(*) أي غشيتنا وأدركتنا، يقال أرهقوا الصلاة: اذا أخروها حتى يدنو وقت الأخرى (الصحاح: ٤/ ١٤٨٦)

١ - أخرجه البخاري: العلم٩٦، مسلم الطهارة (١/٢١٣) رقم٢٥، ابو داود: الطهارة(١/٢٤) رقم٩٧، الترمذي: الطهارة (١/٥٨) رقم٤١، ابن ماجة الطهارة(١/١٥٤) رقم٤٥٠، أحمد(٢/١٩٣)

٢ - الفتح:(١/١٨٩)

٣ - أخرجه البخاري: الرقاق٦٤٢٧، مسلم: الزكاة (٢/٧٢٧) رقم١٢١

٤ - أخرجه الترمذي: النكاح (٣/٣٨٤) رقم١٠٨٤، ابن ماجة النكاح (١/٦٣٢) رقم١٩٦٧، (وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم٨٦٦)

قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم قال قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال : نعم، وإن شرب الخمر»(١)

ومن أساليب التوكيد أيضا، الحلف على الأمر المقصود بيانه وتوكيده، والنصوص التي تبدأ بالقسم كثيرة جدا سواء ماكان منها في القرآن أو السنة، فمن أمثلة القرآن :

قوله تعالى:﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِيْ وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾(٢)

وقوله عز وجل﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾(٣)

وقوله ايضا:﴿ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾(٤)

وقال تعالى :﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾(٥)

وقال:﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنْ لَنْ يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾(٦)

إلى غير ذلك من الأقسام القرآنية التي استخدمت لتوكيد الكلام وتقريره.

وأما أمثلة السنة فهي اكثر من أن تحصر، فكم من الأحاديث التي يقسم فيها النبي ﷺ بقوله :«والذي نفسي بيده» أو «والذي نفس محمد بيده» وقد جمع السيوطي عشرات منها في (الجامع الصغير)(٧) ومما ذكره قوله ﷺ

«والذي نفسي بيده ،لايسمع بي أحد من هذه الأمة، لايهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار»(٨)

---

١ - أخرجه البخاري: الرقاق٦٤٤٣، مسلم: الزكاة(٢/٦٨٨) رقم٣٣

٢ - يونس:٥٢

٣ - الحجر:٩٢-٩٣

٤ - النحل:٥٦

٥ - الذاريات:٢٣

٦ - التغابن:٧

٧ - انظر صحيح الجامع الصغير للألباني:(٢/١١٨٧-١١٩٢)

٨ - أخرجه مسلم الإيمان (١/١٤٣ رقم٢٤٠

«والذي نفسي بيده، لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده»(١)

ومن حلفه ﷺ ايضا قوله مثلا:

«والله إني لأستغفرن الله، وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»(٢)

ومما جمع فيه بين الحلف والتكرار : قوله ﷺ : «والله لايؤمن، والله لايؤمن، والله لايؤمن، الذي لايأمن جاره بوائقه»(٣)

ومثله ماجاء في إحدى روايات مسلم لحديث قتال الخوارج، حيث قال علي : (فيهم رجل محدج اليد، لولا أن تبطروا لحدثتكم بما وعدالله الذين يقتلونهم على لسان محمد ﷺ. قال⊛ قلت :أنت سمعته من محمد ﷺ؟ قال: إي ورب الكعبة! إي ورب الكعبة! إي ورب الكعبة!(٤)

وأحيانا يمكن توكيد الخبر بما يثبته ويؤيده، من بيان الطرق الوثيقة، التي وصل منها، لكونه سمعه بنفسه، أو تكرر عليه، أو شاهد الحادث، أو نقله عن ثقة، ونحو ذلك(٥) ومثاله ما جاء في حديث أبي شريح خويلد بن عمرو الخزاعي العدوي رضي الله عنه أنه قال لعمرو بن سعيد بن العاص - وهو يبعث البعوث إلى مكة: «إئذن لي أيها الأمير أن أحدثك قولا قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح، فسمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به، أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن مكة حرمها الله تعالى يوم خلق السموات والأرض ولم يحرمها الناس... الحديث»(٦)

---

١ - اخرجه البخاري الإيمان١٥، مسلم الإيمان(٦٧/١) رقم:٧٠ النسائي الإيمان(١١٤/٨) رقم٥٠١٣، ابن ماجة المقدمة(٢٦/١) رقم٦٧

٢ - أخرجه البخاري الدعوات٦٣٠٧، الترمذي: التفسير(٣٨٣/٥) رقم٣٢٥٩، ابن ماجة الأدب(١٢٥٤/٢) رقم٣٨١٦، أحمد(٢٨٢/٢)

٣ - أخرجه البخاري:الأدب٦٠١٦ بهذا اللفظ، وبغيره مسلم الإيمان(٦٨/١) رقم٧٣، الترمذي القيامة(٦٦٩/٤) رقم٢٥٢٠، أحمد(٣٨٧/١)

٤ - أخرجه مسلم: الزكاة:(٧٤٦/٢) رقم١٥٤، ابوداود : السنة(٢٤٥/٤) ابن ماجة المقدمة(٥٩/١) رقم١٦٨، احمد (٨٨/١)

٥ - انظر تيسير العلام شرح عمدة الأحكام للبسام(٥٣١/١)

٦ - أخرجه البخاري: جزاء الصيد ١٨٣٢، مسلم: الحج(٩٨٧/٢) رقم٤٤٦، الترمذي: الحج(١٦٤/٣)، النسائي المناسك(٢٠٥/٥) رقم٢٨٧٦، احمد(٣١/٤)

⊛ القائل هنا هو عبيدة السلماني كما سيأتي بيانه في رواية الأخرى.

وقد أخذ الحافظ من الحديث : (جواز اخبار المرء عن نفسه بما يقتضي ثقته وضبطه لما سمعه... ووقوع التأكيد في الكلام البليغ)(١)

ويتعلق بتوكيد القضية تقريرها عند الخصم، وأخذ تسليمه بها، قبل الإنتقال منها إلى غيرها، فهذا أنفع للحوار وأخصر للوقت، وأقرب إلى ترتيب القضايا والتدرج بها، والخروج بنتيجة من الحوار، ومعرفة مدى الإتفاق والإختلاف بين المتحاورين، وبذلك ايضا تنحصر نقاط الخلاف وتضيق الهوة بين المختلفين.

ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم مايلي :

قوله تعالى :﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَاءَاتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾(٢)

ومثله ما سيكون في اليوم الآخر من تقرير للمخالفين والمعاندين في الدنيا كما في قوله تعالى:﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾(٣)

وقوله ايضا: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا، قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾(٤)

وقوله ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ...﴾(٥) الآية

---

١ - انظر الفتح (٤٥/٤)

٢ - آل عمران:٨١

٣ - الانعام:٣٠

٤ - الانعام:١٣٠

٥ - الاعراف:١٧٢

وقوله عز وجل :**﴿تكاد تميز من الغيظ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير﴾**(١)

إلى غير ذلك من مثل هذه التقريرات التي تهدف الي تثبيت القضية وتأكيد الموضوع، وأمثلة هذا في السنة متعددة، أيضا، ففي الحديث عن أبي سعيد الخدري قال : (خرج رسول الله ﷺ في أضحى - أو في فطر - إلى المصلى، فمر على النساء فقال : يامعشر النساء تصدقن، فإني رأيتكن اكثر أهل النار، فقلن: وبم يارسول الله؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير، مارأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن٠ قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يارسول الله؟ قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ قلن : بلى٠ قال : فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟ قلن: بلى، قال: فذلك من نقصان دينها٠(٢)

ومثل ذلك لما احتاج النبي ﷺ أن يقرر عند الأنصار بعض ما انعم الله عليهم، لما أن جاءهم الرسول فآمنوا، حيث إن النبي ﷺ لما فتح حنينا قسم الغنائم، فأعطى المؤلفة قلوبهم، فبلغه أن الأنصار يحبون أن يصيبوا ما أصاب الناس، فقام رسول الله ﷺ فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «يا معشر الأنصار! ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي؟ ومتفرقين، فجمعكم الله بي؟ ويقولون: الله ورسوله أمن٠ فقال: ألا تجيبوني؟ فقالوا: الله ورسوله أمن٠٠ الحديث(٣)

---

١ - الملك :٨-٩

٢ - أخرجه البخاري: الحيض٣٠٤، مسلم: الإيمان(١/٨٦) رقم١٣٢، أبوداود: السنة ٤٦٧٩، الترمذي الإيمان (٥/١٠) رقم٢٦١٣، ابن ماجة: الفتن (٢/١٣٢٦، رقم ٤٠٠٣، أحمد(٢/٦٦)

٣ - تقدم تخريجه في مبحث: «الصدقة والأمانة» انظر ص:٢٨٠ (ومعنى عالة: من الفقر والفاقة٠ انظر الصحاح: ٥/ ١٧٧٩)

فالإستفهام في تلك الأمثلة للتقرير والتوكيد٠ ومن النماذج التي استخدم فيها الإستفهام التقريري أيضا، واستخدم أسلوب آخر لتقرير الخصم بالحجة بحيث يستخرج الجواب من الخصم أولا، ثم يبين له أن هذا الجواب نفسه هو القضية التي يريد المحاور أن يقررها أو يثبتها، فعن أبي هريرة : (أن رسول الله ﷺ خرج على أبي بن كعب، فقال رسول الله ﷺ: يا أبي - وهو يصلي - ، فالتفت أبي ولم يجبه، وصلى أبي فخفف، ثم أنصرف إلى رسول الله ﷺ، فقال: السلام عليك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: وعليك السلام، ما منعك يا أبي أن تجيبني إذ دعوتك، فقال: يا رسول الله إني كنت في الصلاة، قال: أفلم تجد فيما أوحي إلي أن أستجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم؟ قال: بلى ولا أعود إن شاء الله، قال : تحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها؟ قال : نعم يارسول الله، قال رسول الله ﷺ: كيف تقرأ في الصلاة؟ قال: فقرأ أم القرآن، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده ما أنزلت في التوراة ولافي الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، وإنها سبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته)(١)

وكذا استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب مع اليهود - وهم معروفون ببهتانهم وتقلبهم - فلما أسلم عبدالله بن سلام قال: (يا رسول الله إن اليهود قوم بهت، فأسألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي٠ فجاءت اليهود، فقال النبي ﷺ: أي رجل عبدالله بن سلام فيكم؟ قالوا : خيرنا وابن خيرنا، وأفضلنا وابن أفضلنا٠ فقال النبي ﷺ: أرايتم إن أسلم عبدالله بن سلام؟ قالوا أعاذه الله من ذلك، فأعاد عليهم فقالوا مثل ذلك، فخرج إليهم عبدالله فقال : أشهد أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله٠ قالوا: شرنا وابن شرنا، وتنقصوه، قال: هذا كنت أخاف يارسول الله)(٢)

---

١ - اخرجه الترمذي: فضائل القرآن (١٥٥/٥) رقم٢٨٧٥، وقال :« حديث حسن صحيح» ، ابو داود : الصلاة ١٤٥٨، احمد (٤١٣/٢)

٢ - أخرجه البخاري: مناقب الأنصار:٣٩٣٨، أحمد (١٠٨/٣)٠ وتقدم

- ومع اليهود أيضا، فعندما فتحت خيبر أهديت للنبي ﷺ شاة فيها سم، فقال النبي ﷺ : (اجمعوا لي من كان ها هنا من يهود، فقال: إني سائلكم عن شيء، فهل أنتم صادقي عنه؟ فقالوا: نعم، قال لهم النبي ﷺ: من أبوكم ؟ قالوا: فلان، فقال: كذبتم، بل أبوكم فلان، قالوا: صدقت، قال: فهل أنتم صادقي عن شيء، إن سألت عنه؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا، فقال لهم: من أهل النار؟ قالوا : نكون فيها يسيرا، ثم تخلفونا فيها، فقال النبي ﷺ: اخسئوا فيها، والله لانخلفكم فيها أبدا. ثم قال: هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟ قالوا نعم يا أبا القاسم قال : هل جعلتم في هذه الشاة سما؟ قالوا نعم، قال : ما حملكم على ذلك؟ قالوا: إن كنت كاذبا نستريح، وإن كنت نبيا لم يضرك)(١)

ومن طرق تقرير الأمر عند الخصم وأخذ تسليمه بذلك: استحلافه على الأمر المراد تقريره وإثباته لديه، وأمثلة هذا متعددة، ففي حديث قتال الخوارج لما ذكر علي - رضي الله عنه - الخوارج وماقاله فيهم رسول الله ﷺ ومن ذلك قوله: (وآية ذلك أن فيهم رجلا له عضد، وليس له ذراع، على رأس عضده مثل حلمة الثدي، عليه شعرات بيض. فلما قتل بعضهم على بعض، قال علي: التمسوا فيهم المُخْدَج، فالتمسوه فلم يجدوه. فقام علي رضي الله عنه بنفسه حتى أتى ناسا قدقتل بعضهم على بعض. قال أخروهم. فوجدوه مما يلي الأرض. فكبر. ثم قال: صدق الله وبلغ رسوله قال: فقام إليه عبيدة السلماني فقال : يا أمير المؤمنين! الله الذي لا إله إلا هو! لسمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ؟ فقال: إي. والله الذي لا إله إلا هو! حتى استحلفه ثلاثا. وهو يحلف له)(٢)

---

١ - أخرجه البخاري: الجزية ٣١٦٩، أحمد (٤٥١/٢)

٢ - تقدم ذكره انظر ص ٣٢١ (ومعنى المُخْدَج : من أخدجت الناقة إذا جاءت بولدها ناقص الخلق فهي مخدج، ومنه مخدج اليد أي: ناقص اليد (انظر الصحاح: ٣٠٩/١)

قال النووي (وإنما استحلفه ليسمع الحاضرين، ويؤكد ذلك عندهم ويظهر لهم المعجزة التي أخبر بها رسول الله ﷺ ، ويظهر لهم أن عليا وأصحابه أولى الطائفين بالحق وأنهم محقون في ذلك)(١)

ومن هذا الباب ما كان من ضمام بن ثعلبة حيث استحلف النبي ﷺ عدة مرات، فقال : (أسألك بربك ورب من قبلك آلله أرسلك إلى الناس كلهم! فقال : اللهم نعم، قال : أنشدك بالله ، آلله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال: اللهم نعم.. ثم استحلفه على الصيام ثم على الزكاة الخ)(٢)

قال الحافظ في شرح الحديث:(ثم أقسم عليه به أن يصدقه عما يسأل عنه، وكرر القسم في كل مسألة تأكيدا وتقريرا للأمر، ثم صرح بالتصديق، فكل ذلك دليل على حسن تصرفه وتمكن عقله)(٣)

ثم قال في ذكره لفوائد الحديث : (وفيه الإستحلاف على الأمر المحقق لزيادة التأكيد)(٤)

ومن استحلاف الخصم أيضا ما جاء في حديث البراء بن عازب. قال : (مر على النبي ﷺ بيهودي محمما. مجلودا . فدعاهم ﷺ فقال:«هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قالوا نعم . فدعا رجلا من علمائهم فقال: أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى! أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قال: لا، ولولا أنك أنشدتني بهذا لم أخبرك. نجده الرجم..»(٥)

فقد كان لاستحلاف الخصم هنا أثر بالغ، فكان سببا في صدقه وإقراره بالحق وإعترافه بالخطأ.

---

١ - شرح مسلم :(١٧٣/٧)

٢ - تقدم تخريجه في الباب الأول انظر ص:٥٦

٣ - الفتح :(١٥١/١)

٤ - نفس المصدر :(١٥٣/١)

٥ - تقدم تخريجه ص:٢٦٤

ومثل هذا أيضا لما دخل العباس وعلي رضي الله عنهما على عمر ليقضي بينهما فقال عمر :اتئدا أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض ! أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث، ماتركنا صدقة»، قالوا : نعم. ثم أقبل على العباس وعلي فقال: أنشدكما بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض! أتعلمان أن رسول الله ﷺ قال: «لانورث، ما تركناه صدقة»، قالا : نعم... الخ الحديث(١)

ومما يمكن الإستشهاد به في هذا الجانب ما جاء وفود المقدام بن معديكرب، وعمرو بن الأسود، ورجل من بني أسد من أهل قنسرين إلى معاوية بن أبي سفيان، فقال معاوية للمقدام : أعلمت أن الحسن بن علي توفي؟ فرجع المقدام. فقال له رجل: أتراها مصيبة ؟ قال له: ولم لا أراها مصيبة، وقد وضعه رسول الله ﷺ في حجره فقال : هذا مني، وحسين من علي"؟!

فقال الأسدي: جمرة أطفأها الله عز وجل. قال: فقال المقدام: أما أنا فلا أبرح اليوم حتى أغيظك، وأسمعك ما تكره.ثم قال: يا معاوية! إن أنا صدقت فصدقني، وإن أنا كذبت فكذبني، قال: أفعل، قال:

فأنشدك بالله، هل سمعت أن رسول الله ﷺ نهى عن لبس الذهب ؟ قال: نعم

قال: فأنشدك بالله، هل تعلم أن رسول الله ﷺ نهى عن لبس الحرير؟ قال : نعم.

قال: فأنشدك بالله، هل تعلم أن رسول الله ﷺ، نهى عن لبس جلود السباع والركوب عليها؟ قال : نعم.

قال: فوالله! لقد رأيت هذا كله في بيتك يا معاوية.

فقال معاوية : قد علمت أني لن أنجو منك يا مقدام .. الخ(٢)

والأمثلة في هذا الجانب كثيرة، ولعل فيما ذكر كفاية في بيان المقصود، وتوضيح أهمية تأكيد القضية وتقريرها، واستخدام الأساليب المختلفة والمناسبة لتحقيق هذا الأمر، وضمانا لنجاح واستمرار الحوار بإذن الله تعالى.

---

١ - تقدم تخريجه ص:١٢١

٢ - أخرجه أبو داود : اللباس٤١٣١(وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم٣٤٧٩) وتقدم ص١٢٣

واختتم هذا البحث بنقل بعض كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيما له علاقة بموضوع تقرير القضايا وأخذ تسليم الخصم عليها، فقد قال رحمه الله تعالى :(... والقرآن مشتمل على هذا وهذا! ولهذا إذا جادل يسأل ويستفهم عن المقدمات البينة البرهانية، التي لايمكن أحد أن يجحدها: لتقرير المخاطب بالحق ولإعترافه بإنكار الباطل، كما في مثل قوله:﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَىءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُوْنَ﴾(١) وقوله: ﴿أَفَعَيِيْنَا بِالخَلْقِ الأَوَّلِ؟.بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيْدٍ﴾(٢) إلى أمثال ذلك مما يخاطبهم بإستفهام التقرير، المتضمن إقرارهم وإعترافهم بالمقدمات البرهانية التي تدل على المطلوب، فهو من أحسن جدل بالبرهان، فإن الجدل إنما يشترط فيه أن يسلم الخصم المقدمات، وإن لم تكن بينة معروفة فإذا كانت بينة معروفة كانت برهانية.

والقرآن لايحتج في مجادلته بمقدمة لمجرد تسليم الخصم بها، كما هي الطريقة الجدلية عند أهل المنطق وغيرهم، بل بالقضايا والمقدمات التي تسلمها الناس، وهي برهانية.. الخ كلامه)(٣)

---

١ - الطور:٣٥

٢ - قٓ:١٥

٣ - الفتاوى:(١٩/ ١٦٤-١٦٥)

المبحث الثاني عشر : الرجوع إلى الحق والتسليم بالخطأ

إن من أهم الآداب وأبرز الصفات التي ينبغي للمحاور المخلص الصادق أن يتميز بها، أن يكون الحق ضالته والصواب مراده، فحيثما وجده أخذه، إذ إن من الطبيعي أن يخطيء الإنسان في مناقشاته وحواره وكلامه، والعاقل هو الذي يسلم بخطئه، ويعود إلى الصواب حالما يتبين له، بل ويفرح بظهور الحق ويشكر لصاحبه إرشاده ودلالته إليه.

والتسليم بالخطأ صعب على النفس - خاصة إذا كان في جمع من الناس - ، ولذلك فهو يحتاج إلى تجرد لله وصدق وإخلاص، ومراغمة للنفس مع قوة وشجاعة حتى يعتاد عليه، وعندها سيجد له حلاوة قد تقارب أحيانا حلاوة الفوز والإنتصار، وعندها يكسب صاحبه احترام الناس وتقديرهم، على عكس الإصرار على الخطأ الذي يفقده احترام الناس بل يفقده احترامه لنفسه(١)

فعلى المحاور أن يعلم أنه بشر يخطيء ويصيب، وعليه أن يكون من خير الخطائين برجوعه إلى الحق واعترافه بالخطأ، قال ﷺ: «كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»(٢)

ومن جهة أخرى: إذا علمت أنك ستهزم بأخطائك وستكشف وتفتضح وتظهر المعايب، أفليس من الأحجى أن تسبق أنت خصمك إلى التسليم بها؟! أليس من الأفضل أن تستمع إلى النقد الذي توجهه أنت إلى نفسك بدلا، من أن تنصت إليه من شخص آخر - يخالفك وربما يتصيد أخطاءك ويتحين الفرصة لإحراجك.

ولذلك فعليك أن تذكر مثالبك وتعترف بجميع أخطائك التي ترى أن خصمك يعتزم أن يقولها عنك، وقلها عن نفسك قبل أن تسنح له الفرصة، عندها فأنت تحبس الرياح عن شراعه وعندها سيهون خطؤك أمامه وأمام الآخرين، بل ربما دافع

---

١ - ملخص من أصول الحوار ص٣٥

٢ - أخرجه الترمذي: القيامة: (٦٥٩/٤) رقم٢٤٩٩، ابن ماجة الزهد (١٤٢٠/٢) رقم٤٢٥١، احمد (١٩٨/٣)

هو عنك ويبرر لك بعض أخطائك.

واعتراف المحاور بأخطائه يساعد الخصم أيضا في الرجوع إلى الحق والإعتراف بأخطائه هو، كما أن البدء بانتقاد النفس، والإعتراف بأنها ليست معصومة من الأخطاء، يهيء نفسية الخصم إلى سماع الإنتقادات الموجهة إليه، وقبول ذلك بصدر رحب، كما ينبغي للمحاور أن يجعل الغلطة التي يريد إصلاحها سهلة ميسورة التصحيح، فهذا يسهل على الخصم الرجوع عنها والإعتراف بها.

ولما كان هذا الأدب من أهم مقومات الحوار الناجح، ومن الأصول والأسس التي يبنى عليها النقاش، فقد تعددت أمثلته وكثرت نماذجه وشواهده، مما يضطر إلى الإختصار والإكتفاء بالإشارة إلى بعض الأمثلة دون تفصيل، وبيان بعضها بما يناسب الحال والله المستعان.

فمن أمثلة القرآن:

ما جاء في حوار المولى عز وجل مع ملائكته بشأن خلق آدم وذريته، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّيْ جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَالَا تَعْلَمُونَ. وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ لَاعِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾(١) الآيات

---

١ - البقرة:٣٠-٣٢

قال الطبري رحمه الله في شرح الآيات ما نصه :(فلما أتضح لهم موضع خطأ قيلهم، وبدت لهم هفوة زلتهم، أنابوا إلى الله بالتوبة فقالوا : ﴿سُبْحَانَكَ لَاعِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ فسارعوا الرجعة من الهفوة، وبادروا الإنابة من الزلة، كما قال نوح حين عوتب في مسئلته، فقيل له: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾-:﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَالَيْسَ لِيْ بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِيْ وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِيْنَ﴾(١) وكذلك فعل كل مسدد للحق موفق له، سريعة إلى الحق إنابته، قريبة إليه أوبته)(٢)

ومثل هذا ما جاء في حواره سبحانه مع آدم وحواء وما وقع منهما من معصية، ثم ماتلاها من رجوع إلى الحق وتسليم بالخطأ حيث قال تعالى:﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِيْنٌ٠ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الْخَاسِرِيْنَ﴾(٣)

(إنها خصيصة الإنسان التي تصله بربه، وتفتح له الأبواب إليه٠٠الإعتراف ، والندم، والإستغفار، والشعور بالضعف والإستعانة به وطلب رحمته، مع اليقين بأنه لاحول ولا قوة إلا بعون الله ورحمته٠٠٠وإلا كان من الخاسرين)(٤)

- وأما رجوع سحرة فرعون وإيمانهم برب العالمين، فهو مثال واضح لهذا الأدب، إذ ما أن ألقى موسى عصاه، حتى وقعت المفاجأة المذهلة التي لم يكن يتوقعها كبار السحرة، الذين بذلوا غاية جهدهم في فنهم الذي أتقنوه، وجاؤا بأقصى مايملك السحرة أن يصنعوه، وهم جمع كثير، محشور من كل مكان، وموسى وحده وليس معه إلا عصاه، ثم إذا هي تلقف مايأفكون، فلا يبقى لحبالهم وعصيهم أثر ، عندئذ لايملكون أنفسهم من الإذعان للحق الواضح الذي لايقبل

---

١ - هود :٤٦-٤٧

٢ - الطبري :(٢١٩/١)

٣ - الاعراف :٢٢-٢٣

٤ - الظلال :(١٢٧٠/٣)

جدلا، وهم أعرف الناس بأنه الحق(١)، ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِيْنَ ۝ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ العَالَمِيْنَ ۝ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُوْنَ﴾(٢)

فلما عرف السحرة الحق وأيقنوه، بعد أن عرفوا باطلهم وجربوه، فتحولوا من التحدي السافر إلى التسليم المطلق، الذي يجدون برهانه في أنفسهم عن يقين(٣)

ومن صور الإعتراف بالخطأ والرجوع عنه، ما وقع من إخوة يوسف بعد أن فعلوا به ما فعلوا، فلما ضاق بهم الأمر ومسهم الضر، وبلغوا حدا من الإسترحام والضيق والإنكسار، ذكرهم يوسف بماضيهم الذي يعرفونه وحدهم، ولم يطلع عليه إلا الله: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَافَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيْهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُوْنَ﴾ عندها لمع في نفوسهم خاطر من بعيد: ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ ۝ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِيْ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَايُضِيْعُ أَجْرَ المُحْسِنِيْنَ﴾ عندها لم يكن لهم إلا التسليم بالخطأ ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَآثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِيْنَ﴾(٤)

إعتراف بالخطيئة، وإقرار بالذنب، وتقرير لما يرونه من إيثار الله له عليهم بالمكانة والحلم والتقوى والإحسان، يقابله يوسف بالصفح والعفو، شيمة الرجل الكريم(٥)

ومن الأمثلة السريعة التى جاءت في كتاب الله وتصلح شواهد لمسألة الإعتراف بالحق والرجوع إليه مع التسليم بالخطأ والإعراض عنه مايلي:

---

١ - الظلال:(٥/٢٥٩٥) بتصرف

٢ - الشعراء:٤٦-٤٨

٣ - الظلال:(٣/١٣٥٠) بتصرف يسير

٤ - يوسف:٨٩-٩١

٥ - الظلال:(٤/٢٠٢٧) بتصرف

ماجاء في تسليم عزير بقدرة الله تعالى بعد أن تعاظم إحياء القرية بعد موتها، فأماته الله مائة عام ثم بعثه وأخبره بما لبثه، ثم أراه كيفية إحياء حماره، فعندها عاين من قدرة الله ماعاين(١):﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٢)

ومثل ذلك رجوع موسى عليه السلام وتوبته إلى ربه بعد أن سأل رؤية ربه في الدنيا:﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٣)

وكذا ماتقدم من رجوع نوح عليه السلام عن مسئلته، وذلك حين سأل عن إغراق ابنه، فعاتبه الله في ذلك ، فسارع بالتوبة والإستغفار، والرجعة عن هذه الهفوة(٤). ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ۝ قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَالَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٥)

ومن هذا الباب أيضا: رجوع امرأة العزيز واعترافها بأنها هي التي راودت يوسف عليه السلام عن نفسه، وأنه بريء من التهمة التي سجن لأجلها: ﴿ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾(٦)

---

١ - انظر الطبري:٣/٤٦)

٢ - البقرة:٢٥٩

٣ - الأعراف:١٤٣

٤ - انظر الطبري:(٢١٩/١)

٥ - هود:٤٥-٤٧

٦ - يوسف:٥١

وقريب من هذا رجوع أصحاب الجنة كما في سورة القلم وإعترافهم بخطئهم ، إذ عزموا على منع الفقراء والمساكين حقهم، فعاقبهم الله بإهلاك جنتهم، فعادوا إلى رشدهم، وتابوا إلى ربهم : ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ • قَالُواْ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ • فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ • قَالُواْ يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ • عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾(١)

وقد اشار بعض المفسرين إلى هذا الأدب الرفيع، الذي ينبغي أن ينضبط به كل محاور مخلص، حتي يؤتي الحوار ثمرته، فقد ذكر القرطبي رحمه الله تعالى أن ماذكره الله تعالى من آيات في محاجة إبراهيم عليه السلام للنمرود تدل على إثبات المناظرة والمجادلة وإقامة الحجة، ثم ذكر عددا من الأدلة على ذلك، ثم ذكر قول المزني صاحب الشافعي: (ومن حق المناظرة أن يراد بها الله عز وجل وأن يقبل منها ماتبين)(٢)

وعند قوله تعالى :﴿وَلَا تُجَادِلُوٓاْ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٣) قال الشيخ السعدي رحمه الله ما نصه : (ولاتكن مناظرتكم إياهم على وجه يحصل به القدح في شيء من الكتب الإلهية، أو بأحد الرسل، كما يفعله الجاهل عند مناظرة الخصوم، يقدح بجميع ما معهم، من حق وباطل، فهذا ظلم، وخروج عن الواجب، وآداب النظر• فإن الواجب ان يرد ما مع الخصم من الباطل، ويقبل مامعه من الحق• ولايرد الحق، لأجل قوله، ولو كان كافرا)(٤)

---

١ - القلم:٢٨ -٣٢

٢ - الجامع لأحكام القرآن (١٨٦/٣)

٣ - العنكبوت:٤٦

٤ - تفسير السعدي:(٦٥/٤)

ويدخل في هذا الباب قول الإمام الشافعي رحمه الله :(ماكابرني أحد على الحق ودافع، إلا سقط من عيني، ولاقبله إلا هبته، واعتقدت مودته)(١)

ولذلك كان الشافعي رحمه الله يعلن عن رجوعه عن أي خطأ أو قول يتبين أنه مخالف للصواب فقدقال رحمه الله (كل ما قلته فكان من رسول الله ﷺ خلاف قولي مما صح فهو أولى، ولا تقلدوني)(٢)

كما أعلن استعداده لقبول أي خبر صحيح ومن أي جهة كان. يقول عبدالله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول : قال الشافعي (أنتم أعلم بالأخبار الصحاح منا فإذا كان خبر صحيح، فأعلمني حتى أذهب إليه، كوفيا كان أو بصريا أو شاميا)(٣)

وأما أمثلة هذا الباب في السنة فهي كثيرة جدا، وكذلك سأختصرها، وأكتفي بما يؤدي الغرض منها ويناسب الحال:

فها هو النبي ﷺ - معلم الأمة ومربيها على مثل هذه الآداب والفضائل - يرجع إلى قول امرأة يهودية، بعد أن تبين له بالوحي صحة قولها: بأن أهل القبور يفتنون في قبورهم - فعن عائشة رضي الله عنها قالت : (دخل علي رسول الله ﷺ وعندي امرأة من اليهود. وهي تقول : هل شعرت أنكم تفتنون في القبور ؟ قالت : فارتاع رسول الله ﷺ وقال :«إنما تفتن يهود» قالت عائشة: فلبثنا ليالي. ثم قال رسول الله: هل شعرت أنه أوحى إلي أنكم تفتنون في القبور؟ قالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ بعد يستعيذ من عذاب القبر)(٤)

وإذا كان هذا خلق المعلم فكيف يكون التلاميذ؟ وإذا كان هذا أدب المربي فكيف يكون بمن رباهم على عينه وتحت نظره؟ وما دامت هذه سمات القدوة، فألمقتدون به أثر من آثاره، وحسنة من حسناته، وهم على نهجه يسيرون، وسننه يقتفون، وبسيرته يهتدون، والأمثلة خير شاهد عن حسن ما كانوا يصنعون، وصدقهم فيما يتبعون:

(١ -٢ - ٣) سير أعلام النبلاء(١٠/٣٣)

٤ - أخرجه مسلم المساجد : (١/٤١٠) رقم١٢٣، النسائي: الجنائز (٤/١٠٤) رقم٢٠٦٤

فقد حدث عبد الملك بن أبي بكر ابن عبد الرحمن عن أبي بكر ، قال : سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقص، يقول في قصصه: من أدركه الفجر جنبا فلا يصم. فذكرت ذلك لعبد الرحمن بن الحارث (لأبيه) فأنكر ذلك. فأنطلق عبد الرحمن وأنطلقت معه، حتى دخلنا على عائشة وأم سلمة - رضي الله عنهما - فسألهما عبد الرحمن عن ذلك. قال فكلتاهما قالت: كان رسول الله ﷺ يصبح جنبا من غير حلم ثم يصوم. قال: فانطلقنا حتى دخلنا على مروان. فذكر ذلك له عبد الرحمن. فقال مروان: عزمت عليك إلا ماذهبت إلى أبي هريرة، فرددت عليه ما يقول قال : فجئنا أبا هريرة وأبوبكر حاضر ذلك كله قال: فذكر له عبد الرحمن. فقال أبوهريرة أهما قالتاه لك؟ قال : نعم. قال : هما أعلم.

ثم رد أبو هريرة ما كان يقول في ذلك إلى الفضل بن عباس. فقال أبو هريرة: سمعت ذلك من الفضل، ولم أسمعه من النبي ﷺ. قال : فرجع أبو هريرة عما كان يقول في ذلك(١)

وأخرج البخاري بسنده عن علقمة قال :(كناجلوسا مع ابن مسعود فجاء خباب فقال : يا أبا عبد الرحمن أيستطيع هؤلاء الشباب أن يقرءوا كما تقرأ؟ قال : أما إنك لو شئت أمرت بعضهم يقرأ عليك. قال : أجل. قال: اقرأ يا علقمة. فقال زيد بن حدير - أخو زياد بن حدير -: أتأمر علقمة أن يقرأ وليس بأقرئنا؟ قال : أما إنك إن شئت أخبرتك بما قال النبي ﷺ في قومك وقومه. فقرأت خمسين آية من سورة مريم. فقال عبد الله: كيف ترى؟، قال: قد أحسن. قال عبد الله: ما أقرأ شيئا إلا وهو يقرؤه. ثم التفت إلى خباب وعليه خاتم من ذهب فقال : ألم يأن لهذا الخاتم أن يلقى؟ قال: أما إنك لن تراه علي بعد اليوم.فألقاه)(٢)

---

١ - أخرجه مسلم الصيام (٧٨١/٢) رقم٨٠، ابن ماجة الصيام (٥٤٣/١) رقم١٧٠٣، أحمد (٢١٣/١)

٢ -أخرجه البخاري: المغازي ٤٣٩١

وقد ذكر الحافظ من فوائد هذا الحديث : (أن بعض الصحابة كان يخفي عليه بعض الأحكام فإذا نبه عليها رجع، ولعل خبابا كان يعتقد أن النهي عن لبس الرجال خاتم الذهب للتنزيه، فنبهه ابن مسعود على تحريمه، فرجع إليه مسرعا)(١)

ومثل هذا ما تقدم من رجوع عمر وتسليمه بحديث «الإستئذان ثلاث، فإن أذن ذلك وإلا فارجع»، بعد أن أنكره على أبي موسى الأشعري، فلما تثبت عمر من الخبر، وجاءه أبو سعيد الخدري وأخبره بصحة ذلك عن رسول الله ﷺ، فقال عمر: (ماكنت علمت بهذا)(٢)

وموقف آخر لعمر رضي الله عنه وذلك أن نافع بن عبدالحارث، لقي عمر بن الخطاب بعسفان ، وكان عمر استعمله على مكة فقال عمر: من استخلفت على أهل الوادي؟ قال : استخلفت عليهم ابن أبزى. قال : ومن ابن أبزى؟ قال : رجل من موالينا. قال عمر : فاستخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارىء لكتاب الله تعالى ، عالم بالفرائض، قاض. قال عمر : أما إن نبيكم ﷺ قال : «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين»(٣)

ولما كان عمار بن ياسر بالمدائن، اقيمت الصلاة، فتقدم عمار وقام على دكان يصلي، والناس أسفل منه، فتقدم حذيفة فأخذ على يديه، فأتبعه عمار حتى انزله حذيفة، فلما فرغ عمار من صلاته قال له حذيفة: ألم تسمع رسول الله ﷺ يقول «إذا أم الرجل القوم فلايقم في مكان أرفع من مقامهم» أو نحو ذلك قال عمار : (لذلك اتبعتك حين أخذت على يدي)(٤)

---

١ - الفتح :(١٠١/٨)

٢ - تقدم تخريجه في المبحث الرابع انظر ص:٢٥٧

٣ - أخرجه مسلم: المسافرين(٥٥٩/١) رقم٢٦٩، ابن ماجة: المقدمة (٧٩/١) رقم٢١٨، احمد (٣٥/١)

٤ - أخرجه أبو داود: الصلاة ٥٨٩، وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم٥٥٨

ولم يقتصر الأمر على هؤلاء الصحابة أو من في منزلتهم، بل إن كل متجرد للحق ، طالب للصواب، صادق مع نفسه، فإنه لابد وأن يسلم بخطئه متى عرفه، ويرجع إلى الحق إذا تبين، وإلا كان مجادلا مكابرا ، وهذه أمثلة تبين اعتراف أناس - وهم على الكفر - بصدق النبي ﷺ وصحة كلامه ودينه:

ففي قصة إسلام ضماد حين قدم مكة وعرض الرقية على النبي ﷺ، فأستفتح النبي ﷺ بقوله : «إن الحمد لله نحمده ونستعينه..» فقال : اعد علي كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات فقال : لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء. ولقد بلغن ناعوس البحر. قال هات يدك أبايعك على الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «وعلى قومك» قال : وعلي قومي(١)

ومنه ما تقدم في محاورة النبي ﷺ للحبر اليهودي، وذلك حين سأله اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول الله ﷺ« هم في الظلمة دون الجسر» قال : فمن أول الناس إجازة؟ قال: فقراء المهاجرين، قال اليهودي : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال : زيادة كبد النون، قال : فما غذاؤهم على إثرها؟ قال ينحر لهم ثور الجنة الذي يأكل من اطرافها، قال: فما شرابهم عليه ؟ قال : «من عين فيها تسمى سلسبيلا» قال : صدقت. قال : وجئت أسأل عن شيء لايعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان. قال : ينفعك إن حدثتك؟ قال : اسمع بأذني. قال : جئت اسأل عن الولد؟ قال : ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله. وإذا علا مني المرأة مني الرجل آنثا بإذن الله ، قال اليهودي : لقد صدقت. وإنك لنبي. ثم انصرف فذهب..(٢)

---

١ - تقدم تخريجه ص:٢٠٠

٢ - تقدم في مبحث التواضع، وهو في صحيح مسلم: (٢٥٢/١) الحيض: ٣٤، انظر ص:١٣٤

ومثل هذا ما جاء في اعتراف هرقل عظيم الروم بصدق النبي ﷺ ، بعد محاورته لأبي سفيان وسؤاله عن أمور وعلامات، حتى أذا فرغ قال للترجمان:(قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتسي بقول قيل قبله. وسألتك هل كان من آبائه من ملك ؟ فذكرت أن لا، قلت لو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه. وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت : أن ضعفاءهم اتبعوه وهم اتباع الرسل. وسألتك أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك أيرتد أحد سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب. وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لاتغدر. وسألتك بما يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين. وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه...) الحديث(١)

فكل صاحب عقل سليم، متجرد للحق مخلص، لايسعه عند ظهور البيان، ووضوح الدلالات، وتبين الحقائق، إلا أن يعترف بخطئه - إن كان مخطئا - ويذعن للحق ويعود إلى الصواب، دون تردد أو مماطلة، وبلا تهرب أو تحايل، والمؤمن الصادق هو أولى الناس بهذا الأدب، وأحقهم بهذا الخلق ، قدوته في ذلك إبراهيم الخليل الذي وصفه ربه بقوله :﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾(٢)

---

١ - تقدم تخريجه ايضا انظر ص:٢٨٣

٢ - هود:٧٥

اي : متذلل لربه خاشع له، منقاد لأمره، منيب رجاع إلى طاعته(١)

وقدوته محمد النبي الكريم ﷺ وصحابته الغر الميامين، رضوان الله عليهم أجمعين.

وإذا كان الإعتراف بالحق والرجوع إليه مطلوباً، فمطلوب ايضا التسليم بعدم العلم، وعدم التحرج من قولة : «الله أعلم» أو«لا أدري» أو نحوهما فإن الواجب، رد العلم إلى من هو أعلم ، وعدم التعالم أو الخوض في مناقشات ومناظرات بغير علم، أو الخجل من السؤال والإستيضاح والتستر على الجهل فإن ذلك ممقوت مذموم، لايليق بعاقل، فضلا عن مسلم متجرد، وكلام ومواقف السلف في هذا كثيرة، وأدلته وشواهده عديدة:

فهاهم الملائكة الكرام البررة يعترفون بقصورهم ويسلمون لربهم فيقولون: ﴿سُبْحَانَكَ لَاعِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾(٢)

قال الطبري: (وهذا خبر من الله جل ذكره عن ملائكته بالأوبة إليه، وتسليم علم مالم يعلموه، وتبريهم من أن يعلموا أو يعلم أحد شيئا، إلا ماعلمه تعالى ذكره)(٣)

وقال القرطبي رحمه الله في المسألة الثانية عند هذه الآية : (الواجب على من سئل عن علم أن يقول إن لم يعلم: «الله أعلم» «ولا أدري»، اقتداء بالملائكة والأنبياء والفضلاء من العلماء)(٤)

وهـا هم الرسل يقرون بعدم علمهم، ويرجعون العلم إلى ربهم، قال تعالى : ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَاعِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ﴾(٥)

---

١ - الطبري:(١٢/ ٨٠)

٢ - البقرة:٣٢

٣ - الطبري:(١/ ٢٢٠)

٤ - الجامع لأحكام القرآن (١/ ١٩٦)

٥ - المائدة:١٠٩

بل ان الله تعالى يلقن رسوله ﷺ هذا الأدب ويعلمه بما يجيب به عند سؤاله عما لايعلمه كما في ألآيات :

﴿يَسْئلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي ﴾(١)

﴿يَسْئَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبَاً﴾(٢)

﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيْلاَ﴾(٣)

﴿قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ - ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾(٤)

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ· قُلْ إِنَّمَا العِلْمُ عِنْدَاللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾(٥)

إلى غير ذلك من المواضع والشواهد.

وهذا الأدب تأدب به موسى عليه السلام، مع أنه كان في حالة مواجهة ومناظرة مع الطاغية المتجبر فرعون، وفي موقف تحد وافحام، ومع ذلك لما يسأله فرعون عن شيء من الغيب لايتردد في إرجاعه إلى ربه العالم به ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ القُرُونِ الأُولَىٰ· قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَايَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَىٰ﴾(٦)

وقريب منه موقف هود عليه السلام حين تحداه قومه أن يأتيهم بالعذاب ، فرد الأمر إلى ربه عز وجل : ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْءَآلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ· قَالَ إِنَّمَا العِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾(٧)

---

١ - الاعراف:١٨٧

٢ - الاحزاب:٦٣

٣ - الإسراء:٨٥

٤ - الكهف:٢٢،٢٦

٥ - الملك:٢٥-٢٦

٦ - طه:٥١-٥٢

٧ - الأحقاف:٢٢-٢٣

وآيات القرآن في هذا كثيرة معلومة، وفيما تقدم ذكره منها كفاية في بيان المقصود، والدلالة على المطلوب.

وكثيرا ما كان الصحابة يتأدبون بهذا الأدب اتباعا فيه لقدوتهم العظيمة - ﷺ - الذي ما كان يتردد في إرجاع العلم إلى من هو أعلم، كما في حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه أن رجلا قال : يارسول الله: أي البلدان أحب إلى الله، وأي البلدان أبغض إلى الله ؟ قال : «لا أدري، حتى أسأل جبريل عليه السلام، فأتاه جبريل، فأخبره : أن أحسن البقاع إلى الله المساجد، وأبغض البقاع إلى الله الأسواق»(١)

وكثيرا ما يتكرر في السنة عن الصحابة حينما يسألهم النبي ﷺ عن شيء فيقولون الله ورسوله أعلم، كما في أسئلته لهم في حجة الوداع عندما سألهم عن اليوم والشهر والبلد(٢)، وغير ذلك.

ولما قال بعض الصحابة عن رجل من المسلمين : ذاك منافق لايحب الله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ : «لاتقل ذلك، ألا تراه قد قال لاإله إلا الله يريد بذلك وجه الله تعالى؟» قال : الله ورسوله أعلم(٣).. الحديث

وقال عبدالله بن مسعود : (يا أيها الناس من علم شيئا فليقل به..ومن لم يعلم فليقل الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لايعلم الله أعلم، قال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾(٤).. الخ(٥)

---

١ - أخرجه أحمد (٨١/٤)، والحاكم (٩٠/١) (وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم٣٢٣)

٢ - تقدم ذكره مرارا، وأنظر ص:٩٥

٣ - أخرجه البخاري: الصلاة:٤٢٥، مسلم المساجد (٤٥٥/١) رقم٢٦٣، أحمد (٤٤٩/٥)

٤ - ص:٨٦

٥ - أخرجه البخاري التنتفسير٤٨٠٩، مسلم: المنافقين (٢١٥٥/٤) رقم٣٩، الترمذي: التفسير (٣٧٩/٥) رقم٣٢٥٤

وكان علي يقول: (وابردها على الكبد، «ثلاث مرات»· قالوا: وماذاك يا أمير المؤمنين؟ قال : أن يسأل الرجل عما لايعلم فيقول : الله أعلم)(١)

وسأل ابن عمر رجل عن مسألة فقال : لاعلم لي بها، فلما أدبر الرجل، قال ابن عمر: نعم ما قال ابن عمر، سئل عما لايعلم فقال : لا علم لي به (٢)

وقال يحيى بن سعيد للقاسم بن عبيد الله: يا أبا محمد إنه قبيح على مثلك، أن تسأل عن شيء من أمر هذا الدين، فلايوجد عندك منه علم ولا مخرج· فقال القاسم : وعم ذاك؟ قال : لأنك ابن إمامي هدى، أبي بكر وعمر· فقال القاسم: أقبح من ذاك عند من عقل عن الله، أن أقول بغير علم، أو آخذ عن غير ثقة· قال فسكت فما أجابه·(٣)

وقال مالك بن أنس: سمعت ابن هرمز يقول : ينبغي للعالم أن يورث جلساءه من بعده لا أدري حتى يكون أصلا في أيديهم، فإذا سئل أحدهم عما لايدري قال : لا أدري·

وذكر عن مالك رحمه الله أنه سئل عن ثمان وأربعين مسألة، فقال في اثنتين وثلاثين منها: لا أدري(٤)

وغير ذلك من الأقوال والأمثلة والمواقف والنماذج التي تبين ضرورة التسليم بالخطأ والرجوع إلى الحق، ورد العلم إلى من هو أعلم، وأن ذلك من الأصول المهمة والآداب الرفيعة، التي بها يكون نجاح الحوار وثمرته·

(١ -٢) - تفسير القرطبي : (١/١٩٦)

٣ - مقدمة صحيح مسلم مختصرا (١/١٦)

٤ - تفسير القرطبي (١/١٩٧)

المبحث الثالث عشر : الإحتمالات

إن من الآساليب المهمة في مواجهة أي خصم معاند، ومن الطرق الناجحة في محاورة أي مخالف، أن يستخدم معه أسلوب السبر والتقسيم، وذلك بأن تحصر جميع الإحتمالات الواردة في القضية، ثم يبدأ في إبطال كل احتمال غير صالح على حدة، حتى لايبقى إلا الإحتمال الراجح، فيتعين القول به(١)

وهو أسلوب منطقي يقبل به كل منصف متجرد، ولا يعارضه عاقل، ولا يرفضه إلا مكابر مجادل.

وقد استخدم القرآن هذا الأسلوب في عدد من المواضع ومع عدد من المعاندين، ومن ذلك الرد على أهل الكتاب الذين ادعوا أن مكثهم في النار أياما معدودة، فكان جواب هذه الفرية : أن أخبر سبحانه وتعالى: أن صدق دعواهم متوقف على أحد أمرين لاثالث لهما: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَاللَّهِ عَهْداً أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَالَاتَعْلَمُونَ﴾(٢)، إما أن يكونوا قد اتخذوا عند الله عهدا، فتكون دعواهم صحيحة، وإما أن يكونوا متقولين عليه، فتكون كاذبة، فيكون أبلغ لخزيهم عذابهم، وقد علم من حالهم أنهم لم يتخذوا عند الله عهدا، لتكذيبهم كثيرا من الأنبياء، حتى وصلت بهم الحال إلى أن يقتلوا طائفة منهم، ولنكولهم عن طاعة الله ونقضهم المواثيق. فتعين بذلك، أنهم متقولون مختلقون، قائلون عليه مالا يعلمون. والقول عليه بلا علم، من أعظم المحرمات، وأشنع القبيحات(٣)

---

١ - انظر مذكرة أصول الفقه للشيخ الشنقيطي ص٢٥٧

٢ - البقرة:٨٠

٣ - انظر تفسير السعدي (٧١/١) بتصرف يسير

ومن أمثلة هذا ايضا الرد على المشركين في قوله تعالى: ﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ. قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ نَبِئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لاَيَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(١)

ووجه الإستدلال بالآيات ماذكره السيوطي في كتاب «الإتقان» حيث قال: (إن الكفار لما حرموا ذكور الانعام تارة، وإناثها أخرى، رد الله تعالى عليهم ذلك بطريق السبر والتقسيم، فقال: إن الخلق لله، خلق من كل زوج مما ذكر ذكرا وأنثى، فمم جاء تحريم ما ذكرتم؟ أي ما علته؟ لايخلوا إما أن يكون من جهة الذكورة أو الأنوثة أو اشتمال الرحم الشامل لهما أو لايدرى له علة وهو التعبدي، بأن أخذ ذلك عن الله تعالى، والأخذ عن الله تعالى إما بوحي أو إرسال رسول أو سماع كلامه ومشاهدة تلقي ذلك عنه، وهو معنى قوله ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا﴾(٢)

فهذه وجوه التحريم لا تخرج عن واحد منها. والأول يلزم عليه أن يكون جميع الذكور حراما، والثاني يلزم عليه أن يكون جميع الإناث حراما، والثالث يلزم عليه تحريم الصنفين معا، فبطل ما فعلوه من تحريم بعض في حالة، وبعض في حالة أخرى، لأن العلة على ماذكر تقتضي اطلاق التحريم ، والأخذ عن الله بلا واسطة باطل ولم يدعوه، وبواسطة رسول كذلك لأنه لم يأت إليهم رسول قبل النبي ﷺ ، وإذا بطل جميع ذلك ثبت المدعى وهو أن ما قالوه افتراء على الله وضلال)(٣).

---

١ - الأنعام:١٤٣-١٤٤

٢ - الانعام:١٤٤

٣ - الإتقان في علوم القرآن:(٦٤/٤)

فيتجلى في هذه الآيات تطبيق هذا الأسلوب حيث حصرت الأقسام الممكنة والإحتمالات كلها في ثلاثة أقوال لايمكنهم أن يقولوا قولا سائغا في العقل، إلا واحدا من هذه الثلاثة وهم لايقولون بشيء منها، فتبين فساد قولهم وضرورة تسليمهم لشرع الله عز وجل(١)

ومن هذا الباب ايضا الرد على الكافر الأثيم ، العاص بن وائل السهمي، حيث قال فيه : ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَالرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾(٢)

قال الشيخ السعدي في تعليقه على هذا الأسلوب في الآية: (وهذا التقسيم والترديد، في غاية ما يكون من الإلزام وإقامة الحجة، فإن الذي يزعم أنه حاصل له خير عند الله في الآخرة، لايخلو إما أن يكون قوله صادرا عن علم بالغيوب المستقبلية وقد علم أن هذا لله وحده، فلا أحد يعلم شيئا من المستقبلات الغيبية، إلا من أطلعه الله عليه من رسله، وإما أن يكون متخذا عهدا عندالله، بالإيمان به، واتباع رسله، الذين عهد الله لأهله، وأوزع أنهم أهل الآخرة، والناجون الفائزون. فإذا انتفى هذان الأمران، علم بذلك، بطلان الدعوى، ولهذا قال تعالى :﴿ كَلَّا﴾ ، أي ليس الأمر كما زعم، فليس للقائل اطلاع على الغيب، لأنه كافر، ليس عنده من علم الرسائل شيء، ولا اتخذ عندالرحمن عهدا ، لكفره وعدم إيمانه، ولكنه يستحق ضد ما تقول..)(٣) الخ كلامه رحمه الله.

وذلك الرجل المؤمن الموفق العاقل الحازم، «مؤمن آل فرعون»، الذي كان سببا من الأسباب التي اندفع بها شر فرعون وملئه عن موسى عليه السلام، فهيأ الله لموسى ذلك الرجل الصادق فقام وأنكر على قومه قتل موسى، ثم سهل لهم الأمر بهدؤ تصحبه قوة الحجة ، وبحكمة يرافقها الإلزام المقنع ، حيث أخذهم على

---

١ - انظر تفسير السعدي(٧٨/٢)

٢ - مريم :٧٧-٧٨

٣ - تفسير السعدي :(٢١٨/٣)

طريقة التقسيم فقال : ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَايَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾(١) أي: لايخلو من أن يكون كاذبا أو صادقا، فإن كان كاذبا فكذبه عليه، وضرره مختص به، وليس عليكم في ذلك ضرر، حيث امتنعتم من إجابته وتصديقه، وأما إن كان صادقا، وقد جاءكم بالبينات، فلابد أن يصيبكم بعض مايعدكم من عذاب الدنيا إن تعرضتم له.

وهذا من حسن عقله، ولطف دفعه عن موسى، حيث أتى بهذا الجواب الذي لاتشويش فيه عليهم، وجعل الأمر دائرا بين تينك الحالتين، وعلى كل تقدير فقتله سفه وجهل(٢)

ومثل هذا ما وقع من استدلال على المشركين في قوله تعالى :﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُوْنَ﴾(٣)

(وهذا استدلال عليهم، بأمر لايمكنهم فيه إلا التسليم للحق، أو الخروج عن موجب العقل والدين، وبيان ذلك: أنهم منكرون لتوحيد الله، مكذبون لرسوله، وذلك مستلزم لإنكار أن الله خلقهم. وقد تقرر في العقل مع الشرع، أن ذلك لايخلو من أحد ثلاثة أمور : إما أنهم خلقوا من غير شيء، أي لاخالق لهم، بل وجدوا من غير إيجاد ولا موجد، وهذا عين المحال، أم هم الخالقون لأنفسهم، وهذا أيضا محال، فإنه لا يتصور أن يوجد أحد نفسه. فإذا بطل هذان الأمران، وبان استحالتهما، تعين القسم الثالث وهو أن الله هو الذي خلقهم...)(٤)

---

١ - غافر:٢٨

٢ - انظر الكشاف:(٣/٤٢٣)، السعدي (٤/٣٦٠)

٣ - الطور:٣٥

٤ - تفسير السعدي:(٥/١١٤-١١٥)

ومن شواهد هذا في مناظرات السلف ما وقع لابن عمر رضي الله عنه حين سئل عن التمتع بالعمرة إلى الحج، فقال عبدالله بن عمر : هي حلال. فقال رجل : إن أباك قد نهى عنها. فقال عبدالله بن عمر : أرأيت إن كان أبي نهى عنها وصنعها رسول الله ﷺ : أمر أبي يتبع، أم أمر رسول الله ﷺ؟ فقال الرجل: بل أمررسو ل الله ﷺ. فقال : لقد صنعها رسول الله ﷺ(١)

فهنا وضع ابن عمر السائل أمام خيارين لاثالث لهما، فإما أن يتبع أمر رسول الله ﷺ ويسلم بصحة فتوى ابن عمر في جواز التمتع، وإما ان يتبع رأي عمر رضي الله عنه ويترك صنيع رسول الله ﷺ، فكان أن سلم بالحق ورجع إليه.

والمقصود أن هذا من الأساليب النافعة، والآداب اللطيفة التي ينبغي أن يعتادها المحاور، ويستخدمها متى دعت الحاجة إليها فهي أقرب إلى إقناع المخالف وتسليمه بالصواب.

---

١ - أخرجه الترمذي: الحج (١٧٦/٣) رقم٨٢٤ (وصححه الآلباني في صحيح الترمذي برقم٦٥٨)

المبحث الرابع عشر :التحدي والإفحام واقامة الحجة على الخصم

إن اسلوب التحدي في الحوار، ولو كان بالحجة الدامغة والدليل المبين، يبغض صاحبه للآخرين، وقد يفحم الخصم ويعجز عن الجواب ولكنه لايقتنع، أو يسكت بقوة الحجة، ومع ذلك لايسلم للحق، لأنه أحرج أو أُفحم أو أهين أمام الآخرين.

وحيث إن الهدف من الحوار هو الوصول إلى الحق ، سواء تم ذلك على يدي المحاور أو خصمه، فعلى المحاور ما استطاع إلى ذلك سبيلا أن يتجنب أسلوب الإفحام والإسكات، لأنه قد لا يقود الخصم المعاند إلى الهداية، ويترك في نفسه حقدا وغيظا، والمطلوب هو استلال كل بغض وكراهية من قلوب الآخرين، بل ربما كان كسب القلوب أهم من كسب الواقف. ولكن يلجأ إلى التحدي والإفحام مع المماحكين الذين همهم الجدال والإستهزاء وإثارة الشبه وتضليل الآخرين ، والإساءة إلى الفكرة وإهانة المبادىء، أو من تجاوز حدود الأدب، أو نحو ذلك، فمثل هؤلاء ربما لايناسب معهم اللين والرفق، وإنما ينبغي إفحامهم ودحض حججهم وإسقاط هيبتهم من النفوس، وإحراجهم وإسكاتهم أمام الملأ، وتبيين وهن أفكارهم واضطراب أقوالهم.

ولا بأس من الهجوم الحاد المركز على مثل هذه النوعية من الخصوم، وتسفيه آرائهم ضمن حدود الآداب الإسلامية، فربما كان ذلك مطلبا مقصودا ، وإذا اقتضت المصلحة جرحهم بالتحدي والإفحام، فلا بأس بذلك، لأنهم يمثلون الباطل أمام الناس، وينبغي أن يرى الناس الباطل مهزوماً مدحوراً(١)

فقد تكون الدعوى صحيحة ظاهرة، تلمسها الحواس وتستيقنها النفوس، ومع ذلك تجد عند بعض الخصوم لددا ومكابرة للحق، فيعارض كل ما خالف معتقده وهواه دون تدبر للحقائق ، أو عدل في النظر والتفكير ، كما كان الحال في

---

١ -انظر اصول الحوار ص٤٥-٤٦ رسالة الجليل ص٤٨

معارضة المشركين للرسول ﷺ في أمر القرآن، وتشكيكهم في نسبته إلى الله تعالى ، فكان رد القرآن عليهم بنقض جميع الشبه والمعارضات التي أوردوها، وإزالة كل الملابسات التي أثاروها، ثم تحداهم في مقامات متعددة بأن يأتوا بمثله: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾(١) أو بعشر سور مثله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾(٢) أو بسورة واحدة من مثله ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾(٣)

كما تحدى القرآن تحديا عاما للثقلين الجن والإنس على أن يأتيا بمثل هذا القرآن :﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾(٤)

فلما تحداهم القرآن في تلك المقامات فعجزوا عن معارضته، فثبت صدق الرسول، وبطلت دعوى الخصوم، لأن التحدي قد جعل دليلا على أن هذا القرآن من عند الله تعالى، والدليل متى عورض بمثله بطل عمله فيسقط الإحتجاج به(٥)

ولما أمر الله سبحانه وتعالى بالتلطف في المناقشة - حتى مع الكفار - استثنى حالة إذا ما طغوا وبغوا، فاعتبروا اللطف ضعفا، فأفرطوا في الإعتداء والعناد، ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق، فعندها يستعمل معهم الغلظة والشدة، ويكون العنف هو الدواء(٦): ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ..﴾(٧) الآية

---

١ - الطور:٣٤

٢ - هود:١٣

٣ - البقرة:٢٣

٤ - الإسراء:٨٨

٥ - انتهى ملخصا من مناهج الجدل:٨٧-٩٠

٦ - انظر الكشاف:(٢٠٨/٣)

٧ - العنكبوت:٤٦

وعندما جادل النمرود إبراهيم في ربه، بعد أن أوتي الملك، فكان ذلك سبب استعلائه وتكبره، وطلب الأدلة والبراهين على وجود الله عز وجل، استحق الإسكات والتحدي، وأن يبهت ويفحم، بعد أن ادعى شيئا من خصائص الألوهية والربوبية: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(١)

وبذلك وقف وانقطعت حجته، واضمحلت شبهته(٢)، وبان كذب دعواه، والحمد لله رب العالمين.

ولعل من أنواع التحدي التي جاءت في كتاب الله عز وجل: المباهلة التي أمر الله بها وبين صفتها، في سياق حوار مع أهل الكتاب حول عيسى عليه السلام، فقال : ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾(٣)

وكان قد قدم على النبي ﷺ وفد نصارى نجران، وقد تصلبوا على باطلهم، بعدما أقام عليهم النبي ﷺ البراهين، بأن عيسى عبدالله ورسوله، حيث زعموا إلهيته، فوصلت به وبهم الحال إلى أن أمره الله تعالى أن يباهلهم، فإنه قد اتضح الحق، ولكن العناد والتعصب منعاهم منه، فلما دعاهم إلى المباهلة تشاوروا في إجابته، ثم قال بعضهم لبعض : لاتفعل، فوالله لئن كان نبيا فلاعننا لانفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا(٤) فلم يجيبوه،لأنهم عرفوا أنه نبي الله حقا، وأنهم إن باهلوه هلكوا، هم وأولادهم وأهلوهم، فصالحوه، وبذلوا له الجزية، وطلبوا منه الموادعة والمهادنة(٥)

---

١ - البقرة:٢٥٨

٢ - انظر تفسير السعدي (٢٠٦/١)

٣ - آل عمران:٦١

٤ - هذا نص رواية البخاري٤٣٨٠، وأخرجه أحمد (٤١٤/١)

٥ - انظر تفسير السعدي٢٤٩/١)

وقد قال الإمام ابن القيم رحمه الله في ذكر الفوائد من قصة وفد نصارى نجران: (ومنها: أن السنة في مجادلة أهل الباطل إذ اقامت عليهم حجة الله، ولم يرجعوا، بل أصروا على العناد: أن يدعوهم إلى المباهلة، وقد أمر الله سبحانه بذلك رسوله، ولم يقل: إن ذلك ليس لأمتك من بعدك، ودعا إليه ابن عمه عبدالله بن عباس لمن أنكر عليه بعض مسائل الفروع، ولم ينكر عليه الصحابة، ودعا إليه الأوزاعي سفيان الثوري في مسألة رفع اليدين، ولم ينكر عليه ذلك، وهذا من تمام الحجة)(١)

وقال ابن حجرفي ذكر الفوائد من القصة نفسها مانصه : (وفيها مشروعية مباهلة المخالف إذا أصر بعد ظهور الحجة، وقد دعا ابن عباس إلى ذلك ثم الأوزاعي، ووقع ذلك لجماعة من العلماء، ومما عرف بالتجربة أن من باهل وكان مبطلا لاتمضي عليه سنة من يوم المباهلة. ووقع لي ذلك مع شخص كان يتعصب لبعض الملاحدة فلم يقم بعدها شهرين)(٢)

وعلى المحاور قبل أن يعلن التحدي أو يقبله أن يتأكد من قدرته على إقامة الحجة وإظهار الحق، لاسيما إن كان الحوار سيتم على ملأ من الناس، فلا يجوز له أن يخذل الحق أو يقصر في بيانه، فيبدو ضعيفا سقيما فيغتر الناس بالباطل وانتفاشه.

وقد اشار إلى هذه المسألة ابن القيم رحمه الله في تعليقه علي قصة وفد نجران المتقدمة حيث قال :(ومنها جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم وإقامة الحجة عليهم، ولايهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجة، فليول ذلك إلى أهله، وليخل بين المطي وحاديها، والقوس وباريها...)(٣)

ولذلك لما أراد فرعون أن يتحدى موسى عليه السلام وكان من مظاهر التحدي أن طلب منه تحديد موعد للقاء مع السحرة، وترك له حرية إختيار ذلك الموعد:

---

١ - زاد المعاد : (٣/٦٤٣)

٢ - فتح الباري: (٨/٩٥)

٣ - زاد المعاد : (٣/٦٣٩)

«للتحدي»· ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً﴾ وشدد عليه في عدم إخلاف الموعد زيادة في التحدي، ﴿لاَنُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ﴾ وأن يكون الموعد في مكان مفتوح مكشوف: ﴿مَكَاناً سُوًى﴾(١) مبالغة في التحدي!

وقبل موسى التحدي، واختار الموعد يوم عيد من الأعياد الجامعة، وطلب أن يجمع الناس ضحى، ليكون المكان مكشوفا، والوقت ضاحيا: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾(٢) فقابل التحدي بمثله، وزاد عليه اختيار الوقت في أوضح فترة من النهار وأشدها تجمعا، وهكذا أمضى موسى التحدي وكسب الرهان،⊛ ووقع الحق وبطل ما كانوا يعملون(٣)

إن أقل ما في التحدي مع الخصم المعاند: هو إقامة الحجة عليه، وتجليتها للآخرين ليكون الجميع على بصيرة من الحق و: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾(٤)

فمتى بلغ المحاور ما عنده من الحق، واجتهد في نصرته، فقد أدى ما عليه، وإن لم يذعن الخصم إلى الحق، وهذا الذي فعله الأنبياء مع المعاندين من أقوامهم، فبعد أن كفر قوم صالح واستكبروا وتحدوا : ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾(٥) عندها أهلكوا وأعلمهم نبيهم بأنه قد بلغهم ونصحهم: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ· فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَاتُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾(٦)

---

١ - طه:٥٨

٢ - طه:٥٩

٣ - انظر الظلال:(٤/٢٣٤٠)

٤ - الأنفال:٤٢

٥ - الاعراف:٧٧

٦ - الاعراف:٧٨-٧٩

⊛- الأولى أن يقال: «ونصره الله» أو نحوها بدلاً من عبارة «وكسب الرهان» التي قد لا تليق مع مقام النبوة، والله أعلم.

ومثل ذلك فعل شعيب بعد أن أهلك الله قومه: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾(١)

وأختتم بيان اسلوب التحدي والإفحام بذكر نماذج له من السلف في مناظراتهم وقصصهم فمنها :

دخل الحجاج على أسماء، فقال : إن ابنك ألحد في هذا البيت، وإن الله أذاقه من عذاب أليم. قالت كذبت! كان برا بوالدته، صواما، قواما، ولكن أخبرنا رسول الله ﷺ: «إنه سيخرج من ثقيف كذابان : الآخر منهما شر من الأول وهو مبير»(٢).(٣)

ودخل سالم بن عبد الله بن عمر على سليمان بن عبد الملك، وعلى سالم ثياب غليظه رثة، فلم يزل سليمان يرحب به، ويرفعه حتى أقعده معه على سريره، وعمر بن عبد العزيز في المجلس، فقال له رجل من أخريات الناس: ما استطاع خالك أن يلبس ثيابا فاخرة أحسن من هذه، يدخل فيها على أمير المؤمنين؟ وعلى المتكلم ثياب لها قيمه، فقال له عمر: ما رأيت هذه الثياب التي على خالي وضعته في مكانك، ولا رأيت ثيابك هذه رفعتك إلى مكان خالي ذاك.(٤)

وفي سيرة الحافظ أحمد بن على بن مسلم الأبار(٥) يقول عن نفسه: كنت بالأهواز ، فرأيت رجلا قد حف شاربه، فذكر له أصحاب الحديث، فقال : ليسوا بشيء، وليس يسوون شيئا. فقلت: أنت لاتحسن تصلي. قال : أنا ؟ قلت : نعم، أيش تحفظ عن رسول الله ﷺ إذا افتتحت ورفعت يديك؟ فسكت، قلت : فما تحفظ عن رسول الله ﷺ إذا سجدت؟ فسكت، فقلت: ألم أقل : إنك لاتحسن تصلي؟ فلا تذكر أصحاب الحديث(٦)

---

١ - الأعراف:٩٣

٢ - الحديث أخرجه مسلم: فضائل الصحابة (١٩٧١/٤) رقم٢٢٩، الترمذي: الفتن(٤٩٩/٤) رقم٢٢٢٠، احمد (٣٥١/٦)

٣ - انظر سير أعلام النبلاء (٢٩٦/٢)

٤ - سير أعلام النبلاء (٤٦١/٤)

٥ - كنيته أبو العباس: قال الخطيب عنه : ثقة حافظا متقنا، حسن المذهب، توفي سنة٢٩٠هـ وعاش نيفا وثمانين سنة (سير أعلام النبلاء :٤٤٣/١٣)

٦ - سير أعلام النبلاء: (٤٤٤/١٣)

فهذه أجوبة مفحمة لخصوم لايطلبون حقا، ولاينشدون صوابا، ولا يراعون حوارا.

ومن أعجب الأمثلة ما أجاب به القاضي أبوبكر الباقلاني(١) في محاورته مع النصارى، حيث سأله أحد الأساقفة بحضرة ملكهم فقال: ما فعلت زوجة نبيكم؟ وما كان من امرها بما رميت به من الإفك؟ فقال الباقلاني مجيبا له على البديهة: هما امرأتان ذكرتا بسوء: مريم وعائشة، فبرأهما الله عزوجل، وكانت عائشة ذات زوج ولم تأت بولد، وأتت مريم بولد ولم يكن لها زوج - يعني أن عائشة أولى بالبراءة من مريم - وكلاهما برئية مما قيل فيها، فإن تطرق في الذهن الفاسد احتمال ريبة إلى هذه فهو إلى تلك أسرع، وهما بحمد الله منزهتان مبرأتان من السماء بوحي الله عز وجل ، عليهما السلام(٢)

وفي مجلس آخر دخل البطرك - مقدم النصارى ورئيس أساقفتهم - فلما توسط المجلس قام له ملكهم ورجاله تعظيما له، فقضوا حقه، ومسحوا أطرافه، وأجلسه الملك إلى جنبه، ثم أقبل على القاضي أبي بكر، فقال يافقيه هذا البطرك، قيم الديانة، وولي النحلة. فسلم القاضي عليه أحفل سلام، وسأله أحفل سؤال، وقال له : كيف الأهل والولد فعظم قوله هذا عليه، وعلى جميعهم، وتغيروا له وصلبوا وجوههم وأنكروا قول أبي بكر عليه. قال القاضي : وما أنكرتم من كلامي. فقال الملك: إننا ننزه هؤلاء عن الصاحبة والولد. فقال القاضي : يا هؤلاء تستعظمون لهذا الإنسان اتخاذ الصاحبة والولد، وتربأونه به عن ذلك. ولاتستعظمونه لربكم - عز وجهه - فتضيفون ذلك إليه، سوأة لهذا الرأي، ما أبين غلطه.

فسقط في أيديهم، وبهتوا وانكسروا، ولم يحيروا جوابا، وتداخلتهم له هيبة عظيمة.(٣)

إلى غير ذلك من الأمثلة والنماذج التي تثبت قيمة هذا الأسلوب وأهميته ودوره، ومدى الحاجة إليه وخاصة مع ألد الخصام، من المجادلين المعاندين.

---

١ - اسمه محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم البصري ثم البغدادي ابن الباقلاني، صاحب التصانيف، كان يضرب المثل بفهمه وذكائه، كان ثقة إماما بارعا، صنف في الرد على الرافضة والمعتزلة، والخوارج والجهيمية والكرامية، وانتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري توفي عام٤٠٣هـ (سير أعلام النبلاء:١٧/١٩٠)

٢ - البداية والنهاية: (١١/٣٧٤)، سير أعلام النبلاء: (١٧/١٩٢)، ترتيب المدارك: (٤/٥٩٤-٦٠٠)

٣ - انظر سير أعلام النبلاء: (١٧/١٩١)

الباب الرابع
«آداب الحوار اللفظية»

الباب الرابع : آداب الحوار اللفظية

وأعني بها الآداب التي تتعلق بالألفاظ المختارة، والكلمات المنتقاة، والعبارات المناسبة، والتي تطرح وتدور أثناء الحوار من قبل الطرفين.

وحيث إن الحوار - غالبا - ماتصاحبه الرغبة في الظهور على الخصم، والخوف من الإنهزام أو الإحراج أمام الآخرين فربما انعكس أثر ذلك على ألفاظ المحاور، فيلقي كلمة خشنة، أو لايسعفه التعبير فيزل لسانه بتعبير سيئ، قد يؤجج الصراع بين الطرفين، ويشعل الفتيل بين المتحاورين.

فإن النار بالعودين تذكى........ وإن الحرب مبدؤها كلام [١]

لذلك يلزم المحاور أن يراعي ألفاظه فيدققها وينقحها، ويتبين فيها ويزنها، قبل أن تخرج من فيه فلا يستطيع ردها، أو يندم عليها بعد فوات الأوان، فتعصف بالحوار وتهوي به في مكان سحيق.

فلابد إذن من مراعاة لكل عبارة يتفوه بها المحاور، وكل كلمة يعزم على قولها، حتى يستقيم الحوار ويحرز تقدما.

وإجمال هذه الآداب اللفظية على الترتيب كما يلي :

١ - العبارة المناسبة وحسن العتاب.

٢ - التذكير والوعظ.

٣ - التعريض والتلميح بدل التصريح.

٤ - أدب السؤال.

٥ - ذكر المبررات عند الإعتراض.

٦ - طلب الإنظار وعدم الاستعجال.

٧ - ثناء المحاور على نفسه أو على خصمه بالحق.

٨ - مباغتة الخصم وقطع الطريق عليه.

٩ - محاذير لفظية.

وعليه فسأجعل كل أدب منها مبحثا مستقلاً، كما سبق في الأبواب المتقدمة. إن شاء الله.

---

١) - هذا البيت لنصر بن سيار صاحب خراسان (انظر العقد الفريد لابن عبد ربه: "٨٦/١" ط الأولى ١٤٠٤هـ دار الكتب العلمية - بيروت، وانظر ديوان المتنبي بشرح العكبري: ٢٦٤/١. ط مصطفى البابي الحلبي ١٢٥٥هـ)

المبحث الأول : العبارة المناسبة وحسن العتاب

إن استعمال الأساليب الجميلة، والعبارات اللطيفة، والكلمات العذبة، والمؤدية للمعنى على أكمل وجه لتضيق هوة واسعة، وتحطم حواجز قوية، وتلين قلوبا قاسية، وتقرب خصما معاندا : ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾(١).

إن المحاور الذكي العاقل، يناقش بتلطف وأناة وأدب، ومن الأشياء التى تفتح مغاليق النفوس، وتفعل فعلها في القلوب، أن يقول المحاور لخصمه في بدء حديثه ـ مثلا : اسمح لي أن أبدي وجهة نظري في الموضوع، قد أكون مخطئا، وأشكرك لو تفضلت وصححت لي خطأي.

وطلاقة اللسان مع كثرة الكلام تحتاج إلى عقل واع يحدد مواقع الكلم، ومواطن اللفظ، فيختار الحديث المناسب للمجالس المناسبة، وينتقي أطايب الكلام على قدر الرجال، والعبارات الجميلة دليل على الشفافية وحسن الانتقاء(٢).

وقد أمر الله عز وجل بدعوة الناس بحكمة وموعظة حسنة، وإذا لزم الجدال فليكن بأحسن الطرق وأقوم السبل، فقال تعالى : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٣).

وأكد على تقديم التي هي أحسن في كل مجال، فيختاروا أحسن مايقال ليقولوه، وذلك حتى يتقوا أن يفسد الشيطان مابينهم من مودة، فان الشيطان ينزغ بين الأخوة بالكلمة الخشنة تفلت، وبالرد السيء يتلوها، فيتلمس سقطات الفم وعثرات اللسان، فيغري بها العداوة والبغضاء، فاذا جو الود والمحبة والوفاق مشوب بالخلاف ثم بالجفوة ثم بالعداء. والكلمة الطيبة تأسوا جراح القلوب، تندي جفافها، وتجمعها على الود الكريم،

---

١ - فصلت : ٣٤.

٢ - انظر: «ربانية التعليم» د. عبدالله الحسن ص١٨ ، ٣٦ ، أصول الحوار ص٤٣.

٣ - النحل : ١٢٥.

كما أنها تسد عليه الثغرات، وتقطع عليه الطريق، وتحفظ حرم الأخوة آمنا من نزعاته ونفثاته(١). قال تعالى : ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِى هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ. إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً﴾(٢).

وليس هذا مجرد توجيه نظري لاحقيقة له. كلا، بل إن الله - سبحانه - لما أرسل موسى وهارون إلى فرعون اللعين، أمرهما بلين القول وحسن الكلام. ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً﴾(٣). بل علمهما مايقولانه واختارلهما ألطف عبارة : ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾(٤).

وهذا المصطفى ﷺ يقول عنه أنس - رضي الله عنه - : «لم يكن النبي ﷺ سبابا ولا فاحشا ولا لعانا، كان يقول لأحدنا عند المعتبة : ماله ترب جبينه»(٥).

سبحان الله ! هذا حاله وذلك مقاله عند المعتبة، فكيف في حالات الرضا والصفاء.

واستأذن رجل عليه فلما رآه قال : بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة. فلما جلس تطلق النبي ﷺ في وجهه وانبسط اليه. فلما سألته عائشة عن ذلك قال : يا عائشة : «متى عهدتني فاحشا ؟ إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره»(٦)

فهذا الرجل مع سوئه الذي يعلمه النبي ﷺ فيه، لكنه ينبسط إليه، ويلين له القول ليتألفه، وهكذا فما أمكن الشخص أن ينصح ويتعامل بالرفق فلايجوز له أن يفعله بالعنف، لأنه قد يكون سببا لإغراء الخصم واصراره على ذلك الفعل كما في طبع كثير من الناس من الأنفة، لاسيما إن كان الآمر دون المأمور في المنزلة.(٧)

---

١ - انظر الظلال : ٢٢٣٤/٤ بتصرف.

٢ - الاسراء : ٥٣.

٣ - طه : ٤٤.

٤ - النازعات : ١٨.

٥ - أخرجه البخاري : الأدب : ٦٠٣١، أحمد ١٢٦/٣.

٦ - أخرجه البخاري : الأدب: ٦٠٣٢ ، أبو داود : الأدب: ٤٧٩١.

٧ - انظر الفتح : ٤٥٤/١٠ ، ٤٦٦ بتصرف.

ومن سنته - ﷺ - عموما، اختيار الألفاظ السالمة من المعايب، ومن ذلك مثلا : تبديل بعض الأسماء الى ماهو أحسن منها(١)، ومنه نهيه ﷺ عن وصف الإنسان نفسه بالخبث، حيث قال : «لايقولن أحدكم خبثت نفسي ولكن ليقل لقست نفسي»(٢).

قال ابن حجر : (ويؤخذ من الحديث استحباب مجانبة الألفاظ القبيحة والأسماء، والعدول إلى مالاقبح فيه .. وإن كان المعنى المراد يتأدى بكل منهما)(٣).

ومن الأمثلة التي تظهر فيها حسن عبارته ولين كلامه وطيب قوله - ﷺ -:

ترحيبه بالقادم عليه وتأنيسه، كما قال لوفد عبد القيس : «مرحبا بالقوم - أو بالوفد - غير خزايا ولا ندامى»(٤). (وقد تكرر ذلك من النبي ﷺ، ففي حديث أم هانئ .. مرحبا بأم هانئ»، وفي قصة عكرمة بن أبي جهل «مرحبا بالراكب المهاجر» وفي قصة فاطمة «مرحبا بابنتي» وكلها صحيحة)(٥).

ومن ذلك أيضا ماتقدم في رده على اليهود حينما كانوا يقولون «السام عليكم» فلايزيد في الرد عليهم على قوله «وعليكم»، بل ينهى عائشة عن سبابهم وشتامهم.(٦)

ومن ذلك ماتقدم أيضا في قصة معاوية بن الحكم عندما تكلم في الصلاة فزجره القوم، قال معاوية : فلما انصرف رسول الله ﷺ، دعاني بأبي وأمي هو،

---

١ - من ذلك تغييره لاسم حزن الى سهل وبرة الى زينب ونحوه (انظر : البخاري كتاب الأدب، باب ١٠٨).

٢ - أخرجه البخاري الأدب : ٦١٧٩، ومسلم : الألفاظ ١٧٦٥/٤ رقم ١٦، أبو داود : الأدب: ٤٩٧٨، أحمد ٥١/٦.

٣ - انظر الفتح : ٥٦٤/١٠.

٤ - تقدم تخريجه في «تهيئة الجو المناسب للحوار» ص١٤٨.

٥ - الفتح : ١٣١/١.

٦ - تقدم تخريجه في مبحث «الكلمة الطيبة» ص٦٩.

ماضربني ولاكهرني، ولاسبني مارأيت معلما قبله ولابعده أحسن تعليما منه، قال : «إن صلاتنا هذه، لايصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وتلاوة القرآن»(١).

ومن حسن عبارته وإرضائه لجميع الأطراف المختلفة باختيار الكلمة المناسبة، قوله للغلامين الذين اختلفا في قتل أبي جهل فقال كل واحد منهما : أنا قتلته، فنظر في سيفيهما فقال : «كلا كما قتله»(٢)، فطيب قلبيهما بمثل هذه العبارة المختارة.

ومما يدخل في موضوع العبارة المناسبة : حسن العتاب لمن أخطأ أو ظلم، فلم يكن من هديه ﷺ النهر والزجر والتأنيب والتعيير، الذي يشعر بانتقاص الآخرين أو إذلالهم أو الحقد عليهم أو نحو ذلك، بل كان عتابه لطيفا، يشير إلى الأخطاء من طرف خفي، فيفهمه المعني بالكلام، دون أن يجرحه أو يسيء إليه.

وقد تقدم آنفا أنه كان عند المعتبة لأحد من أصحابه يقول «ماله ترب جبينه»(٣).

ولما رجع من خيبر مع أصحابه فاضطجعوا، وتعهد بلال بإيقاظهم فغلبته عيناه فنام، فاستيقظ النبي ﷺ وقد طلع حاجب الشمس، فقال : (يا بلال أين ماقلت ؟ قال : ما ألقيت علي نومة مثلها قط...)(٤)

فاكتفى في معاتبة بلال بسؤاله عما التزم به، ثم قبل عذره عندما اعتذر بأمر سائغ قد يقع لكل أحد من الناس.(٥)

---

١ - تقدم تخريجه في مبحث «الكلمة الطيبة» أيضا ص٧٠.

٢ - أخرجه البخاري : الخمس ٣١٤١، مسلم : الجهاد ١٣٧٢/٣ رقم ٤٢، أحمد ١٩٣/١.

٣ - تقدم تخريجا آنفا.

٤ - أخرجه البخاري : مواقيت الصلاة ٥٩٥ ، النسائي : الامامة ١٠٦/٢ رقم ٨٤٦ ، أحمد ٣٠٧/٦.

٥ - انظر الفتح : ٦٦/٢.

وعندما جاءه رجل(١) قد ظاهر من امرأته، فوقع عليها قبل أن يكفر فقال له : «ماحملك على ذلك يرحمك الله ؟»(٢).. الحديث فمع أن الرجل قد أخطأ بالظهار - أولا -، وأخطأ بالوقوع على امرأته قبل الكفاره - ثانيا -، مع ذلك يعاتبه في أدب ولطف بل ويدعو له بالرحمة.

ولما خرج عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى الشام، فوقع الوباء بالشام، فاستشار الصحابة، فأشار عليه بعضهم بالرجوع فعزم على ذلك. فقال أبو عبيدة : أفرارا من قدر الله ؟ فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة (وكان عمر يكره خلافه، نعم. نفر من قدر الله الى قدر الله(٣) ... الخ

ففي هذا عتاب لطيف من عمر لأبي عبيدة، فيه معنى التقدير والإكرام لمنزلته وفضله.

وفي سيرة علي بن الحسين أنه كان بينه وبين ابن عمه حسن بن حسن شيء، فما ترك حسن شيئا الا قاله، وعليّ ساكت، فذهب حسن، فلما كان في الليل، أتاه علي، فخرج، فقال علي : يا ابن عمي إن كنت صادقا فغفر الله لي. وإن كنت كاذبا، فغفر الله لك، السلام عليك. فالتزمه حسن، وبكى حتى رثى له.(٤)

وهذا فيه عتاب حسن، وعفو وصفح، ومودة وإخاء.

وعلى كل حال فان الصفح والعفو وترك العتاب - ربما كان أولى - في أكثر المواطن، ولكن ان كان في النفس شيء نحو المخطئ من حقد أو نحوه،

---

١ - جاء في روايات أخر أن مثل هذا وقع لسلمة بن صخر، وأوس بن الصامت - رضي الله عنهما - كما في تخريج هذه الرواية.

٢ - أخرجه الترمذي : الطلاق ٤٩٤/٣ رقم ١١٩٩ وقال «حسن صحيح»، أبو داود : الطلاق ٢٢٢١، النسائي : الطلاق ١٦٧/٦ رقم ٣٤٥٧، ابن ماجه : الطلاق ١١٦٦/١ رقم ٢٠٦٥، الحاكم : الطلاق ٢٠٤/٢.

٣ - تقدم في مبحث «ضرب الأمثلة من الباب السابق» ص ٣٠٨.

٤ - سير أعلام النبلاء : ٣٩٧/٤.

فعندها يكون التنفيس بالعتاب أولى من كتمه أو السكوت على مضض وحقد وكراهيه. قال الأحنف : (العتاب مفتاح الثقالى، والعتاب خير من الحقد)(١)

ومن العبارة المناسبة : حسن المناداة للطرف الآخر، واختيار أحب الأسماء اليه أو بكنيته أو بلقب يشعر بتقديره وحسن الإهتمام به، أو نحو ذلك مما يقتضيه المقام، ويناسب منزلة المخاطب.

وقد تأدب بهذا الأنبياء فى خطابهم لأقوامهم، فقد كان يقول الرسول منهم لخصمائه : «ياقوم» : فى تودد وسماحة، وتذكير بالأواصر التى تجمعهم، وذلك بندائهم ونسبتهم إليه، ونسبة نفسه إليهم، لعل ذلك يستثير مشاعرهم ويحقق اطمئنانهم اليه فيما يقول. فالرائد لايكذب أهله، والناصح لايغش قومه.(٢)

وبهذا اللطف في الخطاب يتوجه إبراهيم إلى أبيه، يحاول أن يهديه إلى الخير الذي هداه الله اليه، وعلمه إياه، وهو يتحبب إليه فيخاطبه : ﴿يَا أَبَتِ﴾ ومن ثم يسأله ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَالاَيَسْمَعُ وَلاَيُبْصِرُ وَلاَيُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً؟﴾(٣)(٤).

ويوسف عليه السلام لما أراد دعوة السجينين إلى عقيدة التوحيد الخالص، تحبب إليهما بصفة مؤنسة، فكأنه اتخذهما صاحبين له ورفيقين على دربه، ثم دخل بهما الى صلب الدعوة(٥) فقال لهما : «ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ؟»(٦)

---

١ - سير أعلام النبلاء : ٩٤/٤.

٢ - انظر الظلال : ١٨٧٣/٤ ، ١٨٩٦.

٣ - مريم : ٤٢.

٤ - الظلال : ٢٣١١/٤.

٥ - نفس المصدر : ١٩٨٩/٤.

٦ - يوسف : ٣٩.

ولما أراد النبي - ﷺ - تسكين غضب علي - حين اختصم هو وفاطمة - فأتاه ﷺ وهو مضطجع في المسجد قد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب، فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول : قم أبا تراب، قم أبا تراب(١) فهذا فيه ممازحة المغضب بمايحصل به تأنيسه، ومن ذلك تلقيبه بالكنية، وقد كان علي يفرح إذا دعي بذلك.(٢)

وعندما يصدر هذا الأدب من الأعلى لمن هو دونه، أو من الكبير للأصغر منه سنا، فإنه يكون أوقع في النفس وأحب، فكيف عندما يصدر من رسول لأحد أتباعه، وهاهو ﷺ ينادي أبي بن كعب بكنيته فيقول له : يا أبا المنذر! أتدري أي آية في كتاب الله أعظم؟ ... الحديث.(٣)

بل وينادي أبا ذر بكنيه - حتى في حال غضبه عليه فيقول : «يا أبا ذر! أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية» ... الحديث.(٤) بل قد تقدمت قصة حواره مع عتبة بن ربيعة - وهو مشرك كافر - ومع ذلك كان يناديه - ويكرر ذلك مرارا - بكنيته التى يحبها فيقول له : «قل يا أبا الوليد» - «أو قد فرغت يا أبا الوليد» - - «قد سمعت يا أبا الوليد فأنت وذاك».(٥)

بل قد كان ذلك منه - ﷺ - حتى مع فرعون هذه الأمة «أبو جهل»، فقد ذكر المغيرة بن شعبة أنه بينما يمشي هو وأبو جهل في بعض أزقة مكة إذ لقيهما رسول الله ﷺ فقال لأبي جهل : يا أبا الحكم ! هلم إلى الله وإلى رسوله، إني أدعوك الى الله... الخ(٦).

والمقصود أن اختيار العبارات المناسبة، وانتقاء الألفاظ اللطيفة، وحسن العتاب، وحسن المناداة، مع لين الكلام وطيب المقال، مع تقديم اعتذار بالخطأ والتقصير، وسماحة وتودد للطرف المقابل، كل ذلك من الهدي النبوي، ومن الأدب الرفيع الذي يطمئن خواطر الآخرين، ويستل ماقد يكون في نفوسهم من عناد أو حقد أو مكابرة.

---

١ - تقدم تخريجه. ص٢٥٣.

٢ - انظر الفتح : ٥٣٦/١.

٣ - أخرجه مسلم : المسافرين ٥٥٦/١ رقم ٢٥٨، أبو داود : الصلاة ١٤٦٠، أحمد ١٤٢/٥.

٤ - تقدم تخريجه. ص٢٢٣.

٥ - تقدم ذكرها في مبحث «حسن الاستماع» والقصة حسّنها الألباني في تخريج فقه السيرة ص١١٣.

٦ - القصة أخرجها البيهقي فى «دلائل النبوة» : (٢٠٧/٢) واسنادها حسن.

وينبغي للمحاور ألا يغفل عن هذا أو ينساه حتى فى أصعب الحالات على النفس و أشدها، وليجعل حكمته في قول الله تعالى : ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً﴾(١)، وليتلطف كما تلطف أبو شريح خويلد بن عمرو الخزاعي - رضي الله عنه - حيث قال لعمرو بن سعيد بن العاص وهو يبعث البعوث إلى مكة : ائذن لي أيها الأمير أن أحدثك قولا قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح فسمعته أذناي ووعاه قلبي و أبصرته عيناي حين تكلم به ... ثم أخبره بحديث حرمة القتال في مكة.(٢)

قال ابن دقيق العيد : (فيه حسن الأدب فى المخاطبة للأكابر لاسيما الملوك فيما يخالف مقصودهم، لأن ذلك يكون أدعى للقبول، لاسيما فى حق من يعرف منه ارتكاب غرضه، فإن الغلطة عليه قد تكون سببا لإثارة نفسه ومعاندة من يخاطبه)(٣) اهـ

---

١ - الاسراء : ٢٨.

٢ - تقدم فى مبحث «تأكيد القضية» في الباب السابق.

٣ - انظر أحكام الأحكام : ٢٣/٣.

المبحث الثاني : التذكير والوعظ

إن بعض الخصوم قد لاتنقصهم الحقائق، ولايحتاجون إلى كثير من المعلومات، فقد تكون مقررة لديهم ذهنيا، ولكن يأبون الإعتراف بها، أو يرون في ذلك عيبا أو ذلا، فعلى المحاور أثناء تبيينه للأدلة وعرضه للقضية أن يمزج معها شيئا من التذكير ولونا من المواعظ المؤثرة، والتي تطرق قلوبهم كما تطرق الأدلة عقولهم، وإذا مانجح المحاور في هذا باستخدام الترغيب أو الترهيب، فخاطب العقل بالعلم والروح بالذكر، فستتهيأ نفسية الخصم لقبول الحق، وتكون أقرب إلى التجرد عن الهوى، والبعد عن الكبر والعناد.

وكثيرا ما استخدم هذا الأسلوب في القرآن، فخاطب المعاندين من أهل الكتاب او المشركين أو غيرهم، وذكرهم بنعم مختلفة، وحذرهم من الكفر والمعصية، وخوفهم من المصير يوم القيامة، كل ذلك مع جدالهم وتفنيد شبههم ودحض افتراءاتهم ومن أمثلة ذلك :

- تذكير بني إسرائيل بنعم الله عليهم - والتي ينبغي مقابلتها بالشكر والايمان - ومنها تفضيلهم على العالمين، وإنجاؤهم من آل فرعون، بل وإغراق عدوهم، وعفو الله عنهم بعد اتخاذهم العجل، وإحياؤهم بعد موتهم وتظليل الغمام عليهم وإنزال المن والسلوى، وتفجير الينابيع من الأرض .. الخ النعم التى ذكرها الله في آيات عديدة من سورة البقرة وغيرها، كقوله تعالى : ﴿يَابَنِيَ إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِيَ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُم عَلَى الْعَالَمِيْنَ...﴾(١).

- ومرة أخرى يذكرهم بعاقبة الكفر والعصيان، ويضرب لهم أمثلة بمن عصى أو كفر منهم وكيف كانت عاقبته : كما في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِيْنَ اعْتَدَواْ مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ. فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَابَيْنَ يَدَيْهَا وَمَاخَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِيْنَ﴾(٢) وكما في قوله سبحانه : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِس وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾(٣)

---

١ - البقرة : ٤٦ ومابعدها الى ٦٤.

٢ - البقرة : ٦٥ - ٦٦.

٣ - النساء : ٤٧.

- ومرة يذكرهم باليوم الآخر ليكون رادعا لهم عن تكذيبهم وإعراضهم كما في قوله عز وجل : ﴿وَاتَّقُواْ يَومًا لَاتَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَايُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَايُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَاهُمْ يُنْصَرُونَ﴾(١) وغيرها من الآيات في هذا الباب.

- ومثل هذا تذكير المشركين في مواقف عديدة بقدرة الله ووحدانيته وألوهيته، وتخويفهم من عذابي الدنيا والآخرة كما في الآيات المختلفة في سورة الأنعام ومنها :

- ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُم إِنْ أَتَاكُم عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَاتَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَاتُشْرِكُونَ﴾(٢)

- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُم وَأَبْصَارَكُم وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ. قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُم عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾(٣)

- ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ. قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَو مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُم شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾(٤)

ويلاحظ توجيه الآيات للمشركين وأمر النبي ﷺ بأن يحاورهم ويحاجهم بها، لما فيها من الحجج والبينات مع الوعظ والتذكير، والترهيب والتخويف.

---

١ - البقرة : ٤٨.

٢ - الأنعام : ٤٠ - ٤١.

٣ - الأنعام : ٤٦ - ٤٧.

٤ - الأنعام : ٦٣ - ٦٥.

- وأما الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه فقد استخدموا هذا الأسلوب كثيرا، فتارة يذكرون بالفضائل والنعم المشهودة المحسوسة من التمكين في الأرض وتسخير خيراتها، بإرسال الأمطار، وإنبات الزرع والثمار، وتوفير أماكن السكن والاقامة، وبسط الأجسام، والإمداد بالأموال والبنين وتكثير العدد ونحو هذا.

وتارة يذكرون بعذاب الدنيا وأخذ الله الظالمين بصور مختلفة من الإهلاك: فمنهم من أهلك بالسنين ونقص الخيرات والثمرات، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من أغرق، ومنهم من خسف به وهكذا.

وتارة يذكرون مع ذلك بعذاب الآخرة، والوقوف بين يدي الله عز وجل، والوقوف على النار، وتطاير الصحف، وقراءة الكتب، ومناقشة الحساب، وذهاب الأموال والسلطان، وغير ذلك من مشاهد اليوم الآخر.

- فهذا نوح عليه السلام يقول لقومه: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾(١).

وفي موقف آخر معهم يخبر عنه بقوله: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً. مَالَكُمْ لاَتَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمْوَاتٍ طِبَاقاً وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتاً ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطاً لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً.﴾(٢)

وهكذا حاول نوح أن يسلك كل طريق للهداية، وأن يصل إلى قلوبهم وعقولهم وآذانهم بشتى الوسائل ومختلف الأساليب، في دأب طويل، وصبر جميل، باختيار الكلمات المؤثرة والعبارات الموحية من الوعظ والترقيق والتذكير بالله ونعمه وفضائله.

---

١ - هود: ٢٦.

٢ - نوح: ١٠ - ٢٠.

- وهود عليه السلام - يذكر قومه تارة بنعمة جعلهم خلفاء من بعد قوم نوح عليه السلام وزادهم بسطة في الخلق : ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(١).

ومرة أخرى يذكرهم بأمر آخر فيقول : ﴿وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَاتَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾(٢)

- ومثله فعل صالح عليه السلام حين قال لقومه : ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَاتَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾(٣)

- وأما شعيب - عليه السلام - فلفت نظرهم إلى نعمة تكثيرهم، والى النظر فى عاقبة المفسدين : ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾(٤)

ثم يأخذ بهم فى واد آخر من التذكير، فيطل بهم على مصارع قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام فقد يفعل هذا في مثل تلك القلوب القاسية مالم يفعله التوجيه العقلي اللين الذي يحتاج إلى رشد وتفكير : ﴿وَيَاقَوْمِ لَايَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَاأَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَاقَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ. وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾(٥)

وهكذا يطوف بهم فى دروب مختلفة، ومجالات متعددة من العظة والتذكر والخوف والطمع، لعل قلوبهم تتفتح وتخشع وتلين.(٦)

---

١ - الأعراف : ٦٩.

٢ - هود : ٥٢.

٣ - الأعراف : ٧٤.

٤ - الأعراف : ٨٦.

٥ - هود : ٨٩ - ٩٠.

٦ - انظر الظلال : ١٩٢١/٤.

- وهذا موسى - عليه السلام - يعظ قومه ويذكرهم، فيحشد لهم ألمع الذكريات، وأكبر البشريات، وأضخم المشجعات، وأشد التحذيرات(١) : ﴿يَاقَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَءَآتَاكُمْ مَالَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ العَالَمِيْنَ﴾(٢)

وفي موضع آخر : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوْسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾(٣) .. الآيات.

وفي موقف المناظرة والتحدي لاينسى موسى هذا الأدب والأسلوب النافع فهو يخاطب السحرة قبل دخول مباراة التحدى، ويبذل لهم النصيحة، ويحذرهم عاقبة الكذب والافتراء على الله، لعلهم يتوبون إلى الله ويدعون التحدى بالسحر والدجل : ﴿قَالَ لَهُمْ مُوْسَىٰ وَيْلَكُمْ لَاتَفْتَرُواْ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾(٤)

ومؤمن آل فرعون الذي دافع عن موسى وحذر قومه من عواقب الكذب والإعراض، يذكرهم بنعمة الملك أولا، ثم يخوفهم مصيرا كمصير قوم نوح وعاد وثمود ومن بعدهم، ثم يتبعهم بالتحذير من عذاب الآخرة يوم لايكون لهم من الله من عاصم : ﴿يَاقَوْمِ لَكُمُ المُلْكُ اليَوْمَ ظَاهِرِيْنَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾ - ويقول أيضا : ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾

- وقال ﴿وَيَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِيْنَ مَالَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَالَهُ مِنْ هَادٍ﴾(٥)

---

١ - المصدر السابق : ٨٦٩/٢.

٢ - المائدة : ٢٠.

٣ - ابراهيم : ٦.

٤ - طه : ٦١.

٥ - الآيات ٢٩ - ٣٣ من سورة غافر.

وهكذا تمضي المواعظ وتفعل فعلها وتطرق القلوب وتلينها، اذا لم تطرق الحجج العقول وتنيرها.

فهو أسلوب نافع مجرب، سار عليه الأنبياء، فعلى المحاور أن يذكر ويحذر خصمه، ويرغبه في التجرد وطلب الحق والتسليم بالخطأ متى تبين والاذعان لحكم الله ورسوله - ﷺ - ويرهبه من التعالي والتمادي في الباطل والكبر والغرور والانتصار للنفس، وهاهو عمر - رضي الله عنه - لما يخبره عمار - رضي الله عنه - بقصة التيمم التى كانت بينهما، فلم يتذكرها عمر فيقول له : ياعمار، اتق الله(١) فلم يتردد عمر فى تذكير عمار وتخويفه بالله وكلاهما صحابيان جليلان - رضي الله عنهما.

فاستخدام هذا الأسلوب - خاصة إذا كان قبل البدء فى الحوار - له أهمية كبرى، وأثر يلمس على الطرف الآخر، وكل محاور يحتاج إلى أن يتقي الله فى حواره، فى كلامه وأحكامه وأدلته وأدبه حتى لايخرج في شيء من ذلك عن الهدي النبوي، وحتى ينضبط الحوار ويحقق ثمرته.

---

١ - تقدم ذكرها في مبحث «الثبات» وغيره. ص :١٩٤.

المبحث الثالث : التعريض والتلميح بدلاً عن التصريح

إن لفت النظر الى الأخطاء من طرف خفي، وتجنب اللوم المباشر، وعدم تخطئة الطرف الآخر بعبارة صريحة، كل ذلك له أثره في تسليم الخصم للحق والرجوع عن الخطأ، فالنفوس غالبا لاتتحمل أن تواجه بقوة وصرامة، وهناك من الألفاظ الموحية والكلمات اللطيفة والتي تؤدي الغرض نفسه، دون جرح لمشاعر الآخرين، أو إشعارهم بالذل والهزيمة.

(ومن دقائق صناعة التعليم أن يزجر المخطئ بطريق التعريض ما أمكن ويتجنب التصريح، بطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ، فان التصريح يهتك حجاب الهيئة، ويورث الجرأة على الهجوم، ويهيج الحرص على الإصرار، والتعريض يميل النفوس الفاضلة والأذهان الزكية، إلى استنباط معانيه فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة فى العلم به، ليعلم أن ذلك ممالايعزب عن فطنته)(١).

ولقد استعمل هذا الأسلوب كثيرا، سواء فى الكتاب أو السنة، فمن نماذجه القرآنية :

- أن موسى عليه السلام عرض بقومه حين ترددوا فى ذبح البقرة وأجابوا فى سفاهة وسوء أدب، واتهموا نبيهم بأنه يسخر منهم ويستهزئ بهم : ﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا؟﴾ وكان رد موسى عليه السلام على هذه السفاهة أن يستعيذ بالله، وأن يردهم برفق، وعن طريق التعريض والتلميح؛ إلى جادة الأدب الواجب في جانب الخالق جل علاه، وأن يبين لهم أن ماظنوه به لايليق إلا بجاهل بقدر الله لايعرف ذلك الأدب ولايتوخاه(٢) : ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِيْنَ﴾(٣)

- ومرة أخرى يستخدم موسى عليه السلام هذا الأسلوب عندما جاء قومه بالبينات فكذبوا وقالوا : ﴿مَاهَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَاسَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا الْأَوَّلِيْنَ﴾(٤) فيرد عليهم ردا مؤدبا مهذبا، يلمح فيه ولايصرح، وفى الوقت ذاته ناصع واضح،

---

١ - احياء علوم الدين : ٧١/١ بتصرف.

٢ - الظلال : ٧٨/١.

٣ - البقرة : ٦٧.

٤ - القصص : ٣٦

مليء بالثقة والطمأنينة الى عاقبة المواجهة بين الحق والباطل(١) : ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾(٢)

- وفى معرض مواجهة المشركين والرد عليهم، يلقن الله رسوله - ﷺ - هذا الأسلوب الحكيم، كما فى قوله عز وجل : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(٣) فهو يدعوهم إلى تدبر حالهم والنظر والتفكر وافتراض هلاكه ومن معه، حيث أنهم لو حصل هذا، مانفعهم شيئا أن تتحقق أمانيهم فى هلاكه، ولاتعصمهم هم من عاقبة الكفر والضلال،

(ولكنه لايقول لهم : فمن يجيركم من عذاب أليم؟ ولاينص على أنهم كافرون، إنما يلوح لهم بالعذاب الذي ينتظر الكافرين؛ ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ .. وهو أسلوب فى الدعوة حكيم، يخوفهم من ناحيته، ويدع لهم فرصة للتراجع عن موقفهم من ناحية. فلوجابههم بأنهم كافرون، وأنه لامفر لهم من العذاب الأليم.. فربما جهلوا وحمقوا وأخذتهم العزة بالإثم أمام الإتهام المباشر والتهديد. ففي بعض الحالات يكون أسلوب التلميح أفعل فى النفس من أسلوب التصريح)(٤)

- وكذا يلمح يوسف عليه السلام - بالسجينين بعد أن يتودد إليهما، ليدخل من مؤانستهما إلى صلب الدعوة وتصحيح العقيدة، ولكن لايدعوهما إليها دعوة مباشره، إنما يعرضها قضية موضوعية : فيقول لهما : ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ؟﴾(٥)

---

١ - انظر الظلال : ٥/٢٦٩٤.

٢ - القصص : ٣٧.

٣ - الملك : ٢٨.

٤ - الظلال : ٦/٣٦٤٧.

٥ - يوسف : ٣٩.

- ولعل من شواهد هذا : الاستجواب الهائل الرهيب فى اليوم العظيم المرهوب، ذلكم الاستجواب الذي يقصد به إلى غير المسؤول، إنه سؤال من الجبار سبحانه موجه إلى عيسى، وموضوع السؤال هو اتخاذه وأمه إلهين من دون الله ـ وحاشا هما من ذلك ـ : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ؟﴾(١)، وهذا السؤال فى هذه الصورة وفى الإجابة عليه يزيد من بشاعة وموقف المؤلهين لهذا العبد الصالح الكريم.(٢)

- وفى قوله تعالى : ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(٣) يقول الزمخشري ماملخصه :

(إن أحد الفريقين على أحد الأمرين من الهدى والضلال، وقد تقدم مايدل دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين، ولكن التعريض والتورية أفضل بالمجادل إلى الغرض، وأهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا، ومنه بيت حسان :

اتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء.)(٤)

- وقد تقدمت الاشارة سابقا إلى قوله تعالى : ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا...﴾(٥) وقول الزمخشري فيها : (أفاد هذا النظم تكذيب دعواهم أولا، ودفع ماانتحلوه، فقيل : ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا﴾، وروعي في هذا التكذيب أدب حسن حين لم يصرح بلفظه فلم يقل كذبتم، ووضع «لم تؤمنوا» الذى هو نفى ما ادعوا اثباته موضعه، ثم نبه على مافعل من وضعه موضع كذبتم في قوله

---

١ - المائدة : ١١٦.

٢ - انظر الظلال : ١٠٠١/٢.

٣ - سبأ : ٢٤.

٤ - الكشاف : ٢٨٩/٣.

٥ - الحجرات : ١٤.

في صفة المخلصين : ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ تعريضا بأن هؤلاء هم الكاذبون، ورب تعريض لايقاومه التصريح.) اهـ(١)

- وأما أمثلة السنة فمتعددة أيضا في استخدام هذا الأسلوب، فالنبي - ﷺ - كثيرا مايعرض بذكر آية أو كلمة أو نحوهما، ويقصد بها الاشارة إلى معنى خفي يفهمه السامع ويستفيده دون أن يصرح له به أو يواجهه بخطئه، أو يجرحه بكلمة أو عبارة : فلما نزلت على رسول الله - ﷺ - : ﴿لِلَّهِ مَافِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُواْ مَافِيٓ أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ..﴾(٢) فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ حتى بركوا على الركب فقالوا : يا رسول الله! كلفنا من الأعمال مانطيق : الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولانطيقها. قال رسول الله ﷺ : «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم : سمعنا وعصينا؟ بل قولوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير(٣)....) الحديث.

فهو هنا يعرض بالصحابة أن يشابهوا أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فيعاقبوا بمثل عقوبتهم.

- ولما دخل على علي وفاطمة - رضي الله عنهما - ليلا. فقال : «ألا تصلون؟» فقال علي : يارسول الله انما أنفسنا بيد الله فاذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف وهو يضرب فخذه ويقول : ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾(٤)(٥)

فهنا مع تعجبه من جواب علي، وعدم موافقته له على الاعتذار بذلك(٦) إلا أنه لايعنفه ولايزجره، وإنما يكتفي بالتعريض بفعله والاشارة إلى جدله بقراءة الآية...

---

١ - الكشاف : ٥٧٠/٣.

٢ - البقرة : ٢٨٤.

٣ - أخرجه مسلم : الايمان ١١٥/١ رقم ١٩٩ ، أحمد ٤١٢/٢.

٤ - الكهف : ٥٤.

٥ - أخرجه البخاري : التهجد : ١١٢٧، ومسلم : المسافرين ٥٣٨/١ رقم ٢٠٦، النسائي : قيام الليل ٢٠٥/٣ رقم ١٦١١.

٦ - شرح النووي : ٦٥/٦.

- ولما كان فى مرض موته - ﷺ - فحضرت الصلاة فأذن، فقال : «مروا أبا بكر فليصل بالناس». فقالت عائشة : إن أبا بكر رجل أسيف، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس، وأعاد فأعادته» فأعاد الثالثة فقال : «إنكن صواحب يوسف - مروا أبا بكر فليصل بالناس(١)... الحديث

والمراد أنهن مثل صواحب يوسف فى إظهار خلاف مافي الباطن، ووجه المشابهة أن زليخا - امرأة العزيز - استدعت النسوة وأظهرت لهن الاكرام بالضيافة، ومرادها أن ينظرن إلى حسن يوسف ويعذرنها فى محبته، وأن عائشة أظهرت أن سبب إرادتها صرف الإمامة عن أبيها كونه لايسمع المأمومين القراءة لبكائه، ومرادها زيادة على ذلك أن لايتشاءم الناس به.(٢) ففي هذا تعريض بفعلها وإشارة إلى ماقصدته فى الباطن وأنه خلاف لما قيل فى الظاهر.

واستعمل هذا الأسلوب الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم -، فبينما عمر يخطب الجمعة إذ دخل عثمان فعرض به عمر فقال : مابال رجال يتأخرون بعد النداء، فقال عثمان : يا أمير المؤمنين : مازدت حين سمعت النداء أن توضأت ثم أقبلت. فقال عمر : والوضوء أيضا. ألم تسمعوا رسول الله ﷺ يقول : «اذا جاء أحدكم إلى الجمعة فليغتسل».(٣)

فهذا واضح فيه التعريض بالطرف الآخر، وإنما فعل عمر ذلك اتباعا لمنهج النبي ﷺ فى مثل هذه الحالات.

---

١ - أخرجه البخاري : الأذان ٦٦٤، مسلم : الصلاة ٣١٣/١ رقم ٩٤، النسائي : الامامة: ٩٩/٢ رقم ٨٣٣، أحمد ١٥٩/٦.

٢ - الفتح : ١٥٣/٢ بتصرف.

٣ - أخرجه البخاري : الجمعة ٨٧٨، مسلم : الجمعة ٥٨٠/٢ رقم ٤، أحمد ٢٩/١.

- وفى مسألة المتعة فى النكاح، قام عبدالله بن الزبير بمكة فقال : إن ناسا أعمى الله قلوبهم، كما أعمى أبصارهم، يفتون بالمتعة. يعرض برجل(١). فناداه فقال : إنك لجلف جاف. فلعمري لقد كانت المتعة تفعل على عهد إمام المتقين - ﷺ - فقال له ابن الزبير : فجرب بنفسك. فوالله لئن فعلتها لأرجمنك بأحجارك.(٢)

وهذا فيه تعريض كالذى قبله، حيث استخدم ابن الزبير هذا اللفظ (إن ناسا) ولم يذكر اسم المردود عليه.

- وفى قصة الحديبية لما زعم عروة بن مسعود أن الصحابة سيفرون ويدعون النبي ﷺ إن هزم، فعندها قال أبو بكر : امصص بظر اللات، أنحن نفر وندعه؟ ... الحديث(٣)

- ونقل فى الفتح عن ابن المنير أن في هذا القول من أبي بكر تعريضاً بالزامهم من قولهم إن اللات بنت الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، بأنها لو كانت بنتا لكان لها مايكون للإناث.(٤)

والمقصود أن التلميح من بعيد والتعريض بالخصم أو بالخطأ، بدلا عن التصريح والتجريح، يجعل من الهين على الشخص الآخر أن يصحح خطأه، ويحتفظ له بكبريائه، ويشيع فيه إحساسا بأهميته، ويسلس قياده، ويدفعه إلى التعاون بدلا من أن يحفزه إلى الثورة والعناد، وهو أفضل من نقد صريح واصدار أوامر بوجوب الإعتراف بالأخطاء والرجوع إلى الحق.

---

١ - قال النووي : يعني يعرض بابن عباس (شرح مسلم : ١٨٨/٩).

٢ - أخرجه مسلم : النكاح ١٠٢٦/٢ رقم ٢٧.

٣ - تقدم تخريجه. ص :٢٥٢،٤٢.

٤ - الفتح : ٣٤٠/٥.

المبحث الرابع : أدب السؤال

إن الحوار لابد أن تطرح فيه أسئلة، وتعرض أثناءه استفهامات، تزيد الأمر إيضاحا، أو تذكر بدليل أو تنبه إلى قضية، فلاغنى للمتحاورين عن السؤال، ولذلك يلزم المحاور أن يتعلم شيئا من أدب السؤال، حتى ينضبط حواره ويتسم بحسن الأدب وطيب المقال وكما قيل : (أدب السائل انفع من الوسائل)(١) وقال ابن حجر : (العلم سؤال وجواب، ومن ثم قيل : حسن السؤال نصف العلم)(٢)

وللسؤال أغراض متعددة، فأحيانا يكون للتعرف على المحاور وأحواله ومنزلته وعلمه، كما فى سؤال النبي ﷺ لوفد عبد القيس : «من القوم»(٣) ونحوه.

وأحيانا يكون القصد منه الوصول إلى معلومة مهمة أو أمر ينفع فى ترتيب المعلومات أثناء الحوار، والتدرج منها إلى غيرها، كما وقع ذلك من ضمام بن ثعبة، حين سأل : من خلق السماء؟ ومن خلق الأرض؟ ... ثم استحلف بخالق هؤلاء على مايريد التثبت منه.(٤)

وأحيانا يكون الغرض منه مراجعة الطرف الآخر فى معلومة ونحوها، حتى يتبين جوانب الموضوع وملابساته كما ستأتى أمثلته.

وأحيانا يكون الاستفهام تقريريا، بأن يكون عن مقدمات بينة برهانية وحقائق مؤكدة لايمكن لأحد أن يجحدها، وتدل على المطلوب اثباته، وتقرر الخصم بالحق والإعتراف بانكار الباطل(٥)، كما فى قوله تعالى مثلا : ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾(٦).

---

١ - سير أعلام النبلاء : ٣٩٨/١٩.

٢ - الفتح : ١٤٢/١.

٣ - تقدم ذكره فى المبحث «تهيئة الجو المناسب» وتقدمت أمثلة غيره. ص :١٤٨.

٤ - تقدم تخريجه فى مبحث «تهيئة الجو المناسب» أيضا. ص :٥٦.

٥ - انظر مناهج الجدل ص ٧٦.

٦ - يس : ٨١.

وقوله : ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَهُ عَيْنَينِ وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾(١)و أحيانا يكون الغرض منه الإنكار على الخصم وزجره، وستأتي أمثلته.

ومن أهم الآداب التي ينبغي للسائل أن يتأدب بها مع محاوره مايلي :

١ - التقدمة بين يدي السؤال، والإعتذار قبل طرحه، لاسيما إن كان السؤال محرجا أو دقيقا أو ستتلوه أسئلة أخرى مهمة - قد يتضايق منها المسؤول - فلابأس أن يذكر السائل عبارة تدل على حسن أدبه واحترامه وتقديره، وقد تقدمت الاشارة إلى حسن أدب ضمام بن ثعلبة، ومن ذلك أنه قدم بين يدي سؤاله بمقدمه لطيفة حيث قال للنبي ﷺ : إني سائلك فمشدد عليك فى المسألة فلاتجد علي في نفسك. فقال : سل مابدالك.(٢)

ومن ذلك تقدمة أم سليم - رضي الله عنها - حين أرادت أن تسأل عن احتلام المرأة فبدأت بقولها : (يا رسول الله إن الله لايستحي من الحق)(٣)... الخ

٢ - اختيار الصيغة المناسبة، - وإيضاح السؤال وعدم ابهامه -، فلاينبغي أن تكون عبارة السؤال قبيحة أو ركيكة أو غير مفهومة، أو لاتؤدي المعنى الذي يريده السائل، أو تحتمل عدة معان، أو غير ذلك ممايؤثر في موضوع السؤال أو في نفسية المسؤول، ومن الأسئلة الحسنة التى أعجبت سامعها فى موضوعها وصيغتها وحسن عبارتها، سؤال ذلك الأعرابي الذي عرض للنبي ﷺ وهو فى سفر ثم قال : يا رسول الله! أخبرني بمايقربني من الجنة ومايباعدني من النار، فكف النبي ﷺ ثم نظر في أصحابه. ثم قال : «لقد وفق أو لقد هدى» قال «كيف قلت؟» فأعاد. فقال النبي ﷺ : «تعبد الله ولاتشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم».(٤)

---

١ - البلد : ٨ - ١٠.

٢ - تقدمت الاشارة اليه آنفا.

٣ - أخرجه البخاري : الغسل ٢٨٢، مسلم : الحيض ٢٥١/١ رقم ٣٢، النسائي: الطهارة ١١٢/١ رقم ١٩٦، وأخرجه ابن ماجه : الطهارة ١٩٧/١ رقم ٦٠٠، أحمد ٩٢/٦.

٤ - أخرجه مسلم : الايمان ٤٣/١ رقم ١٢.

ومثله سؤال ذي اليدين حين سها النبي ﷺ فى الصلاة فقال له : «يارسول الله أحدث في الصلاة شيء؟».(١)

٣ - أن يكون الغرض من السؤال غرضا شرعيا صحيحا لايقصد منه التعنت واضاعة الوقت أو تشتيت الموضوع أو نحوه، وأن يتبين به جوانب الموضوع وملابساته كما كانت عائشة - رضي الله عنها - لاتسمع شيئا لاتعرفه الا راجعت فيه حتى تعرفه، فلما سمعت النبي ﷺ يقول : «من حوسب عذب. قالت : أو ليس يقول الله تعالى : ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيْراً﴾(٢) فقال : «إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك»(٣)

قال ابن حجر : وفى الحديث ماكان عند عائشة من الحرص على تفهم معانى الحديث، وأن النبي ﷺ لم يكن يتضجر من المراجعة فى العلم. وفيه جواز المناظرة، ومقابلة السنة بالكتاب...)(٤)

اذا فلابد من السؤال والاستيضاح قبل الحكم أو الاعتراض، ولابأس بتعدد الأسئلة وتنوعها حسب الحاجة اليها، حتى يتضح الأمر جليا كما في حديث النعمان بن بشير، حين أراد أبوه أن يهبه شيئا من ماله، فأتى النبي ﷺ فأخبره بما عزم عليه فقال له النبي ﷺ : «يابشير ألك ولد سوى هذا؟» قال : نعم. فقال : «أكلهم وهبت له مثل هذا؟ قال : لا! وفي رواية : قال : «أليس تريد منهم البر مثل ماتريد من ذا؟» قال : بلى) قال : فإني لا أشهد على جور».(٥)

---

١ - تقدم ذكره فى مبحث «التثبت». ص : ٢٨٨.

٢ - الانشقاق : ٨.

٣ - أخرجه البخاري : العلم ١٠٣، مسلم : الجنة ٢٢٠٤/٤ رقم ٧٩، أبو داود : الجنائز : ٣٠٩٣، الترمذي : القيامة ٦١٧/٤ رقم ٢٤٢٦، أحمد ٤٧/٦.

٤ - الفتح : ١٩٧/١.

٥ - أخرجه مسلم : الهبات ١٢٤٢/٣ رقم ٩، النسائي : النحل ٢٥٩/٦ رقم ٣٦٧٦، أحمد ٢٦٨/٤.

٤ - اختصار السؤال وعدم ذكر تفصيلات وجزئيات لاداعي لها ولاتؤثر في المعنى، حتى لايضيع الوقت، ولاينسى أصل موضوع السؤال، وكذلك الإقتصار في الأسئلة على مايتعلق بالموضوع، وعدم الإكثار منها أو تعددها بما لاحاجة فيها أو تكرارها عدة مرات، فكل ذلك ينافي أدب السؤال ويذهب روح الحوار.

٥ - اذا واجه المحاور خصما سيء الأدب، ولايحسن يسأل، فلابأس من أن يلقنه آداب السؤال فى أثناء الرد عليه، ومن هذا الباب مافعله موسى عليه السلام مع قومه، عندما أمرهم بذبح البقرة، فسألوه قائلين : ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَاهِيَ؟﴾(١)

فسؤالهم هذا فيه سوء أدب من جوانب عدة حيث يشعر بإنكارهم واستهزائهم، وعدم التسليم لربهم وتصديق رسولهم، كما أنهم لم يحسنوا اختيار العبارة، حيث قالوا : «ادع لنا ربك» فكأنما هو ربه وحده، وكأن المسألة لاتعنيهم إنما تعني موسى وربه، ثم يسألون عن ماهية البقرة، وهذا لافائدة منه ولاطائل تحته، فما كان منه إلا أن سلك فى الإجابة طريقا غير طريق السؤال، فهو لم يجبهم بانحرافهم في صيغة السؤال كي لايدخل معهم فى جدل شكلي، وانما أجابهم عن صفة البقرة، ولمح لهم بالأدب الواجب في السؤال وفي التلقي(٢) : ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَافَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَاتُؤْمَرُونَ﴾.(٣)

٦ - وهناك مواضع يكره فيها السؤال، ذكر الشاطبي عشرة منها(٤)، وملخص أهمها:

- السؤال عما لاينفع.
- أن يسأل عن زيادة لافائدة منها، بعدما بلغ من العلم فى المسألة حاجته.
- السؤال من غير احتياج إليه عند وقت السؤال.

---

١ - البقرة : ٦٨.

٢ - انظر الظلال : ٧٨/١.

٣ - البقرة : ٦٨.

٤ - انظر الموافقات للشاطبي : ١٨٨/٤.

- أن يبلغ بالسؤال إلى حد التكلف والتعمق الزائد عن حده.

- أن يظهر من السؤال معارضة الكتاب والسنة بالرأي.

- سؤال التعنت والإفحام وطلب الغلبة في الخصام.

- ويتعلق بموضوع السؤال استخدام الإستفهام الاستنكاري مع الخصم، وهو أن ينكر عليه قول أو فعل عن طريق السؤال فلايملك جوابا، لما تحويه تلك الأفعال والأقوال من فساد يعرف بداهة، أو تناقض وخلط.

ولقد استخدم هذا الأسلوب فى القرآن كثيرا مع أصناف المعاندين من أهل الكتاب والمشركين والمافقين وغيرهم : فمن استعماله مع أهل الكتاب قوله تعالى : ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ. يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(١) وقوله : ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِيَ إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾(٢) وقوله أيضا : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾(٣) إلى غير ذلك من الأمثلة.

ومن استعماله مع المشركين قوله تعالى : ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٤)

وقوله تعالى:﴿قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ. كَلاَّ بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(٥)

ففى هذه الأسئلة استنكار واستخفاف بأولئك المغرضين المعاندين.(٦)

---

١ - آل عمران : ٧٠ - ٧١.

٢ - آل عمران : ٦٥.

٣ - المائدة : ٥٩.

٤ - البقرة : ٢٨.

٥ - سبأ : ٢٧.

٦ - انظر الظلال : ٢٩٠٦/٥.

ومن استعماله مع المنافقين قوله تعالى : ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُنَ﴾.(١)

ولقد استعمل الرسل مع أقوامهم أسئلة كثيرة لمثل هذا الغرض،_أي إنكارا على القوم وتبكيتا لهم وإلزاما لهم بالحجة، وقطعا لباطلهم ودحضا لشبهاتهم_.

كما قال إبراهيم لقومه في سؤاله لهم عن الأصنام التى كانوا يعبدون : ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَو يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾(٢) وكما قال لوط لقومه منكرا عليهم : ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِيْنَ وَتَذَرُونَ مَاخَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكِمْ بَلْ أَنْتُمْ قَومٌ عَادُوْنَ﴾(٣) وأمثلة هذا كثيرة جدا وإنما المقصود أن المحاور قد يحتاج إلى استخدام الإستفهام الاستنكاري اذا دعته الحاجة. وأحوج الخصم نفسه لمثل هذا الأسلوب.

---

١ - التوبة : ٦٥.

٢ - الشعراء : ٧٢ - ٧٣.

٣ - الشعراء : ١٦٥ - ١٦٦.

المبحث الخامس : ذكر المبررات عند الإعتراض

قد ينكر المحاور قولا أو فعلا، ويعترض على دليل أو شبهة، فلابد من بيان أسباب الإعتراض، وتوضيح مبررات ذلك الإنكار، ولايكفى أن يُخطِّأ الرأي الآخر أو يسفه أو يحقر بمجرد الهوى أو بالألفاظ الغليظة ورفع الصوت ونحوه، فإن كل ذلك لايغني من الحق شيئا، والمحاور العاقل لابد أن يحترم الآراء ويقدر الأفهام ويراعي الحقائق، فإذا أنكر بأدب، وإذا اعترض فبسبب، وإذا استدرك على خصمه فبلباقة وحسن أداء، فإن ذلك ممايساعد النفوس على التنازل عن آرائها القديمة، والتجرد فى النظر إلى اعتراضات الطرف الآخر ومبرراته وأسبابه.

- فهذا إبراهيم عليه السلام لما أراد دعوة قومه إلى توحيد رب العالمين، وأنكر عليهم عبادة الأصنام والتماثيل، ومن ثم أعلن عداوته لها، برر لهم ذلك فقال عن آلهتهم : ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾(١) فهذه مبررات ترك هذه الآلهة وعداوتها، وأما مبررات وأسباب توحيده وعبادته لربه فبينها بعد ذلك بقوله : ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِيَ إِلاَّ رَبَّ العَالَمِينَ. الَّذي خَلَقَني فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذي هُوَ يُطْعِمُني وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذي يُمِيتُني ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذيَ أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الْدِّيْنِ﴾(٢)

- وفى الحوار بين النبي ﷺ وعبدالله بن عمرو بن العاص، حيث كان يصوم الدهر ويقرأ القرآن كل ليله، فسأله النبي ﷺ عن ذلك ثم قال له : «فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام» فقال : يانبي الله إني أطيق أفضل من ذلك. قال : «فإن لزوجك عليك حقا، ولزَوْرِك عليك حقا، ولجسدك عليك حقا، فصم صوم داود نبي الله فإنه كان أعبد الناس ... الحديث(٣)

---

١ - الشعراء : ٧٢ ـ ٧٣.

٢ - الشعراء : ٧٧ ـ ٨٢.

٣ - تقدم تخريجه. ص : ٢٨٧. (والزَوْر : هم الزائرون . انظر الصحاح : ٣/ ٦٧٢)

فهنا ذكر عبد الله مبرراته فى تلك الأفعال فقد كان يكرر قوله : (إني أطيق أفضل من ذلك)، وذكر النبي ﷺ مبررات أيضا : عند نصح عبد الله وتوجيهه فقد بين أن هناك حقوقا ربما تفوت بفعل عبد الله، كحقوق الزوجة والضيف والجسد.

- ولما أراد سعد بن أبي وقاص أن يوصي بثلثي ماله ثم بنصفه، فلم يوافقه النبي ﷺ على ذلك ووجهه للتصدق بالثلث، مع بيان أنه كثير أيضا ثم برر نهيه عن ذلك بقوله : «إنك إن تذر ورثتك أغنياء، خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس»(١).... الحديث.

- ولما وقع الخلاف بين الصحابة فى أمر تعيين الخليفة بعد وفاة النبي ﷺ، وقال الأنصار للمهاجرين : منا أمير ومنكم أمير، ثم قام أبو بكر فتكلم وقال : نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حباب بن منذر : لا والله لانفعل، منا أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر : لا، ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء. هم أوسط العرب دارا وأعربهم أحسابا، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة(٢)...

- ولما بين النبي ﷺ حرمة مكة فى عام الفتح، وأنها لايختلى شوكها ولايعضد شجرها، ولاتلتقط ساقطتها إلا لمنشد، فقال العباس بن عبد المطلب : إلا الأذخر يارسول الله فإنا نجعله فى بيوتنا وقبورنا فقال النبي ﷺ «الا الأذخر».(٣)

فهذا الاستدراك من العباس ذكره مع ذكر مبرراته وأسبابه، وهي حاجتهم للأذخر فى بيوتهم وقبورهم، فقبل منه النبي ﷺ واستجاب لطلبه.

وقد يكون المبرر الذي يذكر عند الاعتراض دليلا شرعيا، وقد تقدم مبحث مستقل يتعلق بالدليل، ممالايحتاج إلى ذكر أمثلة لأدلة ذكرت عند الاعتراض.

وإنما المقصود أن المحاور إذا استدرك واعترض فيجدر به أن يبين أسباب ذلك ومبرراته، ليقبل الاعتراض منه، وليتراجع الطرف الآخر عن موقفه ورأيه.

---

١ - أخرجه البخاري : الجنائز ١٢٩٥، مسلم : الوصية ١٢٥٠/٣ رقم ٥، النسائي : الوصايا ٢٤٣/٦ رقم ٣٦٣٠، ابن ماجه : الوصايا : ٩٠٣/٢ رقم ٢٧٠٨، أحمد ١٦٨/١.

٢ - تقدم تخريجه ص : ١٢٢.

٣ - أخرجه البخاري : العلم ١١٢، مسلم : الحج ٩٨٦/٢ رقم ٤٤٥، أبو داود : المناسك ٢٠١٧، النسائي : الحج ٢٠٣/٥ رقم ٢٨٧٤، ابن ماجه : المناسك ١٠٣٧/٢ رقم ٣١٠٨، أحمد ٢٥٣/١.

المبحث السادس : طلب الإنظار وعدم الإستعجال

قد تقدم مبحث خاص فى بيان ضرورة حسن الإستماع إلى الطرف الآخر والإنصات إلى حججه وأدلته، بتجرد وصدق فى صبر وإخلاص، وقد ذكر العلماء فى آداب المناظرة : (ألا يتعرض أحدهما لكلام الآخر حتى يفهم مراده من كلامه)(١)، وكذا ألا يكون متسرعا يقصد اسكات خصمه فى زمن يسير، لأن ذلك يفسد عليه رويته الفكرية، ويبعده عن منهج المنطق السديد، والتفكير في الوصول إلى الحق.(٢)

ولكن قد يبتلى المحاور بخصم عجول لايحسن الإستماع ولايجيد الإنصات، يقاطع أثناء الكلام، ويرد قبل أن يفهم، ويجيب قبل أن ينتهى السؤال، فعند ذلك ينبغي للمحاور أن يطلب من خصمه الانتظار والإستماع بهدوء وعدم استعجال، وبترك المقاطعات والتدخلات.

وأحيانا قد لايكون الطرف الآخر كذلك، ولكن يريد المحاور أن يؤكد أمر الانتظار والتمهل، ويخشى من إستعجال محاوره فلابأس بأن يذكره بطلب الانظار ويؤكد عليه بعدم الإستعجال.

- ومن أمثلة هذا قصة حاطب بن أبي بلتعة ورسالته إلى بعض المشركين التى يخبرهم فيها بمقدم رسول الله ﷺ فلما أتي النبي ﷺ بالكتاب فقال : «ياحاطب ماهذا ؟» قال : لاتعجل علي يارسول الله ... الحديث.(٣)

فهنا خشي حاطب أن يتعجل النبي ﷺ فى الحكم عليه أو الظن به، فطلب الإنظار حتى يبين عذره ويوضح ملابساته.

---

١ - آداب البحث والمناظرة للشنقيطي : ٧٦/٢.

٢ - ضوابط المعرفة للميداني : ص ٣٨٣.

٣ - تقدم تخرجه في مبحث العدل والانصاف. ص : ١١٧، ٢٨٧.

- ومنه حديث مسروق عندما كان عند عائشة فقالت : ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، فقال لها : وماهن؟ قالت : من زعم أن محمدا - ﷺ - رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية. قال : وكنت متكئا فجلست. فقلت : يا أم المؤمنين : أنظريني ولاتعجليني. ألم يقل الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِيْنِ﴾(١)﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾(٢)..... الحديث(٣)

- ولما اختصم علي والعباس إلى عمر - رضوان الله عليهم - فجاءا ليحكم بينهما فى مسألته الميراث، فقال عمر : «اتئدا» أي :(اصبرا وانتظرا) أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض. أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال «لانورث، ماتركنا صدقة».... الحديث.(٤)

فهذا أيضا فيه طلب الإنظار من عمر للعباس وعلي، ثم استحلف الحاضرين على مايريد اثباته من دليل عن رسول الله ﷺ ، ثم استحلف العباس وعلي ، حتى اقتنعا بعد أن استمعا وأنصتا.

- عن أنس بن سيرين قال : سألت ابن عمر. قلت : أرأيت الركعتين قبل صلاة الغداة أأطيل فيهما القراءة؟ قال : كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل مثنى مثنى ويوتر بركعة. قال السائل :إني لست عن هذا أسألك. فقال ابن عمر : انك لضخم. ألا تدعني أستقرىء لك الحديث؟ كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل مثنى مثنى و يوتر بركعة ويصلي ركعتين قبل الغداة. كأن الأذان بأذنيه(٥).

فهنا يعجل السائل فيقاطع ابن عمر قبل إتمامه للحديث ، ولذلك أغلظ عليه ابن عمر وقال : "إنك لضخم" ، لأنه قطع عليه الكلام وعاجله قبل تمام حديثه(٦).

إلى غير ذلك من النماذج التى تشير إلى أنه لابأس للمحاور أن يذكر خصمه ويهدءه ، ويطلب منه الانتظار وعدم الاستعجال ، فإن ذلك من مصلحة استمرار الحوار ونجاحه.

---

١ - التكوير : ٢٣.

٢ - النجم : ١٣.

٣ - تقدم ذكره في «الرد على الشبه بماييناسبها». ص٢٩٨.

٤ - تقدم ذكره أيضا. ص : ١٢١، ٢٠٨.

٥ - اخرجه مسلم : المسافرين ٥١٩/١ رقم ١٥٧.

٦ - شرح النووي : ٣٣/٦. بتصرف

المبحث السابع : ثناء المحاور على نفسه أو على خصمه بالحق

إن الكلام عن النفس ومدحها والثناء عليها ، مذموم غالبا ، ولايحب الناس أن يسمعوا ممن يملأ آذانهم بمناقبه وسيرته وأحواله وتقلباته ، بل إن من يفعل ذلك ويفرح به ويكثر منه ، يعد ناقصا في عقله ، أو ربما فاسدا في نيته وقصده.

وكما قال الامام مالك : (إن الرجل اذا ذهب يمدح نفسه ذهب بهاؤه)(١).

وقد نهى الله عز وجل عن تزكية النفس والتمدح بطهارتها فقال سبحانه : ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾(٢) وعاب أناسا فعلوا ذلك فقال فيهم : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾(٣).

- وفي المقابل فإن مدح الآخرين وإطراءهم والثناء عليهم بما ليس فيهم ، وتجاوز الحد في ذلك ، كل هذا مذموم ممقوت أيضا ، فقد ذكر رجل عند النبي ﷺ فأثنى عليه رجل خيرا ، فقال النبي ﷺ : ويحك ، قطعت عنق صاحبك - يقوله مرارا - إن كان أحدكم مادحا لامحالة فليقل : أحسب كذا وكذا ، إن كان يرى أنه كذلك ، والله حسيبه ، ولايزكى على الله أحدا(٤)» ويتأكد النهى عن ذلك إذا كان في وجه الممدوح وهو يسمع المدح والإطراء ، وكذا إذا خيف على الممدوح العجب والغرور والفتور عن العمل اتكالا على ماوصف به ، بل قد كان السلف يعتبرون تزكيه الجليس لجليسه إيذاء له(٥). كما كانوا يحترزون من مثل هذا ، فعن أنس قال : بعثني أبو موسى الأشعري إلى عمر ، فقال لي : كيف تركت الأشعري؟ قلت : تركته يعلم الناس القرآن. فقال عمر : أما إنه كيس ! ولاتسمعها إياه(٦).

---

١ - سير أعلام النبلاء : ١٠٩/٨.

٢ - النجم : ٣٢.

٣ - النساء : ٤٩.

٤ - أخرجه البخاري : الأدب ٦٠٦١ ، مسلم : الزهد ٢٢٩٦/٤ رقم ٢٦٥ أبو داود : الأدب ٤٨٠٥ ، أحمد ٤١/٥.

٥ - انظر سير أعلام النبلاء : ١٧٥/٨.

٦ - سير أعلام النبلاء : ٣٩٠/٢.

ولكن قد تكون هناك حالات يحتاج فيها المحاور إلى أن يثنى على نفسه بالحق ، لتحقيق غرض معين ، كأن يشعر خصمه بمقدار علمه فى موضوع الحوار أو فى مسألة من مسائله ، أو لينفي عن نفسه تهمة أو طعنا فى صدقه وأمانته أو نحو ذلك ، فهنا قد يسوغ ذكر شيء من محاسن النفس بقدر وبحق ، مع التأكد من سلامة النفس من أمراض القلوب من كبر وزهو وإعجاب ونحوها.

وكذا قد يحتاج المحاور إلى أن يثني على الطرف الآخر - بالحق - لتحقيق غرض معين ، كأن يكون القصد اشعاره بالتقدير والاحترام ، والإعتراف بأهميته أو فضله أو علمه ، حتى يكون ذلك طريقا إلى إقناعه وتصحيح أخطائه ، ولكن يحترز فى مثل هذا من الافراط فى المدح بما ليس فيه ، والتأكد من عدم تسلل الغرور والكبر إلى نفسه ، فان سلم المدح من مثل هذه الأمور لم يكن به بأس ، وربما كان مستحبا(١).

ولعل من أمثلة هذا ماتقدم من تصريح المحاور لخصمه بأنه على علم ، ومنها :

قول نوح ويعقوب عليهما السلام -: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَالَا تَعْلَمُونَ﴾(٢).

وقول إبراهيم عليه السلام لأبيه :﴿يَاأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَالَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِيَ أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾(٣).

وقول الخضر لموسى : «ياموسى إني على علم من علم الله علمنيه لاتعلمه أنت ، وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه»(٤).

وقول سهل بن سعد : (مابقي في الناس أعلم مني)(٥).

وفى جوانب الثناء على النفس ببعض مافيها من خلق أو دين هذه بعض الشواهد :

---

١ - انظر الفتح : ٤٧٨/١٠.

٢ - الأعراف : ٦٢ ، يوسف : ٨٦.

٣ - مريم : ٤٣.

٤ - تقدم تخريجه فى مبحث «العلم». ص : ٢٣٥.

٥ - تقدم ذكره فى مبحث «العلم». ص : ٢٣٦.

- وصف كل من نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام نفسه بالأمانة ، فقد قال كل واحد منهم لقومه فى بداية دعوته : ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾(١) ووصف يوسف عليه السلام نفسه بالحفظ والأمانة والعلم فقال : ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾(٢).

ومن السنة : يصلح شاهدا لهذا حديث الثلاثة الذين سألوا عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله ﷺ فقال : أنتم الذين قلتم كذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني»(٣).

- وفى حادثة مماثلة قالت عائشة : (صنع النبي ﷺ شيئا فرخص فيه ، فتنزه عنه قوم ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب فحمد الله ثم قال : مابال أقوام يتنزهون عن الشيىء أصنعه ، فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية)(٤).

- وتقدم قريبا حديث اختلاف علي والعباس في أمر الميراث آ ومما قاله عمر لهما : «ثم توفي أبو بكر. وأنا ولي رسول الله ﷺ وولي أبي بكر. فرأيتماني كاذبا آثما غادرا خائنا ، والله إني لصادق بار راشد تابع للحق. فوليتها... الخ»(٥) - وفي قصة غنائم حنين أثنى النبي ﷺ على نفسه بفضله على الأنصار فقال لهم : يامعشر الأنصار ! ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟ ومتفرقين فجمعكم الله بي...».

---

١ - الشعراء : ١٠٧، ١٢٥، ١٤٣، ١٦٢، ١٧٨.

٢ - يوسف : ٥٥.

٣ - أخرجه البخاري : النكاح ٥٠٦٣، مسلم : الفضائل ٤/١٨٢٩ رقم ١٢٧،

٤ - أخرجه البخاري الأدب : ٦١٠١، أحمد ٦/٤٥.

٥ - تقدم بعضه في مباحث متعددة منها المبحث السابق. ص : ٣٨٧.

كما أنه أثنى عليهم بفضلهم وحسن صنيعهم ، اذ قال لهم : أما والله لو شئتم لقلتم فصَدَقْتُم وصُدِّقْتُم : أتيتنا مكذبا فصدقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريدا فآويناك ، وعائلا فواسيناك..»(١).

وقد ذكر الحافظ من فوائد الحديث : (جواز وصف المرء نفسه بالخصال الحميدة عند الحاجة كخوف ظن أهل الجهل به خلاف ذلك، ولايكون ذلك من الفخر المذموم...)(٢).

وقال فى ثناء النبي ﷺ على الأنصار : (وإنما قال ﷺ ذلك تواضعا منه وانصافا)(٣).

إلى غير ذلك من الشواهد والأمثله ، والمراد أن من الآداب اللطيفة التى يمكن استخدامها فى الحوار : الثناء على المحاور بما فيه لتحقيق مصلحة ، والثناء على النفس أحيانا عند الحاجة ، إذا كان في ذلك كله فائدة تعود على الحوار وتحقق غايته.

---

١ - الحديث أخرجه البخاري : ٤٣٣٠، مسلم : ١٠٦١ وتقدم ذكره.

٢ - الفتح : ٢٥٤/٦.

٣ - نفس المصدر : ٥١/٨.

المبحث الثامن : مباغتة الخصم وقطع الطريق عليه

قد يواجه المحاور خصما عنيدا ذكيا ، يثير الشبه ويجابه الحق بها ، ويحسن التخلص من محاوره ، ويتهرب من الأدلة والبينات ، وإذا كان الحوار على ملأ من الناس فمن الصعب إقفال المناقشة وترك الحوار ، إذ قد يظهر فى ذلك نوع من الضعف أو الإفحام ، وقد يخرج الخصم المعاند للحق ، بصورة المنتصر أو صاحب الحجة والحق. عندها ينبغي للمحاور أن يفاجئ خصمه بحجج مسكتة، وحقائق مذهلة، تقطع عليه الطريق وتوقفه عند حده، وتخلط عليه أموره ، فيتحير في الرد ، ويتلعثم في الجواب ، وأقل مايستفاد من ذلك أن يتوقف الحوار عند حد لاتظهر فيه الغلبة لأحد الطرفين.

وقد يكون الذي يفاجأ به الخصم دليلا شرعيا ونصا واضحا ، لايمكن رده ولاتأويله(١).

وقد يكون حقيقة كونيه أو معلومة بديهية ، يصعب معارضتها ، ويستحيل إنكارها.

وقد يكون إلزاما للخصم بناء على دعواه ، ورداً لدعواه من فحوى كلامه ، أو إثبات لتناقضه.

وقد يكون غير ذلك مما يمكن أن يباغت به الطرف الآخر ، ويقطع عليه طريق المراء والجدل.

ولعل أبرز شاهد لهذا ذلكم الحوار الذى كان بين موسى عليه السلام - وفرعون : فلما كابر فرعون وعاند فادعى الألوهية من جهة ، وأنكر وجود إله غيره من جهة أخرى ، فكان هذا الحوار(٢) :**﴿قال فرعون ومارب العالمين﴾** وهذا سؤال المتنكر للقول ، المستغرب للمسألة كلها ، وكأنه يراها غير ممكنة التصور ، وغير قابلة لأن تكون موضوع حديث ! فيجيبه موسى جوابا يكافىء ذلك التجاهل ويغطيه ، ويحمل استصغار مايدعيه فرعون - من ألوهية - مع بطلانه ، وتوجيه نظره إلى الكون الهائل والتفكير فى ربه، ولذلك كان جواب موسى :

---

١ - تقدم الكلام عن المبادرة بالدليل فى مبحث «الدليل».

٢ - انظر تفسير الأيات فى الظلال : ٢٥٩٢/٥.

﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَابَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾. وهنا خاف الطاغية من تسرب كلمات الحق الصريحة إلى قلوب سامعيه ، فيلتفت إليهم مظهرا التعجب :﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلاَ تَسْتَمِعُونَ﴾ فهنا لم يلبث موسى أن هجم عليه وعليهم بصفة أخرى من صفات رب العالمين :﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِيْنَ﴾ وهذه أشد مساسا بفرعون ودعواه ، فهو يجبهه بأن رب العالمين هو ربه ورب أتباعه ، فليس فرعون ربا ولا إلها. ولذلك لم يملك فرعون عليها جوابا إلا أن يتهم قائلها بالجنون : ﴿قَالَ : إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِيَ أُرْسِلَ إِلَيْكُم لَمَجْنُونٌ﴾. ولكن هذا التهكم لايفت فى عضد موسى ، ولايمنعه من أن يمضي فى طريقه يصدع بكلمة الحق التى تزلزل الطغاة والمتجبرين ، ويباغت فرعون وسط قومه ويقطع حجته :﴿قَالَ رَبُّ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ وَمَابَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾(١).

- (والطغيان لايخشى شيئا كما يخشى يقظة الشعوب ، وصحوة القلوب ، ولايكره أحدا كما يكره الداعين الى الوعي واليقظة ، ولاينقم على أحد كما ينقم على من يهزون الضمائر الغافله. ومن ثم ترى فرعون يهيج على موسى ويثور ، عندما يمس بقوله هذا أوتار القلوب. فينهي الحوار معه بالتهديد الغليظ، بالبطش الصريح ، الذي يعتمد عليه الطغاة عندما يسقط فى أيديهم وتخذلهم البراهين ، فيلجأ إلى التهديد بالسجن ، وهي علامة الشعور بضعف الباطل أمام الحق الدافع ، ومع هذا يستمر موسى فى ثقة ورباطة جأش ، فيفتح الصفحة التى أراد فرعون إغلاقها بالتهديد ، يفتحها موسى بحجة أقوى وبرهان جديد :﴿قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيءٍ مُبِيْنٍ﴾ وفى هذا إحراج لفرعون أمام الملأ أن يرفض الأدلة والبراهين، ولو فعل ذلك لدل على خوفه من حجة موسى ، فاضطر الى مسايرة موسى وطلب الدليل :﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ وهنا يفاجئه موسى بأمر أكبر وبرهان أعظم : ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَاهِيَ ثُعْبَانٌ مُبِيْنٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِيْنَ﴾. وقد أحس فرعون بضخامة المعجزة وقوتها ، فأسرع يقاومها ويدفعها ، وهو يحس ضعف موقفه ويكاد يتملق القوم من حوله ، ويهيج مخاوفهم من موسى وقومه، ومن ثم يطلب أمرهم ومشورتهم :

---

١ - الشعراء : ٢٣-٢٨.

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ؟﴾ (١) ومتى كان فرعون يطلب أمر أتباعه وهم له يسجدون ، ولكنها شنشنة الطغاة حينما يحسون أن الأرض تتزلزل تحت أقدامهم ، عندئذ يلينون فى القول بعد التجبر ، ويلجأون إلى الشعوب وقد كانوا يدوسونها بالأقدام ، ويتظاهرون بالشورى فى الأمر وهم كانوا يستبدون بالهوى ، ذلك إلى أن يتجاوزوا منطقة الخطر ، ثم إذا هم هم جبابرة مستبدون ظالمون.(٢)

فهذا الموقف الضعيف من فرعون ماكان ولم يكن لولا براعة موسى - بتأييد الله له - فى مباغتة فرعون بدليل تلو دليل ، وقطع حججه واحدة بعد الأخرى ، واحراجه بما لم يكن يتوقعه ، واستدراجه الى معركة لم يحسب لها حساب.

وكذلك بعد هذا الموقف مباشرة كان التحدي باللقاء مع السحرة في اليوم المعلوم، الذي ثبت فيه موسى، وجاء بالمفاجأة المذهلة، حيث جاء السحرة من كل مكان بكل مايملكون، وجاء موسى بعصاه ، فإذا العصا تلقف وتأكل حبالهم وعصيهم فى سرعة ، حتى لاتبقى لها أثرا ، عندها فاز موسى بالجولة الثانية إذ آمن السحرة كلهم أجمعون ، فأسقط فى يد فرعون وملئه وذعروا ، ووقع عليهم هذا الحدث وقع الصاعقه ، ولاسيما وكل ذلك يعرض على مشهد ومسمع من الجماهير المحتشدة.

وهكذا تبين أثر هذا الأسلوب وقيمته ، مع أكبر المعاندين ، فقوة الحق لاتغلبها قوة ، والحجج والبراهين تقطع دابر المكذبين.

وقد تقدم فى مناظرة الإمام الباقلاني لرهبان النصارى وكيف أنه فاجأهم ببعض الحجج ، فقطع الطريق عليهم قبل أن تبدأ المناظرة ، كما فى قصته مع البطرك حيث سلم عليه أحفل سلام ، وسأله أحفل سؤال ، وقال له : كيف الأهل والولد؟ فعظم قوله هذا عليه وعلى جميعهم ، وتغيروا له وصلبوا وجوههم ، وأنكروا قول الباقلاني عليه.

---

١ - الآيات من سورة الشعراء : ٣٠-٣٥.

٢ - انظر الظلال : ٥/٢٥٩٣-٢٥٩٤ بتصرف.

فقال القاضي : وما أنكرتم من كلامي. فقال الملك : إننا ننزه هؤلاء عن الصاحبة والولد. فقال القاضي : ياهؤلاء تستعظمون لهذا الانسان اتخاذ الصاحبة والولد ، وتربأون به عن ذلك ، ولاتستعظمون لربكم - عز وجهه - فتضيفون ذلك إليه ، سوأة لهذا الرأي ، ما أبين غلطه.

فسقط فى أيديهم وبهتوا وانكسروا ، ولم يحيروا جوابا(١).

والمقصود هو بيان أهمية هذا الأسلوب ، والحاجة إليه مع أنواع من الخصوم ، وهو يحتاج إلى معرفة بالطرف المقابل ، كما يحتاج إلى جرأة وقوة ، وبداهة وسرعة ، حتى يتمكن المحاور من قطع الطريق على المعاند وإسكاته.

---

(١) تقدمت الاشارة الى القصة فى مبحث : «التحدى والإفحام» وانظر ترتيب المدارك ٤/٥٩٤-٦٠٠.

المبحث التاسع : محاذير لفظية

إن للسان سقطات ، وللكلام زلات ، والمسلم مأمور بحفظ لسانه ، كما أنه مأمور بطيب الكلام ، وأن يقول خيرا فيغنم ، أو يسكت فيسلم ، ويسلم الآخرون منه ، والآيات والأحاديث فى حفظ اللسان كثيرة معلومة ، كما تقدم فى ثنايا البحث فضيلة الكلمة الطيبة وحسن العبارة واللين في القول ، وفى هذا المبحث أذكر أمورا قد يقع فيها اللسان فتورد صاحبها الموارد ، وقد تهوي بالحوار وتعطل سيره أو تحوله إلى جدل عقيم، أو تبادل سباب وشتائم ، ولذلك ينبغي للمحاور أن يحذرها ويضبط الفاظه وكلماته عن الوقوع فى مثلها ، ومع أن بعضها قد سبقت الإشارة إليه، ولكن يحتاج إلى ذكره هنا تنبيها على خطره وتحذيرا من عاقبته، فمن هذه المحاذير :

١ - اختيار الألفاظ والمعاني التى تقود إلى الجدل ، أو تستثير الفتن والمشكلات ، رغبة فى الخصومة واللجاج ، وإضاعة للوقت وهروبا من الحوار الجاد.

٢ - إظهار التفاصح والتشدق فى الكلام ، تيها على الغير ، وإستعلاء ، ووسيلة إلى تصغير الطرف الآخر أو قصد تعجيزه بالتكلف فى القول ، أو إظهارا للباطل فى صورة الحق أو عكسه(١).

٣ - الغيبة : فإن المناظر لاينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته ، وغاية تحفظه أن يصدق فيما يحكيه عليه ولايكذب في الحكاية عنه، فيحكي عنه لامحالة مايدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله، وهو الغيبة(٢).

٤ - الكذب : ربما لايقدر المناظر على أن يحفظ لسانه عن التعرض لعرض من يعرض عن كلامه ويصغى إلى خصمه ويقبل عليه، حتى ينسبه إلى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلادة(٣).

٥ - تزكية النفس والثناء عليها بالقوة والغلبة والتقدم على الأقران ، كقوله : لست ممن يخفى عليه أمثال هذه الأمور ونحو ذلك مما يتمدح به على سبيل الصلف أو للحاجة الى ترويج كلامه ، والصلف والتمدح مذمومان شرعا وعقلا(٤).

٦ - الإستئثار بالكلام دون الطرف الآخر ، والإطالة الزائدة عن حدها وعدم مراعاة الوقت أثناء الكلام ، والرغبة فى مواصلته وكراهية الإنقطاع ، مما يجعل الحوار من طرف واحد وكأنه خطبة أو موعظة.

---

١ - انظر أفات اللسان لسعيد القحطاني ص١٠٩.

٢ - ٣ - ٤ من كلام الغزالي فى الاحياء : ٥٩/١ بتصرف يسير ، لومعنى الصلف : مجاوزة قدر الظرف والإدعاء فوق ذلك تكبرا (الصحاح : ١٣٨٨/٤) وقال ابن الجوزي : هو الغلو في الظرف والزيادة على مقداره (غريب الحديث : ٦٠٠/١).

٧ - استعمال ضمير المتكلم ونسبة الأشياء إلى نفسه ، كقوله : رأي كذا وقولنا كذا ، وتبين لنا كذا ... فإن هذا قد يؤدي الى تزكية النفس وفساد النية ، كما أنه يترك انطباعا سيئا لدى السامع يجعله ينفر من قائله ويزهد فيه ، والإنسان بطبعه يكره من يتعالم عليه ، وينزله منزلة الجاهل الذي ينبغي أن يتعلم منه(١).

٨ - اللوم المباشر عند وضوح خطأ الطرف الآخر ، كقوله : «اخطأت» ، «سأثبت لك أنك مخطىء»، أو نحو ذلك مما لاتحتمله النفس ، ومما قد يجرح عند بعض الناس كبرياءه وشخصيته(٢)

٩ - رفع الصوت أكثر مما يحتاج اليه السامع ففى ذلك رعونة وايذاء ، وربما دل على ضعف الحجة والعجز عن مواجهة الحقائق ، فيغطى ذلك النقص بالصراخ - وقد قال أبو عثمان بن الشافعي : (ماسمعت أبي يناظر أحدا قط فرفع صوته.)(٣)

١٠ - اصدار أوامر للطرف الآخر توحي بالعلو والأستاذية ، ومثل هذا الأسلوب لايحبه الناس ولايستجيبون لفاعله ، بل يحفزهم الى العناد والاستكبار.

١١ - الهزء والسخرية وكل مايشعر باحتقار الطرف الآخر ، أو إزدراء فكرته ، أو وصفه بقلة الفهم أو نحوه.

١٢ - استعمال الألفاظ الغريبة والأساليب الغامضة والعبارات المحتملة ، تلبيسا على الطرف الآخر وتمويها بغير الحقيقة ، ومراوغة عن الجادة ، وهروبا من الاجابة.

إلى غير ذلك مما قد سبق بيانه ، وإنما المراد تلخيص هذه المحاذير ليكون المحاور فيها على بصيرة ، وليحافظ على سلامة الحوار من مثل هذه الآفات التي قد تؤدي به إلى الفشل.

---

١ - انظر أصول الحوار ص٥٥.

٢ - انظر رسالة «قل إنما أعظكم بواحدة» ص٤٨.

٣ - انظر مناقب الشافعي للبيهقي : ٢١٧/١.

الباب الخامس

«آداب ومباحث عامة تتعلق بالحوار»

الباب الخامس : آداب ومباحث عامة تتعلق بالحوار

في هذا الباب الأخير أذكر مباحث عامة لها تعلق بالحوار، سواء من الجانب الذهني العقلي، أو من الجانب العملي أو غير ذلك، مما قد يكون له أثر على الحوار سلبا أو إيجابا.

وستكون هذه المباحث قصيرة مختصرة، إذ هي كالإشارات السريعة إلى جوانب مكملة للموضوع، ومنها مايتعلق بأساليب نافعة فى الحوار، ومنها مايبرز فيه الواقع العملي لتطبيق آداب الحوار وغير ذلك.

والمباحث مرتبة على النحو الآتي :

١ - الوقت المناسب.

٢ - التزام المحاور بمايدعو إليه.

٣ - الفراسة وحسن التصرف.

٤ - مراعاة الأفهام والعقول.

٥ - الحذر والمداراة.

٦ - توقع المخالفة برغم الإقتناع.

٧ - أساليب وطرق فى الاستدلال.

٨ - محاذير عامة.

٩ - مناظرات وحوارات : «نماذج تطبيقية».

وبذلك تنتهي مباحث الرسالة، ويتلو ذلك الخاتمة وأهم النتائج ومن ثم المراجع ثم الفهارس، والله المستعان.

المبحث الأول : الوقت المناسب

إن اختيار الوقت المناسب للحوار، وحسن استغلال الفرص التي تسنح للمحاور، له أهمية كبرى في ضمان سير الحوار على أصوله وبالضوابط اللازمة.

فقد يمكن للمحاور أن يحدد هو والطرف المقابل موعدا للتحاور فيه حول قضية ما، ففي مثل هذه الحالة عليهما أن يحسنا اختيار الوقت، مع مراعاة الظروف النفسية والعقلية والجسدية لكل منهما، وإتاحة الزمن الكافي لمناقشة الموضوع، فلاينبغي اختيار وقت إجهاد وإرهاق أو زمن نوم أو طعام أو نحو ذلك، أو وقت ضيق لايسع فيه الحوار ولاتتم فيه المناقشة، فيؤدي ذلك إلى قطع الحوار قبل انتهائه، وبتره قبل تمامه.

وفي حالات أخر قد لايملك المحاور أن يتحكم فى تحديد موعد معين، كأن يفاجأ فى جمع من الناس من يلبس عليهم في أمر دينهم - مثلا - أو يثير شبها ويشكك فى أصول وقواعد ومسلمات يبنى عليها دين المسلم، عندها قد لايسع المحاور إلا أن يتحين أقرب فرصة ويفرض نفسه لتصحيح الأخطاء التى ربما علقت بأذهان المستمعين، ورد الشبهات ومن ثم اسكات المتكلم.

وقد يرغب شخص فى محاورة عالم أو داعية أو نحوهما، فى قضية أو مسألة محدودة، ليستفيد علما بها أو خبرة فيها، وقد يكون من سوء الأدب أن يدعى صاحب منزلة ومهابة إلى المحاورة من قبل أحد تلامذته، فعليه إذا أن يتحين فرصة مناسبة وطريقة لبقة للدخول معه في الحوار.

وقد يحرص المحاور على تبليغ علم ما، أو تنبيه مهم أو غيره، ولايريد أن يظهر للطرف الآخر بمظهر المعلم الموجه، فربما لايقبل أسلوبا كهذا، ولذلك فهو ينتظر وقتا يناسبه ليدير فيه مناقشة لطيفة، وحوارا هادئا.

فالمحاور إذا بين أن يختار وقتا مناسبا للحوار، يتحكم فيه بدءا وانتهاء، ويراعي فيه الظروف المحيطة من جميع الجوانب، وبين أن يستغل فرصة سانحة لايجوز له أن يتأخر عنها، ولاينبغي أن تفوته، فقد لاتتسنح له مرة أخرى.

- فمن شواهد الحالة الأولى :

- الموعد الذي حدده موسى - عليه السلام - للتحدي والمناظرة مع السحرة، فقد تحكم فى اختيار الوقت المناسب : ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾(١)، فاختار أوضح فترة من النهار وأشدها تجمعا فى يوم العيد. لافي الصباح الباكر حيث لايكون الجميع قد غادروا البيوت، ولافي الظهيرة فقد تعوقهم حرارة الجو، ولافي المساء حيث يمنعهم الظلام من التجمع أو من وضوح الرؤيا.(٢)

- ومنها : (حديث الرجل الذي قال - فى آخر حجة حجها عمر - : لو قد مات عمر لقد بايعت فلانا، فوالله ماكانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت، فغضب عمر ثم قال : إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم. فقال عبدالرحمن بن عوف : يا أمير المؤمنين لاتفعل، فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم، فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم فى الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير، وأن لايعوها، وأن لايضعوها على مواضعها، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس، وتقول ماقلت متمكنا، فيعي أهل العلم مقالتك، ويضعونها على مواضعها. فقال عمر : أما والله - إن شاء الله - لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة ... الخ)(٣)

فهنا من حرص عبدالرحمن بن عوف ونصحه، اختار لعمر الوقت المناسب لتصحيح ذلك الخطأ والرد عليه.

- ومن شواهد الحالة الثانية وهي حسن استغلال الفرص المتاحة :

- مافعله يوسف عليه السلام(٤) - حين أدخل السجن ومعه فتيان، فسألانه عن تأويل الرؤيا التى رأياها، فانتهز يوسف هذه الفرصة ليبث بين السجناء عقيدته الصحيحة، فكونه سجينا لايعفيه من تصحيح العقيدة الفاسدة والأوضاع الفاسدة، فقد كان سؤال الفتيين هو : ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَانِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّيٓ أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ. نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

---

١ - طه : ٥٩.

٢ - انظر الظلال : ٤/٢٣٤٠.

٣ - أخرجه البخاري وغيره وتقدم تخريجه. ص : ١٢٢ ، ٢٠٨ (وهو حديث الخليفة بعد وفاة النبي ﷺ).

٤ - انظر الظلال : ٤/١٩٨٨ - ١٩٨٩.

فيطمئنهما يوسف إلى مقدرته على تأويل رؤياهما، بما آتاه ربه من العلم، جزاء توحيده وتجرده لعبادة الله وحده، وهجر الشركاء والأنداد هو وآباؤه من قبله : ﴿قَالَ لَايَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا. ذَٰلِكُمَا مِمَّاعَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَايُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِيَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَاكَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ. ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَايَشْكُرُونَ﴾ ومن ثم ينتقل بهم يوسف بلطف ولين فيفصح عن عقيدته ودعوته، ويكشف عن فساد اعتقادهما وقومهما : ﴿يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ. مَاتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَاأَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ...﴾(١) الآيات.

- ومنها فعل ابن عباس - رضي الله عنهما - حيث قال : أردت أن أسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله ﷺ، فمكثت سنة فلم أجد له موضعا، حتى خرجت معه حاجا، فلما كنا بظهران ذهب عمر لحاجته (وفي رواية : فوقفت له حتى فرغ ثم سرت معه)(٢) فقال : أدركني بالوضوء، فأدركته بالإداوة، فجعلت أسكب عليه، ورأيت موضعا فقلت : ياأمير المؤمنين من المرأتان اللتان تظاهرتا؟ قال ابن عباس : فما أتممت كلامي حتى قال : عائشة وحفصة(٣) فهذا يظهر منه تحين ابن عباس للفرصة التى يسأل فيها عمر، وانتظاره لها سنة حتى سنحت له.

---

١ - الآيات : يوسف : ٣٦ - ٤٠.

٢ - الرواية للبخاري : ٤٩١٣ فى كتاب التفسير.

٣ - أخرجه البخاري : التفسير ٤٩١٥.

- ومن استغلال الفرصة قبل فواتها، وإفادة العلم وقت الحاجة إليه فى مناسباته، إذ يكون أبلغ فى التأثير(١)، ومن صور توقيت مناسبة المجادلة : ما حدث من أبي شريح العدوي(٢) حيث قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة «أئذن لي أيها الأمير أحدثك قولا قام به رسول الله ﷺ للغد من يوم الفتح، فسمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به، إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، فلايحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما ولايعضد بها شجرة... الحديث».(٣)

إلى غير ذلك من أمثلة الحالتين، وإنما المقصود أن المحاور عليه اختيار الأوقات المناسبة وتقدير الظروف المحيطة، كما عليه استغلال الفرص التى تسنح لتصحيح المفاهيم وتوضيح الحقائق.

---

١ - انظر تيسير العلام للبسام : ٥٣١/١، والفتح : ٤٥/٤.

٢ - قال الحافظ ما ملخصه : المشهور فى اسمه أنه خويلد بن عمرو أسلم قبل الفتح وحمل بعض ألوية قومه، وسكن المدينة ومات بها سنة ثمان وستين. (الفتح : ٤٢/٤).

٣ - تقدم فى مبحث «تأكيد القضية» من الباب الثالث. ص : ٣٢١.

المبحث الثاني : التزام المحاور بمايدعو إليه

قد يكون الحوار حول قضية عملية، أو في استحباب فعل ما أو كراهيته أو نحو ذلك، وعندها ينبغي أن يكون المحاور قدوة حسنة فى تطبيق الرأي الراجح الذي يحاور لأجل إثباته واقناع الطرف الآخر به، فيكون داعية ومحاورا بفعله قبل قوله، فإن التزام المحاور بمايدعو إليه والحرص على العمل به هو أكبر دليل على اقتناعه به ويقينه، وعلى قدرته على إقناع الآخرين به، والعكس فمن فرط فى العمل وقصر فى التنفيذ، دل ذلك منه على اضطراب وعدم يقين، وكان أضعف فى حجته وأعجز عن إقناع غيره.

ويكفى المحاور حثا له على الإلتزام بما يدعو اليه ويحاور فيه، وتحذيرا له من مخالفة القول للعمل، إنكار الله على بني إسرائيل والذي يتضمن الإشارة إلى أن من تمام العقل موافقة القول للعمل حيث قال تعالى : ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾(١) وقوله عز وجل : ﴿**كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالاتفعلون**﴾(٢) وفى بيان عدم تأثر الناس بقول من لايعمل بعلمه يقول مالك بن دينار : (إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا)، وأنشدوا :

ياواعظ الناس قد أصبحت متهما	إذ عبت منهم أمورا أنت تأتيـها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدا	فالموبقات لعمري أنت جانيـــها
تعيب دنيا وناسا راغبين لـــها	وأنت أكثر منهم رغبة فيــــها

وقال آخر :

لاتنه عن خلق وتأتى مثله	عار عليك إذا فعلت عظيم(٣)

ولذلك كان نبي الله شعيب قدوة صالحة، ومثلا حيا لقومه، فقال لهم : ﴿**وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ**﴾(٤) أي لاأنهاكم عن شيء وأفعله أنا، بل إن ما أنهاكم عنه فأنا أول من يتركه(٥)، وهكذا يكون مثل هذا الفعل داعيا إلى استجابة الآخرين، وتمهيدا لإذعانهم، وطريقا لإقناعهم.

---

١ - البقرة : ٤٤.
٢ - الصف : ٣.
٣ - انظر الإحياء : ٧٨/١. [وهذا البيت لأبي الأسود الدؤلي. انظر شرح ابن عقيل : ١٥/٤ رقم البيت ٢٢٨. ط الخامسة عشر ١٢٨٦هـ - المكتبة التجارية الكبرى بمصر].
٤ - هود : ٨٨.
٥ - انظر تفسير السعدي : ٣٨٤/٢.

وإن مما يبين أهمية القدوة العملية ومدى تأثر الآخرين بها، وأن مجرد الأقوال والبراهين قد لاتقنع ولاتؤثر، وأن العمل يعلّم مالا يعلّمه القول، بل إنه يقلب الأفكار النظرية إلى حقائق عملية ملموسة، يتأثر بها من يراها قبل أن يسمع من يتكلم عنها، من ذلك مافطنت له أم سلمة - رضي الله عنها - ففي الحديبية أمر النبي ﷺ أصحابه - بعد كتابة الصلح - أن يقوموا فينحروا ثم يحلقوا، فماقام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها مالقي من الناس، فقالت أم سلمة : يانبي الله أتحب ذلك؟ اخرج، ثم لاتكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك : نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه. فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غماً... الخ(١)

وقد ذكر الحافظ من الفوائد فى الحديث : (أن الفعل إذا انضم إلى القول كان أبلغ من القول المجرد ... إلى أن قال : ونظير هذا ماوقع لهم فى غزوة الفتح من أمره لهم بالفطر فى رمضان، فلما استمروا على الإمتناع تناول القدح فشرب، فلما رأوه شرب شربوا).(٢)

ومن هذا الباب أيضا: اخباره ﷺ عن فعله فى حديث الثلاثة الذين سألوا عن عبادته، فقال : «لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»(٣)

- ومنه حديث ابن مسعود فى لعن الواشمات والمتنمصات والواصلات، واعتراض المرأة عليه، ثم قولها له اني أرى بعض هذا على امرأتك، قال : فادخلي فانظري، فدخلت، ثم خرجت، فقال : مارأيت؟ قالت : مارأيت، فقال : لو كان ذلك ماكانت معنا(٤).

---

١ - تقدم تخريجه ص :٢٥٢،٤٢.

٢ - الفتح : ٣٤٧/٥.

٣ - تقدمت الاشارة اليه في «ثناء المحاور على نفسه». ص ٣٩٠

٤ - تقدم تخريجه وهذه رواية أبي داود : ٤١٦٩ ، وانظر ص : ٢٦٣.

وفي هذا إشارة من ابن مسعود إلى أنه لو كانت امرأته تفعل هذه الأمور المنهى عنها، لما اجتمع معها وأبقاها(١)، وهو إشارة إلى أن المتكلم والناصح ينبغي أن يكون هو أول من يلتزم ويطبق مايدعو إليه.

والمقصود أن المحاور الناجح الذي يعطى المثال الصالح، والقدوة الحسنة، يمكنه أن يقنع الآخرين بآرائه، ويطلب منهم تصحيح أخطائهم، لأنه يكسب احترامهم ومحبتهم عن جدارة واستحقاق بموافقة قوله لعمله، والتزامه بمايدعو إليه ويحاور لأجله.

---

١) انظر بذل المجهود : ٥٦/١٧.

المبحث الثالث : الفراسة(١) وحسن التصرف

ينبغي للمحاور أن يكون كيسا فطنا، ذا بديهية سريعة وتصرف حسن، يجيد التخلص من المآزق، متفرسا فى خصمه يتنبأ بما يكنه من شبهات أو أباطيل، ويتوسم مبلغ عقله وعلمه، وقدره ومنزلته، فبذلك يمكنه أن يواجه المعاندين من الخصوم ومن يجيد المراوغة منهم، كما أنه يستطيع أن يقتل الفكرة الباطلة فى مهدها، ويقضى على الشبه قبل ذكرها، وهذا يحتاج أيضا إلى قوة وحزم وعزيمة بلا تردد، متى غلب على ظنه ماسيقوله الخصم أو مايمكن أن يقوله من الباطل ولعل ممايمكن أن يستدل به فى نجاح مثل هذا الأسلوب، ومواجهة الخصم بما سيقول من شبهات، وبالتالي دحضها والرد عليها قبل أن تشيع أو تنتشر : ماجاء فى الرد على اليهود والمنافقين وإبطال دعواهم، قال تعالى : ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَاوَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾(٢)، فبهذا قطع الطريق على أقاويلهم وتساؤلاتهم التى يقصد بها الطعن والتشكيك، وتوحي لهم مثل هذه الصيغة بأن ماقالوه كان مقدرا أمره، ومعروفة خطته، ومعدة إجابته، وهي طريقة من طرق الرد أعمق تأثيرا .(٣)

ولعل قريباً من هذا ماجاء فى آيات غزوة الحديبية حيث قال تعالى : ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا. يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَالَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ...﴾(٤) وقوله أيضا : ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لايَفْقَهُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(٥)

---

١) الفراسة : هي القدرة على التنبؤ والنظر فى البواطن، بقوة الذكاء والفطرة. (غريب الحديث : ١٨٤/٢، فراسة المؤمن : ص٩).

٢) البقرة : ١٤٢.

٣) انظر الظلال : ١٣٠/١، السعدي : ١٠٤/١ ـ ١٠٥، الطبري : ١/٢.

٤) الفتح : ١١.

٥) الفتح : ١٥.

أما الفراسة بالنسبة للمحاور المسلم، فإنه وإن كان للذكاء والفطرة منها نصيب، إلا أن للتقوى والتجارب نصيبها الأوفر فى تنميتها وتصحيح مسارها.

وأحيانا قد يتعلق نجاح المحاور أو فشله بصدق حدسه، وحسن تنبؤاته وسعة أفقه وعمق نظرته، خاصة إذا واجه خصما يحسن هذه الأمور ويجيد التلاعب والمراوغة.

واذا لم يحسن المحاور هذا الجانب ولم يتوقع المشكلات التى ستواجهه أثناء الحوار، وبالتالي عدم إعداد حل مناسب لها، فسيحد من نشاطه التخوف والتردد، وربما تصعب مهمته وتختلط عليه أموره عند أدنى مشكلة أو شبهه.

ولعل من النماذج اللطيفة والتى تدل على بداهة المحاور وحسن تصرفه، وذكائه وفطنته ما احتاط به النبي ﷺ وصاحبه - أبو بكر - في الهجرة في الكلام مع الناس الذين كانوا يقابلونهم في الطريق، فإذا سئل أبو بكر عن رسول الله قال : هذا الرجل يهديني السبيل، فيحسب الحاسب أنه يعني الطريق، وإنما يعني سبيل الخير».(١)

ومن النماذج في هذا الأسلوب أيضا :

- مايروى أن يهوديا قال لعلي - رضي الله عنه - : مانفضتم أيديكم من تراب نبيكم حتى قلتم : منا أمير ومنكم أمير، فقال علي رضي الله عنه : وأنتم ماجفت أقدامكم من ماء البحر الذي جمده الله لموسى حتى قلتم : ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾(٢) فبهت اليهودي وسكت.(٣)

- ومثله ماتقدم فى مناظرة الباقلاني للنصارى وسؤال أحدهم : مافعلت زوجة نبيكم؟ وماكان من أمرها بما رميت به من الافك؟ فقال مجيبا على البديهة : هما امرأتان ذكرتا بسؤ، مريم وعائشة، فبرأهما الله عز وجل، وكانت عائشة ذات زوج ولم تأت بولد، وأتت مريم بولد ولم يكن لها زوج(٤)

----

١ - أخرجه البخاري : مناقب الأنصار ٣٩١١، أحمد ١٢٢/٣ (وانظر السيرة الصحيحة : د.اكرم العمري : ٢١٧/١).

٢ - الأعراف : ١٣٨.

٣ - انظر فراسة المؤمن - ابراهيم الحازمي ص ٣٩ بتصرف.

٤ - تقدمت الاشارة الى القصة فى «مبحث التحدى» وغيره.

- ومثله ماذكر أن المقوقس قال لحاطب - رضي الله عنه - كيف الحرب بين محمد وبين المشركين؟ قال : سجال يدال عليهم ويدالون عليه، قال : أنبي الله يغلب؟ فقال له حاطب : وابن الله يصلب؟ فسكت وألقم حجرا .(١)

- ولعل من البداهة وسرعة استحضار الجواب ماجاء عن الخطيب البغدادي، حيث أظهر بعض اليهود كتابا فى عصره، ادعى أنه كتاب رسول الله ﷺ باسقاط الجزية، عن أهل خيبر، وفيه شهادة الصحابة، وذكروا أن خط علي - رضي الله عنه - فيه، فلما عرضوه على الخطيب، تأمله وقال : هذا مزور، قيل : من أين قلت؟ قال : فيه شهادة معاوية وهو أسلم عام الفتح، وفتحت خيبر سنة سبع، وفيه شهادة سعد بن معاذ ومات يوم بني قريظة، قبل خيبر بسنتين، فبهتوا .(٢)

وأختم هذه الأمثلة بفراسة المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - حين استعمله عمر على البحرين، فكرهه أهلها فعزله عمر عنهم، فخافوا أن يرده عليهم. فقال دهقانهم : إن فعلتم ما آمركم به لم يرده علينا. قالوا : مرنا بأمرك. قال : تجمعون مائة ألف درهم، حتى أذهب بها إلى عمر، وأقول : إن المغيرة اختان هذا ودفعه إلي. فجمعوا ذلك. فأتى عمر فقال : يا أمير المؤمنين، إن المغيرة اختان هذا، فدفعه إلي. فدعا عمر المغيرة، فقال : مايقول هذا؟ قال : كذب أصلحك الله، إنما كانت مائتي ألف. فقال : ماحملك على ذلك؟ قال : العيال والحاجة. فقال عمر للدهقان : ماتقول؟ قال : لا والله لأصدقنك، والله مادفع إليّ قليلا ولاكثيرا، ولكن كرهناه وخشينا أن ترده علينا. فقال عمر للمغيرة : ماحملك على هذا؟ قال : إن الخبيث كذب علي فأحببت أن أخزيه.(٣)

إلى غير ذلك من الشواهد والأمثلة والتي تبين الحاجة إلى مثل هذا الأسلوب أحيانا، وتوضح أهمية يقظة المحاور وتنبهه وحسن تصرفه.(٤)

---

١ - ذكرها ابن كثير بلفظ مقارب لهذا: (البداية والنهاية : ٤/٢٧١).

٢ - انظر سير أعلام النبلاء : ١٨/٢٧٠.

٣ - انظر سير أعلام النبلاء : ٣/٢٦.

٤ - ستأتي مزيد من النماذج فى مبحث مستقل - إن شاء الله.

المبحث الرابع : مراعاة الأفهام والعقول

لاينجح الحوار - غالبا - (ولاتصح المناظرة ويظهر الحق بين المتناظرين حتى يكونوا متقاربين، أو مستويين في مرتبة واحدة من الدين والعقل والفهم والإنصاف، وإلا فهو مراء ومكابرة).(١)

اذا فالأصل هو التقارب والتساوي فى العقل والفهم، وكما ذكر بعض العلماء أن من أدب المناظر : (أن يتجنب المناظرة مع من هو من أهل المهابة العظيمة والاحترام العظيم، كيلا تدهشه وتذهله جلالة خصمه عن القيام بحجته كما ينبغي).(٢)

- كما ينبغي للمحاور أن يتأكد من أن القضية التى يدور عليها النقاش ممايمكن له ولغيره بحثها ومناقشتها فلايتكلف علم مالم يبلغه عقله(٣)، ولايتكلف الحوار فى علم لايبلغه عقل محاوره، كما أنه عليه أن يختار لكل محاور الأدلة التى تناسبه وتقنعه، والطريقة التى تقربه من الحق، وهذا لايمكن إلا إذا عرف المحاور مستوى الطرف الآخر وحجم علمه ومقدار فهمه، فمخاطبة عالم تختلف عن مخاطبة طالب، ومحاورة الكبير غير محاورة الصغير.(٤)

- ولذلك حذر السلف من تحديث الناس أو مناظرتهم فيما لاتدركه عقولهم :

قال عبدالله بن مسعود : (ما أنت بمحدث قوما حديثا لاتبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنه).(٥)

وقال عروة بن الزبير : (ماحدثت أحدا بشيء من العلم قط لايبلغه عقله، إلا كان ضلالة عليه).(٦)

---

١ - تفسير القرطبي : ١٨٦/٣، جامع بيان العلم : ١٣٢/٢.

٢ - آداب البحث والمناظرة للشنقيطي : ٧٦/٢.

٣ - تقدم قول الامام الشافعي للمزني : (ولاتتكلف علم مالم يبلغه عقلك).

٤ - انظر أصول الحوار ص ٢٤.

٥ - مقدمة صحيح مسلم : ١١/١.

٦ - سير أعلام النبلاء : ٤٣٧/٤.

فليس الناس طرازا واحدا، والعقول تتفاوت. والأفهام تتباين، قال شيخ الإسلام : (ليس كل ماعرفه الإنسان، أمكنه تعريف غيره به، فلهذا كان النظر أوسع من المناظرة، فكل مايمكن المناظرة به، يمكن النظر فيه، وليس كل مايمكن النظر فيه، يمكن مناظرة كل أحد به).(١)

وقال فى موضع آخر : (وأما أن يكون الكتاب أو السنة نهى عن معرفة المسائل التى يدخل فيما يستحق أن يكون من أصول دين الله فهذا لايكون، اللهم إلا أن ننهى عن بعض ذلك فى بعض الأحوال مثل مخاطبة شخص بمايعجز عنه فهمه فيضل. كقول عبدالله بن مسعود : «مامن رجل يحدث قوما حديثا لاتبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم(٢)»، وكقول علي رضي الله عنه : «حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ماينكرون أتحبون أن يكذب الله ورسوله»(٣)..)(٤).

وقد راعى النبي ﷺ أحوال وأفهام أناس، فترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا فى أشد منه.(٥)

فقد قال ﷺ لعائشة : «يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم ـ قال ابن الزبير : بكفر ـ لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين : باب يدخل منه الناس، وباب يخرجون».(٦)

- وكما قال النبي ﷺ لمعاذ : «من لقي الله لايشرك به شيئا دخل الجنة» قال : ألا أبشر الناس؟ قال : «لا : إني أخاف أن يتكلوا».(٧)

---

١ - الفتاوى : ٣/٣١٢٥.

٢ - تقدم نص الكلام ابن مسعود من صحيح مسلم : ١/١١.

٣ - أخرجه البخاري معلقا حيث قال : (باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لايفهموا. وقال علي : حدثوا الناس بما تعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟ (الفتح : ١/٢٢٥).

٤ - الفتاوى : ٣/٣١١.

٥ - انظر فتح الباري : ١/٢٢٤.

٦ - أخرجه البخاري : العلم ١٢٦ ، مسلم الحج ٢/٩٧٢ رقم ٤٠٤ ، والنسائي : المناسك ٥/٢١٤ رقم ٢٩٠٠ ، أحمد ٦/٥٧.

٧ - أخرجه البخاري : العلم ١٢٩ وغيره وتقدم.

- قال كثير بن مروة : (إن عليك في علمك حقا، كما عليك في مالك حقا، لاتحدث بالعلم غير أهله فتجهل، ولاتمنع العلم أهله فتأثم، ولاتحدث بالحكمة عند السفهاء فيكذبوك، ولاتحدث بالباطل عند الحكماء فيمقتوك).(١)

- وقد أشار الغزالي إلى هذا الأدب عند ذكره لآداب المعلم فذكر منها ماملخصه :

(أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه، فلا يلقي إليه مالايبلغه عقله، أو يخبط عليه عقله ... ولذلك قيل : كِلْ لكل عبد بمعيار عقله، وزن له بميزان فهمه، حتى تسلم منه وينتفع بك، والا وقع الانكار لتفاوت المعيار، وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال السائل : أما سمعت رسول الله ﷺ قال : «من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار».(٢)؟ فقال : اترك اللجام واذهب فان جاء من يفقه وكتمته فليلجمني، فقد قال تعالى : ﴿وَلَاتُؤتُواْ السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ﴾(٣) تنبيها على أن حفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى، وليس الظلم فى اعطاء غير مستحق بأقل من الظلم في منع المستحق :

أ أنثر دراً بين سارحة النعم ... فأصبح مخزونا براعية الغنم

لأنهم أمسوا بجهل لقدره ... فلا أنا أضحى أن أطوقه البهم

فان لطف الله اللطيف بلطفه ... وصادفت أهلا للعلوم وللحكم

نشرت مفيدا واستفدت مودة ... والا فمخزون لدي ومكتتم

فمن منح الجهال علما أضاعه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلم(٤).

---

١ - انظر ـربانية التعليم «ص٣٢».

٢ - الحديث تقدم فى مبحث العلم. ص : ٢٧٧.

٣ - النساء : ٥.

٤ - الاحياء : ١/٧١ـ٧٢ بتصرف. (والأبيات للإمام الشافعي - رحمه الله - . انظر ديوان الشافعي ص٩٦. ط الثالثة دار الكتب العلمية - بيروت، وانظر مجمع الحكم والأمثال لأحمد قبش ص٣٥٧-٣٥٨. ط دار العروبة دمشق ١٩٧٩م)

ومما يساعد فى هذا الجانب ويحقق مصلحة الحوار ويسهل الطريق أمام المحاور فى إقناع محاوره والدخول إلى قلبه بالفكرة التي يراد اقناعه بها : أن يضع المحاور نفسه مكان محاوره ، وأن يرى الأشياء من وجهة نظر الشخص الآخر ، ويحاول أن يفكر فى القضية بمثل عقلية خصمه ، وينظر فى الأمر من نفس الزاوية التى ينظر منها مخالفه .

ومن المفيد جدا فى معرفة الطرف الآخر أن يسأله محاوره أسئلة محايدة بطريقة توحي بتساوي درجة القناعة فى طرفيها المتناقضين عنده ، وبذلك يستطيع أن يسبرغور الطرف الآخر دون أن يستنفره.

وعلى كل حال فالحوار فن لايقوم على مجرد العلم بموضوعه ، بل له مقومات وأسباب تؤدي إلى نجاحه ، ومنها معرفة نفسية وعقلية وفهم الطرف المقابل ، ومراعاة ذلك كله بدقة وحكمة قبل وأثناء وبعد الحوار. وهناك حكمتان بليغتان لاينبغي أن تغيب عن بال المحاور وهما : أن ماكل مايعلم يقال، ولكل مقام مقالا(١).

---

١ - أصول الحوار - ص٢٤،٤٠.

المبحث الخامس : الحذر والمداراة

على المحاور أن يكون حذرا فى معاملته مع خصمه ، حذرا فى أقواله وتصرفاته وحركاته وأعماله ، فلا ينبغي أن يلزم نفسه بما ليس بلازم أو بما لايعتقده أو يقول به ، ولاينبغي أن يستدرج حتى يفقد السيطرة على نفسه، فيخرج عن الضوابط الشرعية في الكلام والحقائق، فربما واجه المحاور خصما متدربا على المناظرات عارفا بمداخل النفوس ومايثيرها، فهو يتعمد إثارة الطرف المقابل واستفزازه، ليسهل إفحامه أو ليكون محل سخرية واستهزاء من الآخرين.

ولذلك فعلى المحاور أن يضبط عباراته ويختار ألفاظه بدقه وعناية، حتى لايترك للخصم مجالا يدخل منه للإيقاع به، وعليه أيضا أن يضبط أعصابه ويسيطر على نفسه، ويقنع نفسه بخطر الإنفعالات على الحوار، بل على الفكرة التى يدافع عنها، وليكن هادئ النفس منبسط السريرة.

وحتى يستمر المحاور على هذا الحذر والهدؤ والدقة يمكن أن يجعل لنفسه وقفات ومحطات لمراجعة النفس ومساءلتها، والتأكد من حسن أدائها للحوار على أكمل وجه، ومراعاة الأدب اللازم، ممايجعل الشخص دائم التذكر والمراقبة.

- ومن صور الحذر والإحتياط في الألفاظ مثلا : ماذكره الله فى قول الخليل إبراهيم عليه السلام ـ لقومه : ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَاكُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِيَ إِلَّا رَبَّ العَالِمِيْنَ﴾(١) فقد استثنى رب العالمين من عدائه لمايعبدون هم وآباؤهم الأقدمون، فقد يكون من ءآبائهم من عبدالله، قبل فساد عقيدة القوم، أو عبد الله ولكن أشرك معه آلهة أخرى، فهو الإحتياط إذن فى القول، والدقة الواعية فى التعبير.(٢)

- وكذا ماتقدم من تحين يوسف ـ عليه السلام ـ الفرصة للدعوة إلى عقيدته، ولكن بمدخل لطيف، خطوة خطوة فى حذر ولين(٣)، فيكتفي بالاشارة إلى فضل الله

---

١ - الشعراء : ٧٥ ـ ٧٧.

٢ - انظر الظلال : ٢٦٠٣/٥.

٣ - نفس المصدر : ١٩٨٩/٤.

ووجوب شكره : ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَايَشْكُرُونَ﴾(١)

- وفي الحديث : «لايلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين».(٢) وقد أخذ منه بعضهم : التحذير من التغفيل، والإشارة إلى استعمال الفطنة، والإشارة إلى المؤمن الكامل الذى قد أوقفته معرفته على غوامض الأمور حتى صار يحذر ماسيقع.(٣)

ويتعلق بموضوع الحذر؛ أمر مداراة الناس (وهي الرفق بالجاهل فى التعليم وبالفاسق فى النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه حيث لايظهر ماهو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، ولاسيما إذا احتيج إلى تألفه)(٤)، أو خشي من شره، وهي من أخلاق المؤمنين، فتجوز مداراة الناس اتقاء شرهم مالم يؤد ذلك إلى المداهنة في دين الله تعالى، والفرق بينهما : أن المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين أو هما معا، والمداهنة : ترك الدين لصلاح الدنيا،والنبي ﷺ تطلق فى وجه الرجل الذي دخل عليه، وانبسط إليه، مع أنه قد قال عنه : «بئس أخو العشيرة» ثم قال : «إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شَرِّه».(٥)

فهذا بذل له النبي ﷺ من دنياه حسن عشرته والرفق فى مكالمته ومع ذلك فلم يمدحه بقول، فلم يناقض قوله فيه فعله، فإن قوله فيه قول حق، وفعله معه حسن عشرة، وهذا الحديث أصل فى المداراة.(٦)

---

١ - يوسف : ٣٨.

٢ - أخرجه البخاري : ٦١٣٣ الأدب، مسلم : الزهد ١٢٩٥/٤ رقم ٦٣، أبو داود : الأدب ٤٨٦٢، ابن ماجه : الفتن ١٣١٨/٢ رقم ٣٩٨٢، أحمد ١١٥/٢.

٣ - الفتح : ٥٣٠/١٠.

٤ - الفتح : ٥٢٨/١٠.

٥ - تقدم ذكره فى مبحث «العبارة المناسبة». ص ٣٥٩.

٦ - انظر الفتح : ٤٥٤/١٠.

ويذكر عن أبي الدرداء : إنا لنكشر فى وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم.(١)

- وفى الحديث أن النبي ﷺ أهديت له أقبية من ديباج مزررة بالذهب، فقسمها فى أناس من أصحابه، وعزل واحدا لمخرمة، فلما جاء قال : خبأت هذا لك. وكان فى خلقه شيء».(٢)

(وانما قيل فى مخرمة ماقيل لما كان فى خلقه من الشدة فكان لذلك فى لسانه بذاءة)(٣) ومع ذلك قد أعطاه النبي ﷺ ثوبا واختصه بأن خبأه له.

وقد قال الامام الشافعي(٤) : رضى الناس غاية لاتدرك، وليس إلى السلامة منهم سبيل، فعليك بماينفعك فالزمه. وقال أيضا : اللبيب العاقل هو الفطن المتغافل.

وقال محمد بن الحنفية : ليس بحكيم من لم يعاشر - بمعروف - من لايجد من معاشرته بدا، حتى يجعل الله من أمره فرجا.(٥)

وقال ابن الجوزي : (فالعاقل يصور فى نفسه كل ممكن ويستر ما فى قلبه من البغض والود، ويداري مع الغيظ والحقد.)(٦) فالمحاور الذكي الناجح هو الذي يحسن مداراة خصمه والحذر منه، فيحتاط فى ذلك ويتحرز عن كل مايسيء إليه أو يعطل سير الحوار أو يعكر صفو الجو بين الطرفين.

---

١ - ذكره البخاري معلقا بهذه الصيغة فى باب المدارة مع الناس (الفتح ٥٢٧/١٠ كتاب الأدب).

٢ - أخرجه البخاري ٦١٣٢ الأدب، مسلم : الزكاة ٧٣٢/٢ رقم ١٣٠.

٣ - الفتح : ٥٢٩/١٠.

٤ - انظر سير أعلام النبلاء : ٨٩/١٠.

٥ - نفس المصدر : ١١٧/٤.

٦ - صيد الخاطر ص ٢٥٢.

المبحث السادس : توقع المخالفة برغم الإقتناع

ينبغي للمحاور أن يوطن نفسه لأن يخالفه الآخرون - ولو كان مصيبا على الحق - ولو أقام الحجج والبراهين، وحشد الأدلة والشواهد، ولو لم يبق لخصمه متمسكا من شبهة أو دليل، فربما يقتنع الطرف الآخر داخليا، وتستيقن نفسه أن محاوره على الحق، لكنه يجحد ويعاند، ويصر ويكابر، بتأثير عوامل نفسية، من كبر أو زهو أو رغبة فى الإنتصار وخوف من الهزيمة أمام الآخرين، أو سيطرة الهوى على العقل والقلب، وعند ذلك فقد لايجدي معه منطق ولا دليل.

وهذه الحوارات والمناظرات والمجادلات على مر تاريخ الأنبياء وأتباعهم، يظهر الحق معهم واضحا جليا، ويأتون عليه - بإذن ربهم - بالأدلة والمعجزات، حتى يسكتوا خصومهم، ويسقطوا معارضيهم، ويفحموا مخالفيهم، ولكن يبقى الصراع قائما، والخلاف دائما، حتى يأتي وعد الله بنصر المؤمنين وإهلاك الظالمين.

وكثيرا ماتنعكس الآية : فعندما يبهت الخصوم وتدحض الشبهات ويتبين الحق، ويصل المخالفون إلى حد القناعة الذاتية، عندها ينقلب الحوار مكرا بمن ظهر له الحق، وكيدا وعذابا على المنتصر، فمتى أعوزتهم قوة الحجة، لجؤوا إلى حجة القوة، وهو مشهد يتكرر على مر العصور :

- فهذا الخليل إبراهيم يحاور قومه محاورة طويلة، مبنية على أصول شرعية وقواعد عقلية منطقية، لاينكرها إلا مكابر، حتى يرجع القوم إلى أنفسهم ويعرفوا أخطاءهم، ولكن يأبى الظالمون إلا كفورا، ويزيدون على ذلك أن يصبوا جام غضبهم على إبراهيم الخليل، فيعزموا على حرقه بالنار، نصرة لآلهة الضلال، ومما جاء فى تلك المحاورة قوله تعالى : ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ. قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ. فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ. ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ. قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ. قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ...﴾(١) الآيات

---

١ - الأنبياء : ٦٣ - ٦٨.

- ومثل ذلك حال نبي الله يوسف - عليه السلام - فبعد أن ظهرت أدلة براءته وبينات صدقه وسلامته، واعتراف خصومه بمكائدهم، بعد ذلك كله قرروا حبسه وسجنه : ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَارَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِيْنٍ﴾.(١)

- وأكثر من هذا ماجرى للكليم موسى - عليه السلام - الذى طال حواره مع فرعون وقومه، وتعددت على يديه المعجزات، وكثرت الآيات والبينات، حتى استيقنوا صدقه، ولكن الكنود طبيعة الظالمين، والجحود عادة الفاسقين، يقول تعالى فيهم : ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوْءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فَاسِقِيْنَ. فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَذَا سِحْرٌ مُبِيْنٌ. وَجَحَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِيْنَ﴾.(٢)

وهذا الصادق المصدوق - ﷺ - الذي لاينطق عن الهوى، يأتيه حبر من أحبار اليهود، فيقول : جئت أسألك. فقال له رسول الله ﷺ : « أينفعك شيء إن حدثتك» فيقول : أسمع بأذني، فيقول له «سل»، فيسأل عن شئ من أمور الآخرة، ثم يقول مرة أخرى : وجئت أسألك عن شئ لايعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان. فيقول له : «ينفعك إن حدثتك» فيقول : أسمع بأذني... الحديث.(٣)

فهذا اليهودي لم يأت مسترشدا وإنما جاء مختبرا للنبي ﷺ، كما أنه لايرى أنه ينتفع بحديث النبي - ﷺ - وإنما يسمع سماعا بأذنيه، ولايضر ذلك النبي ﷺ شيئا.

أفبعد ذلك هل يريد كل محاور جزم أنه على الحق، وعرف أن خصمه على الباطل، أو غلب على ظنه ذلك، هل يريد أن يذعن له الآخرون ويتبنون رأيه ويتنازلون عن آرائهم فى لحظة واحدة وبكل تلك السهولة؟ إن ذلك قد لايكون - إلا قليلا - ومع نوعيات معينة من الخصوم، وليس المحاور بأكرم على الله من أنبيائه ورسله، وقد تقدم شئ من مواقف المخالفين لهم، فليسعه ماوسع الذين أنعم الله عليهم، من الصبر على مثل هذا، والرضا بالمخالفة مع الإقتناع.

---

١ - يوسف : ٣٥.

٢ - النمل : ١٢ - ١٤.

٣ - تقدم ذكره فى مبحث «التواضع». وسيأتى بطوله ص : ٤٣٠.

المبحث السابع : أساليب وطرق فى الاستدلال

تقدم فى ثنايا البحث الكلام عن عدد من طرق الإستدلال، وأساليب نافعة فى الحوار، فقد تقدمت الاشارة إلى أسلوب السبر والتقسيم والإستفهام الاستنكاريوضرب الأمثلة والتسليم والإنتقال في الدليل والتحدي والإفحام ونحو هذا مما دخل فى ضمن الآداب العلمية أو اللفظية أو النفسية على نحو ماسبق، وهناك قواعد مهمة ربما لم يسبق الاشارة اليها، وأساليب لايستغني عنها المحاور، أفردت لها هذا المبحث لتذكر بايجاز تنبيها عليها وإتماما للفائدة.

فمن القواعد المهمة فى هذا الجانب مايلي(١).

١ - تخلي كل من الطرفين المتحاورين عن وجهة نظره المسبقة، وإعلانهما الإستعداد لتقبل الحقيقة بعد ظهورها. وفى القرآن إشارة إلى هذه القاعدة فى قوله تعالى : ﴿وَإِنَّا أَوْإِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىً أَوْ فِيْ ضَلَالٍ مُبِيْنٍ﴾(٢).

٢ - افتراض صحة الطرف الآخر، حتى تتبين الحقيقة، أو على الأقل مجاراته حتى يصل إلى الحق، أو وصولا إلى تبكيته وإلزامه.

٣ - التزام الطرق الإقناعية الصحيحة لدى الحوار ومن ذلك : تقديم الأدلة المثبتة أو المرجحة للدعوى، مع إثبات صحة النقل فى المرويات والنقول، وهذا معنى القاعدة المعروفة :«إن كنت ناقلا فالصحة، أو مدعيا فالدليل» ومن ذلك التزام الأدلة الأصولية أو العقلية، وتقديمها مؤيدة بالقرآن أو الحديث.

٤ - ألا يكون فى الدليل الذي يقدمه المحاور تعارض، فيكون بعض كلامه ينقض بعضه الآخر، فيسقط استدلاله بداهة.

٥ - الا يكون الدليل ترديداًلأصل الدعوى، وإلا لم يكن دليلا بل هو إعادة للدعوى وتكرار لايغني من الحق شيئا.

٦ - عدم الطعن فى الأدلة المخالفة، إلا ضمن أسس المنطق السليم والقواعد المسلم بها.

٧ - التسليم بالمسلمات وقبول النتائج التى توصل إليها الأدلة القاطعة، وعدم إنكار شيء من ذلك أو الإصرار على مخالفتها فهو مماراة مرفوضة فى أصول المحاورات، وليست من صفات طالب الحق.

---

١ - انظر أدب الحوار لجريشة ص٦٧-٦٨، ومناهج الجدل ص ٤٤٦-٤٥٠.

٢ - سبأ : ٢٤.

وبعد هذه القواعد المختصرة أذكر شيئا ممايتعلق بمنهجية الحوار، وطرق الاستدلال، وأساليب الرد والإقناع - بايجاز واختصار أيضا - فمنها :

١ - الإستدلال بالقصص القرآني : فمن أعظم وسائل الإقناع، وأسرع طرق التأثير، قصص القرآن، فقديساق الدليل فى قصة ويأخذ صورته من واقع الحياة فى حوادثها، فتصغي إليه الآذان، وتميل إليه النفوس، وترتاح إليه الأفئدة، وتتأثر بما فيه من عظات وعبر.

ومثال هذا ذكر الله عز وجل لبعض قصص الأنبياء كإبراهيم وموسى - عليهما السلام - وقد كان العرب يعظمون إبراهيم وكان اليهود يعظمون موسى، فعندما يأتي الدليل فى سياق القصة على لسان رسول - يقدره السامعون وربما ينتسبون إليه، فإن ذلك يعطي الدليل قوة فوق قوته(١).

٢ - المطالبة بتصحيح الدعوى(٢). فمتى كانت الدعوى عارية من الدليل، خالية من السلطان والبرهان، سقطت(٣). ومن ذلك ماذكره ابن القيم رحمه الله تعالى فى قوله عز وجل : ﴿وَقَالُواْ لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّآ أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَالَاتَعْلَمُونَ﴾(٤) حيث قال(٥) : (فهذا مطالبته لهم بتصحيح دعواهم وترديد لهذه المطالبة بين أمرين لابد من واحد منهما، وقد تعين بطلان أحدهما فلزم ثبوت الآخر، فإن قولهم : لن تمسنا النار إلا أياما معدودة خبر عن غيب لايعلم إلا بالوحي، فإما أن يكون قولا على الله بلا علم فيكون كاذبا، واما أن يكون مستنداً إلى وحي من الله وعهد عهده إلى المخبر، وهذا منتف قطعا، فتعين أن يكون خبرا كاذبا قائله كاذب على الله تعالى)(٦).

---

١ - مناهج الجدل : ص٧٩ بتصرف يسير.

٢ - تقدم مايشبه هذا النوع فى مبحث «الدليل».

٣ - انظر الرد على المخالف : ص٦٢.

٤ - البقرة : ٨٠.

٥ - بدائع الفوائد : ١٤٣/٤.

٦ - تقدمت الاشارة الى هذه الآية فى مبحث «الإحتمالات ».

٣ - القول بالموجب : وهو رد دعوى الخصم من فحوى كلامه، كأن يثبت الخصم صفة لشيء، فيثبتها المحاور لشيء آخر غير الذي يقصده الخصم، كما فى قوله تعالى : ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِيْنَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ. وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِيْنَ لَايَعْلَمُونَ﴾(١) فكأنه قال : صحيح ماقلتموه : ليخرجن الأعز منها الأذل، ولكن الأعز هو الله ورسوله والمؤمنون وأنتم الأذل(٢).

٤ - اظهار التشهي والتحكم : وهو أن يبين للخصم أنه لاحجة له فيما يدعيه سوى التشهي والتحكم بالباطل، حيث إنه إذا جاءه مايوافق رأيه وهواه قبله، وإن جاءه مالا يشتهيه رده(٣)، ومثاله الرد على أهل الكتاب فى قوله تعالى : ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَاتَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُم وَفَرِيْقاً تَقْتُلُونَ﴾(٤).

٥ - ابطال دعوى الخصم باثبات نقيضها : وهذا كقوله تعالى فى شأن اليهود : ﴿وَمَاقَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَاأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيءٍ. قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِيْ جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُوْراً وَهُدَىً لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيْسَ تُبْدُوْنَهَا وَتُخْفُوْنَ كَثِيْراً ..الآيَة﴾(٥) فهنا أثبت تناقضهم حيث يفتخرون على العرب بأنهم - أي اليهود - أصحاب علم وكتاب - ثم يزعمون أنه ما أنزل الله من شيء(٦).

٦ - الاستدلال بلازم كلام الخصم : وذلك أن كثيرا من ادعاءات الخصوم يلزم منها أمور لايقرونها(٧)، فيمكن إفحام الخصم ببيان أن دعواه تلزمه القول بمالم يقله ولم يعترف به هو، ومثال هذا الإستدلال على من نسب لله الولد، بأن هذا يلزم منه وجود الصاحبة، وهذا مالم يقل به أحد من هؤلاء الخصوم؟

---

١ - المنافقون : ٨.

٢ - انظر الاتقان : ٤/٦٥-٦٦، مناهج الجدل : ص٨١.

٣ - انظر الرد على المخالف : ص٦٥.

٤ - البقرة : ٨٧.

٥ - الأنعام : ٩١.

٦ - انظر مناهج الجدل ص٨٥.

٧ - الحوار مع أهل الكتاب ص ٢٢٨ بتصرف.

فقال سبحانه : ﴿وَجَعلُواْ لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِيْنَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَه وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُوْنَ. بَدِيْعُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُوْنُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيْمٌ﴾(١).

٧ - الإسجال : وهو أن تثبت وتضبط على لسان الخصم ألفاظا فى سياق آخر تسجل به عليه ماكان عنده محل شبهة وانكار(٢)، ومثاله قوله عز وجل :﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَاوَعَدَنَا رَبُّنَا حَقاً فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَاوَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُم أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَىٰ الظَّالِمِيْنَ. الَّذِيْنَ يَصُدُّوْنَ عَنْ سَبِيْلِ اللَّهِ وَيَبْغُوْنَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُوْنَ﴾(٣). فقولهم: «نعم» هنا يعتبر اسجالاً إذ أن ما اعترفوا به هنا كان محل شبهة وانكار منهم.

٨ - المناقضة(٤) : وهي تعليق الأمر على مستحيل للدلالة على استحالة وقوعه أبدا، كقوله تعالى :﴿إِنَّ الَّذِيْنَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَاتُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَايَدْخُلُوْنَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ..﴾(٥). إلى غير ذلك من الطرق والأساليب التي يمكن للمحاور أن يستفيد منها فى الاستدلال على خصمه ويحكم الرد عليه.

---

١ - الأنعام : ١٠٠ - ١٠١.

٢ - الإتقان : ٤/٦٥ - ٦٦.

٣ - الأعراف : ٤٤ - ٤٥.

٤ - الإتقان : ٤/٦٥ - ٦٦ وانظر آداب البحث للشنقيطي ص ٥٥ - ٥٦.

٥ - الأعراف : ٤٠.

المبحث الثامن : محاذير عامة

هذا المبحث خاص بتنبيهات عامة، وملاحظات مهمة، أذكر فيه أمورا يحسن بالمحاور أن يحذرها، تختلف مراتبها، فمنها مايتعلق بنية المحاور وقصده ـ مثلا ـ، والتلبس به قد يفسد العمل ـ والعياذ بالله ـ، ومنها مايتعلق بأسلوب الحوار وطريقة الإستدلال، وتعمده قد يطعن فى أمانة فاعله أو يقدح فى صحة منهجه، ومنها أمور عامة لاينبغي أن يغفل عنها المحاور إذ لها تأثير كبير على نجاح الحوار، ولذلك فيمكن تقسيم هذه المحاذير إلى أصناف ثلاثة :

أ ـ محاذير تتعلق بنفسية المحاور وقصده : (وهي ملخصة ـ تقريبا من كلام الغزالي فى الإحياء)(١) فمنها :

١ ـ أن يكون الغرض من مناظراته ومحاوراته لقصد الغلبة والافحام وإظهار الفضل والشرف والتشدق عند الناس، وقصد المباهاة والمماراة، واستحالة وجوه الناس، وهذه إذا غلبت على النفس دعتها إلى إضمار الخبائث كلها فى النفس، وهيجت فيها جميع الأخلاق المذمومة، (فإن آنس المحاور من نفسه الحيد عن الغرض الصحيح فليكفها بجهده، فان ملكها وإلا فليترك المناظرة)(٢)

٢ - الحسد : وذلك عندما يذكر محاورما بقوة حجته وسعة علمه، أو عندما يرى أن محاوره أحسن منه كلاما، وأقوى نظرا، فيلجأ إلى حسده وتمني زوال تلك النعم عنه، وانصراف القلوب والوجوه عنه إليه.

٣ - التكبر على الأقران والأمثال، والترفع إلى فوق قدره، بحجة صيانة عز العلم أو ترك الذل.

٤ - الحقد على الخصم الذي ظهر منه الحق، أو على من قبل كلام خصمه وتوقف فى كلامه هو، فيعمد إلى إضمار الحقد وتربيته فى نفسه، وكذا لو صدر من خصمه قلة مبالاة بكلامه فربما انغرس فى صدره حقد دفين، وكل هذا ممابنبغي أن يتلخص منه المحاور المخلص.

---

١ - الاحياء : ٥٨/١ ـ ٦٠ بتصرف.

٢ - شرح الكوكب المنير : ٣٦١/٤ بتصرف.

٥ - التجسس وتتبع عورات خصمه وطلب عثراته، حتى يعدها ذخيرة لنفسه فى إفضاحه وتخجيله، عندما تعييه الحجة ويحس بالغلبة.

٦ - الفرح لمساءة مخالفيه والغم لمسارهم، ومن لايحب لاخيه مايحب لنفسه فهو بعيد من أخلاق المؤمنين، فيتحول العلم بينه وبينهم إلى عداوة قاطعة، وتباغض دائم.

٧ - النفاق بأن يلقى الخصوم ومحبيهم وأشياعهم بالتودد إليهم باللسان وإظهار الشوق والإعتداد بمكانهم وأحوالهم، وبالثناء عليهم ومدحهم - بالباطل - فى وجوههم، مع مايكنه لهم من بغض وعداوة فى القلب.

٨ - الإستكبار عن الحق وكراهته والممار اة فيه، والتعصب للباطل، وأن يكون أبغض شيء إلى المناظر أن يظهر الحق على لسان خصمه، فيندفع الى جحده وإنكاره بأقصى جهد، ويبذل غاية إمكانه فى المكر والحيلة حتى لايعترف بخطئه.

٩ - الرياء وملاحظة الخلق والجهد فى استمالة قلوبهم، وصرف وجوههم، وانطلاق ألسنتهم بالثناء عليه، والأحرى بالمحاور أن يرسل النفس على سجيتها ويرغب بها عن لبسة الرياء والتصنع كما هي عادة السلف.(١)

ب - محاذير تتعلق بالجانب العلمي وأسلوب الحوار فمنها :

١ - بتر النقول والنصوص لتوافق الرأي والهوى، والدس فى السنة أو فى كلام العلماء، وتحريف الكلم عن مواضعه بالتأويل وفاسد القياس، ومعارضة النص بالرأي والنقل بالعقل، وتحكيم ظواهر النصوص من غير التفات إلى مقاصدها، والتحريف فى دلالة النص.

٢ - الاحتجاج بالكثرة والسواد الأعظم(*) وبمقامات الشيوخ والتغالي فيهم وتعظيم خطر مخالفتهم بما يخرج عن حدود الشرع، والتهويل بدعوى الإجماع.

٣ - الاحتجاج بالضعاف والواهيات فى المرويات، ودعوى تناقض السنة مع السنة أو مع القرآن، وضرب الأقوال بعضها ببعض.(٢)

---

١ - انظر عيون الأخبار لابن قتيبة : ص ٤٦.

٢ - انظر لهذه الثلاث : الرد على المخالف ص ٥٨ - ٥٩، والاعتصام للشاطبي : ٢٣١/١ ، ٢٤٩ ، ٢٥٨.

(*) المقصود بهم هنا عوام الناس ودهماؤهم، والاحتجاج بهم على الباطل لمجرد كثرتهم .

٤ - النقلة : وهي (ذكر الشبهة نقدا وردها نسيئة، بمعنى أن يسوق المناظر الشبهة ويشخصها، ثم يحيل على الجوانب عنها، أو لايحكم ردها.)(١)

٥ - الأخذ ببعض الكتاب وترك البعض، فلاتقبل التجزئة ولا التفرقة فى نصوص الشرع، بل إن ذلك تحكم ليس له مايبرره.(٢)

٦ - المصادرة : وهي جعل المطلوب إحدى مقدمتي الدليل، بعد تغير طفيف فى لفظها، ليتوهم المغايرة بين النتيجة والمقدمة.

والمعاندة : وهي المنازعة بين شخصين لايفهم أحدهما كلام الآخر وهو يعلم فساد كلامه الذي تكلم به.

والجواب الجدلي : وهو مايذكره المجيب وهو يعتقد بطلانه.(٣)

والغصب : وهو محاولة إبطال دعوى الخصم قبل أن يقدم الدليل عليها.(٤)

جـ - محاذير أخرى تتعلق بالحوار :

١ - الخوض فيما لاينبني عليه عمل، سواء من أعمال القلوب أو الجوارح، فلاينبغي أن يكون الحوار إلا في علم نافع، أو وسيلة إلى عمل صالح، وإلا كان اهدارا للوقت والجهد.

٢ - الإختصار المخل بالفهم، والتطويل الممل للسامع، فيشغله عن المطلوب، والخروج عن موضوع المناظرة مما يفوت القصد منها.

٣ - الخروج من الحوار دون الوصول إلى نتيجة، سواء كانت اقناعا بحق أو دحضا لباطل، فإذا لم تتحقق الثمرة كان الحوار مضيعة للوقت، وتبديدا للجهد، ومباعدة بين القلوب.(٥)

---

١ - الرد على المخالف : ص٦٣.

٢ - أدب الحوار لجريشه : ص٩٩ بتصرف.

٣ - انظر آداب البحث والمناظرة للشنقيطي ص ٧٤ ـ ٧٥.

٤ - أدب الحوار لجريشه ص ٧١.

٥ - انظر أصول الحوار ص ٥٠.

٤ - لقد طعن الدين بسكين الحوار، في دعوات هدامة، ومؤامرات هزيلة، ومشروعات سقيمة تتبنى شعارات مختلفة، تدعو فيها إلى : «زمالة الأديان»، «الحوار بين الأديان»، «التقريب بين الأديان»، وأحيانا باسم «جمعيات الصداقة بين الأديان»، وأخيرا : «مشروعات السلام»، ونحوا من هذه المسميات وإنما جوهر هذه الدعوات هو أن يكسب أعداء الدين من اليهود والنصارى - خاصة - اعترافا من المسلمين بصحة دينهم(١)، وإثباتا لعدم وجود فوارق بين الاسلام وغيره من الأديان، ويتم ذلك من خلال حوارات وجولات ومناقشات، ويترتب على هذه الحوارات والمؤتمرات، تغيير لهوية الأمة الاسلامية من أصلها، بتغيير اعتقادها بهيمنة هذا الدين وأنه لايقبل عند الله دين غيره : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيْناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِيْ الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِيْنَ﴾(٢)، وبتغيير مفهوم الولاء والبراء، وبتغيير طريقة تفكيرها ومناهج تعليمها، وكل مافيه مساس بتلك الأديان المحرفة الباطلة، وتلك «شنشنة نعرفها من أخزم»(٣) وينبغي أن يحذرها المتحاورون، ويتنبه لخطورتها العلماء المخلصون، حتى لايقعوا فريسة فى أيدي أعدائهم باسم الحوار والتقارب والسلام.

---

١ - انظر : أهمية الجهاد - د. علي العلياني (ص : ٤٤٩).

٢ - آل عمران : ٨٥.

٣ - انظر كتاب «جمهرة الأمثال» لأبي هلال العسكري: ٥٤١/١ رقم المثل ٩٩٠. ط المؤسسة العربية الحديثة - القاهرة ١٣٨٤ هـ

المبحث التاسع : مناظرات وحوارات : نماذج تطبيقية

بعد الإنتهاء من الآداب ومايتعلق بها من ضوابط ومحاذير، رأيت أن أختم البحث بذكر نماذج مثالية وأمثلة رائعة، حققت الحوار على أصوله، وراعت الآداب بدقة، فكان من جاء بعدها عالة عليها فى تعلم الحوار وآدابه، والمناظرة وأهدافها، والجدال بالتي هي أحسن.

وانما أردت جمع بعض النماذج هنا ـ فى مبحث مستقل ـ لما رأيت الآداب قد تكاثرت، والضوابط قد تعددت، فقد يتسلل إلى بعض النفوس، أن تطبيق ذلك كله في واقع الحوار؛ هو ضرب من الخيال، وأقرب إلى المحال، أو يظن أننا نطلب صورة للمحاور لامثيل لها فى الواقع، أو أننا نكلفه بماليس فى وسعه، ونلزمه بماليس فى طاقته.

فكانت هذه الأمثلة الحية، والشواهد القوية، لحوارات ومناظرات واقعية، لتعيد لنا الأمل في إمكانية عودة حواراتنا ومناقشاتنا إلى الجادة المثلى والطريق الاقوم، وماذلك على الله بعزيز.

ونظرا لكثرة النماذج وتعددها، ولما تقدم ذكره منها فى ثنايا البحث ـ خاصة ماجاء منها فى الكتاب والسنة ـ، فسأختار من بين الكم الهائل من الأمثلة، ماكان أقصر وأخصر، وأدل على المطلوب وأيسر، وأكتفي بالبعض للدلالة على البعض الآخر، مراعيا فى ذلك تنوع الأهداف واختلاف المواقف، وأعرض عما تقدم ذكره فى مباحث الرسالة اكتفاء بذلك، إلا مالزم إعادته لغرض أبينه ـ، وحيث إن ماتقدم من نماذج أكثرها من حوارات الكتاب والسنة، فستكون أكثر الأمثلة هنا من سير الصحابة أو التابعين، ومن قصص العلماء والدعاة وحواراتهم اللطيفة.

النوع الأول : من حوارات القرآن :

١ - واخترت أن يكون فى حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه، فى دعوتهم إلى التوحيد، ومع أن ذلك تقدم ولكن ربما كان ذكره عارضا، أو متفرقا في عدة مواضع، فلابأس من إعادته مع التعليق بما يناسب الحال، فإلى وقائع هذا الحوار :

- لقد ذكره الله تعالى بمقدمة تبين مدى قوة إبراهيم ورشده وما ءآتاه الله من الحجة(١) :

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِيْنَ﴾، وهذا الرشد يقتضي منه دعوة إلى الحق وإنكارا للباطل، ومن ثم يبدأ الحوار : ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيْهِ وَقَوْمِهِ مَاهَذِهِ التَّمَاثِيْلُ الَّتِيَ أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾.

فيردون ردا ساقطا ضعيفا : ﴿قَالُواْ وَجَدْنَا ءَآبَاءَنَا لَهَا عَابِدِيْنَ﴾.

فيهاجمهم فى صراحة وقوة وجرأة : ﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِيْنٍ﴾.

فيجيبون فى سفاهة منهم : ﴿قَالُواْ أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِيْنَ﴾.

فيردهم إلى الفطرة لعلهم يعقلون : ﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذٰلِكُم مِنَ الشَّاهِدِيْنَ﴾.

ثم يثبت لهم حسيا بطلان تلك الآلهة المزعومة وعجزها : ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيْراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُوْنَ﴾. فتنازعوا واختلفوا فيمن تجرأ بهذا العمل فـ ﴿قَالُواْ ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيْمُ﴾.

وهنا حانت الفرصة ليكبتهم ويهزهم ليستفيقوا : ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيْرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُواْ يَنْطِقُوْنَ﴾. ﴿فَرَجَعُواْ إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُواْ إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُوْنَ. ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَاهَؤُلَاءِ يَنْطِقُوْنَ﴾.

وهنا يتدخل إبراهيم ليقيم عليهم الحجة، وليصل بهم إلى الافحام : ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ مَالَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

فيصلون إلى فقدان الحجة وضياع الدليل، فيلجأون إلى القوة : ﴿قَالُواْ حَرِّقُوْهُ وَانْصُرُواْ ءَآلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِيْنَ﴾ ولكن تبوء مؤامرتهم بالفشل فيبطلها الله عز وجل : ﴿قُلْنَا يَانَارُ كُوْنِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَىٰ إِبْرَاهِيْمَ﴾.(٢)

---

١ - انظر التعليق على الآيات فى أدب الحوار لجريشه : ص ١٤٠.

٢ - الأنبياء : ٥١ ـ ٦٩.

٢ - بين أهل الجنة وأهل النار(١)

حوار فيه ثلاثة أطراف : أهل الجنة، أهل النار، أصحاب الأعراف :

يبدأ الحوار بأصحاب الجنة : ﴿وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَاكُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ ومن ثم يتوجهون إلى أصحاب النار :

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَاوَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَاوَعَدَ رَبُّكُمْ حَقاً قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَىٰ الظَّالِمِيْنَ. الَّذِيْنَ يَصُدُّوْنَ عَنْ سَبِيْلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُمْ بِالآخِرَةِ كَافِرُوْنَ﴾.

فيتدخل أصحاب الأعراف يخاطبون أهل الجنة : ﴿وَنَادَواْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُوْنَ﴾.

ثم ينتقل الحوار إلى أصحاب النار : ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لاَتَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِيْنَ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيْمَاهُمْ قَالُواْ مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَاكُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُوْنَ. أَهَؤُلاَءِ الَّذِيْنَ أَقْسَمْتُمْ لاَيَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ لاَخَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنْتُمْ تَحْزَنُوْنَ﴾.

وعندها يندم المفرطون، فيسألون ويطلبون : ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيْضُواْ عَلَيْنَا مِنَ المَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾.

فيأتيهم الرد بالتبكيت زيادة في ألمهم، من قبل أهل الجنة : ﴿قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَىٰ الْكَافِرِيْنَ الَّذِيْنَ اتَّخَذُواْ دِيْنَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ...﴾(٢) الآيات.

النوع الثاني : من حوارات السنة :

لقد تعددت حوارات السنة وكثرت، حتى عد بعض الباحثين، اثنتين وسبعين قصة، اشتملت على مائة وأربع وستين صورة للحوار، استخرجها من تسعة مصادر من أمهات كتب السنة(٣).

---

١ - انظر أدب الحوار والمناظرة : ص ١٤٠ ـ ١٤١.

٢ - الأعراف : ٤٣ ـ ٥١. (وذكرت كلام أصحاب الأعراف هنا اتماماً للآيات والقصة، وإلا فليس لهم حوار في الآيات)

٣ - انظر رسالة : القصص في الحديث النبوي ـ محمد بن حسن الزير ص ٢٥٠، وتقدم في مقدمة هذه الرسالة ذكر العدد الذي وجدته من النماذج والأمثلة والشواهد للحوار.

وقد تقدم فى ثنايا هذا البحث عدد من هذه الحوارات، أشير الى بعضها بإختصار، و أذكر نموذجين منها كما جاءت فى الأحاديث.(١)

١ - فمنها : حواره ﷺ مع ضمام بن ثعلبة.

٢ - ومنها: حواره مع السعدين فى غزوة الأحزاب.

٣ - ومنها : حواره اللطيف مع عتبة بن ربيعة.

٤ - ومنها : الحوار بين الرب سبحانه وملائكته الطوافين الذي يتبعون مجالس الذكر.(٢)

٥ - ومنها : ماذكره النبي ﷺ من محاجة بين آدم وموسى - عليهما السلام -.

٦ - ومنها : ماذكره أيضا من حوار موسى وخضر - عليهما السلام -.

٧ - ومنها : ماجاء من حواره مع وفد عبد القيس حين قدموا عليه.

٨ - ومنها : حواره مع اليهودي، والذي تمثلت فيه آداب وصور للحوار فريدة، واذكر هذا الحوار كاملا كما فى صحيح مسلم(٣)فعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أنه قال : كنت قائما عند رسول الله ﷺ فجاء حبر(٤) من أحبار اليهود فقال : السلام عليك يامحمد! فدفعته دفعة كاد يصرع منها. فقال : لم تدفعني؟ فقلت : ألا تقول يارسول الله! فقال اليهودي : انما ندعوه باسمه الذى سماه به أهله. فقال رسول الله ﷺ : «ان اسمي محمد الذى سمانى به أهلى» فقال اليهودي : جئت أسألك. فقال له رسول الله ﷺ : «أينفعك شئ إن حدثتك؟» قال : أسمع بأذنى. فنكت(٥) رسول الله ﷺ بعود معه.

---

١ - تقدم ذكر هذه الأمثلة ومن أخرجها فى عدة مواضع من البحث.

٢ - أخرجه البخاري : الدعوات (٦٤٠٨)، مسلم : الذكر ٢٥، الترمذي : الدعوات (٣٦٠٠).

٣ - انظر صحيح مسلم : ٢٥٢/١ كتاب الحيض : ٣٤ وتقدم شئ منه فى مبحث التواضع.

٤ - الحبر : بالكسر والفتح : العالم (المصباح المنير ص ٤٥، شرح النووي : ٢٢٦/٥).

٥ - نكت : أي جعل يخط بالعود فى الأرض ويؤثر به فيها، وهذا يفعله المفكر. (النووي : ٢٢٦/٣).

فقال «سل» فقال اليهودي : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول الله ﷺ : «هم فى الظلمة دون الجسر(١)» قال : فمن أول الناس إجازة(٢)؟ قال : «فقراء المهاجرين» قال اليهودي : فما تحفتهم(٣) حين يدخلون الجنة؟قال : «زيادة كبد النون»(٤) قال : فما غذاؤهم على اثرها؟ قال : «ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها» قال : فما شرابهم عليه؟ قال : «من عين فيها تسمى سلسبيلا» قال : صدقت. قال : وجئت أسألك عن شئ لايعلمه أحد من أهل الأرض. إلا نبي أو رجل أو رجلان. قال : «ينفعك إن حدثتك؟» قال : أسمع بأذنى. قال جئت أسألك عن الولد؟ قال : «ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر. فاذا اجتمعا، فعلا مني الرجل مني المرأة، أذكرا بإذن الله. وإذا علا مني المرأة مني الرجل، آنثا(٥)» قال اليهودي : لقد صدقت. وإنك لنبي. ثم انصرف فذهب.

فقال رسول الله ﷺ : «لقد سألنى هذا عن الذي سألنى عنه. ومالى علم بشئ منه. حتى أتانى الله به».

٩ - ومنها : إخباره بقصة الغلام المؤمن ومافيها من الحوارات : بين الملك والراهب، وبين الغلام وجليس الملك، وبين الغلام والملك، وغيره، ومما جاء فيه : (فسمع جليس للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة فقال : ماههنا لك أجمع ان أنت شفيتني، فقال إني لا أشفي أحدا، إنما يشفي الله تعالى، فان آمنت بالله تعالى دعوت الله فشفاك، فآمن بالله تعالى فشفاه الله تعالى، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك : من رد عليك بصرك؟ قال : ربي. قال : ولك رب غيري؟ قال : ربي وربك الله ... الخ الحديث)(٦).

---

١ - أي الصراط : (النووي : ٣/٢٢٦).

٢ - الاجازة : الجواز والعبور : (النووي : ٣/٢٢٧).

٣ - التحفة : مايهدى الى الرجل ويخص به ويلاطف (النووي : ٣/٢٢٧).

٤ - النون : الحوت (الصحاح : ٦/٢٢١٠).

٥ - أذكرا : كان الولد ذكرا، آنثا : كان أنثى : (النووي : ٣/٢٢٨).

٦ - أخرجه مسلم : كتاب الزهد ٤/٢٢٩٩ رقم ٧٣ ، أحمد ١٧/٦.

النوع الثالث : من حوارات الصحابة :

وهذه أمثلتها كثيرة أيضا، وقد تقدم بعضها مختصرا فى ثنايا البحث ومنها :

١ ـ حوار عمر ـ رضي الله عنه ـ مع اليهود فى عداوتهم لجبريل.

٢ ـ حوارات الصحابة المتعددة فى مسألة الخلافة بعد وفاة النبي ﷺ.

٣ ـ حوار علي مع اليهودي الذي أنكر على المسلمين اختلافهم فى الخلافة وسعي بعضهم لها، ورد علي عليه بالإنكار عليه لما قالوه لموسى. ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾(١).

٤ ـ حوار حاطب والمقوقس إذ قال المقوقس مكذبا للرسول : (ونبيَ الله يغلب؟) فأجابه حاطب بقوله : (وابن الله يصلب؟).

٥ ـ حوار ابن عباس للخوارج : وأعيد بعض وقائع هذا اللقاء لأهميته ولحسن آداء ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: فأول مادخل عليهم ابن عباس قالوا : مرحبا بك ابن عباس ! ماجاء بك؟ وماهذه الحله؟ قال : ماتعيبون علي؟ لقد رأيت على رسول الله ﷺ أحسن مايكون من هذه الحلل، ونزلت ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾(٢) قالوا : فما جاء بك؟ قال : جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله ﷺ ومن عند صهر رسول الله ﷺ، عليهم نزل الوحي، وهم أعلم بتأويله، وليس فيكم منهم أحد.

فقال بعضهم : لاتخاصموا قريشا فان الله تعالى يقول ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾(٣) وقال رجلان أو ثلاثة لو كلمتهم. قال : قلت أخبروني ماتنقمون على ابن عم رسول الله وختنه، وأول من آمن به، وأصحاب رسول الله معه؟ قالوا : ننقم عليه ثلاثا.

قال : وماهن؟

قالوا : أولهن أنه حكم الرجال فى دين الله، وقد قال الله ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ فما شأن الرجال والحكم بعد قول الله عز وجل. قال : قلت وماذا ؟

---

١ - الأعراف : ١٣٨.

٢ - الأعراف : ٣٢.

٣ - الزخرف : ٥٨.

قالوا : وقاتل ولم يسب ولم يغنم، لئن كانوا كفارا لقد حلت له أموالهم ، ولئن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم قال : قلت وماذا ؟

قالوا : محا نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين.

قال : قلت أعندكم سوى هذا ؟

قالوا : حسبنا هذا .

قال أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم، وحدثتكم من سنة نبيه مالا تنكرون أترجعون؟

قالوا : نعم.

قال أما قولكم : حكم الرجال فى دين الله، فإن الله تعالى يقول : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَاتَقْتُلُوْا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ...﴾إلى قوله ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾(١) وقال فى المرأة وزوجها :﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ ﴾(٢). أنشدكم الله أحكم الرجال فى حقن دمائهم و أنفسهم وإصلاح ذات بينهم أحق، أم فى أرنب ثمنها ربع درهم، وفي بضع امرأة. وأن تعلموا أن الله لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرجال.

قالوا : اللهم فى حقن دمائهم و اصلاح ذات بينهم.

قال : خرجت من هذه؟ قالوا : اللهم نعم.

قال : وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم، أتسبون أمكم عائشة، أم تستحلون منها ماتستحلون من غيرها، فقد كفرتم، وإن زعمتم أنها ليست أم المؤمنين فقد كفرتم، وخرجتم من الإسلام، إن الله يقول : ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِيْنَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾(٣) فأنتم مترددون بين ضلالتين، فاختاروا أيهما شئتم، أخرجت من هذه؟ فنظر بعضهم إلى بعض ثم قالوا : اللهم نعم قال : وأما قولكم محا نفسه من أمير المؤمنين فأنا آتيكم بما ترضون، فإن رسول الله ﷺ

---

١ - المائدة : ٩٥.

٢ - النساء : ٣٥.

٣ - الأحزاب : ٦.

دعا قريشا يوم الحديبية أن يكتب بينه وبينهم كتابا، فكاتب سهيل بن عمرو وأبا سفيان. فقال : اكتب ياعلي هذا ماقاضى عليه محمد رسول الله، فقالوا : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ماصددناك عن البيت، ولاقاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله. فقال والله إني لرسول الله حقا وإن كذبتموني، اكتب ياعلي : محمد بن عبد الله، فرسول الله ﷺ كان أفضل من علي - رضي الله عنه. وما أخرجه من النبوة حين محا نفسه. أخرجت من هذه؟

قالوا : اللهم نعم. فرجع منهم ألفان، وبقى منهم أربعة آلاف فقتلوا على ضلالة(١). فرحم الله ابن عباس وحواره البليغ.

٦ - ومن ذلك أيضا مادار من حوار طويل : بين عمرو بن العاص وملك عمان جيفر وأخيه عبد ابني الجلندي(٢).

قال عمرو : فخرجت حتى انتهيت إلى عمان، فلما قدمتها، عمدت إلى عبد، وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خلقا، فقلت اني رسول رسول الله ﷺ إليك وإلى أخيك، فقال : أخي المقدم علي بالسن والملك، وأنا أوصلك اليه حتى يقرأ كتابك، ثم قال : وماتدعوا اليه؟ قلت :أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وتخلع ماعبد من دونه، وتشهد أن محمدا عبده ورسوله. قال : يا عمرو إنك ابن سيد قومك، فكيف صنع أبوك، فان لنا فيه قدوة؟ قلت : مات ولم يؤمن بمحمد ﷺ، ووددت أنه كان أسلم وصدق به، وقد كنت أنا على مثل رأيه حتى هداني الله للإسلام، قال : فمتى تبعته؟ قلت : قريبا فسألني أين كان كان إسلامك؟ قلت : عند النجاشي، وأخبرته أن النجاشي قد أسلم، قال : كيف صنع قومه بملكه؟ فقلت : أقروه واتبعوه، قال : والأساقفة والرهبان تبعوه؟ قلت : نعم. قال : انظر ياعمرو ماتقول، إنه ليس من خصلة في رجل أفضح له من الكذب، قلت : ماكذبت، ومانستحله في ديننا، ثم قال : ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي، قلت : بلى. قال : بأي شيء علمت ذلك؟ قلت : كان النجاشي يخرج له خرجا، فلما أسلم وصدق بمحمد ﷺ، قال : لا والله، لو سألني درهما واحدا ما أعطيته، فبلغ هرقل قوله، فقال له يناق أخوه : أتدع عبدك لايخرج لك خرجا، ويدين دينا محدثا؟

---

١ - تقدم تخريجها فى الباب الأول ص ٣٧.

٢ - انظر زاد المعاد : ٦٩٣/٣ - ٦٩٦.

قال هرقل : رجل رغب في دين فاختاره لنفسه ما أصنع به، والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع، قال : انظر ماتقول ياعمرو، قلت : والله صدقتك. قال عبد : فأخبرني ما الذي يأمر به، وينهى عنه؟ قلت : يأمر بطاعة الله عز وجل، وينهى عن معصيته، ويأمر بالبر وصلة الرحم، وينهى عن الظلم والعدوان، وعن الزنى، وعن الخمر، وعن عبادة الحجر والوثن والصليب. قال : ما أحسن هذا الذي يدعو اليه، لو كان أخي يتابعني عليه، لركبنا حتى نؤمن بمحمد، ونصدق به، ولكن أخي أضن بملكه من أن يدعه ويصير ذنبا، قلت : إنه إن أسلم، ملكه رسول الله ﷺ على قومه، فأخذ الصدقة من غنيهم، فردها على فقيرهم. قال : إن هذا لخلق حسن، وما الصدقة؟ فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ من الصدقات في الأموال حتى انتهيت إلى الابل. قال : ياعمرو : وتؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر، وترد المياه؟ فقلت : نعم. فقال : والله ما أرى قومي في بعد دارهم، وكثرة عددهم يطيعون بهذا، قال : فمكثت ببابه أياما، وهو يصل إلى أخيه، فيخبره كل خبري. ثم إنه دعاني يوما، فدخلت عليه. فأخذ أعوانه بضبعي، فقال : دعوه، فأرسلت، فذهبت لأجلس، فأبوا أن يدعوني أجلس، فنظرت إليه، فقال : تكلم بحاجتك، فدفعت اليه الكتاب مختوما، ففض خاتمه، وقرأ حتى انتهى إلى آخره، ثم دفعه إلى أخيه، فقرأه مثل قراءته، إلا أني رأيت أخاه أرق منه، قال : ألا تخبرني عن قريش كيف صنعت؟ فقلت : تبعوه إما راغب في الدين، وإما مقهور بالسيف. قال : ومن معه؟ قلت : الناس قد رغبوا في الإسلام، واختاروه على غيره، وعرفوا بعقولهم مع هدى الله اياهم أنهم كانوا في ضلال، فما أعلم أحدا بقي غيرك في هذه الحرجة، وأنت إن لم تسلم اليوم وتتبعه، يوطئك الخيل، ويبيد خضراءك، فأسلم تسلم، ويستعملك على قومك، ولاتدخل عليك الخيل والرجال. قال : دعني يومي هذا، وارجع الي غداء، فرجعت الى أخيه، فقال : ياعمرو! إني لأرجو أن يسلم ان لم يضن بملكه حتى إذا كان الغد. أتيت إليه، فأبى أن يأذن لي، فانصرفت إلى أخيه، فأخبرته أني لم أصل إليه، فأوصلني إليه،

فقال : إني فكرت فيما دعوتني إليه، فاذا أنا أضعف العرب ان ملكت رجلا ما في يدي، وهو لاتبلغ خيله هاهنا، وان بلغت خيلة ألفت قتالا ليس كقتال من لاقى. قلت : وأنا خارج غدا، فلما أيقن بمخرجي، خلا به أخوه، فقال : مانحن فيما قد ظهر عليه، وكل من أرسل اليه قد أجابه، فأصبح فأرسل الي فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعا، وصدقا النبي ﷺ، وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم، وكانا لي عونا على من خالفني.)اهـ

فهذان حواران بليغان من ابن عباس وابن العاص، ظهر فيهما حسن الأدب في الحوار، وقيمة الإلتزام بأصوله وضوابطه، العلمية والسلوكية، مما ألان لهما الخصوم، ورجعوا إلى صوابهم بإذن الله عز وجل.

النوع الرابع : من حوارات العلماء :

وهذه فوق الحصر، إذ لازال العلماء قديما وحديثا يتناظرون فيما بينهم من مسائل العلم كما ورد مثل هذا عن كثير منهم كالشافعي واسحاق وأحمد وغيرهم، كما كانوا يتحاورون مع مخالفيهم من الكفرة أو المبتدعة أو غيرهم، وسأختار بعضا من الأمثلة مختلفة فى أزمانها ومناسباتها وموضوعاتها :

١ - مناظرة فى خلق القرآن : وهي التى كانت بين أحمد بن أبي دؤاد - شيخ المعتزلة - وبين شيخ كبير من أهل السنة(١) وملخصها :

أنه أدخل هذا العالم على الخليفة فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال : لاسلم الله عليك. فقال : يا أمير المؤمنين، بئس ما أدبك مؤدبك قال الله تعالى: : ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾(٢)

فقال ابن أبي دؤاد : الرجل متكلم. قال له : كلمه، فقال : ياشيخ ماتقول في القرآن؟

قال : لم ينصفني، ولي السؤال. قال : سل، قال : ماتقول في القرآن؟ قال : مخلوق.

---

١ - سير أعلام النبلاء : ٣١٣/١١، الاعتصام : ٢٤٢/١.

٢ - النساء : ٨٦.

قال الشيخ : هذا شئ علمه النبي ﷺ، وأبو بكر وعمر، والخلفاء الراشدون أم شئ لم يعلموه؟ قال : شئ لم يعلموه. فقال : سبحان الله! شئ لم يعلمه النبي ﷺ، علمته أنت؟ فخجل. فقال : أقلني، قال : المسألة بحالها. قال : نعم علموه، فقال : علموه ولم يدعوا الناس اليه، قال : نعم. قال : أفلا وسعك ماوسعهم؟ ففي هذا إقامة الحجة على الخصم وإفحامه.

٢ - وتناظر الشافعي واسحاق بن راهويه فى كراء بيوت مكة وكان الشافعي يرى جواز ذلك، ويرى إسحاق المنع : فقال الشافعي : قول الله عز وجل : ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ﴾(١). نسب الديار إلى مالكيها أو الى غير مالكيها؟ قال اسحاق بل إلى مالكيها. قال فقول النبي ﷺ يوم فتح مكة : «من أغلق دون بابه فهو آمن، ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن»(٢). فنسب الديار إلى أربابها أم إلى غير أربابها؟ قال : واشترى عمر بن الخطاب : دار السجن» من مالك أو غير مالك؟ قال : من مالك. قال : قول النبي ﷺ «وهل ترك لنا عقيل من دار؟»(٣) نسب الديار إلى مالكها أو غير مالكها؟ قال : الى مالكها. فقال إسحاق لكن فلانا وفلانا - من التابعين - يرون غير ذلك. فقال الشافعي. أنت الذي يزعم أهل خراسان أنك فقيههم؟ قال اسحاق : هكذا يزعمون. قال الشافعي : ما أحوجني أن يكون غيرك موضعك، فكنت آمر بعرك أذنيه. أنا أقول : قال رسول الله ﷺ، وأنت تقول : عطاء وطاووس وإبراهيم والحسن؟ وهل لأحد مع رسول الله ﷺ، حجة(٤).

٣ - وفي احدى مناظرات الامام الباقلاني - وقد تقدمت له عدة حوارات -:

قال له ملك النصارى : هذا الذي تدعونه في معجزات نبيكم من انشقاق القمر، كيف هو عندكم؟ قال : قلت هو صحيح عندنا وانشق القمر على عهد رسول الله - ﷺ - حتى رأى الناس ذلك، وإنما رآه الحاضرون ومن اتفق نظره اليه فى ذلك الحال.

---

١ - الحج : ٤٠.

٢ - أخرجه مسلم : الجهاد ١٤٠٥/٣ رقم ٨٤، أبو داود الأمارة ٣٠٢١ ، أحمد ٢٩٢/٢.

٣ - أخرجه البخاري : الحج ١٥٨٨ ، مسلم ٩٨٤/٢ رقم ٤٣٩ ، ابن ماجه : الفرائض : ٩١٢/٢ رقم ٢٧٣٠.

٤ - انظر مناقب الشافعي للبيهقى : ٢١٣/١-٢١٥.

فقال الملك : وكيف ولم يره جميع الناس؟

قال : لأن الناس لم يكونوا على أهبة ووعد لشقوقه وحضوره.

فقال : وهذا القمر بينكم وبينه نسبة أو قرابة، لأي شيء لم تعرفه الروم وغيرها من سائر الناس؟ وإنما رأيتموه أنتم خاصة، وقد علمتم أنه فى السماء غير مختص بكم!!

قال فقلت : فهذه المائدة بينكم وبينها نسبة؟ وأنتم رأيتموها دون اليهود والمجوس والبراهمة وأهل الالحاد وخاصة يونان جيرانكم، فإنهم كلهم منكرون لهذا الشأن، وأنتم رأيتموها دون غيركم!!

فتحير الملك، وقال فى كلامه : سبحان الله.

ثم قال القاضي ـ الباقلاني ـ لقسيس لهم : ألست تزعم أن الأرض كروية؟ قال : نعم.

فقال : أفتنكر أن يرى في هذا الاقليم مالايرى فى اقليم آخر، كالكسوف يرى فى موضع، دون موضع، وكواكب السماء ترى في موضع دون غيره، أم تقول إن الكسوف إذا وقع رآه أهل الأرض كلهم؟

قال القسيس : بل لايراه الا من كان فى محاذاته.

قال قلت : فما أنكرت من انشقاق القمر إذا كان فى ناحية لايراه إلا أهل تلك الناحية، ومن تأهب للنظر له، فأما من أعرض عنه، ومن كان في الأمكنة التى لايرى القمر منها، فلا يراه.

فقال : هو كما قلت، مايدفعك عنه دافع، وإنما الكلام فى الرواة الذين نقلوه، فأما الطعن فى غير هذا الوجه فليس بصحيح.

فقال الملك : وكيف يطعن فى النقلة؟

فقال القسيس : شبه هذا من الآيات إذا صح وجب أن ينقله الجم الغفير، حتى يتصل بنا العلم به، ولو كان كذلك لوقع عندنا العلم الضروري به، فلما لم يقع لنا العلم الضروري به، دل على أن الخبر مفتعل باطل. فالتفت الملك، وقال : هات الجواب.

قال القاضي : يلزمه فى نزول المائدة مالزمني فى انشقاق القمر، ويقال له : لو كان نزول المائدة صحيحا لوجب أن ينقله العدد الكثير، فلايبقى يهودي ولا نصراني ولا ثنوي(١) إلا وهو يعلم بالضرورة، ولمالم يعلموا ذلك بالضرورة دل على أن الخبر كذب، فبهت النصراني والملك ومن ضمه المجلس.(٢)

٤ - وقد ذكر الشيخ الشنقيطي - رحمه الله - مناظرة لطيفة بين عالم من علماء المسلمين ونصراني :

حيث قال النصراني للمسلم : ناظرني في الإسلام والمسيحية أيهما أفضل؟

فقال المسلم : هلم إلى المناظرة فى ذلك.

فقال النصراني : المتفق عليه أحق بالإتباع أم المختلف فيه؟

فقال المسلم : المتفق عليه أحق بالإتباع من المختلف فيه.

فقال النصراني : إذن يلزمكم اتباع عيسى معنا، وترك اتباع محمد - ﷺ -، لأننا نحن وأنتم متفقون على نبوة عيسى، ونخالفكم فى نبوة محمد - عليهما السلام -.

فقال المسلم : أنتم الذين تمتنعون من اتباع المتفق عليه.

قال : وكيف. قال المسلم : لأن المتفق عليه الذي هو عيسى قال لكم : ﴿ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾(٣) فلو كنتم متبعين عيسى حقا لاتبعتم محمدا - ﷺ - فظهر أنكم أنتم الذين لم تتبعوا المتفق عليه. فانقطع النصراني.(٤)

---

١ - الثنوي : نسبة إلى مذهب الثنوية وهو يقول بالهين اثنين. اله للخير واله للشر. (انظر الملل والنحل للشهرستاني (٢٤٤/١).

٢ - انظر ترتيب المدارك : ٥٩٤/٤ - ٦٠٠.

٣ - الصف : ٦.

٤ - انظر أضواء البيان: ١٠٨/٢ بتصرف يسير.

- وهناك العدد الكبير من مثل هذه القصص والحوارات والمناظرات التى يطول المقام بذكرها - كالمناظرة التي ذكرها الامام ابن القيم بينه وبين نصراني(١)، والتى بهت فيها الذي كفر - وغير ذلك.

- وانما المقصود أن نستنشق عبق الأدب الحسن والخلق الجميل، من خلال هذه الحوارات ونحوها، وأن تكون أمامنا كنماذج واقعية، وأحداث حية، نسعى جميعا للاقتداء بآداب أصحابها والسير على نهجهم القويم، والحمد لله رب العالمين.

---

١ - انظر زاد المعاد : ٣/٦٣٩ - ٦٤٢.

خاتمة البحث

الخاتمة

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسوله وبعد:

فقد كان موضوع «آداب الحوار» موضوعا شيقا وممتعا - ولله الحمد و المنة -، فقد دعاني البحث فيه إلى تدبر كثير من آيات القرآن، ومطالعة عدد من كتب السنة، وفي ذلك من الخير والفائدة واللذة ما فيه، ثم الإطلاع على شيء من السير وأحداث التاريخ وقصص السلف، وفي هذا - أيضا - متعة عظيمة.

وبعد هذه الجولة في ظل الكتاب والسنة مع «آداب الحوار»، أخلص إلى الآتي :

أولا : أهم النتائج :

١ - كمال هذا الدين وعظمته في جميع جوانبه، إذ لم يترك خيرا إلا ودل عليه، ولا شرا إلا وحذر منه.

٢ - وتبعا لذلك فقد اهتم الإسلام إهتماما بالغا بأدب الحوار وأصوله وضوابطه، وقواعده وشروطه، ضمانا لسلامته من الشوائب، وسعيا لتحقيق الأهداف المنشودة منه.

٣ - إن أهداف الحوار وغاياته متعددة كثيرة، إذ به تتحقق مصالح عظيمة للأمة وللأفراد، ويكفي أن الحوار وسيلة - لايمكن الإستغناء عنها - من وسائل الدعوة، فعن طريقه يمكن عرض الإسلام وإقناع الآخرين بقضاياه، وكذا رد شبهات المعاندين وكيد الكائدين.

٤ - إن الأدب في الحوار، لايقل أهمية عن الحوار نفسه، إذ فقدان الأدب، وعدم مراعاة الظروف والمواقف، قد يؤدي إلى نتائج سلبية، ويزيد التنافر والإختلاف بين المتحاورين، أو يقضي على الحوار ويهدمه من أساسه.

٥ - ينبغي للمسلم ألا يتجاسر على الحوار ويدخل فيه، مالم يحقق الأهلية في هذا، ويتأكد من انطباق الشروط اللازمة عليه، ومن ذلك القدرة على إلتزام آداب الحوار، مع التمكن من إدارة الحوار بالعلم والحكمة ونحوهما.

٦ - لقد احتوت نصوص الكتاب والسنة على أقوم الطرق، وأهدى السبل، وأفضل المناهج، في الحوار وآدابه، وعلى كل من أراد الحوار أن يسلك سبيلهما ليصل إلى مقصوده بأيسر طريق وأخصره.

٧ - لقد قام سلف الأمة من الصحابة والتابعين، ومن العلماء والدعاة، والقادة والأمراء، بإجراء كثير من الحوارات العلمية والعقدية والفقهية، لتحقيق مصالح مختلفة، وسيرهم تفيض بالأدلة على هذا، وظهر من خلال تلك الحوارات: الأدب الرفيع، والخلق النبيل، والمنهج القويم في ضبط الحوار والوصول به إلى نتيجة.

٨ - إن آداب الحوار كثيرة وجوانبه متعددة، وعلى المحاور أن يجتهد في تحقيق والتزام ما يمكنه منها، وألا تصده كثرتها عن الإعتناء بها ومراعاتها، أو تؤدي به إلى اليأس منها وإهمالها، ولكن عليه أن يجتهد في ذلك، و﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾(١).

٩- إن الحوار طريق صحيح ومهم إلى إصلاح كثير من الأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية وشئون الحرب والسلم وغيرها.

ثانيا: مقترحات:

١ - إعداد دعاة مؤهلين للحوار، ملتزمين بآدابه، يملكون قدرة على الإقناع والرد، خاصة في مواجهة المشككين من أعداء الدين؛ من أهل الكتاب والمستشرقين والمبتدعة والمنافقين وغيرهم، ويمكن تحقيق ذلك من خلال إقامة دورات علمية شرعية، وعملية تطبيقية، تساعد في استكمال الشروط اللازمة لذلك.

٢ - جمع وتحقيق ودراسة مايمكن الحصول عليه من الحوارات القديمة والحديثة، وإبرازها في موسوعة أو مؤلف خاص، ترتب حسب موضوعاتها وأهدافها، مثل: أن تجمع الحوارات مع أهل الكتاب في قسم خاص، والحوارات الفقهية في قسم آخر، وهكذا، ليسهل تناولها، وتكتمل الفائدة منها.

٣ - لو أمكن أن تدرس - بالجامعات أو غيرها - مادة في قسم الدعوة تعنى بموضوع الحوار وآدابه، ووسائل تحقيقه، ففي ذلك نفع عظيم للدعوة.

---

١ - البقرة: (٢٨٦)

٤ - توجيه مراكز البحوث وأقسام الدراسات العليا للعناية بهذا الموضوع، وإعطائه حقه من الدراسة والبحث ، لأهميته والحاجة إليه في وقتنا الحاضر.

٥ - عقد محاورات ومناظرات علمية نزيهة، بين الاساتذة في الجامعات أوغيرهم، تراعى فيها الأصول والآداب، ويكون الغرض منها، إعطاء مُثل للحاضرين من الطلبة وغيرهم، وتعويدهم على الحوار وآدابه.

هذا واسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا إنه سميع مجيب، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين،والحمد لله رب العالمين.

الفهارس العامة للبحث

قائمة المراجع مرتبة حسب حروف المعجم

فهرس المصادر مرتبه حسب ترتيب حروف المعجم

إســـــم الكتاب	إســـــم المؤلف	الطـــبعة والدار
القرآن الكريم		
الإتقان في علوم القرآن	جلال الدين السيوطي	ط٠الثالثة ١٣٧١هـ مكتبة البابي الحلبي القاهرة٠
اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء	محمد الخضري	دار الوفاء للطباعة والنشر - مصر
إحكام الإحكام	ابن دقيق العيد	دار الكتاب العربي بيروت
أحكام القرآن	ابن العربي	دار المعرفة٠بيروت لبنان
الأحكام في أصول الأحكام	ابن حزم الأندلسي	ط٠الثالثة٠ مطبعة الإمام مصر
إحياء علوم الدين	أبوحامد الغزالي	ط٠ الأولى٠١٤٠٦هـ/ دار الكتب العلمية٠ بيروت
أخبار عمر رضي الله عنه	علي الطنطاوي، وناجي الطنطاوي	ط٠ الثامنة ١٤٠٣هـ٠ المكتب الإسلامي٠بيروت
آداب البحث والمناظرة	محمد الأمين الشنقيطي	دار ابن تيمية للطباعة والنشر- القاهرة
أدب الإختلاف في الإسلام	د٠طه جابر فياض لعلواني	ط٠الأولى٠مطابع الدوحة الحديثة - قطر٠
أدب الحوار والمناظرة	د٠ علي جريشة	ط٠ الأولى ١٤١٠هـ دار الوفاءللطباعة والنشر
أدب الخلاف	د٠ صالح بن حميد	مطابع جامعة أم القرى
الأدب المفرد	البخاري	ط٠ ١٤٠٠هـ مكتبة الأدب القاهرة
إرواء الغليل	محمد ناصر الدين الألباني	ط٠ الثالثة١٤٠٥هـ المكتب الإسلامي بيروت

استخراج الجدال من القرآن	عبدالرحمن الحنبلي	ط٠ الثانية ١٤٠١هـ مطابع الفرزدق
أصول الحوار	الندوة العالمية للشباب الإسلامي	ط٠الثالثة١٤٠٨هـ٠ المطابع العالمية الرياض
الإصابة في تمييز الصحابة	ابن حجر العسقلاني	ط٠ ١٨٥٣م٠ دار الكتب العلمية بيروت لبنان
أضواء البيان	محمد الأمين الشنقيطي	عالم الكتب - بيروت
أعلام الموقعين	ابن القيم الجوزية	ط٠ الأولى ١٤١١هـ دار الكتب العلمية٠ بيروت لبنان
الإعتصام	الشاطبي	دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت
الإعلام	خيرالدين الزركلي	ط٠ الرابعة١٩٨٦م ٠ دار الكتب العلمية - بيروت
آفات على الطريق	د٠ السيد محمد نوح	ط٠ الخامسة ١٤١٠هـ٠ دار الوفاء للطباعة والنشر - مصر
آفات اللسان في ضوء الكتاب والسنة	سعيد بن علي القحطاني	ط٠ الثالثة ١٤١١هـ٠مطابع الفرزدق التجارية الرياض
أفراح الروح	سيد قطب	ط٠ الثالثة١٤١٠هـ دار طيبة ودار ابن القيم
إقتضاء الصراط المستقيم	شيخ الأسلام ابن تيمية	دار الحديث بالأزهر
إكمال إكمال المعلم على صحيح مسلم	لأبي عبدالله محمد بن خلفة الوشتاني الأبي المالكي	دار الكتب العلمية بيروت

الإنصاف في بيان أسباب الخلاف	ولي الله الدهلوي	ط٠ الثانية ١٤٠٤هـ مؤسسةالرسالة ودار النفائس - بيروت
أهمية الجهاد	علي بن نفيع العلياني	ط٠الثانية ١٤٠٥هـ دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض
بذل المجهود في حل ابي داود	خليل أحمد السهارنفوري	دار الكتب العلمية بيروت
بدائع الفوائد	ابن القيم الجوزية	دار الكتاب العربي بيروت
بدر التمام في اختصار الإعتصام	لأبي عبدالفتاح - محمد السعيد الجزائري	ط٠ الأولى ١٤١١هـ دار الحنان الإسلامية إ٠ع٠م
الباقلانية	محمد بن عبدالعزيز الخضيري	مؤسسة اسامة للنشر الرياض
البداية والنهاية	الحافظ ابن كثير	ط٠الأولى ١٤٠٥هـ دار الكتب العلمية - بيروت
البحر المحيط	أبوحيان محمد بن يوسف النحوي	مكتبة ومطابع النصر الحديثة - الرياض
تاريخ الطبري	لأبي جعفر بن جرير الطبري	ط٠الأولى ١٤٠٧هـ٠ دار الكتب العلمية - بيروت
تحريف النصوص في مآخذ أهل الأهواء في الأستدلال	بكر بن عبدالله أبو زيد	ط٠ الأولى ١٤١٢هـ دار العاصمه - الرياض
تحفةالأحوذي في شرح جامع الترمذي	لأبي العلا محمد بن عبدالرحمن ابن عبد الرحيم المباركفوري	ط٠ الأولى ١٤١٠هـ دار الكتب العلمية - بيروت

التحر ير والتنوير	محمد الطاهر بن عاشور	ط٠ ١٩٨٤م الدار التونسية
التعالم وأثره على الفكر والكتاب	بكر بن عبدالله أبو زيد	ط٠ الأولى ١٤٠٨هـ دار الرايه للنشر والتوزيع الرياض
التعريفات	علي بن حمد الشريف الجرجاني	ط٠ الأولى ١٩٦٩م مكتبة لبنان - بيروت
تفسير القرآن العظيم	الحافظ ابن كثير	ط٠- دار إحياء الكتب العربية - مصر
تفسير القرآن المرتب	أحمد أسعد علي	ط٠ الأولى ١٣٩٩هـ دار السؤال للطباعة والنشر دمشق
تفسير المراغي	أحمد مصطفى المراغي	ط٠ الثانية ١٩٨٥م دار إحياء التراث العربي بيروت
تفسير النسفي	أبوالبركات٠ عبدالله بن أحمدبن محمدالنسفي	ط٠ ١٤٠٢هـ دار الكتاب العربي - لبنان
التفسير الحديث	محمد عزة دروزة	ط٠ ١٣٨١هـ مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة
التفسير القيم	ابن الجوزية	دار الكتب العلمية بيروت
ترتيب المدارك وتقريب المسالك	القاضي عياض بن موسى بن عياض٠ ت: أحمد بكر محمود	ط٠١٣٨٧هـ دار مكتبة الحياة٠ بيروت
تقريب التهذيب	ابن حجر العسقلاني	ط٠ الرابعة ١٤١٢هـ دار القلم - دمشق
تلخيص الحبير	ابن حجر العسقلاني	دار الكتاب الإسلامي - القاهرة

تهذيب التهذيب	ابن حجر العسقلاني	
تهذيب سيرة ابن هشام	عبدالسلام هارون	ط٠ العاشرة ١٤٠٥هـ دار البحوث العلمية - بيروت
تهذيب مدارج السالكين	ابن القيم الجوزية٠ تهذيب : عبدالمنعم صالح العلي العربي	المكتبة العلمية
تيسير التفاسير	ابراهيم القطان	ط٠ الأولى ١٤٠٢ عمان
تيسير العلام في شرح عمدة الأحكام	عبدالله بن عبد الرحمن ابن صالح آل بسام	ط٠ الثالثة ١٣٩٣هـ
تيسير الكريم الرحمن	عبدالرحمن بن ناصر السعدي	مطبعة المدني - بجدة
جامع الأصول	الإمام مجدالدين ابن الأثير الجزري	ط٠ الثانية ١٤٠٣هـ دار الفكرللطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان
جامع البيان عن تأويل القرآن	لأبي جعفر محمد بن حرير الطبري	ط٠ الثالثة ١٣٨٨هـ شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر
جامع بيان العلم وفضله	يوسف بن عبدالبر القرطبي	دار الفكر
جامع العلم والحكم	ابن رجب الحنبلي	دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت لبنان
الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح٠	ش٠الإسلام ابن تيمية	مطبعة المدني٠السعودية
حوار الرسول مع اليهود	د٠ محسن بن محمد بن عبدالناظر	ط٠ الأولى ١٤٠٩دار الدعوةللنشر والتوزيع الكويت

الحوار مع أهل الكتاب	خالد عبدالله القاسم	ط١٤١١٠هـ جامعة الملك سعود - السعودية
خصائص القصة الإسلامية	د٠ مأمون فريز جرار	ط٠ الأولى ١٤٠٨هـ دار المنارة للنشر والتوزيع - جده
خطبة الحاجة	محمد ناصر الدين الألباني	ط٠ الثالثة ١٣٩٧ المكتب الإسلامي - بيروت
خلاف الأمة في العبادات	شيخ السلام ابن تيمية٠ علق عليها عثمان جمعه ضميرية	ط٠ الأولى ١٤١٠هـ دار الفاروق الطائف السعودية
خلق المسلم	محمد الغزالي	الإتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية
الخلاف بين العلماء	محمد الصالح العثيمين	ط٠ الأولى ١٤١١هـ دار المجتمع للنشر والتوزيع - جدة
الدر المنثور في التفسير بالمأثور	جلال الدين السيوطي	ط١٤٠٣٠ دار الفكر - بيروت لبنان
درء تعارض العقل والنقل	ش٠ الإسلام ابن تيمية٠ ت٠ محمد رشاد سالم	ط٠ الأولى ١٤٠١هـ جامعة الإمام محمد بن مسعود
دلائل النبوة	البيهقي	ط٠ الأولى ١٤٠٥هـ دار الكتب العلمية بيروت٠
ربانية التعليم	د٠عبدالله يوسف الحسن	دار المنطق
الرد على المخالف	بكر بن عبدالله أبو زيد	دار الهجرة للنشر والتوزيع السعودية
الرسالة	لإمام المطلبي محمد بن إدريس الشافعي	
رسالة في الحوار الفكري بين الإسلام والحضارة	محمد ابراهيم الفيومي	ط١٩٨١٠م عالم الكتب القاهرة
حوار حول الحوار		

الكتاب	المؤلف	الطبعة والناشر
رفع الملام عن الأئمة الأعلام	تقي الدين أحمد بن تيمية	ط٠ الثالثة٠ المكتبة السلفية القاهرة
رياض الصالحين	لأبي زكرياء يحيى بن شرف النووي	ط٠ الرابعة ١٤٠١هـ دار المأمون للتراث - دمشق
زاد المسير	ابن الجوزي	ط٠الثالثة ١٤٠٤هـ المكتب الإسلامي بيروت
زاد المعاد	ابن القيم الجوزية	ط٠ الثانية ١٤٠١هـ مؤسسةالرسالة للطباعة والنشر-الكويت
زبدة التفسير	محمد سليمان عبدالله الأشقر	ط٠الثانية ١٤٠٨هـ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويت
سلسلة الأحاديث الصحيحة	محمد ناصر الدين الألباني	ط٠ الثانية ١٣٩٩هـ المكتب الإسلامي بيروت
سلسلة الأحاديث الضعيفة	محمد ناصر الدين الألباني	ط٠ الأولى ١٤٠٨هـ مكتبة المعارف - الرياض
سنن ابن ماجة	الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني	دار الفكر للطباعة والنشر
سنن أبي داواد	سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي	ط٠ ١٤٠٨هـ دار الجيل بيروت
سنن الترمذي	لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة	ط٠ الثانية ١٣٩٧هـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي مصر
سنن النسائي بشرح السيوطي	أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي	ط٠ الثالثة ١٤٠٩هـ دار البشائرالأسلامية بيروت
السنن الكبرى البيهقي	أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي	ط٠ الأولى ١٣٥٤هـ مطبعة مجلس دار المعارف العثمانية - الهند
سير أعلام النبلاء	للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي	ط٠ الثامنة ١٤١٢هـ مؤسسةالرسالة - بيروت

السيرة النبوية الصحيحة	د٠ أكــرم ضياء العمري	مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة
شرح أصول إعتقاد أهل السنة	أبو القاسم - هبة الله بن حسن بن منصور الطبري اللالكائي	دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض
شرح الأربعين النووية	ابن دقيق العيد	مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر جده
شرح السنة	للإمام المحدث الفقيه الحسين بن مسعود البغوي	ط٠ الثانية١٤٠٣هـ المكتب الإسلامي - بيروت
شرح العقيدة الطحاوية	ابن ابي العز الحنفي	ط٠ الثانية ١٤٠٨هـ مكتبة المويد - الطائف
شرح الكوكب المنير	محمد بن أحمد بن عبدالعزيز الحنبلي المعروف بابن النجار تحقيق د٠ محمد الزحيلي ود٠ نزيه حماد	ط٠ الأولى ١٤٠٨هـ مطابع جامعة أم القرى - مكة
شمائل الرسول ﷺ	الحافظ ابن كثير	ط٠ الثانية ١٤٠٩ دار القبلة للثقافة الإسلامية السعودية
الصحاح	إسماعيل بن حماد الجوهري	ط٠ الثالثة ١٤٠٤هـ دار العلوم للملايين بيروت
صحيح ابن خزيمة	لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة	ط٠ الثانية ١٤٠١هـ شركة الطباعة العربية السعودية - الرياض

صحيح ابن حبان

صحيح البخاري — أبو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري — ط٠ الخامسة ١٤٠٦هـ عالم الكتب - بيروت

صحيح البخاري بشرح الكرماني — محمد بن يوسف الكرماني — مؤسسة المطبوعات الإسلامية - مصر

صحيح الجامع الصغير وزيادته — محمد ناصرالدين الألباني — ط٠ الثانية ١٤٠٦هـ المكتب الإسلامي - بيروت

صحيح مسلم — أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري — دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت

صحيح مسلم بشرح النووي — محيي الدين أبو زكريا يحيى ابن شرف بن مرى الخزامي النووي

صحيح سنن ابن ماجة — محمد ناصرالدين الألباني — ط٠ الأولى ١٤٠٧ المكتب الإسلامي - بيروت

صحيح سنن أبي داود — محمد ناصر الدين الألباني — ط٠ الأولى ١٤٠٩هـ المكتب الإسلامي - بيروت

صحيح سنن الترمذي — محمد ناصرالدين الألباني — ط٠ الأولى ١٤٠٨هـ المكتب الإسلامي - بيروت

صحيح سنن النسائي — محمد ناصر الدين الألباني — ط٠ الأولى ١٤٠٩هـ المكتب الإسلامي - بيروت

صور من حياة الصحابة — عبدالرحمن رأفت الباشا — ط٠ السادسة مؤسسة الرسالة ودار النفائس بيروت

صيد الخاطر	ابن الجوزي - راجعه وحققه·علىوناجي الطنطاوي	ط· الرابعة ١٤٠٧هـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق
ضعيف الجامع الصغير وزيادته	محمد ناصر الدين الألباني	ط· الثانية ١٣٩٩هـ المكتب الإسلامي بيروت
ضوابط المعرفة	عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني	ط· الثانية ١٤٠١هـ دار القلم - بيروت
عمدة القاريء شرح صحيح البخاري	بدر الدين العيني	إدارة الطباعة المنيرية - بيروت
عون الباري لحل أدلة البخاري	لأبي الطيب صديق حسن علي الحسين القنوجي البخاري	دار الرشيد - حلب سوريا
العواصم من القواصم	القاضي أبو بكر بن العربي	مكتبة أسامة بن زيد بيروت
عيون الأخبار	ابن قتيبة الدينوري	دار الكتب العلمية - بيروت
الغرباء الأولون	سلمان بن فهد العودة	ط· الأولى ١٤١٠هـ دار ابن الجوزي - الدمام
غريب الحديث	لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي	ط· الأولى ١٤٠٥هـ دار الكتب العلمية - بيروت لبنان
فتاوى ابن تيمية	جمع: عبدالرحمن بن محمد قاسم العاصمي النجدي الحنبلي	دار مكتبة ابن تيمية لطباعة ونشر الكتب السلفية

الكتاب	المؤلف	الطبعة والناشر
فتح الباري، ش، صحيح البخاري	الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني	دار المعرفة - بيروت لبنان
فتح البيان	صديق حسن خان	ط، ١٣٠١هـ مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة
فتح القدير	محمد بن علي بن محمد الشوكاني	ط، ١٤٠٣هـ دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع - بيروت
فقه السيرة	محمد الغزالي، تخريج: محمد ناصر الدين الألباني	ط، السابعة ١٩٧٦م، دار الباز
فراسة المؤمن	إبراهيم بن عبدالله الحازمي	ط، ١٤١٢هـ دار الشريف للنشر والتوزيع
الفروق اللغوية	لأبي هلال العسكري ضبطه وحققه، حسام الدين القدسي	ط١٤٠١،هـ دار الكتب العلمية بيروت
فن الخطابة	دايل كارنيجي	ط، الثانية ١٩٨٦م دار ومكتبة الهلال بيروت - لبنان
في ظلال القرآن	سيد قطب	ط، الحادي عشرة ١٤٠٥هـ دار الشروق - القاهرة
القاموس المحيط	مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي	المؤسسةالعربيةللطباعةوالنشر بيروت - لبنان
القصص في الحديث النبوي	محمد بن حسن الزير	ط،الثانية ١٤٠٠هـ دار اللواء الرياض
قل إنما أعظكم بواحدة	عبدالعزيز بن ناصر الجليل	دار طيبة - الرياض

كتابة البحث العلمي صياغة جديدة	د٠ عبدالوهاب ابراهيم ابو سليمان	ط٠الثالثة ١٤٠٨هـ دار المعرفة - بيروت
الكشاف	لأبي القاسم محمود بن عمرالزمخشري الخوارزمي	ط٠ الأخيرة شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده - القاهرة
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون	شهاب الدين النجفي المرعشي	مكتبة المثني - بغداد
كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس	ديل كارنيجي	دار الندوة الجديدة - بيروت
لسان العرب	أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور	دار صادر ٠ بيروت
لمحات في فن القيادة	ج٠ كورتوا- تعريب: المقدم الهيثم الأيوبي	المؤسسةالعربية للدراسات والنشر - بيروت
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد	الحافظ نورالدين علي بن أبي بكر الهيثمي	ط٠ ١٤٠٦هـ مؤسسة المعارف - بيروت
مختار الصحاح	محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي	دار الكتب العلمية - بيروت
مختصر تفسير المنار	محمد رشيد رضا	ط٠ الأولى ١٤٠٤هـ المكتب الإسلامي - بيروت
مختصر منهاج القاصدين	ابن قدامةالمقدسي٠ تعليق : شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط	ط٠ ١٣٩٨هـ مؤسسة علوم القرآن للطباعة والنشر - بيروت
مذاهب فكرية معاصرة	محمد قطب	ط٠ الرابعة ١٤٠٩هـ دار الشروق - القاهرة

مذكرة أصول الفقه	محمد الأمين بن مختار الشنقيطي	المكتبة السلفية - المدينة
المسند	أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق : احمد شاكر	ط٠ الرابعة دار المعارف مصر
المسند	أحمد بن محمد بن حنبل،	ط٠ الرابعة المكتب الإسلامي - بيروت
المستدرك	الحافظ ابن عبدالله الحاكم النيسابوري	دار المعرفة - بيروت
مشكاة المصابيح	محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي	ط٠ ١٤٠٥هـ المكتب الإسلامي - بيروت
مصبح الزجاجة في زوائد ابن ماجة	شهاب الدين البوصري، تحقيق:محمدالمنتقىالكشناوي	ط٠ الأولى ١٤٠٣هـ دار العربية للطباعة والنشر بيروت
المصباح المنير	أحمد بن محمد المقري	ط٠ ١٩٨٧م مكتبة لبنان -لبنان
المصنف	عبدالرزاق الصنعاني، تحقيق: الأعظمي	ط٠ الأولى المجلس العلمي - الهند
معالم الإنطلاقة الكبرى	محمد عبدالهادي المصري	ط٠الرابعة/ دار طيبة للنشر والتوزيع
معالم التنزيل	أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي	ط٠ الثانية ١٣٧٥هـ مطبعة البابي الحلبي القاهرة

معالم في الطريق	سيد قطب	ط. الثالثة ١٤٠٣هـ. الإتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن	محمد فؤاد عبدالباقي	دار الحديث - مصر
المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي	الإتحاد الأممي للمجامع العلمية	ط. ١٩٦٧م مطبعة بريل في مدينة ليدز
مفاتيح الغيب	فخرالدين محمد الرازي	ط. الأولى ١٣٠٨هـ مطبعة الإمام بمصر
مفتاح دار السعادة	ابن القيم الجوزية	ط. الثالثة ١٣٩٩هـ مكتبة حميد والإسكندرية
مقدمة في أصول التفسير	ش. الإسلام أحمد بن تيمية	مكتبة ابن تيمية لطباعة ونشر الكتب السلفية
مقدمة في أسباب إختلاف المسلمين وتفرقهم	محمد العبده وطارق عبدالحليم	دار الأرقم - الكويت
الملل والنحل	أبوالفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني. ت محمد سيد كيلاني	مطبعة البابي الحلبي - مصر
مناظرة بين الأسلام والنصرانية	مجموعة من العلماء	١٤٠٧هـ رئاسة ادارات البحوث العلمية
مناقب الشافعي	أبوبكرأحمد بن الحسين البيهقي.ت:السيد أحمد صقر	ط. الأولى ١٣٩١هـ مكتبة دار التراث مصر

الكتاب	المؤلف	النشر
مناهج الجدل	د٠ زاهر عواض الألمعي	ط٠ الثالثة ١٤٠٤هـ مطابع الفرزدق التجارية - الرياض
منع جواز المجاز	محمدالأمين الشنقيطي	عالم الكتب - بيروت
موارد الظمآن	نورالدين علي بن أبي بكر الهيثمي	دار الكتب العلمية - بيروت
الموافقات في أصول الأحكام	ابو إسحاق أبراهيم بن موسى الشاطبي	المكتبة الفيصلية - مكةالمكرمة
الموطأ	الإمام مالك بن أنس	ط٠ الأولى ١٤٠٨هـ دار الريان للتراث - مصر
نزهة الفضلاء	محمد حسن عقيل موسى	ط٠ الأولى٠ ١٤١١هـ دار الأندلس للنشر والتوزيع- جدة
النهاية في غريب الحديث والأثر	مجد الدين أبو السعادات ٠ «ابن الأثير» ت: طاهر زواوي ومحمود الطنـاحي	دار الباز - مكة المكرمة
نيل الأوطار	محمد بن علي بن محمد الشوكاني	ط٠ ١٩٧٣م دار الجيل بيروت
وإذا قلتم فاعدلوا	عبدالعزيز بن ناصر الجليل	دار طيبة - الرياض
ويكون الدين كله لله	د٠ محمد بن سعيد القحطاني	١٤١١هـ

المقالات في الصحف والمجلات والنشرات

عنوان المقال	اسم الكاتب	المصدر/العدد/التاريخ
الإجتهاد ليس مباحا لكل أحد	د٠ صالح الفوزان	مجلة اليمامة(١١٣٥)/٢ جمادي الآخرة ١٤١١هـ٠
أدب الحوار	أحمد كمال أبوالمجد	مجلة المسلم المعاصر(٣) رجب ١٣٩٥
أدب الحوار	السيد تقي الدين	مجلة المنهل(٤٣٠) محرم وصفر ١٤٠٥هـ
أدب الحوار -المقومات -السلبيات	ندوة مشتركة	رسالةالجامعةالملك سعود(٤٤٨) ذوالقعدة ١٤١١هـ
أسس الحوار بين الإسلام والأديان الأخرى	صلاح الصاوي	مجلة الدراسات الإسلامية(٣) رمضان١٣٩٥هـ
أسلوب المحاورفي القرآن الكريم	عبدالحليم حفني	المجلة العربية للعلوم الإنسانية(٣٢) ١٩٨٨م
الحوار «ملحق»	ندوة مشتركة	مجلة الفيصل(١٨٨)
الحوار بين الأديان	أنور الجندي	منار الإسلام(٣) ربيع الأول ١٤٠٨هـ
الحوار نافذة من نور	عمر بهاء الدين	المسلم المعاصر(١-٢) ربيع الأول والثاني ١٣٩٥هـ
الحوار والمعادلة المفقودة	محمد الصالح عزيز	مجلة الأمة(٦٢) صفر ١٤٠٦هـ
قضية الحوار كمبدأ في الإسلام	ندوة مشتركة	صحيفة الشرق الأوسط (٤٥٤٧-٤٥٥٣)

قضية القضاياوبقية القضايا	د٠غازي القصيبي	صحيفة الشرق الأوسط(٤٣٧١) ١٦-١١-١٩٩٠م
القيادة في الإدارة الإسلامية	د٠عبدالرحمن إبراهيم الصحايا	مجلة الخدمة المدنية رقم ١١٧
المجازفة في القول جرتك إلى تقليد بعض الكتاب الجهال	د٠ صالح الفوزان	مجلة اليمامة(١١٦٨) ١١ صفر ١٤١٢هـ
من آداب الإجتهاد والإختلاف في الإسلام	د٠ غازي القصيبي	مجلة اليمامة(١١٣٣) ١٨جمادي الأولى ١٤١١هـ
مناقشة ابن عباس للخوارج دروس وعبر	معن عبدالقادر	مجلة البيان(١٢) شوال ١٤٠٨هـ
لقد حملوا على «عبادالله» وقسموا الناس إلى فريقين	د٠ عبدالله الحامد	مجلة اليمامة(١١٦٤) ١٤محرم١٤١٢هـ
لم تعهدني فقيها ولكن تعال نتحاور	د٠ عبدالله الحامد	مجلة اليمامة(١١٨١) ١٤ جمادي الأولى ١٤١٢هـ

أشرطة ومحاضـــــــــرات

عنوان المحاضرة	إسم المحاضـــــر
آداب السؤال	للشيخ سلمان بن فهد العودة
أدب الحوار	للشيخ سلمان بن فهد العودة
أدب الحوار	الشيخ : أحمد الصويان
أعذار العلماء	الشيخ: سلمان بن فهد العودة
الإنصاف في أدب الخلاف	الشيخ: محمد بن صالح العثيمين

الخلاف بين العلماء أسبابه ومو‌قفنا منه	الشيخ سلمان العودة
الخلاف في الفرع لايسبب خلاف	الشيخ: عبدالله بن عبدالرحمن البسام
فن التعامل مع الناس	الدكتور عبدالله مبارك الخاطر
كيف تسأل أهل العلم	الشيخ:محمد بن صالح المنجد
مايجوز ومالا يجوز الإختلاف فيه	الشيخ : محمد الحسيني

فهرس الآيات مرتبة حسب السوّر

سورة البقرة

سورة النساء

سورة الأنعام

سورة الأعراف

الذين أتخذوا دينهم لهوا ولعبا٠٠		
وماكانوا بآياتنا يجحدون	٥١	٤٢٩
لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال	٥٩	٥٥،٥٦،١٧٧،١٨٠،٢٤٤
قال الملأ من قومه إنا لنراك٠٠		
قال ياقوم ليس بي ضلالة٠٠٠٠٠٠		
ولعلكم ترحمون	٦٠-٦٣	٥٦،١٠٣،١٥٤،
		٢٣٤،٢٩٣،٣٨٩
وإلى عاد أخاهم هودا قال ياقوم٠٠		
٠٠٠ إنا بما أرسل به مؤمنون	٦٥-٧٥	١٣،٥٧،١٠٤،١٥٤،٢٤٤،
		٢٥٦،٢٧٩،٢٩٣،٣٦٩
قال ياقوم ليس بي ضلالة٠٠٠٠٠	٦١	٥٦،١٠٣
قال الملأ الذين كفروا من قومه		
إنالنراك في سفاهة٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٦٦	٢٩٣
قال ياقوم ليس بي سفاهة٠٠٠٠٠	٦٧	١٠٤،٢٩٣
قال قد وقع عليكم٠٠٠٠أتجادلونني		
في اسماء سميتموها٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٧١	١٣
واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد		
عاد٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٧٤	٣٦٩
قال الملأ الذين استكبروا من قومه		
للذين استضعفوا لمن ءامن منهم٠٠٠	٧٥	٥٧
فعقروا الناقة وعتوا عن أمر		
ربهم٠٠٠٠ بل أنتم قوم مسرفون	٧٧- ٨١	٥٧،٢٩٦،٣٥٣
وإلى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم		
واذكروا إذ أنتم قليل فكثركم٠٠٠٠	٨٥-٨٦	٢٤٤،٢٥٦،٢٩٦،٣٦٩

سورة يونس

سورة هود

سورة أبراهيم

سورة الحجر

سورة النحل

سورة الإسراء

سورة الكهف

سورة مريم

سورة طه

سورة الأنبياء

سورة الحج

سورة النمل

سورة القصص

سورة العنكبوت

سورة سبأ

سورة فاطر

سورة يس

سورة الصافات

سورة ص

سورة الزمر

سورة غافر

سورة فصلت

سورة الشورى

سورة الزحرف

سورة الأحقاف

سورة محمد ﷺ

سورة الفتح

سورة الحجرات

سورة ق

فهرس الأحاديث والآثار مرتبة حســب حروف الهجاء

حديـــــــــــث		رقم الصفـــحة
اذا رأيتم الذين يجادلون فيه		٨، ٤٦
ابغض الرجال إلى الله الألد الخصم		٤٦
أنا زعيم بيت في ربض الجنة		٤٦
اتقوا النار ولو بشق تمرة		٦٧
ان هذه الصلاة لايصلح فيها شيء		
من كلام الناس		٣٦١،٩٩،٧٠
اقضوا كما كنتم تقضون	«علي بن ابي طالب»	٨٤
أنا عبدالله ورسوله لن اخالف أمره		
(الحديبية)		٤٣٤،٤٠٥،٣٣٧،٢٥٢،٤٢
إن الله لايقبض العلم انتزاعا		٧٦، ٢٨٩
إن مما أخشى عليكم شهوات الغي		،٧٧
أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضر		٥٩، ٩٢، ٢٧٤
أي يوم هذا؟		٩٠، ٢٤٣، ٣١٨
أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا		٥٨، ٩٦
إنما الأعمال بالنيات		١٠٣
ألا أدلك على أعلم أهل الأرض	«ابن عباس»	١٢٠
ألا تعجبون لابن الزبير	«ابن عباس »	١٢٤
إن صاحب الحق مقالا		١٢٤
أصبت بعضا واخطأت بعضا		١٢٥
إن الله أوحى إلي أن تواضعوا		١٣١
إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة		
الصائم		١٣٢
إن امرأة كان في عقلها شيء		١٣٢
إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي		٤٣٠،٤١٨،٣٣٨،٢٥٣،١٣٤
أو لك نطفة مذرة	«مالك بن دينار»	١٣٦

فهرس الاسماء والأعلام مرتبة حسب حروف المعجم

فهرس الأعلام مرتبة حسب حروف المعجم

الباء

الطـــــاء

العيـــــن

النـــــون

الهـــاء

الــــــواو

اليـــــــاء

فهرس الموضوعات

فهرس الموضـــــوعات